خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

مجلة

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

من سنة ١٣٥٦هـ الى سنة ١٣٨٧هـ

وممن كتب فيها

الشيخ محمد حامد الفقي
الشيخ عبد الرزاق عفيفي
الشيخ عبد الرحمن الوكيل
الشيخ محب الدين الخطيب
الشيخ أحمد محمد شاكر
الشيخ عبد الظاهر أبو السمح
الشيخ أبو الوفا محمد درويش
الشيخ محمد خليل هراس

الناشر

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية ت/ ٠٤٨٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع
القاهرة ت/ ٠٢٣٥٨٦٤٢٤٠













خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

الناشران

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية / ٠٤٨٤٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية القاهرة
ت: ٠٢٥٨٦٤٢٤٠

الفهرس

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقي

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل
الاشتراك السنوى
٣٠ - فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ - فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

المجلد ٢٦ | المحرم سنة ١٣٨١ | العدد ١

فاتحة العام السادس والعشرين

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله ، وبحمده تعالى ، نفتتح العام السادس والعشرين لمجلتنا (الهدى النبوى) مستمدين منه سبحانه وحده العون والتوفيق والتسديد والثبات على الحق والهدى .

لقد سلخت (الهدى النبوى) خمساً وعشرين عاماً ، وهى تكافح وتجاهد فى سبيل الله لنشر التوحيد ، وقمع الشرك . ولرفع لواء السنة النبوية المطهرة ، ودحض البدع والخرافات . ولدعوة الناس إلى الاستضاءة بنور الإيمان والهدى من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، والخروج من ظلمات الإلحاد والتصوف وعبادة الموتى من دون الله .

لقد ظلت (الهدى النبوى) وفيّة لدعوتها ، حفيّة بقرائها ، شاكرة لكتابها ، طيلة ربع قرن من الزمان . ولم تكن تضن بتضحية ، ولا تشح ببذل . وهى إذ تخرج الآن وقد زادت من قيمة الاشتراك فيها قروشاً قليلة ، إنما تلجأ إلى ذلك اضطرارا . وترجو أن يقدر قراؤها موقفها ، وأنها ستظل كما كانت فى وفائها وتضحيتها وبذلها .

ولعلك يا أخى تلاحظ نشاطا فى صفوف دعاة البدعة والخرافة فى الأيام الأخيرة ، فتراهم

يكتبون ويستكتبون فى الصحف والمجلات ، عن معاهدات يبتغون إقامتها لا باسم الله ، ولكن باسم طواغيتهم ومؤلهيهم ، وإن الله سبحانه وتعالى لهم بالمرصاد ، وسيحفظ دينه ، ويرد كيدهم فى نحورهم . وقد أخذ الله سبحانه العهد على العلماء ولا سيما الموحدين أن يبينوا للناس دينه الحق ، وأن لا يغضبوا لأنفسهم فيكفوا أقلامهم وألسنتهم عن البيان ، مع مايرون من تكتل أعداء الدين ، وجمعهم لصفوفهم ، وتعاونهم على الإثم والعدوان . ليتذكر هؤلاء العلماء مسئوليتهم أمام الله ، وليتقوا الله فى دينه وفيما استودعهم من العلم . ليغضبوا لله وفى سبيل الله ، لعل الله أن يجعلهم من أهل رضوانه وجنته ، ويقيهم من فزع وهول يوم لاينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ويسرنا أن تبدأ مجلتنا (الهدى النبوى) عامها الجديد مع تباشير اليقظة الدينية والحركات الاستقلالية فى قارتى آسيا وأفريقيا ، وفى الشرقين العربى والإسلامى وأملنا ورجاؤنا فى الله أن تتوجه هذه اليقظة إلى توحيد كلمة المسلمين وجمعهم على كتابه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وأن ينبذوا البدع والخرافات التى بثها فيهم المستعمرون من اليهود والنصارى والتى كانت سبباً فى تفرقهم واختلافهم وعداء بعضهم لبعض . أما الألفة والاتحاد والإجتماع والحب فلن تكون إلا حول كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ونسأل الله أن يسدد خطانا فيما نستقبل من أيامنا ، وأن يجنبنا الخطأ ، والزلل ، وأن يوفقنا ويعيننا لإخراج مجلتنا قوية منتظمة رافعة راية التوحيد والسنة النبوية فى الخافقين . كما نسأله سبحانه أن يجزى كتّابها الذين يبذلون من وقتهم وصحتهم الكثير النفيس فى سبيل الله وابتغاء مرضاته خير الجزاء .

ونرجو من إخواننا أن يرفعوا أكف الضراعة إلى الله سبحانه وتعالى أن يتغمد برحمته إمامنا ورائدنا الراحل الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى منشىء جماعة أنصار السنة المحمدية ومنشىء هذه المجلة وأن يسكنه فسيح جنته وينزله منازل المجاهدين الأبرار أنه سميع مجيب .

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل ذكره : (رَبُّكُمُ الذى يُزْجِى لكم الْفُلْكَ فى البحرِ ؛ لِتَبْتَغُوا من فَضْلِهِ ، إنه كان بكم رحيما . وإذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فى البَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلاَّ إيَّاهُ ، فلما نَجَّاكُمْ إلى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ، وكانَ الإنسانُ كَفُورًا . أَفَأَمِنْتُمْ أن يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عليكم حاصِباً ، ثمَّ لا تَجِدُوا لكم وكيلا . أَمْ أَمِنْتُمْ أن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرَى ، فَيُرْسِلَ عليكم قاصِفاً من الرِّيحِ ، فَيُغْرِقَكُمْ بما كَفَرْتُم ثمَّ لا تَجِدُوا لكُمْ علينا به تَبِيعاً ١٧ : ٦٦ — ٦٩) .

معانى المفردات

يُزْجِى — قال ابن فارس عن الفعل إنه يدل على الرَّمْيِ بالشيءِ وتَسْيِيره من غير إمساكٍ . يقال : الريحُ تُزْجِى السحابَ : تسوقه سَوْقًا رفيقاً .

الْفُلْكَ — السفينة ، ويُسْتَعْمَلُ للواحدِ والجمع .

تَبْتَغُوا — تقول : بَغَيْتَ الشيءَ أبغيه — إذا طلبتَه ، ويُقَالُ : بغيتُك الشيء إذا طلبتُه لك ، وأبغيتُكَ الشيء إذا أعنتُكَ على طلبه .

فَضْلِهِ — أصل الكلمة يدل على زيادةٍ فى شيء من ذلك الفضلُ ـ الزيادةُ والخيرُ .

الضُّرُّ — سوء الحال إمَّا فى النفس كقلة العلم والفضل والعفة ، وإما فى البدن لِعَدَم جارحةٍ ونَقصٍ ، وإمَّا فى حالةٍ ظاهرة من قلة مالٍ وجاهٍ ، ويُقَابل الضُّر بالنفع .

ضَلَّ — يدل أصل الكلمة على ضَيَاع الشيء وذهابه فى غير حقه ، والعدول عن الطريق المستقيم .

أَعْرَضْتُم — أصله — أظهر عَرْضَه أى جانبَه وناحيته ، فإذا قيل أعرض عنى ، فمعناه وَلّى مُبدياً عرضه .

كَفُورا — مبالغاً فى كُفْران النعمة .

يَخْسِفَ — الخسف سُؤُوخُ الأرضِ بما عليها . يقال : خَسَفَ اللهُ به الأرضَ خسفاً — أى غاب به فيها .

حاصباً — هى ريح شديدة تحمل الترابَ والحصباء « الْحَصَى » . وقيل : تحمل ما تناثر من دُقَاق البَرَد والثلج ، أو هى السحاب يرمى بالبَرَد والثلج .

قاصفاً — أصل القصف يدل على كَسْرٍ لشىء ، والريح القاصف الريح الشديدة التى تكسر الأشياء ، وإذا بلغ الرعدُ الغاية فى الشدة ، فهو القاصف .

تبيعاً — النصير ، والذى لك عليه مال ، وكل طالب بدمٍ أو دين يقال له تبيع .

المعــــنى

فيما سلف من الآيات ذَكَّرنا الله سبحانه بقصة آدم ، وبقصة إبليس ، لعل بنى آدم يعتبرون . فلا يُسْلِمون إلى إبليسَ مقادَهم . ولا يتخذونه وليًّا من دون الله ، وهو الذى جحد بحكمة الله ، وحقد على آدم أنْ كَرَّمه الله ، وما ينبغى لامرىء به أثارة من عقلٍ أو قلب أن يوالى الْجَحود أو الحقود .

ولعلهم يعتبرون أيضاً فلا يُبْلِسهم اليأسُ من رحمة الله إن تَرَدَّوا فى حمأة معصية أو رَدْغَةِ خطيئة ، وإنما يجب عليهم أن يلوذوا سراعاً بالتوبة النصوح ، ويستغفروا ، فيجدوا اللهَ توّاباً رحيما .

وهنا فى هذه الآيات يُذَكِّرُ الرحمن الرحيم عبادَه ببعض نعمه عليهم ، وقد بُدِىء التذكيرُ بكلمة « رَبُّكُم » وفيها مافيها من إيناسٍ ربّانى ، ورحمةٍ وَدُودٍ تلوى القلبَ الْجَمُوحَ عن النِّفار والمعصية .

ثم قال سبحانه « الذى يزجى لكم الفلك فى البحر » يسوقها تعالى بقدرته المهيمنة

التي يُسَخِّر لها كل شيء سَوْقاً رحيماً فيه لعباده النفعُ والخير .

يقول الجاحدون إنها الريح ، وإنه الشِّرَاع ! ! .

ويقول أمثالهم : إنه البخار ، وإنها الكهرباء ! ! .

ويقول المحدثون : إنها الذَّرَّةَ ! ! .

احتشدوا للكفر بالله ، وتواصَوْا بالجحودِ بالله ، ونسبوا قدرته وفضله إلى الريح والشراع والبخار والكهرباء والذرة ، وآمنوا بقوى هذه الأشياء وقُدَرها ومَجَّدوها وبنوا لها المحاريب التي تصلِّى فيها أحلامهم وآمالهم .

تُرَى مَنْ خالق الريح ، ومن خالق الشراع ، ومن خالق الكهرباء ، ومن خالق هذه القوى الهائلة الرهيبة فى الذرة ؟ .

إنه القوى القدير . فإن يشأ يُسْكِن الريحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظهر البحر ، وإن يشأ يفعلْ ذلك مع كل قوة تُسَيِّر بها هذه السفن ، فإنها من خلقه سبحانه .

إن القوة التي تسير السفن سواء أكانت الريح ، أم كانت الكهرباء ، أم كانت الذرة ، إنها من خلق الله ، ومن قدرته ، وهذا الماء الذى تمخر عبابَه الفلك ، إنه كذلك من خلق الله ، ومن قدرته ..

ثم بين الله الحكمة من إزجاء الفلك فى البحر فقال : « لتبتغوا من فضله » توجيهٌ وإرشادٌ إلى السبيل الذى يجب أن تُسَخَّر فيه هذه النعمة ، نعمةُ إزجاءِ الفلك فى البحر . إنه ابتغاء فضل الله سبحانه لا ابتغاء شىء آخر ، ولسنا بحاجة إلى أن نعدد فضل الله سبحانه فى هذا ؛ فإن القارىء الكريم يعرف — كما أعرف ، بل أكثر مما أعرف — ماجعل الله لإزجاء السفن فى البحر من فضل وأجرى على يديها من نعم غِزَار كِثار .

ولكن اللمحة التي نلمحها هنا ، هى إيصاء الله جَلّ شأنه ألاَّ تُتَّخَذَ هذه السفنُ إلا لنبتغى بها من فضل الله ، فلا تُتَّخَذُ لما حرم الله ، كالعدوان على الآمنين ، أو المسالمين ، أو المطالبين بحقهم فى الحرية والكرامة .

« وإذا مَسَّكم الضر فى البحر . . . الآية » بيانٌ إلٰهىٌّ عن واقعٍ محسوس ملموس

تبرز واقعيته في كل حَدَثٍ من الأحداث ، وتقرير حقيقةٍ لا يجحد بها إلا عُمْى البصائر .
ثم هى قصةٌ معجزةٌ فى بلاغتها وَوَجَازَتها . قصة فئةٍ من الناس يركبون البحر والريحُ
رخاء ، والموجُ عَطُوفٌ ، ثم بغتةً يقصف قاصف من الريح ويهدر عارمٌ من الموج
الغَضُوب ، فيفزع مَنْ فى السفين ، والسماء فوقهم ، والبحر الثائر يضطرب بهم ، فيَجْأر
كُلٌ بالدعاء . هذا يدعو « لاتَه » وهذا يدعو « عُزّاه » وآخر يدعو « مَنَاتَه » ومن
النـاس اليوم من يلوذ بأبى العينين ، أو صاحب العلمين ، أو الملثَّم البَطَّاح النطَّاح ! !
فلا يصل إلى أحدهم دعاء أو نداء ، فهم أحجار ، أو موتى ، والله قد قال لرسوله الأعظم :
(إنك لا تُسْمِعُ الموتى ، ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ٢٧ : ٨٠) وقال له : (وما أنتَ
بِمُسْمِعٍ مَنْ فى القبور ٣٥ : ٢٣) فكَيْفَ يُسْمِعُ هؤلاء الأحجارَ ، أو هؤلاء
الموتى ؟ ! . أكرم الخلق وخاتم النبيين لا يستطيعُ أن يُسْمِعَ مَيِّتاً ، فهل يستطيع ذلك
مَنْ هم دونه ؟ ! .

ويبدو شبحُ الكارثة الرهيبة ، ويُعتم الأفقُ ، ولا يستجيب « اللاتُ » ولا « مناةُ »
ولاَ « عُزّى » ، ولا البَطَّاح النطاحُ ، ولا أبو العينين ، ولا الشيخ الأكبر ، ولا الكبريت
الأحمر (قُلْ : ادعُوا الذين زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ، لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فى السَّمٰوَاتِ
ولا فى الأرضِ ، وما لهم فيهما مِنْ شِرْكٍ ، وما له مِنْهُمْ من ظَهِير ٣٤ : ٢٢) .

(إن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكم ، ولو سَمِعُوا ما اسْتَجَابُوا لكم ، ويومَ القِيامَةِ
يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ، ولاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خبير ٣٥ : ١٤) .

هذا حُكْمٌ عامٌ حَكَمَ به العليم الخبير ، ويَتَنَاوَلَ كُلَّ مَدْعُوٍّ حتى لو كان خاتم
الرسل ، ماذا يَفْعَل الخائفون المضطربون ، وقد ضَلَّ عنهم مَنْ دَعَوْهم ، فلم يستجيبوا لهم ،
إنهم يذكرون الله ، يذكرونه بعد تجربةٍ مريرة أليمة ، أشاعت فى قلوبهم الإيمانَ بأنه
جَلَّ شأنه هو القادر وحده . وهو الذى يستجيب الدعاء وحده ، فيدعونه مُخْلِصِينَ له
الدين ، فيسكن العاصفُ الثائر ، والموجُ الهادرُ ، ويعود البحر طَيِّباً سَمْحاً عطوفاً ، وتعود
البسمات إلى الشفاه ، والرجاء الحلو إلى القلوب ، وينزل الراكبون إلى البر سالمين ناجين ،

وثمت يعرضون عن الله ، وينسون فضله ، وينسبونه إلى آلهتهم التى كانوا يعبدون من دون الله ! ! .

وقد يكون من هؤلاء الناس مَنْ لا يذكر - حين يمسه الضر - إلا الله - حتى إذا ذهب الضُّرُّ عاد إلى جحوده أو كفره .

هذه هى القصة التى ختمت بقوله سبحانه (وكان الإنسان كفورا) ولنعد لها بالبيان :

إذا أصابكم فى البحر مايجعلكم تخشون الغرق ، فإنكم تدعون غير الله ، وتدعون الله فلا يسمع دعاءكم ، ولا يستجيب لكم إلا اللهُ سبحانه ، أما سواه . فيضل عنكم ، فإنه لا يسمع دعاءكم ، ولا يملك - إن سمعه - أن يستجيب لكم ، فإذا نجوتم بفضل الله ورحمته ، أعرضتم عن الإيمان والتوحيد الذى شَعَّ فى قلوبكم ، وأنتم تدعونه فى الضائقة .

وقد يكون المعنى لقوله « ضَلَّ مَنْ تدعون إلا إياه » ذهب عن خواطركم كل مَنْ اعتدتم دعاءهم من قبل ، ولا تذكرون ثمت غير الله سميعاً مجيباً .

وكلا الأمرين واقع مشهود فى كل لحظة .

فَكَأَيِّنْ من أناسٍ ألمّت بهم ضوائقُ شديدة ، فلاذوا بالأستار ، والأحجار والأعتاب ، والأجساد الهامدة الخامدة ، مبتدعين لها أسماء وصفاتٍ ماأنزل الله بها من سلطان .

هذه « رئيسة الديوان » وهذا « قطب الأكوان » وهذا « ديدبان الأقدار » وهذا « عالم الغيب والأسرار » .

وبالنشيج الحزين تمتزج الضراعة الباكية ، وبالقرابين الفارهةِ تُزْجى الشفاعات الآسية ، وتُتْخِم القرابينُ بطونَ الخدَم والسَّدَنَةِ العاكفين على الضريح العتيقِ .

أما استجابة الدعاء ، فقد ضاعت هباء ! ! .

وثمت يضرعون إلى دعاء الله فى لحظة من لحظات الإيمان فى صدقه وإخلاصه ، فيستجيب الله لهم ، فيعطيهم ماطلبوا ، ولعل المعقول الذى لا يمكن أن يُعْقَل سواه ، هو أن يعتصم هؤلاء بعد هذا بشكر الله سبحانه ! ! .

غير أن هؤلاء الذين دعوا أولياءهم ، فلم يستجيبوا لهم ، وَدَعَوُا اللهَ مخلصين له الدينَ ، فاستجاب لهم — إنهم يلوذون بحمد الأولياء ، وشكر الأستار والأحجار ! ! ويكفرون بمن أنعم به الخلاق العلى الكبير ! ! .

وكأيِّن من أناسٍ آخرين ينعقون بما لا يسمع ، ولا يغنى شيئاً ، من أمثالِ « الطيفورى » « الفارضِىِّ الصهيونى » وأمثالها من المجوس ، والصهيونيين الذين غشوا هذه الأمة ، فإذا نزلت بهم كارثة نسوا هؤلاء جميعاً ، وذكروا الله وحده ، ودعوه وحده مخلصين له الدين ، فاستجاب الله لهم . بيدأنهم حين تنجلى الْغُمَّة ، يعودون إلى لَثْمِ أعتابِ الطيفورى المجوسى ، مؤكدين أنه صاحب الفضل والمنة . وَسَلِ الناسَ اليوم عن أحوالهم وستسمع من الألوفِ منهم مَنْ يدين بهذه العقيدة الخاسرة الملعونة .

« أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر » الاستفهام إنكارِىٌّ ، ولم لا يستنكر الحقُّ من هؤلاء أعمالهم ؟ ! والآية وعيد يُرْعِد الفرائص . ويذيب القلوب خشية من الله ، فهل يتدبر الجاحدون ؟ ! .

لقد ظن هؤلاء الجاحدون بفضل الله أنهم صاروا بمنجاة من الغرق ، فأعرضوا عن العلى الكبير القادر ، وكفروا بأنعمه ، ولكنه سبحانه يتوعدهم — وهو مالك الوعد والوعيد ، والقادر وحده على كل وعد منه ووعيد — بأنه القادر على أن يغيِّبهم تحت التراب .

لقد نجاهم من التغييب تحت الماء .

ولكنه قادر على أن يغيبهم تحت التراب ، فهل يعتبرون أو يرتدعون ؟ . .

إنه سبحانه مالك البحر ، ومالك البر ، وإنه ليقدر أن يفعل بهم فى البر ، ما كان يمكن أن يفعله بهم فى البحر ، فلا يأمن المجرمون انتقامه .

وهذه الريح الطيبة التى جعلها الله لكم من قبل طيبة ، وصارت بسفنكم — كما شاء الله — إلى البر ناجية سالمة ، إنه تعالى القادر على أن يعذبكم بها فى البر ، فيجعلها شديدة عاتية تحصب وجوهكم وأدباركم بالحصباء ، حتى تأتى عليكم دون أن تجدوا لكم من يدفع عنكم ، أو يدافع ، أو يحمل عنكم من عذابكم شيئاً .

ترى أيستطيع ذلك مَنْ يدعوهم الناس من دون الله ؟

لقد كان مشركو الجاهلية لاينسبون هذه القوى والقدر لا إلى اللات ولا إلى العُزّى ، ولا إلى مناة ، ولا إلى هُبَل .

أما خَلَفُهم اليوم ، فينسبون قدرة الله وربوبيته وألوهيته إلى إمّعَاتٍ لا حَوْلَ لها ، ولا طَوْلَ . إلاَّ إن كان الإسفاف فى وضاعةِ النفس . وبلادَةِ الحِسِّ ، وبَغْيِ الرِّجْسِ ، يُعْتَبَرَ حَوْلاً وطَوْلاً ! ثم تأتى الآية الأخيرة بيانا عن كمال القدرة وشمول السُّلطان ، والأخذ القادر القاهر من العزيز المقتدر ، فيقول ربنا : « أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى » يُسَخِّر ما تريدون لما يُريد ، وما تشاءون لما يشاء . فهو القادر على أن يحول بين المرء وقلبه .

أتأمنون كيده المتين ، ومكره ، وهو خير الماكرين ، حين يملأ نفوسكم بالرغبة فى ركوب البحر مرة أخرى ، فيعيدكم إلى ما ظننتم أنكم بِنَجْوَةٍ من مخاوفه ومهالكه ، فيرسل عليكم ريحا تقصف ، فتحطم الصوارى ، وتمزق القلاع ، وتكسر سكان السفين ، ثم ينفرج البحر الراعد الهادر عن قبور تبتلعكم مجرمين خاسرين دون أن تجدوا فى هذه اللحظة ، ولا فيما بعدها أبدا من ينصركم ، أو يأخذ بثأركم ، وهل يثأر المخلوق من خالقه ؟ !

دعوة من الحب : ليتدبر عشاق أضرحة الأولياء ، الذين يتخذونهم آلهة من دون الله ، ليتدبر الذين يجأرون فى كل ساعة بقولهم : « مدد يا سيدى فلان » ليتدبروا هذه الآيات بقلب خاشع ضارع . لعلهم يؤمنون أننا ندعوهم عن محبة وإخلاص إلى الحق والخير والنجاة هذه التى يتكفل بها سبيل الله سبحانه .

ليدفعوا عن أنفسهم غوائل التقليد ، وَأَنَّا وجدنا آباءنا على أمة ، وأن كبارَ الشيوخ يلوذون « بالبدوى » وأضرابه . فكل هذا لا ينفعهم حجة عند الله « يوم القيامة » .

ليتدبروا « وإذا مَسَّكم الضُّر فى البحر ضَلَّ مَنْ تدعون إلا إيَّاه » وفى « إياه » هذه إشراقُ الإيمان فى وضاءته ، والتوحيد فى جلالته . والرحمة فى شمولها العظيم .

رَبَّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين ؟

عبد الرحمن الوكيل

« توحيد الله عز وجل »

ومن العبادات البدنية كذلك الصيام ، وهو في لسان الشرع إمساك عن المفطرات من الطعام والشراب والجماع بنية صحيحة ، من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس . إيماناً واحتساباً لله عز وجل .

والصوم من أحب العبادات إلى الله سبحانه ، ومن أجل ذلك اختاره ليكون مظهر الشكر له على نعمته العظمى بإنزال القرآن العظيم هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان ، وجعل الشهر الذى يقع فيه الصوم خير شهور السنة كلها ، وجعل فيه ليلة هى خير من ألف شهر وسماها ليلة القدر .

ولا غرو ، فالصائم وقد ترك طعامه وشرابه وهما مادة حيـــاته ، وهجر كل طيباته ومستلذاته ، لايقصد بذلك إلا وجه الله والدار الآخرة ، صار حقيقاً بالوعد الذى وعد الله به الصائمين وهو أن يتولى جزاءهم بنفسه كما جاء فى الحديث القدسى الصحيح : « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به . يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى » .

ومعنى أن الصوم وحده من بين سائر الأعمال لله ، أنها جميعاً مظنة الرياء ، ولا تخلو من أن يكون للنفس فيها حظ ، لأنها أفعال ظاهرة . وأما الصوم فمن قبيل التروك ، إذ هو كف النفس عن مشتهياتها فهو عبادة سلبية ، وسر بين العبد وبين ربه لايطلع عليه غيره فكان أبعد عن الرياء . ولما كان خلو المعدة من الطعام بالصوم سبباً فى تغير رائحة الفم ، جعل خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وشبه الرسول صلى الله عليه وسلم الصائم برجل فى عصابة ومعه صرة مسك فكلهم يجد ريح ذلك المسك .

والصوم كالصلاة من العبادات التى لايخلو عنها دين من الأديان ، حتى تلك الأديان

الوضعية التى لم تتصل بسبب إلى السماء ، تعرض على أتباعها أنواعاً مختلفة من الصيام . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

وذلك لأن الصوم فيه من وسائل التربية وأساليب الرياضة النفسية مالا يتوفر فى غيره من العبادات . فهو يقوى الإرادة ويقهر النفس الأمارة بالسوء ويكفكف نوازع الشر ، ويعود على الاحتمال بالصبر .

وهو كذلك انتصار للجانب الروحى الملائكى فى الإنسان على الحيوان الرابض فيه ، فالصائم يسمو على كل شهوة ويعافها من أجل أن الله أمره بذلك ، وإذا عرف الإنسان كيف يقهر نفسه ويحجزها عن محبوباتها من أجل غاية أسمى ، فإنه يسهل عليه بعد ذلك أن يقودها إلى كل مافيه نجاتها وسعادتها ، وأن يردها عن موارد الهلكة والشقاء فيسعد بها وتسعد به ويعيش حياته حراً لاتستعبده شهوة ولا يستفزه طمع ولا تضره فتنة .

ولعل هذا هو معنى الحديث الصحيح « الصيام جنة » إذ المراد أنه وقاية لها من كل مايدنسها ويوبقها ويهبط بها إلى حضيض الشهوات المؤثمة .

ولنكتف بهذا القدر فى بيان فضيلة الصوم ، فإن الذى يعنينا هنا أيضاً هو التنبيه على ماقد يداخل هذه العبادة الشريفة من أنواع الفساد والبدع ، فإن الشيطان لا يريد أن يدع عبادة من العبادات حتى يدخل عليها من وساوسه وتلبيساته مايفسد على الناس معناها حتى لايبقى حظه منها إلا كسراب بقيعة . فمن ذلك ماسوله لبعض المتصوفة من المبالغة فى الجوع والحرمان ، حتى تراهم يصومون أياما وليالى متصلة ، زاعما لهم أنهم إذا جاعوا ماتت فيهم الشهوات فتقوى عند ذلك أرواحهم وتصفوا نفوسهم وتتخلص من قيود الجسد ، وليس هذا طبعاً صيام أهل الإسلام ، ولكنه صيام عباد الأوثان من فقراء الهنود وأتباع بوذا وجماعات (النيرفانا) .

وقد يمسك بعضهم عن أنواع معينة من الطعام كاللحوم ونحوها مكتفياً ببعض النباتات

أو الخبز القفار ، مما يسبب لهم هزالا فى البدن وفسادا فى الخيال وسقما فى التفكير وضعفا عن القيام بواجبات العبادة من الصلاة والجهاد ونحوهما .

وقد يزيد فى التلبيس عليهم فيوهمهم أنهم لايطيقون شكر هـذه الأطعمة الدسمة والمآكل اللذيذة ، فيجب أن يقتصروا على ما يستطيعون أن يقوموا بشكره . وقد روى للحسن رضى الله عنه أن رجلا من هؤلاء الصوفية قال : إنى لاآكل الخبيص لأنى لا أطيق شكره . فقال الحسن : ويح هذا الأحمق، وهل يطيق شكر نعمة الماء البارد ؟

ومن ذلك أيضاً ما اعتاده كثير من المسلمين من الإسراف البالغ فى تناول الأطعمة المختلفة عند الإفطار بكميات هائلة لاتلبث أن تثقل على المعدة فتكسلهم عن الصلاة وتجاب لهم النوم وترهق أجسامهم أشد الإرهاق .

وهذا نتيجة للجهل بحقيقة الصوم والغرض المقصود منه ، فإنه لم يشرع لـكى يجوع الناس طول النهار ثم يقوموا بتعويض مافاتهم فى الليل ؟ بل يجب أن لا يزيد الإنسان عما اعتاده فى غير رمضان إن لم يستطيع أن يقلل عنه . ولعل هذا الإسراف فى الأكل والشرب فى رمضان هو الذى جعل المسلمين لايستفيدون من صوم شهرهم الفائدة المرجوة لصـلاح أرواحهم وجسومهم .

* * *

ومن العبـادات البدنية : الحج إلى بيت الله الحرام ، وهو آخر فريضة فرضت فى الإسلام . ويزيد على الصـلاة والصوم : أن فيه عنصر المـال إلى جانب مايشتمل عليه من الأعمال والأقوال .

والحج رحلة إلى الله تعالى يقوم بها المسلم لينال بها إذا هو أداها على وجهها : طهارة لنفسه من أوزارها حتى يرجع كيوم ولدته أمه ، ويفوز على ذلك برضوان الله وجنته . فالحج المبرور : ليس له جزاء إلا الجنة كما جاء فى الحديث .

وكثير من الناس لاسيما أدعياء الثقافة والعلوم العصرية لأنهم لا يفقهون الحكمة من هذه الفريضة ، تراهم يثيرون الشكوك حول كثير من الأعمال التي جعلها الله مناسك للحج ، كاستلام الحجر الأسود وتقبيله ، ورمى الجمار ونحو ذلك ويتساءلون عن الحكمة فيها . وإذا حاول أحد إقناعهم بما تعكسه هذه الأعمال المختلفة مع ما يلابسها من الأدعية الضارعة والأذكار الخاشعة على النفس من انطباعات وأحاسيس تزيد معنى الإسلام فيها صقلا وجلاء وتشعرها بمعانى العبودية الكاملة الخائفة الراجية ، لم يجد الكلام مساغا لدى هذه القلوب الشاردة الغافلة . ولكننا مع ذلك سنحاول جهد الطاقة أن نقرب إليهم هذه المعانى وإن كنا لا نرى ذلك واجبا ، فإن واجب المسلم أن يذعن ويمتثل كل ما أمر به علم الحكمة فى ذلك أم لم يعلمها . فإن الاعتراض على الأمر إبليسية قديمة أعاذنا الله منها . فالحاج يخرج من بلده بعد أن يكون قد رد الحقوق والودائع إلى أهلها ، وتحلل من كل مظلمة ظلمها ، تاركا وطنا يحبه ومسكنا يرضاه وأهلا وأولاداً يخاف عليهم وتجارة يخشى كسادها ، متحملا مشقة السفر وألم الفراق ووحشة الاغتراب ، كل ذلك فى سبيل الاستجابة لنداء ربه حيث دعاه لزيارة بيته الذى اختصه لنفسه وجعله أول بيت وضع لعبادته فى أرضه .

وما هو إلا أن يبلغ الميقات حتى يتأهب للقدوم على مولاه ، فيتجرد من ثياب زينته ويتلفف بثياب العبودية المحضة إزاراً ورداء ، بعد أن يكون قد اغتسل وتطيب . ثم يهل بعد الصلاة بنسكه من حج أو عمرة ، قارنا ذلك بالتلبية : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك — هذه الكلمات التى تفيض بمعانى التوحيد والإخلاص ، وتعلن إقبال العبد على ربه وإسراعه فى طاعته ، وتخصه وحده سبحانه بأن له الحمد كله والنعمة والملك وتنفى عنه الشريك فى ذلك كله .

ثم هو بعد ذلك يلتزم فى تصرفاته كلها ما التزمه العبد بحضرة سيده ، فلا يصدر منه عدوان أصلا ، بل كل شأنه سلم وأمان فلا يقتل حيوانا حتى ولو كان من هوام الجسم ولا ينفر صيدا ولا ينتف شعرا ولا يغطى رأسا ، متجنبا الرفث والفسوق والمراء والجدال إلى غير ذلك مما يخل بإحرامه ، حتى يقدم مكة بلد الله الحرام فيبادر إلى أداء مناسك عمرته التى هى الطواف

بالكعبة المشرفة والسعى بين الصفا والمروة ذاكرا فى طوافه وسعيه أنه فى جوار ربه الكريم الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، فيدعوه فى ذلة وضراعة أن يحط عنه أوزاره وخطاياه . ومن عجب أن كل ملوك الدنيا ورؤسائها يتخذون لهم قصورا يؤمها الناس من رعيتهم وغيرهم فى المناسبات المختلفة إعرابا عن ولائهم لهم ، حتى ولو لم يكونوا هم موجودين فيها . فماذا ينكر إذاً من وجود بيت الله فى أرضه يؤمه عباده الذين هم عباده إظهاراً لذل العبودية ، وقياما بواجب الطاعة ، وتخففا من أثقال الذنوب وطلبا للفضل والرحمة من الكريم المنان . وهكذا كل أعمال الحج من السعى والوقوف بعرفة والمزدلفة ورمى الجمار والذبح . لا تخلو كلها من معانى التعبد المحض والتزلف للسيد المالك جل شأنه ، كما تتزلف الرعايا ملوكهم ولله المثل الأعلى .

أما تقبيل الحجر الأسود فإنه لا يخطر ببال مسلم أبدا وهو يقبله أنه ينفع أو يضر ، كما روى عن الفاروق رضى الله عنه أنه قال بعد أن قبله (إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك . ما قبلتك) فنحن نقبله كما قال عمر اقتداء برسولنا صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام لم يفعل ذلك من عند نفسه ، بل بوحى من ربه . فماذا إذاً فى تقبيل حجر تعبدنا الله بتقبيله فنحن نقبله عبادة لله لا عبادة للحجر .

وأما رمى الجمار فإن المسلم يذكر عند الرمى أنه يرجم الشيطان الذى كان سببا فى صرفه عن طاعة ربه ، والذى يتسلط عليه بإغوائه ووسوسته ليجعله من أصحاب السعير . فكأن المسلم حين يرمى هذه الحصيات مكبرا عند كل حصاة يريد بذلك أن يعلم مخالفته لذلك الشيطان الرجيم ، حتى لا نصير من جنده الخاسرين . ويذكر عندئذ ما كان من أمر إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام حين عرض لهما الشيطان يريد فتلهما عن تنفيذ أمر الله فى ذبح إسماعيل فرجماه ، فارتد خاسئا مدحورا .

فما أحرى الناس أن يتدبروا هذه المعانى السامية حين قيامهم بمناسك حجهم وعمرتهم ، حتى يشعروا فيها بطعم العبودية ولا يرين على صدورهم شىء من الشك فى حكمتها .

وما أحراهم كذلك أن يذكروا ما فى الحج وراء هذه الفوائد الروحية الفردية من فوائد اجتماعية عظيمة تتمثل فى ذلك اللقاء والتعارف بين المسلمين الوافدين من شتى أقطار الأرض تظلهم جميعا راية التوحيد ، وتؤلف بينهم أخوة الإسلام حيث يتبادلون المنافع ويتشاورون فيما يهمهم من عظائم الأمور ، مصداق قول الله تعالى لخليله إبراهيم (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) .

محمد خليل هراس

نائب رئيس أنصار السنة المحمدية

العام الهجرى الجديد

أطلّ على الدنيا كحاجب أغيد ... هلال أضاء الأفق بعد تلبد
ولاح كما لاح الرجاء ليائس ... فحقق مايرجوه من غير موعد
وأشرق إشراق الشموس بنورها ... على رائح ضل الطريق ومغتدى

* * *

فكن ياهلال العام أمناً ورحمة ... لصرعى الهوى من غاشم متمرد
فقد فغرت فاها مطامع أنفس ... لتلتهم الدنيا بناب محدد
هى النفس إن شبت على الشر أسرفت ... وللخير إن وجهتها تتعود
ومن غلب الإيمان نزعة نفسه ... إلى السوء لم يعدم نصيحة مرشد
ومن ملكته ثورة الغى والأذى ... فليس له هاد ولا هو مهتد

* * *

إذا سجل التاريخ فى صفحاته ... تعنت شعب جائر متعمد
لفاقت قريش فى الأذى كل أمة ... بما ارتكبته فى رسالة « أحمد »
تنكر أهلوه له عند مادعا ... إلى الحق من مستهزىء ومفند
تباينت الآراء والقوم أصبحوا ... فريقين من أنصار حق وحسد
فمن قائل داع أصيب بجنة ... ومن قائل إنا بلينا بملحد
ومن مهتد قد طهر الله قلبه ... فوالى رسول الله بالقلب واليد

* * *

تحمل خير الخلق فى نشر دينه ... أذى وعذاباً فوق طرق التجلد
ومن عجب فرد يقاوم عالماً ... تصدى له فى كل صوب وفدفد
يسير بنور الله للحق داعياً ... بلا جزع من محنق مترصد

ويدعو إلى الدين الحنيف مجاهداً ليظفر بالنصر المبين المؤيد
لقد ساد بالأخلاق والصدق قومه فلقب فيهم بالأمين المسود
تزعمهم قبل الرسالة حقبة فذلل ما استعصى وكل معقد

* * *

لقد بعث المختار للناس رحمة وقدوة أخلاق بها الناس تقتدى
نبي نمته دوحة المجد والعلا وكان من العلياء أكرم محتد
وأعلته قدراً فى قريش عشيرة ترعرع فيها سيد وابن سيد
ولما أتاه الوحى من عند ربه ليدعو للإسلام لم يتردد
دعا ، فتولى القوم عنه وأعرضوا سوى نفر لم يذعنوا لمهدد
فقاسوا صنوفاً من عذاب وذلة وأوردهم أعداؤهم شر مورد

* * *

لقد صبر الصحب الكرام على الأذى ومن يصطبر فى نصرة الحق يحمد
وما زعزع الإرهاب منهم عقيدة ولكن أصابوا سؤدداً فوق سؤدد
ولا سجل التاريخ سفراً كسفرهم فقد خط من مسك زكى وعسجد
ولم تنجب الدنيا كراماً أعزة لهم فى سماء المجد أكرم مقعد
ولا ولدت أمثالهم بطن حرة كراماً أتوا من صلب حر ممجد
مصابيح هدى عم فى الأرض نورها وأنجم أفق دونها كل فرقد
رجالاً إذا اشتد النضال وجدتهم أشد مضاء من مضاء المهند

* * *

تأسوا وما من حيلة فعديدهم قليل لدى الأعداء يحصى على اليد
ولكنهم لله كانت جهودهم ومن يبذل المجهود لله يسعد
ومن يستجر بالله يحسن جواره ومن يستغث بالله فى الكرب ينجد

* * *

لقد كابد المختار فى مكة الأذى ... أمام قلوب للهدى لم تمهد
تأسى إلى أن جاء جبريل مرسلا ... من الله يأتى وحيه « لمحمد »
فهاجر يبغى « يثرباً » موطن التقى ... ويممها فى مسلك لم يعبد
فصادف منها موطناً عز جاهه ... وحل بحصن من سلام موطد
ودانت له أرض الحجاز وفتحت ... للقياه من أبوابها كل موصد
وتم له النصر المبين وكبرت ... طلائع بالبشرى تروح وتغتدى
وفك قيود الشرك من بين أمة ... وخاص بالتوحيد كل مقيد
وحطم أغلال الضلال بحكمة ... وما كان بالقاسى ولا المتوعد
وأشبع جوعاناً وأمن خائفاً ... فزار الكرى أجفان كل مسهد
قد ازدان بالإنصاف والعدل عصره ... ونام قرير العين كل مشرد
أقام لشرع الله حصناً بناؤه ... تسامى على عدل سليم مؤكد
وحارب فوضى قد تطاول عهدها ... وجاهد فى جمع الشتات المبدد
فمن كرسول الله حلماً وحكمة ... وطول اصطبار مرهق وتجلد
جهاد وإخلاص وحسن سياسة ... وثاقب رأى فى الأمور مسدد
فما شهد التاريخ من عهد آدم ... مثيلاً له فى الأمس واليوم والغد
وقفت عليه ما حييت مدائحى ... وصوغ القوافى من جمان منضد
فإن أنا لم أمدح بشعرى « محمداً » ... فأى امرىء أطريه بعد « محمد »

* * *

تجلى هلال العام فى الكون باسماً ... وأشرق بإقبال ويمن وجدد
ولكن بعون الله كن رمز عزة ... وعنوان مجد للكنانة سرمدى

نجاتى عبد الرحمن

غزوات الرسول
صلى الله عليه وسلم
غزوة أحد — ٤

انشغال المسلمين بالغنيمة : يجرى الانسان أحيانا وراء مطالب النفس وزينة الحياة الدنيا ومتاعها. وتلعب الشهوة دورا هاما فى حياة الإنسان فتتصرف فيها حسبما تشاء ، وتوجهها وفق رغباتها حتى تنسيه المثل العليا والإيثار والتضحية وما يجلب له الخير فى الدنيا والآخرة .

وهذا ما حدث فى قصة الصراع الدامى بين قوى الحق والباطل فى غزوة أحد .

فبعد أن قُتل أصحاب لواء المشركين . وانكسرت شوكتهم . انكشف رجالهم وتقهقروا وولّوا مدبرين . واحيط بنسائهم وكدن يؤخذن أسيرات ، وطارد المسلمون عدوهم بالسلاح حتى بعد عن معسكره . . عند ذلك اتجهت انظار المسلمين إلى الغنيمة — وما كان اكثرها واطيبها — فأخذ كل منهم ينهب ما تصل إليه يده دون أن يتتبع أولا عدوه للقضاء عليه ليسلم من غدره و يتحقق له النصر عليه .

مخالفة الرماة أوامر الرسول وقائدهم : أما الرماة الذين أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم مبارحة الشُعَب لأى سبب كان فقد وجدوا زملاءهم قد أخذوا ينهبون الغنيمة التى تركها العدو فسال لذلك لعابهم . وقال بعضهم لبعض : لم تقيمون ههنا فى غير شيء . وقد هزم الله عدوكم وهؤلاء اخوانكم ينهبون عسكرهم . فادخلوا فاغنموا مع الغانمين . قال واحد منهم ناصحا : ألم يقل لكم رسول الله لا تبرحوا مكانكم ؟ وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ؟ . فقال الناظرون إلى الغنيمة : لم يرد الرسول أن نبقى بعد أن أذل الله المشركين . فلما اختلفوا نصحهم قائدهم عبد الله بن جبير الايخالفوا أمر الرسول . فبقى فى أماكنهم نفر دون العشرة وأبى الباقون وانطلقوا إلى الغنيمة واشتركوا فى نهبها . وشغلوا بها كما شغل زملاؤهم من قبلهم . وفى شأن الفريقين نزل قوله تعالى (٣ : ١٥٢ —

ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخره ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفاعنكم والله ذو فضل على المؤمنين) ونزل أيضا قوله تعالى فى المخالفين (٣ : ١٥٥ - إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم) .

الدائرة تدور على المسلمين : إذ ذاك انتهز خالد بن الوليد تلك الفرصة السانحة - وكان على خيل قريش - فانطلق يعدوا برجاله إلى مكان الرماة وأحلى من بقى منهم . ثم دار وراء جيش المسلمين وصاح فى قريش صيحة أعادت المهزومين من رجالها إلى أرض المعركة ليقاتلوا المسلمين من جديد . وعلى صورة مكنتهم من عدوهم تماما فأوسعوهم ضربا و قتيلا . . ودارت الدائرة على المسلمين ففر بعضهم إلى المدينة ، منهم عثمان بن عفان ، والوليد بن عقبة ، وخارجة بن زيد . ولكنهم استحيوا من دخولها فعادوا لتوهم . أما البعض الآخر فقد ألقى بما كان عبأه من الغنيمة وعاد إلى سيفه يسله لقتال عدوه ، ولكن . بعد ماذا !؟ . لقد كانوا يقاتلون أول الأمر فى صفوف منتظمة . وفى وحدة قوية و بقلوب مؤمنة بالنصر والغلبة . ثم بعد أن شغلتهم الغنيمة وسحرهم بريقها تغير الحال فتفرقت صفوفهم وتداعى بنيانهم . وتمزقت وحدتهم . واصبح كل منهم يقاتل دون وعى مشغولا بحاله يلتمس النجاة لنفسه من الموت الرهيب الذى يحيط به . ويرجو الخلاص من الجحيم الذى ابتلع تلك الصفوة العظيمة من المسلمين حين ذاك .

واندفع رجال قريش صوب الرسول صلى الله عليه وسلم يريدون قتله فأخذوا يرشقونه بما فى أيديهم . فرماه عتبة بن أبى وقاص بحجر فكسرت رباعيته اليمنى وجرح فى شفته . كما شَجَّ وجهه الشريف عبد الله بن شهاب . وجرحه فى وجنته عمرو بن قميئة الحارثى . فدخلت حلقتان من المغفر[١] فى وجنته فانتزعهما أبو عبيدة الجراح . وسال الدم على وجه

---

(١) المغفر : شبيه بالدرع به حلق يلبس على الرأس وقاية فى الحرب .

الرسول فجعل يمسحه عن وجهه ويقول « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله عز وجل » فانزل الله قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون[1]) .

فامتص مالك بن سنان الدم من وجنة الرسول وجاءه علي بن أبي طالب بماء فغسل به الدم المتدفق من وجهه . ولكنه لم يوقف الدم فأتت فاطمة[2] ابنته بحصير محروق والصقته بالجراح

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لواءه حتى قتل مصعب بيد ابن قميئة بين يدي الرسول فتسلم علي بن أبي طالب قيادة اللواء منه .

ولما قتل ابن قميئة مصعب بن عمير ظن أنه قتل رسول الله فجرى إلى قريش يبلغها بنبأ قتله الرسول . . . وفي وسط تلك الدوامة من الصخب والهرج والاضطراب . . وفي بداية الفوضى التي سادت ساحة الوغى صاح من ينادي في الناس : أن محمدا قد قتل . فعظمت البلية . وتفاقم الخطر . وأصاب المسلمين ذهول عميق . وأحتوتهم الدهشة . واختلطت المرئيات أمامهم فصاروا يقتلون بعضهم . ويأتون الأمروهم لا يشعرون . . حتى لقد قتلوا أخاهم المسلم حسيل بن جابر أبا حذيفة وهم في غمرة الفوضى وصخب المصيبة .

الرسول لم يصب بمكروه : ولم يكد نبأ موت الرسول يصل إلى اسماع قريش حتى اتجه بعض رجال جيشها المهزوم كالسهم إلى المكان الذي كان به الرسول صلى الله عليه وسلم وكل منهم يريد أن يشهد الحدث الكبير - كما اعتقدوا .

---

(١) الآية ١٢٨ من سورة آل عمران . وقيل أن هذه الآية نزلت عندما دعى النبي صلى الله عليه وسلم على قريش يوم أحد قائلا « اللهم العن اباسفيان . اللهم العن الحارث بن هشام . اللهم العن سهل بن عمرو . اللهم العن صفوان بن امية » .

(٢) وخرجت أيضاً بعض نساء المدينة مع فاطمة لمداواة الجرحى وتقديم الخدمات للمحاربين المسلمين . وكن أربع عشرة امرأة .

هناك وقف المسلمون القريبون من الرسول بجانبه وقد عاد الإيمان يملأ نفوسهم. والقوة المعنوية تفعم قلوبهم. فأحاطوا به يصدون عنه الأذى. ويحمونه من العدوان. فقتل منهم نحو عشرة. ووقف طلحة بن عبيد الله يذود عن حمى الرسول حتى أبعدهم عنه. كما ترس أبو دجانة عليه بظهره والنبل يقع عليه وهو منحن على الرسول لا يتحرك من مكانه. ووقف سعد بن أبي وقاص يرمي المشركين بالنبل والرسول يناوله ويحرضه قائلا: « ارم فداك أبي وأمي » وكذلك وقف قتادة بن النعمان يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أصيب في عينه وخرجت من مكانها فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردها بيده فكانت أحسن عينيه.

وأم عمارة الأنصارية كانت قد خرجت أول النهار بسقاء فيه ماء تدور به على المقاتلين المسلمين لتسقيهم. فلما هزم المسلمون رمت سقاءها وتناولت سيفاً وقامت تقاتل دفاعاً عن الرسول حتى جرحت بيد ابن قميئة[1] جرحاً غائرا.

وتحامل الرسول على نفسه ومشى بين أصحابه، فإذا به يقع داخل حفرة حفرها أبو عامر[2] ليؤذى بها المسلمين فأسرع على بن أبي طالب يأخذ بيده. وطلحة بن عبيد الله يرفعه. ثم قصدوا إلى ناحية بالشعب.

ومر أنس بن النضير ببعض من هزموا من المسلمين وهم جلوس بناحية بالجبل وفيهم أبو بكر وعمر وطلحة بعد أن ظنوا أن الرسول قد قتل. فقال لهم: ماتنتظرون ؟. فقالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: ماتصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله. ثم استقبل الناس، ولقى سعد بن معاذ. فقال: ياسعد إني لأجد ريح الجنة دون أحد. فقاتل حتى قتل ووجد به سبعون ضربة.

---

(١) عمرو بن قميئة هو الذى هم أيضاً بقتل الرسول. فلما حال دون ذلك مصعب بن عمير قتله بن قميئة بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٢) أبو عامر هو الذى دعى أهله من الأوس المسلمين يستنصرهم. ولكنهم خذلوه. راجع قصته بالجزء الثالث من هذه الغزوة بعدد شوال ١٣٨٠.

المسلمون يلتفون بالرسول : وأقبل الرسول صلى الله عليه وسلم نحو المسلمين . وكان أول من عرفه تحت المغفر كعب بن مالك . فما لبث أن صاح بأعلى صوته : يامعشر المسلمين أبشروا . هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأشار الرسول بيده أن اسكت . فاجتمعوا إليه . ونهضوا معه إلى الشعب الذى نزل فيه ومعهم أبو بكر وعمر والحارث بن الصمة الأنصارى والزبير بن العوام وغيرهم .

وبينماهم بالجبل أدرك أبى بن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على جواد له وكان يزعم وهو بمكة أنه سيقتل عليه محمدا . فلما اقترب من الرسول قال : أين هذا الذى يزعم أنه نبى ؟ فليبرز لى . فإنه إن كان نبياً قتلنى . فتناول الرسول الحربة من الحارث ابن الصمة وطعن بها أبياً فجاءت فى تَرْقُوته فكر الخبيث مهزوما جريحا . فقال له المشركون مابك من بأس فقال : والله لو كان مابى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون ومات[1] أبىّ من أثر الجراح .

ولما حانت الصلاة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين جالساً تحت لواء الأنصار .

الله أعلى وأجل : وانقضت الحرب . . وجاء أبو سفيان وأشرف على الجبل . وراح

---

(١) كان النبى صلى الله عليه وسلم مضطراً لقتل أبى ، وما قتل أحداً غيره لأنه وإن كان أشجع الناس وأثبتهم فى مواقف القتال والنضال كان أرأفهم وأرحمهم ، ولهذا كان يكتفى بتدبير أمور الحرب ويهيء لها ويثبت المحاربين ويدافع عن نفسه ، وكان من سياسته صلى الله عليه وسلم فى الحرب الحرص على التأنى والتأليف ، ويدعو إلى الرحمة والمحافظة على أرواح الأعداء ويكره التقتيل والفتك . ويروى أنه كتب هذه الوصية لجيش أرسله : « انطلقوا باسم الله وعلى بركة الله ، لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلا ولا صغيراً ، ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم ، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » .

ويروى أيضاً أنه قال : « أنا نبى الرحمة ، وأنا نبى الملحمة » وحسبنا أن الله تعالى أرسله « رحمة للعالمين » .

يبحث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بين الشهداء . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر أصحابه ألا يكذب أحدٌ نبأ موته حتى لا تتكاثر عليهم قريش . ونادى أبو سفيان : أفيكم محمد ؟ فلم يجيبوه فقال : أفيكم بن أبي قحافة[1] ؟ . فلم يجيبوه . فقال : أفيكم عمر ابن الخطاب ؟ فلم يجيبوه . فقال : أما هؤلاء فقد كفيتموهم . فلم يملك عمر نفسه أن قال : يا عدو الله إن الذين ذكرتهم أحياء . وقد أبقى الله لك ما يسوءك . فقال : قد كان في القوم مثلة لم آمر بها . ولم تسؤني . ثم قال : أعل هبل[2] فقال النبي « ألا تجيبوه ؟ » فقالوا : فما نقول . قال « قولوا الله أعلى وأجل » ثم قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال الرسول « ألا تجيبوه ؟ » قالوا : فما نقول ؟ قال « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم » . ثم قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، الحرب سجال . فأجابه عمر : لا سواء ، فقتلانا في الجنة وقتلاكم في النار .

بعد المعركة : وانتهت المعركة . وراح المسلمون يلتمسون من استشهدوا منهم في ساحة القتال فرأوا أن المشركين قد مثلوا بالشهداء . وكان التمثيل بحمزة بن عبد المطلب أشنعه وأبشعه .

كان حمزة قد قتل أرطأة بن عبد شرحبيل : وعثمان بن أبي طلحة . وكانا من حملة لواء قريش . وقتل كذلك سباع بن عبد العُزّى الغُبشانى[3] . وكان طُعيمة بن عَدِيّ قد أصيب يوم بدر فأراد جبير بن مطعم أن يثأر لعمه فكلف غلامه وحشيًا أن يقتل حمزة في غزوة أحد . كما وعدته هند بنت عقبة خيرا إن هو فعل ذلك إذ أن حمزة كان قد قتل أبا هند وأخاها يوم بدر .

---

(١) هو أبو بكر الصديق « رضى الله عنه » .

(٢) صنم كان لقريش في الكعبة بمكة .

(٣) وروى أن حمزة « رضى الله عنه » قتل ٣١ مشركا في غزوة أحد .

يقول وحشيٌّ لمن سألاه عن قتل حمزة : أما إنى ساحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سألنى عن ذلك : كنت غلاما لجبير بن مطعم . وكان عمه طعيمة ابن عدى قد أصيب يوم بدر . فلما سارت قريش إلى أحد قال لى جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق . قال فخرجت مع الناس : وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة قلما أخطىء بها شيئا . فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته فى عرض الناس كأنه الجمل الأورَق يهد الناس بسيفه هدأ ما يقوم له شىء : فوالله إنى لأتهيأ له أريده . واستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو حتى إذا تقدمنى إليه سباع ابن عبد العزى فلما رآه حمزة قال « هلم إلىّ يا ابن مقطعة البظور » قال : فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه . قال . وهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثُنَّتِه حتى خرجت من بين رجليه . فذهب ليتلفت نحوى فغلب وتركته وإياها حتى مات . ثم أتيته فأخذت حربتى ثم رجعت إلى العسكر . وقعدت فيه . ولم يكن لى بغيره حاجة . إنما قتلته لاعتق . فلما قدمت مكة اعتقت .

وممن استشهدوا أيضا حنظلة بن أبى عامر . فعندما سمع حنظلة صيحة الجهاد كان على امرأته ـ وكان قد تزوج حديثا ـ فقام على الفور وانطلق إلى ساحة القتال . وشد على أبى سفيان . فلما تمكن منه جاءه شداد بن الأسود وقتله . فاستشهد وهو جنب . وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الملائكة تغسله .

واستشهد كذلك عمرو بن ثابت بن وقش . وكان قبل ذلك فى الجاهلية . فلما كان يوم أحد قذف الله الإسلام فى قلبه وحبّب إليه الإيمان . فأسلم وتقلد سيفه وقاتل إلى جانب المسلمين حتى جرح . ولم يعلم أحد بأمره . فلما طاف بنو عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم ـ وكان عمرو بن ثابت منهم ـ عرفوه . ووجدوا به بعض الرمق . فسألوه : ما الذى جاء بك ؟ أحَدبٌ على قومك . أم رغبة فى الإسلام ؟ فقال : بل رغبة فى الإسلام آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم ما لبث أن مات من وقته فذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « هو من أهل الجنة » علما بأنه لم يصل لله سجدة قط .

واستشهد رجل من الأنصار فى المعركة فمر عليه رجل من المهاجرين وهو يتشحط[١] فى دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قتل ؟ فقال الأنصارى : إن كان قد قتل فقد بلغ . فقاتلوا عن دينكم . وفى هذا نزل قوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين[٢])

أما هند بنت عقبة فلم تكتف بانتصار قريش على المسلمين . ولم يكفها كذلك قتل حمزة بن عبد المطلب بل انطلقت هى والنساء اللاتى كنّ معها يمثان بقتلى المسلمين فجدعن أنوفهم وآذانهم . واتخذت هند منها أقراطا وقلائد . وبقرت أيضا بطن حمزة وجذبت كبده بين يديها وأخذت تلوكها بأسنانها إمعانا فى التشفى فلم تستطع أن تسيغها ولفظتها حتى إن أبا سفيان نفسه استنكر كل تلك الفظائع . وأعلن براءته منها وقال مخاطبا المسلمين : إنه كان فى قتلاكم مُثلة . والله ما رضيت . وما سخطت . وما نهيت : وما أمرت . ووقفت هند بنت عقبة على صخرة عالية وأنشدت فرحة :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر

شفيتُ نفسى وقضيتُ نذرى شفيتَ وحشىّ غليل صدرى

وردت عليها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطلب قائلة :

خزيتِ فى بدر وبعد بدر يا بنت وقّاعٍ[٣] عظيم الكفر

(١) أى يضطرب فيه ويهتز .

(٢) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران . ويقال أن سبب نزول هذه الآية أيضا أنه لما أشيع نبأ موت الرسول دب الوهن فى نفوس بعض المسلمين وضعفوا من الجزع والحزن . فقال بعض الضعفاء : ليت عبد الله بن أبى يأخذ لنا من أبى سفيان أمانا . وقال قوم من المنافقين : لو كان نبيا لما قتل . ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم .

(٣) أى كثير الوقوع فى الأفعال الدنيئة .

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بدفن قتلى المسلمين ـ دون غسل ولا صلاة ـ وسُجِّيَ حمزة ببردة . وجاءت أخته صفية فوقفت عليه واستغفرت له .

وانصرف النبي والمسلمون تاركين وراءهم سبعين قتيلا أكرمهم الله بالشهادة فى ذلك اليوم . والألم يحز فى نفوسهم لما أصابهم من الهزيمة .

الخروج إلى العدو ثانية : وفى المدينة أخذ الرسول يفكر فى هزيمة المسلمين وصداها عند الأعداء الموجودين بالمدينة ووضع أمامه أمرين . أولها : أن مركز المسلمين بعد أحد سوف يضعف ويتزعزع بالمدينة بعد أن كان قويا بانتصارهم ببدر . وثانيهما : أن عبد الله ابن أبى بن سلول لم يشترك فى الغزوة . بل عاد من الطريق بدعوى أن النبى لم يسمع لمشورته . وهذا ما سيجعله يشمت بالمسلمين . ويعمل ضد كيانهم ومصلحتهم عند القبائل الأخرى ليشفى غيظه وحقده ، وهنالك أمر ثالث دخل فى الحسبان ، وهو أن قريشا تلاوموا فيما بينهم عندما انصرفوا وقالوا : لم تصنعوا شيئا أصبتم شوكتهم ثم تركتموهم . وقد بقى منهم رءوس يجمعون لكم . فارجعوا حتى نستأصل بقيتهم .

إذا كان الأمر كذلك فكيف إذن لا يخرج إلى قريش ثانية ليضربها ضربة قوية تخفف من وقع هزيمة المسلمين فى أحد وترد إليهم قوتهم المعنوية . وتثبت مركزهم . وتعيد إليهم السلطان فى المدينة . وتدخل الرهبة فى قلوب اليهود والمنافقين . وتوقف تهكماتهم وشماتتهم التى بدءوا فيها فقد قال المنافقون فيمن قتل من المسلمين غداة عادوا : لو كانوا أطاعونا ولم يخرجوا لما قتلوا .

إذن فليخرج وراء قريش .

ونادى الرسول فى الناس ليسيروا إلى العدو وقال « لا يخرج معنا إلا من شهد القتال » : ورغم ما أصاب المسلمين فى أحد من الجرح والجهد والأذى فقد استجاب المسلمون للرسول وقالوا « سمعا وطاعة » . وفيهم نزل قوله تعالى (٣ : ١٧٣ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل) .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين حتى بلغوا حمراء[١] الاسد . فأقبل معبد الخزاعى إلى رسول الله وأسلم . فأمره أن يلحق بأبى سفيان فيخذله . فلحقه بالروحاء[٢] فقال له أبو سفيان : ماوراءك يامعبد ؟ . فقال : محمد وأصحابه قد تحرّقوا[٣] عليكم وخرجوا فى جمع لم يخرجوا فى مثله . وقد ندم من كان تخلف عنهم من أصحابهم فقال : ماتقول ؟ ! . قال : ما أرى أن ترتحل حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الاكمة . فقال أبو سفيان . والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم . قال : فلا تفعل فإنى لك ناصح . فرجعوا على أعقابهم إلى مكة .

ومكث الرسول ثلاثة أيام متتابعة فى انتظار قدوم قريش - كما ارسلت تخوفه - ليؤكد لها أن قوة المسلمين لم تهن بما حدث فى أحد . وانهم فى انتظار رجعتهم . ولكن أباسفيان عندما سمع مقالة معبد الخزاعى اكتفى بما أحرزه من نصر وآثر السلامة وعاد إلى مكة .

وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد عاد إلى المدينة بعد أن سمع العرب بخروجه لقريش مرة أخرى . وأن قريشا جبنت عن السير إليه وبذلك استرد المسلمون مكانتهم التى كانت قد بدأت فى التزعزع والضعف بعد أحد .

ولما عاد المسلمون نزل قول الله تبارك وتعالى (٣ : ١٧٤ - فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله . والله ذو الفضل العظيم)

خاتمة : هذه هى قصة غزوة أحد التى نصر الله فيها المؤمنين . ثم حين عصوا أمر نبيهم وقائدهم أصابتهم الهزيمة . ولحقهم الأذى .

وما كانت هزيمة المسلمين فى أحد إلا امتحانا من الله لقلوب المؤمنين السابقين وصهرا لنفوسهم . وتمحيصا لهم و إظهارا لموقف المنافقين من دعوة الإسلام (٣ : ١٤١ - وليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين)

---

(١) موضع على ثمانية اميال من المدينة (٢) موضع على طريق مكة .
(٣) أى يلتهبون من الغيظ .

وكانت هذه الغزوه كذلك مدرسة للمسلمين تلقوا فيها درسا عظيما فى السمع والطاعة : وتلقنوا فيها علما قويا فى وجوب اتباع القائد وعدم الخروج عن سنن الله فى أسباب الظفر والنصر .

وقد أمر الله المسلمين بأن لايحزنوا من القرح الذى أصابهم يوم أحد . وعرفهم أن هزيمتهم تلك لا ينبغى أن تكون موجبة لانكسار قلوبهم وضعف نفوسهم . كما طمأنهم أن النصر والعلا لهم ما داموا مؤمنين (٣ : ١٣٩ ـ ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) .

كما أخبر أن الذين استشهدوا فى سبيل الله هم عند ربهم فى نعيم (٣ : ١٦٩ ، ١٧٠ ـ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاخوف عليهم ولاهم يحزنون)

ثم أخبر الله نبيه أنه عفى عن الذين عصوا وفشلوا وأنه محى ذنوبهم بهذا الاختبار والتمحيص (٣ : ١٥٥ ـ ولقد عفى الله عنهم إن الله غفور رحيم) .

سعد صادق محمد

زندقة الجيلى[1]

١ — الله وصفاته وأسماؤه . ٢ — محمد وحقيقته . ٣ — إبليس وأصله ومصيره . ٤ — الولى وسلطانه . ٥ — التوحيد . ٦ — وحدة الأديان . ٧ — ألوان من التفسير الصوفى .

دعانى إلى كتابة هذا المقال بدلا من سلسلة مقالاتى الأخرى المعنونة « بنظرات فى التصوف » مانشرته مجلة « آخر ساعة » فى عددها الصادر بتاريخ « ٢٤ / ٥/١٩٦١ » فقد نشرت حديثاً صوفياً مطولا عنونت له بعنوان يستثير الدهشة ، من الغلو فى الله افتراء على الحقيقة . وعنوان آخر معه يدفع للصوفية بما هى مدموغة به من قبل ، وإن كانت تحاول عند المسلمين أن تستره بشف رقيق من فتنة الرياء . أما العنوان الأول فهو : « التصوف يخدم العلم » وأعتقد أن العنوان الصحيح الذى كان يجب أن يوضع ، والذى يعبر تعبيراً كاملا عن حقيقة التصوف : « التصوف يخدم الخرافة ، ويمجد الوثنية » فما وجدنا للصوفية فى سلفها وخلفها علما ولا أثارة من علم ، وأنا لا أفتات عليها فيما أقول ، اللهم إلا إن سمى قولك عن الباطل ، إنه باطل افتياتاً عليه . وليدلنى الصوفية محتشدين بعضهم لبعض ظهيرا عن صوفى واحد ، أو كتاب تصوف مجد العلم ، أو دعا إليه ، وإنهم لن يجدوا : لأمر بين واضح ، هو أن الصوفية نفسها تحارب العقل والفكر والعلم ،

(١) هو عبدالكريم بن إبراهيم الجيلى عاش فى القرن الثامن الهجرى ، وهو من كبار الصوفية الذين نهجوا نهج ابن عربى ، وحافظوا على تراثه ، وأهم كتبه كتاب « الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل » وغايته منه إثبات أن محمداً هو الإنسان الكامل ، وأن الإنسان الكامل هو الله . وقد تكلمت عن الجيلى فى كتابى « هذه هى الصوفية » ولكن هذه النصوص التى نذكرها اليوم ننشرها لأول مرة عن كتابه الإنسان الكامل طبعة المطبعة العامرة سنة ١٢٩٣ هـ .

إذ يكشف العقل عن ضلالاتها ، ويحكم بمروقها عن كل القيم العقلية ، وهى تعترف فى جرأة سليطة أنها ليست نتاجاً للعقل ، ولا ثمرة من ثمرات الفكر ، أو الوحى الإلهى ، وإنما هو « ذوق ووجد[1] » ويا للعقل من الأذواق ، ويا للدين من المواجيد ! ! .

أرونى حقيقة علمية فى كتب « ابن عربى » كلها ، وهو شيخ الصوفية الأكبر ! ! .

لا تلوذوا بالشطحات العرابيد ، ولا بتهويمات الخيالات الجوامح ، فتزعموا أن علماء الفضاء فى روسيا وأمريكا ماهم إلا صور لابن عربى فى أسماء مختلفة ، فلقد زعمتم مثل هذا من قبل ، ووجدتم من يصدقكم ، ولكن سلطان الحقيقة اليوم ذو حول وطول ، فلن يأذن لمثل عنا كب هذه الخرافة أن تبسط خيوطها على العقول ! ! .

أما العنوان الصوفى الطويل ، فهو « جاجارين متصوف كبير » . و « جاجارين » هو الفتى الروسى الذى انطلق فى الفضاء ثم عاد . وهو شيوعى ! ! فهل نفهم من هذا أن الشيوعية صوفية ؟ .

لقد قلنا من قبل ، قلنا إن الصوفية ردغة ضلالات وحمأة زندقات ، وهى فى دعواها أنها تمثل الروحانية إنما تمثل فى الحقيقة المادية الصماء ، فهى لا تؤمن بغير هذا الوجود المحسوس الملموس الواقعى رباً ، ولا تصدق بأن فوق العرش إلهاً ، ولا تؤمن بأن للخلق خلاقاً ، فالخلاق هو نفسه هذا الخلق الذى نحسه ! ! والشيوعية هى هذا الإلحاد ، كنا نقول هذا ، فكان ينبرى لنا من الصوفية من يحاول التفصى عن الحقيقة ، فيرغى ويزبد ويصخب ، ويتوعد ، ويهدد ، حتى جاء حديث آخر ساعة فى صراحة يؤيدنا فى كل حرف قلناه ، فلتعرف الصوفية أنها شيوعية ، وأنها صهيونية ، وأنها صليبية ، وأنها مجوسية ، وأنها برهمية ، وأنها بوذية ثنوية ، فقد اعترف بما هو أكثر من هذا أئمتها وسادتها ، ولا سيما « عبد الكريم الجيلى » وستأتى النصوص دامغة ! ! .

---

(١) يقول الجيلى فى الإنسان الكامل : « هذا لا يعرف بطريق العقل ، ولا يدرك بالفكر » الخ ص ٢٧ جـ ١ .

ولقد استوقف نظرنا فى هذا الحديث قول صاحبه الكبير : « والعجيب أن التصوف كان دائما فى خدمة العلم والعلماء . . ولقد كانت الخطوات الصوفية العليا هى الباب الذى نفذ منه العلماء إلى مجال التجربة والتطبيق لأنها فتحت أمامهم آفاقا ارتادوها وأدركوا ما فيها من أسرار . . ومن هنا نعلم أن التصوف يساهم بنصيبه وبطريقته فى بناء العلم . .

لو أنك عنيت بتتبع التطورات العلمية وحاولت أن تربط بينها وبين ما يملأ كتاب الانسان الكامل لمؤلفه عبد الكريم الجيلى لادركت إلى أى حد مهد التصوف للعلم وسائل البحث والاكتشاف » .

وسألت :

ـ هل التصوف درجات . . ؟

قال : ما دام التصوف حالة نفسية فلا بد أن يختلف قوة وضعفا ، وذلك بحكم خضوعه للمقاييس العادية ومؤثرات ذلك الوجود . . فمثلا ذلك الطيار الذى يقود طائرته النفاثة وهى تسير بسرعة الصوت . . إنه فى هذه الحالة يكون على درجة كبرى من الروح المعنوية العالية وهنا يفنى فى نفسه ويصبح جزءا من الكون كله . . هذا الشعور الذى يتملكه أعلى مراحل الصوفية .

وأشار إلى جاجارين فقال : لاشك أن رجل الفضاء الروسى جاجارين . . قد عانى من هذه التجربة على أقصى درجاتها فى أثناء رحلته إلى الفضاء .

ـ فملا جاجارين كان بلاشك يعانى نوعا من الصوفية . . وهذا يعنى أن الصوفية ليست مقصورة على دين معين . . لأن التصوف . كما قلت ظاهرة نفسية . ويجب أن نعترف بأن التصوف الإسلامى يعتبر أرقى أنواع التصوف لأن الاسلام يربط العبد مباشرة بربه . وفى هذا يقول الله تبارك .. « فأينما تكونوا[1] فثم وجه الله » . . إن الإنسان فى الإسلام لا يحتاج إلى طقوس حتى يواجه ربه . . والرسول الاعظم هو الذى يقول : لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى . . وهو بذلك يعتبر قمة من قمم الإنسان فى مجال المعرفة الروحية » .

---

(١) صحتها : تولوا .

ولن نناقش الحديث إلا فى قضيتين : أولاهما : أن التصوف الإسلامى يعتبر أرقى أنواع التصوف ، لأن الإسلام يربط العبد مباشرة بربه . ترى هل التصوف هو الإسلام حتى يحمل عليه ما يحمل على الإسلام ؟ أو يحكم عليه بما يحكم به على الإسلام ؟ الإسلام يربط العبد مباشرة بربه .

هذه حقيقة هى أم الحقائق العليا فى دين الإسلام وقد دعا إليها الرسل جميعا وهم قد أرسلوا جميعا بالإسلام .

ولكنها فى التصوف أسطورة يهزأ بها ويكفر بها شيوخ التصوف وأحباره وكهانه وستأتى النصوص قاصمة قاصفة ! !

ولقد أغنانا الحديث نفسه . فقرر أن التصوف ظاهرة نفسية !!

وأين هذا من وحى الله ؟

أما القضية الأخرى فهى تلك التى تمجّد فيها الحديث كتاب الإنسان الكامل « لعبد الكريم الجيلى » حتى جعله من الكتب التى مهدت للتطورات العلمية الحديثة .

ولقد عدت إلى كتاب « الإنسان الكامل » أتجرعه مرة أخرى أو أنقب ، أو أجِدُّ فى التنقيب علِّى أجد شعاعة حيرى ، أو لمحة ولهى من نورٍ ، فلم أجد فى كل صفحاته إلا ماسأنقل إليه بعضه بنص ألفاظه ، ولعلنا بعد تدبر هذه النصوص ابتغاء الوصول إلى الحقيقة ، نلتقى أزمتنا للحق ، ونؤمن بأن الصوفية فى « الإنسان الكامل للجيلى » هى الصوفية فى « الفتوحات والفصوص » لابن عربى ، هى الصوفية فى « تائية » ابن الفارض هى الصوفية عند « فيلون » اليهودى ، و « أفلوطين » المسيحى ، هى الصوفية فى « الغنوصية » و « الباطنية » فمنذ قام الإسلام قام التصوف ليحاربه ، ولعل فى قصة الشيطان مع آدم مايجعلنا نفهم هذه الحقيقة ، ولهذا تجد الصوفية حفية « بإبليس » تمجده ، وتضع عليه الطيالس والأكاليل ، وستأتى النصوص قاطعة راجفة ! ! .

وإليك طرفاً من عقيدة « الجيلى » أو من عقيدة الصوفية .

الله وصفاته : ليس القارئ بحاجة إلى أن أذكره بالله وصفاته وأسمائه كما هي في القرآن والسنة . غير أني أحب أن أذكره بحقيقة قد يراها هو بدهية من بدهيات الإيمان . ولكن هذه الحقيقة ، لا يكفر التصوف بشيء كما يكفر بها . هذه الحقيقة هي أن الله ربنا ، ونحن عبيده ؛ وأن الله خالقنا ، ونحن خلقه ، لا تشبه سبحانه ذاتُ أحد ذاتَه ، ولا تماثل صفات أو أسماء في الحقيقة صفاته أو أسماءه . وأنه جل شأنه ليس كمثله شيء ، وأن الخلق غير الخالق ذاتا وحقيقة وصفة واسما !! حقائق يتفجر منها الضوء ساطعا ، ويؤمن بها من يؤمن بأنه إنسان ! ! أما من يؤمن بأنه جماد ، أو إله ، فلا حديث لنا معه . هذه الحقائق الناصعة الساطعة الصادعة لا تجد السبيل إلى قلب صوفي ! ! فالصوفية تسوى تسوية تامة بين الخلق والخالق . وبين القديم والمحدث ، وبين الرب والعبد . وإليك هذه النصوص التي لم ننشرها في كتاب أو مقال لنا من قبل ، وهي من كتاب « الإنسان الكامل » الذي أشار إليه الحديث المنشور في آخر ساعة . وأحمد الله أن اعترف به ، فالبدعة الصوفية اليوم هي إنكار مثل هذه الكتب أمام الناس قال الكتاب :

« هو الحامد والحمد والمحمود ، حقيقة الوجود المطلق ، عين هوية المسمى بالخلق والحق ، مُحْتِدُ العالم الظاهر على صورة آدم ، معنى لفظ الكائنات ، روح صور المخترعات .. ذات حقيقة الجواهر والأعراض ، صورة المعاني والأغراض ، هوية العدم والوجود ، إنِّيَّةُ عين كل والد ومولود ، استقامت بقيُّومية أحديته قدود الذات . فنطقت ألسن الصواقب أنه عينها . وشهدت عين المحاسن والمساوئ أنه زينها ، توحّد في التعداد .. بقاؤه هوية بطون العدم وظهور الوجود . ألوهيته الجمع بين ذل العابد ، وعز المعبود .. ظهر في كل ذات بكل خُلُق واتصف بكل معنى في كل خَلْق وحق ، جمع بذاته شمل الاضداد ، وشمل بواحديته جمع الأعداد .. أحديته عين الكثرة المتنوعة ، وَتَرِيَّتُهُ عين الازدواجات المتشفعة [1] .

هل يأذن الأدب أن نقول عن الله : إنه حقيقة العدم والوجود ؟ وأنه حقيقة كل والد ومولود ، والله يقول « لم يلد ولم يولد » ؟!!

(١) ص ٢ ج ١

لا أقول : هل يأذن الدين ، أو القرآن ، لأن الصوفية لاتؤمن بالدين ولا بقرآن هذا الدين !!

التشبيه والتنزيه : يقول الله : (ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير) .

ويقول : (ولم يكن له كفواً أحد) ولكن الجيلي يقول : « نزّه إن شئت ، وشبّه إن شئت ، فعلى كل حال أنت غارق فى تجلياته[1] » أى قل : إنه غير خلقه . وقل : إنه عين خلقه ، فأنت على الحالين صادق . فهو غيرهم باعتبار الظاهر ، وهو عينهم باعتبار الباطن .

الوحدة التامة بين العبد والرب : يقول الجيلي :

حبتنى فكانت فِيَّ عنى نيابة	أجل عوضا ، بل دين ما أنا واقع
فكنت أنا هى ، وهى كانت أنا ، وما	لها فى وجود مفرد من ينازع
بقيت بها فيها ، ولا تاء بيننا	وحالى بها ماض كذا ومضارع
فأوصافها وصفى ، وذاتى ذاتها	وأخلاقها لى فى الجمال مطالع
واسمى حقا اسمها ، واسم ذاتها	لِيَ اسم ، ولى تلك النعوت توابع[1]

الحقيقة الإلهية هى « الجيلى » والجيلى هو الحقيقة الإلهية ، ذاتا وصفة واسما وفعلا !! والمعانى مسروقة من تائية ابن الفارض . وقوله « ولا تاء بيننا » يعنى رفعت تاء المخاطبة الكائنة فى قول كل منهما للآخر : أنتَ ، إذ صارا واحدا . يقول كل منهما لصاحبه : يا أنا !!

الله عين الأشياء : وليس الإنسان وحده هو الذى تحققت فيه الوحدة التامة بين الخلق والخالق ، بل كل شيء عين الله . وإليك مايقوله :

« إن الحق سبحانه وتعالى عين الأشياء ، وتسميتها بالإلهية تسمية حقيقية ، لا كما يزعم المقلد من أهل الحجاب أنها تسمية مجازية » ص ٦٩ ج ١

(١) ص ٣٩ ج ١ (٢) ص ٤٣ ج ١

« كل موجود يوجد فيه ذات الله سبحانه وتعالى بحكم الاستيلاء . فذلك الموجود هو العرش لذلك الوجه الظاهر فيه من ذات الحق سبحانه » ص٣٣ ج ١

الثالوث : يقول الجيلى : « إن الحق تعالى هو حقيقة عيسى وحقيقة أمه ، وحقيقة روح القدس ، بل حقيقة كل شىء » ص ٨٦ ج ١ . والله يقول : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) فليقل المسلم : من نصدق ؟؟

الله هو النفس : يقول الجيلى :

« اعلم أن النفس تسمى فى الاصطلاح على خمسة أضرب : نفس حيوانية ، ونفس أمّارة ، ونفس ملهمة ، ونفس لوّامة ، ونفس مطمئنة ، وكلها أسماء الروح ، إذ ليس حقيقة النفس إلا الروح ، وليس حقيقة الروح إلا الحق فافهم » ص ٤٧ ج ٢

الله عبد ورب : وإذا كان الوجود كله هو عين الله ، فمن الطبيعى أن تزعم الصوفية أن الله هو الرب وهو العبد ، وإليك النصوص :

ذات لهـا فى نفسها وجهان ... للسفل وجه والعلا للثانى
ولكل وجه فى العبارة والأدا ... ذات وأوصاف وفعل بيان
إن قلت : واحدة صدقت ، وإن تقل ... اثنان . حقاً إنه اثنان
أو قلت لا : بل إنه لمثلث ... فصدقت ذاك حقيقة الإنسان
أنظر إلى أحديةٍ هى ذاته ... قل واحد أحد فريد الشان
ولئن ترى الذاتان قلت لكونه ... عبداً ورباً إنه اثنان

ص ٩ .

الله يجمع المتناقضات : يقول الجيلى :

« لهذا الجوهر عرضان ، الأول : الأزل . والثانى : الأبد .

وله وصفان ، الوصف الأول : الحق . والوصف الثانى : الخلق . وله نعتان ، الأول : القدم والنعت الثانى : الحدوث . وله اسمان ، الاسم الأول : الرب . والاسم الثانى : العبد . ص ١٧ ج ١ .

محمد أو الحقيقة المحمدية : يعتقد الصوفية أن الحقيقة الإلهية كانت وجوداً مطلقا ، أو عماء مجهولا ، ثم أرادت الذات أن تظهر ، وأن ترى نفسها ، فتعينت فى الحقيقة المحمدية أو محمد . و إليك النصوص من « الإنسان الكامل » للجيلى . يقول عن الوحدة التامة بين محمد والله :

« رداؤه المعلّم ، طرازه الأفخم ، وسابقه الأقدم ، وصراطه الأقوم ، مجلى مرآة الذات ، منتهى الأسماء والصفات ، مهبط أنوار الجبروت ، منزل أسرار الملكوت ، مجمع حقائق اللاهوت ، منبع رقائق الناسوت ، النافخ بروح الجبرلة ، والمانح بسر الميكلة ، والسابح بقهر العزرلة . والجانح بجمع السرفلة ، عرش رحمانية الذات ، كرسى الأسماء والصفات ، منتهى السدرات ، رفرف سرير الأسرات ، هيولى الهباء والطبيعيات ، فلك أطلس الألوهيات ، منطقة بروج أوج الربوبيات » ص ٣ ج ١ . والجبرلة والميكلة والعزرلة والسرفلة : يعنى أن محمداً فيه روح جبريل وميكائيل وعزرائيل و إسرافيل . وهيولى : أى مادة الوجود وأصله .

محمد والد جبريل وأصل العالم :

إن العقل الأول المنسوب إلى محمد خلق الله جبريل عليه السلام منه فى الأزل ، فكان محمد أباً لجبريل وأصلا لجميع العالم ص ٢٠ ج ٢ .

محمد هو كل شيء :

ليس الوجود بأسره إن حققوا	إلا حبـــابا طفحته دنانه
الـكل فيه ، ومنه كان ، وعنده	تفنى الدهور ، ولم تزل أزمانه
فالخلق تحت سما علاه كخردل	والأمر يبرمه هناك لسانه
والـكون أجمعه لديه كخاتم	فى إصبع منه أجل أكوانه
والملك والملكوت فى تياره	كالقطر بل من فوق ذاك مكانه
وتطيعه الأملاك من فوق السما	واللوح يُنفذ ما قضاه بنانه
هو در بحر ألوهة وخضمها	هو سيف أرض عبودة ومعانه

هو هاؤه هو واوه هو باؤه هو سينه والعين بل إنسانه
هو كافه ، هو نونه هو طاؤه هو نوره هو ناره هو رانه

ص ٤٩ جـ ٢

خلاصة كلامه : إن محمداً هو الله . وتعالى الله عما يلحد به الجيلى !!

محمد يتشكل بصور مختلفة أزلا وأبداً : يقول الله سبحانه (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلٰهكم إله واحد) . ويقول : (ما كنت بدعاً من الرسل ، وما أدرى مايفعل بى ولا بكم . إن أتبع إلا مايوحى إلىّ) .

أفى هذا النور والحق ريبة أو مظنة ريبة ؟!

ولكن اسمعوا مايقول الجيلى :

يقول : « لفظ الإنسان الكامل حيث وقع فى مؤلفاتى إنما أريد به محمداً صلى الله عليه وسلم » ص ٤٨ جـ ٢ .

ثم يقول ص ٥ جـ ٢ « اعلم أن الإنسان الكامل هو القطب الذى تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره ، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ، ثم له تنوع فى ملابس ، ويظهر فى كنائس ، فيسمى به باعتبار لباسٍ ، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر فإسمه الأصلى الذى هو له محمد ، وكنيته أبو القاسم . ثم له باعتبار ملابس أخرى أسامٍ ، وله فى كل زمان اسم ما يليق بلباسه فى ذلك الزمان ، فقد اجتمعت به صلى الله عليه وسلم وهو فى صورة شيخى الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتى ، ولست أعلم أنه النبى صلى الله عليه وسلم . وسر هذا الأمر تمكنه صلى الله عليه وسلم من التصور بكل صورة .. ألا تراه صلى الله عليه وسلم لما ظهر فى صورة الشبلى . قال الشبلى لتلميذه : أشهد أنى رسول الله . وكان التلميذ صاحب كشف ، فعرفه ، فقال : أشهد أنك رسول الله . وهذا أمر غير منكور » .

« يقابل الهوية بالهوية والإنِّيَّة بالإنية ، اوالذات بالذات ، والكل بالكل ،

والشمول بالشمول ، والخصوص بالخصوص ، وله مقابلة أخرى : يقابل الحق بحقائقه الذاتية . ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذى يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك » ص ٥١ وما بعدها ج ٢ .

فهل بين هذه الأسطورة الملعونة و بين خاتم المرسلين نسب ؟! مايقول : نعم رجل فى قلبه ذرة من إيمان ، ولكن يقولها صوفى !!

إبليس ، وأصله ، ومصيره : يعشق التصوف إبليس عشقاً لا يستطيع أن يخفيه ، فيظهر على ألسنة أئمته ثناء حفياً بهذا الرجيم الملعون . وإليك رأى الجيلى فى إبليس .

مم خلق إبليس : كلنا يعرف من القرآن أنه خلق من نار ، وكلنا يعرف أن محمداً صلى الله عليه وسلم خلق من نطفة ، وأنه من سلالة آدم ، وأن آدم من طين . حقائق قرآنية لا يمارى أو يجادل فيها غير الصوفية . فهذا الجيلى يقول : « خلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد صلى الله عليه وسلم » « ص ٤١ ج ٢ » أين من يتهموننا بأننا نقول نكره محمداً صلى الله عليه وسلم ، لأننا نقول عنه ما قال القرآن ، ونؤمن به كما طلب القرآن ؟ !

أين سدنة التصوف وأذنابه وذباباته التى تطن دائماً ، فتحسب أنها تغطى صيحة الحق المدوية .

هذا الكفر الملعون الدنس الحقير يهرف به صوفى ، فتقولون عنه : قطب كبير ! ! .
وكلمة حق نقولها نقلا عن القرآن ، وهو أن محمداً صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا ولكنه خاتم النبيين ، فتبهتوننا بأننا نكرهه !! .

مصيره : كلنا يعرف مصير إبليس ، فقد ذكره القرآن ولكن اسمع ما يقوله الجيلى:
« إذا انقضى يوم الدين ، فلا لعنة عليه لارتفاع حكم الظلمة الطبيعية فى يوم الدين .. فلا يلعن إبليس أى لا يطرد عن الحضرة إلا قبل يوم لأجل ما يقتضيه أصله ، وهى الموانع الطبيعية التى تمنع الروح عن التحقق بالحقائق الإلهية ، وأما بعد ذلك ، فإن الطبائع تكون

لما من جملة الـكمالات ، فلا لعنة ، بل قرب محض ، فحينئذ يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهى (ص ٤٢ ج ٢) أيقول هذا مؤمن ؟ إذا كان مصير إبليس هو القرب المحض من الله ، فما بالك بمن هم دونه شراً وفساداً فليفسق من شاء ، وليكفر من شاء ، وليمدُ من شاء على قيم الدين ، ومقدسات القيم عدواناً باغياً ، فما ثم إلا قرب محض من الإله ! ! .

إن الجاهلية فى عتو جحودها لم تستطع أن تقولها بل الشيطان نفسه فى عناد كفره الغليظ ، وفسوقه المتمرد لم يقلها ، ولـكن قالها صوفى كبير ! ! .

أدب إبليس وعلمه : وفى فيض الحنان العطوف من الصوفية على شيخها إبليس يهرف الجيلى بهذا الثناء العاطر على الملعون .

فيقول معقبا على جوابه « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » « وهذا الجواب يدل على أن إبليس من أعلم الخلق بآداب الحضرة ، وأعرفهم بالسؤال ، ومايقتضيه من الجواب » ص ٤١ ج ٢

الولى وسلطانه : يقول ربنا : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أوليـاء ، كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنـكبوت) ويقول : (ياأيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب) ولـكن الصوفية تؤكد للناس أن الولى هو عين الله ، وأن البدوى ، أو الدسوقى ، أو الجيلى إنما هم صور تجســدت فيها الحقيقة الإلٰهية ، وإليك مايقول الجيلى : « إن العبد إذا ترقى من المرتبة الـكونية إلى المرتبة القدسية ، وكشف له عنه ، علم أن ذات الله تعالى هى عين ذاته » . ص ٤٤ ج ١ .

الولى روح العالم وحياته : ويقول عن أنواع الأوليـاء : « منهم من تجلى الحق له بالصفة الحياتية فـكان هذا العبد حياة العـالم بأجمعه ، يرى سريان حياته فى الموجودات

جميعها جسمها وروحها . . ويشهد المعانى صوراً لها منه حياة قائمة بها ، فما ثم معنى كالأقوال والأعمال ، ولا ثم صورة لطيفة كانت كالأرواح ، أو كثيفة كانت كالأجسام إلا كان هذا العبد حياتها يشهد كيفية استمدادها منه » ويأبى الجيلى إلا أن يثبت أنه كان فى هذا المشهد ، فيقول : « وكنت فى هـذا التجلى مدة من الزمان » ص ٤٤ ج ١ وما بعدها :

علم الولى : علم الله سبحانه ، يقول الجيلى :

« علم العوالم بأجمعها على ماهى عليه من تفاريعها من المبدأ إلى المعاد ، وعلم كل شىء كيف كان ، وكيف هو كائن ، وكيف يكون ، وعلم مالم يكن ، ولو كان مالم يكن ، كيف كان يكون ، كل ذلك علماً أصلياً حكمياً كشفياً ذوقياً من ذاته لسريانه فى المعلومات » ص ٤٥ ج ١ .

وفى مكان آخر يقول :

« ماثم علم يرجع إلى الحق ، وماثم علم يرجع إلى الخلق إلا و بصر هذا العبد واقع عليه ، فهو يبصر الموجودات كما هى عليه فى غيب الغيب .

و يسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات وكلام الملائـكة ، واختلاف اللغات ، وكان البعيد عنه كالقريب ، وهمس الجمادات والنباتات . . وفى هـذا التجلى سمعت علم الرحمانية » ص ٤٥ ج ١ .

وهكذا يأبى إلا أن يثبت لنفسه فى كل فرية تختلقها زندقته أنه كان فى هذا المقـام الأسطورى ! ! .

صفات الولى صفات الله : وليس للولى علم الله وحده ، بل له كل صفة من صفاته .

« إن سمعه سمع الله ، و بصره بصر الله ، وكلامه كلام الله ، وحياته حياة الله ، وعلمه علم الله ، و إرادته إرادة الله ، وقدرته قدرة الله تعـالى . كل ذلك بطريق الإحالة » . ص ١٩ ج ١ .

مشاهدات الولى و برازخه : واسمع الجيلى ، وناشدتك الله إلا ما حكمت حكم الحق الذى يطلبه منه الله . اسمع عن مشاهدات الولى « يشهد صدور الوجود أعلاه وأسفله منه ، ويرى متعددات أمر الوجود فى ذاته . وللإنسان الكامل ثلاث برازخ . وبعدها المقام المسمى بالختام . البرزخ الأول : يسمى البداية ، وهو التحقق بالأسماء والصفات . البرزخ الثانى يسمى : التوسط ، وهو فلك الرقائق الإنسانية بالحقائق الرحمانية ، فإذا استوفى هذا المشهد علم سائر المكتمات ، واطلع على ما شاء من المغيبات ، والبرزخ الثالث هو معرفة التنوعات الحكمية فى اختراع الأمور القدرية . لا يزال الإنسان تخرق له العادات بها فى ملكوت القدرة حتى يصير خرق العوائد عادة فى فلك الحكمة ، فحينئذ يؤذن بإبراز القدرة فى ظاهر الأكوان » ص ٥٢ جـ ٢ .

مقام الخلة : هو أرقى مقامات العبودية ، ولكن الجيلى يفسره تفسيراً يتلاءم مع زندقته الجاحدة . فيقول « هو أن يتخلل العبد بالحق تعالى ، فيظهر فى جميع أجزاء جسده آثار التخلل بأن تنفعل الأشياء له بلفظة : كن ، وأن يبرىء العلل والأمراض ، ويأتى بالمخترعات بيده ، وأن يكون لرجله المشى فى الهواء ، وأن يقدر على التصور بكل صورة بتمام هيكله » ص ٩٧ جـ ٢ .

إن الصوفية تزعم أن الولى يستطيع أن يأتى بالمخترعات بيده . فهل تستطيع أن تمدنا فى عصرنا الحاضر بواحد من هؤلاء ؟ .

وهل تستطيع أن تدلنا فى التاريخ على واحد من هؤلاء ؟ إنها لن تستطيع ! ! فهل بعد ذلك من دليل على وضاعة الفشل ؟ ؟

التوحيد : شهادة التوحيد عندنا « لا إله إلا الله » والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله . ومعناها واضح كل الوضوح فهى تثبت أن الله هو وحده الذى له الإلهية وتنفى هذه الصفة عن سواه سبحانه . ولكن اسمع تفسير الجيلى لكلمة التوحيد .

« لا إله إلا الله » معنـاه لا وجود لشيء إلا الله ، ولفظ إله في قوله : لا إله . يراد به تلك الأوثان التي يعبدونها ، سماها الله تعـالى إلها كما سموها ، موافقة لهم لسر وجوده في أعيانها ، فهي بوجوده آلهة حقا ، فـكل معبود منها بظهور الحق في عينيه إله ؛ لأنه تعالى عينها ، وهو الله حيثما ظهر مستحق الألوهية . ثم أفرد الجميـع في الاستثناء بقوله : إلا الله . يعني ليست تلك الآلهة إلا الله . فلا تعبدوا إلا الله على الإطلاق من غير تقييد بجهة ، فإنه كل الجهات ، فـمـا في الوجود شيء إلا الله تعالى ، فهو تعالى عين جميع الموجودات » . ص ٨٩ ، ٩٠ جـ ٢

إن عبدة الأوثان أنفسهم لم يستطيعوا أن يقولوا عن أوثانهم إنها هي الله بل قالوا عنها إنها شفعاء لهم عند الله .

أما « الجيلي » وإخوانه ، فيأبون إلا أن يقولوا عن الأوثان إنها عين الله ! ! . وإلا أن يقولوا عن الأدناس والأرجاس والـكلاب والخنازير إنها آلهة حقيقية عابدها ناج من النار ! ! ولم لا ، وفي كل منها تتمثل الحقيقة الإلهية ؟ ! !

فماذا يقول سدنة الصوفية ؟ .

وحدة الأديان : زعم الجيلي أن الله سبحانه هو عين كل شيء . ثم استطرد زاعماً أنه ما عبد قوم شيئا إلا وكانوا عابدين لله حقيقة ! ! ولم لا ، وكل شيء هو الله سـبحانه . وإليك النصوص الدامغة ! ! .

يقول عن عبدة الحجارة والـكواكب والطبائع :

« إنما أراد الحق أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر ، وأن حكم الألوهة فيهم حقيقة ، وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك إلا هو . فقال : لا إله إلا أنا . . أي ما ثم ما يطلق عليه اسم الإله إلا وهو أنا ، فما في العالم من يعبد غيري » ص ٦٩ .

ثم عدد الملل المختلفة وهم « الـكفار ، والطبائعية ، والفلاسفة والثانوية ، والمجوس ، والدهرية ، والبراهمة ، واليهود ، والنصارى ، والمسلمون » ثم صوب دين الجميع . فقال :

« كل هذه الطوائف عابدون لله تعالى كما ينبغى لأنه خلقهم لنفسه لا لهم ، ثم إنه سبحانه أظهر فى هذه الملل حقائق أسمائه وصفاته فتجلى فى جميعها بذاته ، فعبدته جميع الطوائف . فأما الكفار ، فإنهم عبدوه بالذات ؛ لأنه لما كان الحق سبحانه وتعالى حقيقة الوجود بأسره ، والكفار من جملة الوجود ، وهو حقيقتهم ، فكفروا أن يكون لهم رب ؛ لأنه تعالى حقيقتهم ، ولا رب له ، بل هو الرب المطلق ، فعبدوه من حيث ما تقتضيه ذواتهم التى هو عينها ، ثم من عبد منهم الوثن ، فلسر وجوده سبحانه بكمال ، بلا حلول ولا مزج فى كل فرد من أفراد ذرات الوجود ، فكان تعالى حقيقة تلك الأوثان التى يعبدونها فما عبدوا إلا الله » ص ٨٢ جـ ٢ .

ثم يقول عمن عبدوا الكواكب : « لما كان الحق حقيقة ذلك الكوكب اقتضى أن يكون معبوداً لذاته ، فعبدته لهذا السر .

ثم يستطرد فيقول « فما فى الوجود حيوان إلا وهو يعبد الله تعالى إما على التقييد بمظهر ومحدث ، وإما على الإطلاق ، فمن عبده على الإطلاق ، فهو موحد ، ومن عبده على التقييد فهو مشرك ، وكلهم عباد الله على الحقيقة لأجل وجود الحق فيها ، فإن الحق تعالى من حيث ذاته يقتضى ألا يظهر فى شىء إلا ويعبد ذلك الشىء ، وقد ظهر فى ذرات الوجود » ص ٨٣ جـ ٢ .

ويقول عن « الثنوية والمجوس » فالثنوية عبدوه من حيث هذه اللطيفة الإلهية مما يقتضيه فى نفسه سبحانه ، فهو المسمى بالحق ، وهو المسمى بالخالق ، فهو النور والظلمة ، وأما المجوس : فإنهم عبدوه من حيث الأحدية . . فلهذه اللطيفة عبدوا النار وحقيقتها ذاته تعالى » ص ٨٣ وما بعدها جـ ٢ .

وهذا هو هدف الصوفية ! ! .

هو القضاء على الإسلام .

أو القضاء على مقومات المسلمين ، فقوة المسلمين فى دينهم القوى .

وأعجب العجب من كيد هذه الشمطاء الخئون أنها تخادع حتى كبار المثقفين عن دينهم حتى يظنوا أنها روحانية الدين السامية ، وهى عدوه الألد الخصام ! ! .

<u>ألوان من التفسير</u> : تؤمن الصوفية أن فى كتاب الله سبحانه القضاء على باطلها الملون فماذا تفعل ، راحت تبتدع أن لكل ظاهر باطناً ، وأن لآيات القرآن معانى أخرى فهمها محمد وكتمها عن الناس ، ولم يقلها إلا لفئة قليلة من أصحابه ، وقد أخذ الله عليه العهد والميثاق على كتمانه ليلة الإسراء كما ذكر الجيلى فى كتابه ، وإليك نمطاً من التفسير ، أو نمطاً من الجحود بمعانى القرآن والحديث .

« أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلٰهين من دون الله ؟ قال سبحانك » قدم التنزيه فى هذا على التشبيه (ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق) يعنى كيف أنسب المغايرة بينى و بينك ، فأقول لهم : اعبدونى من دون الله ، وأنت عين حقيقتى وذاتى ، وأما عين حقيقتك وذاتك ، فلا مغايرة بينى و بينك » ص ٨٠ ج ١ .

فهل يقولها مؤمن ؟ إنما يقولها الصوفية ! و إليك تفسيراً لأول سورة البقرة .

(الم ذٰلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) أشار بذلك إلى حقيقة ألف لام ميم ، وذلك من طريق الإجمال ، إشارة إلى الذات والأسماء والصفات ، ذلك الكتاب ، والكتاب هو الإنسان الكامل . فألف لام ميم بما أشار إليه هو حقيقة الإنسان لا ريب فيه ، هدى للمتقين ، الذين هم وقاية عين الحق ، والحق وقاية عنهم ، فإن له دعوة الحق ، فقد كنيت به عنهم ، و إن دعوتهم فقد كنيت بهم عنه . الذين يؤمنون بالغيب ، والغيب هو الله لأنه غيبهم ، آمنوا به أنه هديهم ، وأنهم عينه . ومما رزقناهم ينفقون ، يعنى يتصرفون فى الوجود من ثمرة ما أنتجته هذه الأحدية الإلٰهية فى ذواتهم ص ٩٣ ج ٢ .

<u>تفسير حديث النزول</u> : الحديث يدل بإشارته إلى ظهور الحق سبحانه وتعالى ، فى كل ذرة من ذارت الوجود ، فالمراد بالليلة هى الظلمة الخلقية ، والمراد بسماء الدنيا ، ظاهر وجود

الخلق، وبالثلث الأخير حقيقته ، والمراد بسماء الدنيا ظاهر جسم الولى ، والثلث الأخير المعرفة والذوقية الإلهية السارية فى وجود العبد » ص ٨٨ ج ١ ..

كلمة خاتمة : نحن فى عهد ثورة تتسم بالقوة والإيمان الرفيع القوى بمثلنا السامية ، وقيمنا العليا . والتصوف ظلمات جهالة وضلالة ، وخمول وكسل وجبانة وعزلة عن الحياة فى قوتها ونبلها وتساميها . ومن الخيانة الكبرى لهذه الثورة المؤمنة القوية أن ننتكس بها بدعوتنا إلى إحياء التصوف ، وانتهاج سبيله !! إنها دعوة إلى الهلكة والذلة والعبودية لكل طاغية غشوم يستطيع أن يزعم أنه الحقيقة الإلهيه فى صورة طاغية !!

ثم إننا نسأل سؤالا هادئا لاتضج فيه صولة غضب ، وإنما تناسمه روح المحبة للخير والحق والسلام . لقد أغلقنا مراكز البهائية ، وقضينا على هذه الأوكار الملعونة للخيانة . ولعلنا أول من هال لهذا القرار . فقد نبهنا على خطر هذه الطائفة الملعونة فى مجلتنا « الهدى النبوى » منذ سنوات .

والصوفية أستاذة البهائية ، وشيطانها . فقد قالت البهائية بتجسد الحقيقة الإلهية فى بعض بنى الإنسان ، وكان أعظم تجسد لها فى هيكل الملعون الطاغية الباغية ميرزا « حسين على » الهالك الملقب بالبهاء . أما الصوفية فتقول بتجسد الحقيقة الإلهية فى كل شىء . فلنتبعْ رأس الثعبان ذنبه ، ولنقضِ على هذه الصوفية بصولة الحق ، فما فى حياتنا اليوم مكان لمثل هذه الأساطير الملعونة ، ولزندقة الباغية التى نقلنا لك نصوصها بأمانة ودقة عن كتاب الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلى .

والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

عبد الرحمن الوكيل

حق الميت على أخيه المسلم

دأب كثير من الناس أن يسألوا عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيادة المريض والجنائز والمآتم وغيرها .

فنقول : كان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يعود من يمرض من أصحابه ويدعو له بالشفاء ، وكان يمسح بيده اليمنى على المريض ويقول « اللهم رب الناس ، أذهب الباس ، واشفه ، أنت الشافى ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لايغادر سقما » . وكان إذا أيس من المريض ورأى أنه يحتضر قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ويذكره بالآخرة ، ويأمره بالوصية والتوبة .

فإذا مات المريض نهى عليه الصلاة والسلام عن لطم الخدود ، وشق الثياب ، والنياحة ورفع الصوت بالبكاء ، وأمر بغسله وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها ، بتطهيره وتنظيفه وتطييبه وتكفينه فى الثياب البيض . ثم يحمل الميت على سريره فيصلى عليه . فيقف عليه الصلاة والسلام عند الميت ويقف أصحابه صفوفا خلفه فيكبرون أربع تكبيرات يقرأ بعد التكبيرة الأولى الفاتحة ، وبعد الثانية يصلى على رسول الله الصلاة الإبراهيمية وبعد الثالثة يدعو للميت ، وبعد الرابعة يدعو لنفسه وللمسلمين جميعاً ثم يسلم . كل ذلك وهم وقوف .

ومما حفظ من دعائه عليه الصلاة والسلام للميت قوله « اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلا خيراً من أهله ، وزوجاً خيرا من زوجه . وأدخله الجنة ، وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار » .

وحفظ من دعائه له : « اللهم إن فلان ابن فلان فى ذمتك ، وحبل جوارك ، فقِهِ من فتنة القبر ومن عذاب النار ، فأنت أهل الوفاء والحمد ، فاغفر له وارحمه ، إنك أنت الغفور

الرحيم » ومما كان يدعو به لنفسه وللمسلمين : « اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، وشاهدنا وغائبنا . اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان . اللهم لاتحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى على رجل قام عند رأسه ، وإذا صلى على امرأة قام عند وسطها . وكان يصلي على الطفل الصغير ، وكان يسأل الله أن يجعله فرطا لأبويه .
وكان يأمر بالاسراع بالجنائز ، وأن يسيروا به إلى المقابر مشياً على الأقدام ، وسن لمن تبع الميت أن يمشى أمامه أو خلفه أو عن يمينه أو عن شماله ، فكل ذلك جائز . وكان عليه الصلاة والسلام إذا تبع جنازة لايجلس حتى توضع على الأرض وقال : إذا تبعتم الجنازة فلا تجلسوا حتى توضع » .

وكان يأمر بتعميق القبر واللحد وتوسيعه عند رأس الميت ورجليه . وروى انه كان يقول عند وضع الميت فى القبر : « بسم الله ، وبالله ، وعلى ملة رسول الله » . وكان إذا فرغ من دفن الميت قام على قبره هو وأصحابه وسألوا له التثبيت . وصح عنه أنه نهى عن رفع القبور والبناء عليها والكتابة عليها وتغطيتها بالحصباء أو غيرها فكل ذلك بدع مكروهة .

وكان ينهى عن إهانة القبور ووطئها والجلوس عليها وزيارة النساء لها . وسن للرجال من أمته أن يزوروا القبور للدعاء للموتى والترحم عليهم والاستغفار لهم ، وأمرهم أن يقولوا إذا زاروها « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية » .

وكان يعزى أهل الميت ويأمرهم بالصبر والاحتساب والرضى بقضاء الله ، ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء . وقد روى عن أصحابه رضوان الله عليهم أنهم كانوا يقولون : « كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت بعد دفنه من النياحة » . وكان ينهى عن النعى ويقول « هو من عمل الجاهلية » .

وقد كره الناس هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهلوا سنته وابتدعوا البدع المنكرة فى الجنائز والمـآتم والاجتماع لها الليلة والليلتين والثلاثة ، وعمل الصواوين وقراءة القرآن أو تخصيص أماكن الاجتماع والتعزية ، وكان الأولى بهم أن يتبعوا سنة رسول الله فى تجهيز الميت والصلاة عليه وتشييعه ودفنه والدعاء له ، ثم الانصراف إلى شئونهم وأعمالهم . نسأل الله لنا ولهم الهدى والثبات على الرشد .

سليمان رشاد محمد

اجتماع الجمعية العمومية

للمركز العام

ستنعقد الجمعية العمومية للمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية مساء يوم السبت ٢٥ المحرم سنة ١٣٨١ هـ الموافق ٨ يوليو سنة ١٩٦١ م إن شاء الله . فعلى السادة المسددين لاشتراكاتهم ، أن يتفضلوا بالحضور فى الموعد المذكور لانتخاب أعضاء مجلس الإدارة للعام الجديد . كما نرجو من المتأخرين أن يبادروا بتسديد اشتراكهم .

من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

مكارم الأخلاق

حسن الخلق من الإيمان .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »

وقال عليه السلام « أقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، الموطأون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون » .

ومما مدح الله به رسوله صلى الله عليه وسلم قوله (وإنك لعلى خلق عظيم) .

فما مكارم الأخلاق ؟ .

سئلت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت (كان خُلقه القرآن) .

فمن حسن الخلق أن تألف وتؤلف ، وأن تترك مالا يعنيك ، وأن تتحرى محاب الله ، وتتقى مباغضه ، وأن تعطىَ لكل ذى حق حقه

فاعرف لله حقه وأده ، واعرف لرسوله حقه ولا تضيعه ، واعرف لنفسك حقها تكن إنساناً كريماً ، واعرف حقوق زوجك وولدك ووالديك وجارك وصديقك ، كن صادقاً وكن أميناً فيما استرعاك الله ، تكن كريم الأخلاق .

وكريم الخلق محبوب حتى من سيء الخلق .

حسن الخلق أقوى سبب للنجاح فى الحياة ، والنجاة فى الآخرة .

والأمم الأخلاق ، بحسنها تعلو ، وبسوءها تسفل .

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا فليس بغيرها للعز ركن

العدد ٢ صفـــر
المجلد ٢٦ سنة ١٣٨١

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

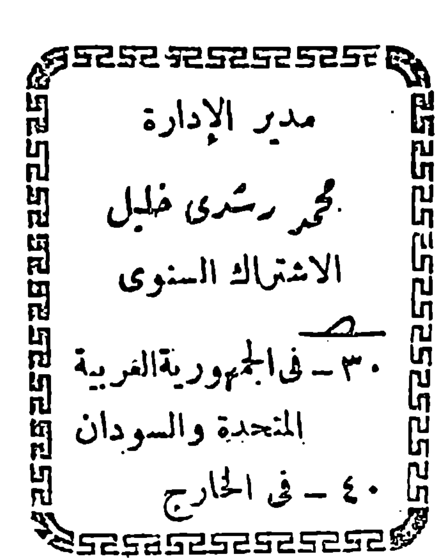
الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية



المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

المجلد ٢٦ صفر سنة ١٣٨١ العدد ٢

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل ذكره : (ولقد كرَّمنا بني آدمَ ، وحملناهم فى البرِّ والبحرِ ، ورزقناهم من الطيباتِ ، وفضلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلا . يومَ ندعو كلَّ أناسٍ بإمامهم ، فمن أوتيَ كتابَه بيمينه ، فأولئك يقرءون كتابهم ، ولا يُظلمون فتيلاً . ومن كان فى هذه أعمى ، فهو فى الآخرة أعمى ، وأضلُّ سبيلا ١٧ : ٧٠ – ٧٢) .

« معانى المفردات »

آدم : الأُدْمَةُ : القرابةُ والوسيلة إلى الشيء . والأُدْمُ : الأُلفةُ والاتفاق . وأَدَمَ : أصلح ، ووفَّق وسمى آدم بذلك ، لأن فيه هذه المعانى ، أو لأن الله طيبه بالروح المنفوخ فيه . وذلك من قولهم الإدام ، وهو مايطيب به الطعام .

الطيبات : الطيب خلاف الخبيث . وأصل الطيب ما تستلذه الحواس ، وما تستلذه النفس .

أناس : قيل هى أصلٌ لكلمة الناس ، وقيل هما كلمتان بمعنى واحد . وليست إحداهما مشتقة من الأخرى ، وقد سمى الإنسان كذلك ، إما لأنه مفطور على الأنس بكل مايألفه ،

وإما لأنه دائما محتاج إلى من يأنس إليه . وإما من النسيان . فقد عهد الله إليه ، فنسى .

إمامهم : الإمام : المؤتَمُّ به إنسانا كان يُقتَدى بقوله ، أوفعله ، أو كتابا ، أو غير ذلك . مُحِقًّا كان أو مُبْطِلا .

يمينه : اليمين يمين اليد وأصل المعنى ، يدل على القوة والبركة واليُمْن الذى هو خلافُ الشؤم .

فتيلا : حَبْلٌ دقيق ويُسمّى ما يكون فى شَقّ النواة[1] فتيلا ، وكذلك ما فتلته بين إصبعيك من خيط أووَسَخٍ . ويُضْرَبُ به المثلُ فى الشىء الحقير[2] .

أعمى : يدل أصل الكلمة على سَتْرٍ وتغطية . يقال عميت عيناه . ورجل عمٍ إذ كان أعمى القلب .

« المعنى »

ذكَّرنا الله سبحانه بقصة آدم ، وبقصة الشيطان ، كما ذكرنا ـ جَلّ شأنه ـ ببعض نعمه علينا فى البر والبحر . وبقصة أولئك الذين يجحدون بنعم الله وفضله . كما ذَكَر وعيدَه الجبّارَ لأولئك الذين ينسون الخالق . ويكفرون به ويذكرون المخلوق ، ويعبدونه من دون الله . يعبدونه بالحب الخُشُوع ، وبالخوف الخُنُوع . وبالضراعة إليه عن حب أوخَوْفٍ[3] . وما فى قلوبهم لِلهِ من شىء يُحب الله أن يكون ! !

وفى هذه الآيات تذكير جليل عظيم بالجليل العظيم من نِعَمه ومِنَنِه .

الأولى : التكريم . والثانية : الحمل فى البر والبحر .

والثالثة : الرزق من الطيبات ، والرابعة : تفضيل بنى آدم على كثير مِمَّن خَلَق الله

---

(١) ويسمى السحاة بفتح السين .

(٢) رأينا من الفائدة ذكر معانى هذه المفردات لورودها أحيانا مكان كلمة فتيل .

القطمير : القشرة الرقيقة على النواة . النقير : النكتة فى ظهر النواة .

(٣) مثال ذلك عبدة « البدوى والدسوقى » فالأول يعبده الناس عن حب إذ يرونه السمح الودود الواسع الرحاب . أما الآخر ، فيعبده الناس عن خوف إذا يعتقدون أنه لايتسامح فى شىء ! ! !

سبحانه أما التكريم ففى قوله جل شأنه ـ (ولقد كرَّمنا بنى آدم) أنعَم عليه بما كرُم به وشَرُف ، ولم يذكر ربنا سبحانه هنا ما كرَّم الله به بنى آدم . غير أنا نستطيع استنباطَ بعض ما كرَّم الله به بنى آدم من ايات أخرى . تدبر قول الله الذى قصَّ به ما قال أبليس فى حجوده وكنود أحقاده (قال : أرأيْتَك هذا الذى كرَّمْتَ عَلَىَّ ١٧ : ٦٢) والآية فى نفس السورة وقد سبق تأويلُها فى عدد ذى الحجة . فما ذلك التكريم الذى ملأ إبليسَ باحقادِ الأوغادِ ، واستَفزَّه مَلعُوناً إلى الاستِكبارِ الكافرِ الجاحد ؟ ؟ بتدبر الآيات نجد أن الله سبحانه كرم آدم ثمَّ بأن خلقه بيديه حقيقة لامجازا كما قال سبحانه لإبليس : (قال : يا إبليسُ مامَنَعَك أن تَسْجُدَ لِماَ خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ ، أم كُنْتَ من العَالين ٣٨ : ٧٥) ولم يستطعْ إبليس أن ينكر هذا التكريم العظيم لآدم ، ولا أن يجحدَ به ، ولا أن يزعم أن اليدين مجازٌ عن قدرة الله ، وإلاَّ لقال ـ وهو الذى يتمنى أن يجد ما يقول ، لينفسَ به عن غليلِه ـ : وأىُّ تكريم فى هذا لآدم ، وأنا مخلوق بقدرتك كما خلقت آدم ! ! ولكنه لم يقلها : لأنه فهم ما لايود أن يفهمه اليوم أولياؤه الذين ينكرون يدى الله . ويجحدون بهذا التكريم .

ثم تكريم اخر واخر . وهو المفهوم من قوله سبحانه (فإذا سَوَّيتُه ، ونَفَخْتُ فيه من رُوحِى ، فقَعُوا له ساجدين ٣٨ : ٧٢) النفخ فيه من روح الله سبحانه ، والأمرُ بالسجود له . فبهذا النفخ من روح الله اسْتَحَقَّ أن يسجد له صفوة ممتازة من خلق الله ، وهم الملائكة ولْنَتَدَبَّره ـ لنهتدى ـ أن السجودَ لم يكن إلا بعد أن نفخ الله فيه من روحه . ولعل الذين يُصرُّون على عبادة الأجساد الخامدة يعتبرون .

وتكريم اخر ما أجله وأعظمه . وهو الذى يُفهَم من قوله سبحانه : (وإذْ قالَ رَبُّك للملائكةِ : إنِّى جاعِلٌ فى الأرضِ خليفة ٢ : ٣٠) وبهذه الخلافةِ أظهر الإنسانُ أحكامَ الله وسننه الشرعية والكونية . فَعُبِد اللهُ ، وتجلت دلائل الإعجاز من مكنون قدرته أو ستظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولاريب فى ان التكريم لآدم فيه تكريم ابنى آدم .

بل لكل فرد من أبناء آدم نصيب ذاتيٌّ من بعض ما ذكر الله وهو النفخ من روح الله وكذلك الخلافة فى الأرض .

و بالنفخ من روح الله استحق أن يكون خليفة فى الأرض يُسَخِّر الله له البر والبحر ، وما فى السموات وما فى الأرض . أليس النفخ من روح الله يهب الحياة والعقل والفهم والحكمة والتدبير والقدرة والقوة والفصل بين قيم الأشياء . وغير ذلك مِمّا مَنّ به الله على الإنسانِ من قُوًى وقُدَرٍ ونِعَمٍ ؟ ! وحسب الإنسان بعض هذا التكريم ، وحسبنا التذكير ببعضه ؛ لنؤمن أن الله سبحانه كرم بنى آدم أعظم تكريم .

الحملُ فى البر والبحر : ويذكِّرنا الله بمنة أخرى فى قوله سبحانه (وحملناهم فى البر والبحر) تكفل لهم بما يقيم حياتهم فى البر ، وبما يقيم حياتهم فى البحر ، وتكفل لهم بما يحملون عليه أنفسهم وأثقالهم فى البر ، وفى البحر . ولنتدبر الآيات التى ذكر الله فيها نعمه علينا فى البر ، ونعمه فى البحر ، حتى لا نفهم أن المقصود بالحمل هنا الحمل على الدواب والسفن وعلى ما شاكلهما فقط فالحمل هنا أسمى وأشمل وأعم . إنه حمل الإنسان نفسه ، حمل ما يقيم حياته ، ويحقق وجوده وبقاءه ، وما يهديه إلى إقامة حياته وتحقيق وجوده وبقائه تدبر قول الله : (وَكَأَيِّنْ من دابةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَها اللهُ يَرْزُقُها وإيَّاكم ٢٩ : ٦٠) إنه يحمل الرزق . رزقه سبحانه للإنسان وما يحمل الإنسان ، ولهذا سمى العرب الضمان والدِّية . حَمَالَةَ ، وسَمَّوا الضامن والكفيل . حَمِيلا ، فكلاهما يحمل ما ضمن ، وما تكفل به .

وحين تتدبر الآية لا تجد فيها ذِكْراً لما حملهم الله عليه . فالفعل « حملناكم » لا يفيد سوى أنه حملهم . أما ما حملهم عليه[1] ، فلم يجْرِ له هنا ذِكْرٌ ليفيد الفعلُ الحملَ فى عمومه ، وليتناولَ جميع آلات الحمل فى الماضى والحاضر والمستقبل . تدبر قوله تعالى : (والخيلَ ،

---

(١) فلم يأت حرف الجر « على » كما جاء فى قوله جل شأنه (وعليها ، وعلى الفلك تحملون) .

والْبِغَالَ ، والحميرَ ؛ لِتَرْكَبُوها وزِينةً ، ويَخْلُقُ مالا تعلمون ١٦ : ٨) كل شيء حَمَلَ الإنسانَ ، وكل شيء يحمله الآن ، وكل شيء سيحمله فى المستقبل إنما هو من خلق الله سبحانه .

ثم إن الآية تذكرنا بعهدين عظيمين . عهد آدم بعد أن خرج من الجنة ، وهبط إلى الأرض يضرب فى الْبَرِّ بهداية الله هذا الْبَرُّ الرحيب الفسيح الذى يمتد إلى ما يُخَيِّل إليك أنه غير مُتَنَاه . وآدم وزوجه وحدهما فيــه . لقد حملهما الله ثَمَّتَ ، فلم يضيعا ، ولم يضلا .

كما تذكرنا بعهد آخر ، ذلك عهد نوح عليه السلام يوم أن فار التنور ، وانصبت السماء سَيْلاً عَرِماً وصار الْبَرُّ بَحْراً موجه كالجبال ، وما كان ثمت عاصم يَعْصِم إلا رحمة الله سبحانه : وبالنجاة من هذا البحر اللُّجِّى ، وبالحمل على السفينة فوقه باسم الله مجريها ومُرْسَاها . بهما يمن الله سبحانه ، علينا فى قوله : (إنَّا لما طَغَى الماء حَمَلْنَاكُم فى الجارية ، لِنَجْعَلَهَا لكم تذكِرَةً ، وتَعِيَهَا أُذُنٌ واعية ٦٩ : ١١ ، ١٢) وفى القرآن آيات أُخْرَى تذكرنا بهذه النعمة نعمــة الحمل مع نوح فلنذكر ـــ مما نذكر ـــ حين نتلو قول ربنا (وحملناكم فى البر والبحر) أنه حملنا فى البر بعد هبوط آدم ، فلم نضع ولم نضل ، وعَلَّمنا كيف نسخر البر ، وما فيه ، وأنه حملنا فى البحر مع نوح فنجونا ، ولم نــكن من الهالــكين ولا الغارقين .

ومِمَّا يُذَكِّرنا الله به من نِعَمه أنه رزقنا من الطيبات ، رِزْقا مادِّيًّا حِسِّيًّا ، ورزقا روحيا معنويا فى الدنيا ، وفى الآخرة . رزقنا الله الإيمان والهدى ، والعلم والفهم ، ورزقنا الله الطعام الطيب ، والشراب الطيب ، وهى نعمة لا يجحد بها إلا عُمْىُ القلوب .

إن الخالق ـ ونحن جميعا مؤمنون بأنه وحده الخالق ـ يجب أن نؤمن بأنه هو الرازق ، فمن المستحيل على رحمته وحكمته وإحسانه أن يخلق ولا يرزق من خلقهم ، ولهذا نجد التعميم فى الرزق ونجد أنه على الله مكتوب ، كما كتب على نفسه الرحمة (وما مِنْ دابَّةٍ

فى الإرضِ إلاّ عَلَى اللهِ رِزْقُها ١١ : ٦) ولما طلب إبراهيم من الله سبحانه ما تتحدث عنه هذه الآية (وارْزُقْ أهْلَه من الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بالله واليومِ الآخِرِ) نجد ربنا سبحانه وتعالى يرد عليه بقوله : (قال وَمَنْ كَفَرَ ٢ : ١٢٦) وكلة دابة شاملةٌ تشمل كل ما يدب على الأرض ، فهى إذن تشمل الـكافر والمؤمن .

حمل الله الرزق من دلائل تفرده بالربوبية المطلقة المهيمنة ، والألوهية التى يسجد لها وكل كائن تدبر قول الله (إن الذين تَعْبُدُونَ من دُونِ الله لا يَمْلِكُونَ لـكم رِزْقاً ، فابْتَغُوا عند الله الرِّزْقَ ، واعْبُدُوهُ ، واشْكُرُوا له . إليه تُرْجَعُون ٢٩ : ١٧) وإذا كانوا لا يملـكون قوام الحياة ، فـكيف يكونون آلهة ، وكيف نتخذهم أربابا ؟ . وحقيقةُ أنهم « لا يملـكون رزقا » حقيقةٌ يُذْعِن لها الوجدان ، وتخنع لها الفطرة ، ويؤيدها كل واقع وتجربة وحِسٍّ وحادث ، ولا يملك حتى المشرك لها دفعا ولا تـكذيبا . فـكيف يتركون الله ، ويدعون مَنْ لا يملك لهم رزقا ؟

ثم ذكر الله منة أخرى فى قوله سبحانه : « وفضلناهم على كثير مِمَّن خلقنا تفضيلا » .

لقد بين الله سبحانه أنه كرّم الإنسان ، أى جعله كريما فى ذاته ولـكنه أبى ـ سبحانه ـ إلا أن يبين لنا منزلة الإنسان بالنسبة إلى غيره من خلق الله ، ليتجلى لنا جلالُ النعمة ، وتبرز مكانتها الرفيعة ، وتشرق علينا المعرفة الـكاملة بقيمة الإنسان ومنزلته عند خلاّقه العظيم .

فبين لنا سبحانه أنه فضل بنى آدم على كثير ممن خلقهم الله ، وقد جاء المصدر « تفضيلا » مؤكدا لفعله « فَضَّل » مما يكشف لنا عن كريم فضل الله على الإنسان وجليل برّه به ، وعظيم رعايته له .

وما ثَمّ فى الآية تـكرار قد تظنه فى ذكر « كَرَّم ، وفَضَّل » . فالأول يفيد أنه جعله فى ذاته شريفا كريما ، والثانى يفيد أنه زاد الإنسانَ على كثير من خلقه

فى التكريم . ولم يذكر الله هنا ما فضّل به الإنسانَ ، ليترك للعقل وهو ـ من أعظم الأفضال ـ مجالا لاستنباط ما فضل الله به الإنسان .

والمتأمل فى خلق الله يجد التفضيل بالعقل و بتسخير مافى السماء والأرض . تَدَبَّرْ قوله تعالى : (إن فى خَلْقِ السَّمٰوَات والأَرضِ واختِلافِ اللَّيْلِ والنهارِ لآياتٍ لِأُولِي الأَلْبابِ) .

وتدبر قولَه سبحانه (أَلم تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مافِي السَّمٰوَاتِ ، ومافِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عليكم نِعَمَهُ ظاهِرَةً وباطِنَةً ٣١ : ٢٠) .

والتفضيل بادٍ فى أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم ، فما ثم مِنْ خَلْقِ الله من فعلَ الله له ذلك .

فبنو آدم إذن قد زادهم الله هذا ، والفضل فى أصله زيادة .

وقوله تعالى « على كثير ممن خلقنا » يفيد أن الإنسان ليس أفضل من كل الخلق ، وأن هناك مِنْ خَلْقِ لله مَنْ هم أفضلُ من الإنسان .

مَنْ هُمْ أُولئك الذين يَفْضُلُون الإنسان ؟ .

لن يدفعنا الترف العقلى المفسد ، وحب الترائى بالمعرفة إلى أن نقول على الله بغير علم ، حسبنا هُدًى يكفل لنا الإيمانَ القويَّ الصحيح أن نقف دائماً عند الحدِّ الذى أمر الله ، فلا نتجاوزه ، فلربما ذَلَلْنَا ، فهلكنا . وقد عقد هنا بعض المفسرين مقارنة بين الملائكة وبنى الإنسان ، وأيهما أفضل ، وتخاصموا ، وتراشقوا بالسباب والتكفير فى هذا ، ولكنا نستعصم بهدى الله ، فلا نلقى بسلاح ما ، فى معركةٍ خاسرة كهذه . يخرها المتقاتلان ويكسبها الشيطان ! فإن الشيطان ليفرح بالجدل الذى يشقق القلوب ، ويصدِّع الأرحام ، ويقضى على المودَّات ، ويعدو باغياً على الحقِّ ، ويقرر أحكاماً بلا علم ، ولا هدى ، ولا كتاب منير . و بنو آدم متفاوتون فيما تنزعُ به قلوبُهم من شكر وحمدٍ لهذه النعم ، أو كفر وجحودٍ بها ، ولكل طائفة إمام تقتدى به ، قد يكون شيطاناً يزعم أنه قِدِّيس

أو كتاباً يزعم له مقترفه أنه روح القرآن(١) . وقد يكون رسولاً هادياً من الله ، وكتاباً مُنزّلا من عند الله .

إنه سبحانه يعد هؤلاء ، ويتوعد أولئك بقوله « يوم ندعو كل أناس بإمامهم » كل أمة يأتي معها إمامها يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً . والأمر يومئذ لله وإنها لفضيحة شائنة ، وخزيٌ مقيم ، وعذابٌ واصبٌ أن يكونَ للإنسانِ في يوم القيامة إمام ضلالة ، وقدوة جهالة .

تُرَى بِمَ يَحْتَجُّ أتباعُ « ابن عربي ؟ » أيستطيع أحدُهم أن يقول لله : ربَّنا إنك جعلت لنا ابن عربي نبياً ، وكتابه الفصوص أو الفتوحات سراجاً وضِيًّا ؟ ! .

أيستطيع اقتراف هذا الجدالِ أتباع الجيلي ، وعبدة كتابه ؟ ؟ ! .

اللهم اجعل إمامنا رسولك الكريم ، وكتابك العظيم . فمن كان إمامه الرسولَ ، وكتاب الله ، أوتي كتابَه بقوة ويُمْن . وبركة . وبيمينه . ومضى في بشر وسرور يتلو كتابه . ويتطلع في شغف ورضى إلى ماقدم بين يدي الله سبحانه لهـذا اليوم العصيب . لقد أتمّ برسول اللهِ وبهديِهِ الذي أوحِيَ إليـه ، فكانت عقيدته صواباً . وكان خلقه فاضلا ، وعمله صحيحاً ، وكان سلوكه ظاهراً وباطناً سلوكا يحبه الله سبحانه . فوجد ذلك كله في كتابه لم ينقص منه شيء .

أما سواه من أولئك الذين ائْتَمُّوا بغير رسول الله واهتدوا بغير هديه . فقد ختم الله على قلوبهم . فلم تنفتح بَعْدُ للنور . ولا للحق . وعميت بصائرهم فلم تبصر طريق النجاة . وهم الذين سَعَوْا إلى أن يكونوا عُمْياً وصُمًّا . فكان من العدل ألا يُخَيِّبَ الله لهم سَعْياً .

---

(١) زعم بعض الناس ذلك لإحياء علوم الدين للغزالي وللفتوحات لابن عربي ، وللإنسان الكامل للجيلي ، وما منها إلا صارف عن هدى القرآن وسنة رسول القرآن .

فعموا وصمُّوا . وجاء يوم القيامة . جاءوا بإمامهم . وهو عَمٍ مثلهم لا يلمح شعاعة تهديه . ولا يسمع كلمة تواسيه . لقد استبدت به غوايته وضلالته . فأعمته عن دلائل ما كان له إلا أن يراها . ولكنه أصرَّ على أن يُغلِقَ عينيه دونها . رأى المصنوع وأبى أن يؤمن بالصانع . ورأى المخلوق وأصر على أن يكفر بالخالق . فهل أفاده ما رأى ؟ إنها رؤية الذاهل . رؤية الذى يفكر فى كل شيء إلا فيما يرى . إنه لا يرى مما يَرَى شيئاً ! ! .

كان النور الساطعُ الوهَّاج يَهُزُّ عَيْنَيْهِ . ثم يؤكد بواقعيته الملعونة أنه لا يرى نورا .

كانت نعم الله تَـتْرَى ترَاوحه وتُغَادِيه . وتملأُ عَشَايَاه وأسحارَه . وهو يعطينا الدليل تلو الدليل على أنه يراها نِقَماً لا نِعَماً . وإلا لَشَكَرَ الْمُنْعِمَ بها . وكان البرهان تلو البرهان يأتيه فى واقع ملموس محسوس . على أن هذه الجثة التى يعكف على نسائها ودعائها قد بليت وحالت رميما . ولكنه يأبى إلا أن يؤكد أنه لا يرى فى القبر عظاماً . وإنما يرى ربًّا استوى على عرشه ! .

يا ويله ! ! .

ماذا سيفعل وهو لا يرى له من إمام غير أسطورة عفنة بالية .

« ومن كان فى هذه أعمى » من كان فى هذه الدنيا . أو فى شأن هذه الدلائل العظيمة التى ذُكِرَتْ من قبل فى الآية السالفة ، « فهو فى الآخرة أعمى » أى فى يوم القيامة ، أو فى غيرها من الدلائل . هذا لأن الدلائل الأولى تتعلق بذات نفسه ، فهى منه قريبٌ يُحِسها ، ويلمسها ، ويعقلها ولكنه أبى أن يقوم بشيء من هذا ، فما بالك بموقفه من الدلائل الأخرى ، تلك التى لا تصله الأسباب بها ، كما تصله بالأولى . إنه ، ولا ريب يكون أشد جحودا بها وعمى عنها ! !

فَلْيَتَّقِ اللهَ أولئك الذين يدعون الناس إلى أن يأتموا بإمام سوء وجهالةٍ وضلالةٍ .

ليذكروا أن الله سيحشرهم مع إمامهم يوم القيامة ، فليختاروا الإمامَ الذى يفخرون بالائتمام به ، وينجون بالائتمام به ، لأنه بصيرٌ بالطريق خبير ، فلن يسلك بهم إلا سواء السبيل .

أما نحن ، فنحمد الله سبحانه على أن هدانا إلى أن نأتم بالقرآن ، وبرسول القرآن صلى الله عليه وسلم ، ونضرع إلى الله أن يثبتنا على ما هدانا إليه بفضله ، فوالله ما ثَمَّ فى الدنيا نعمة تعدل نعمة الإيمان الصحيح .

(رَبَّنا لا تُزِغْ قُلوبَنَا بَعْدَ إِذْهَدَيْتَنَا ، وهَبْ لنا من لَدُنْكَ رَحْمَةً ، إنكَ أنت الوهَّاب) .

عبد الرحمن الوكيل

الهـــوى

الهوى عشق النفس وشهوتها ، وهو يكون فى مداخل الخير والشر . فإذا كانت النفس مؤمنة تقية كان هواها الخير وما يحب الله كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

وأما إذا كانت النفس لئيمة فاسقة كان هواها الشر وما يحرمه الله ، كما قال تعـالى : على لسان امرأة العزيز (إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى) .

فهوى النفس الأمارة ، شهوة جامحة ورغبة جارفة إذا لم يرشدها العقل ولم تقمعها قوة الإيمان . تعدت حدود الله وأضلت الإنسان ، فجعلته يحب ماينبغى له أن يبغضه وينغمس فيما ينبغى له أن يتجنبه ، وكان عشقاً غير مكبوح الجماح . يقتاد إلى الخسران ويبعد عن الفلاح .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أخاف عليكم الهوى وطولُ الأمل . فأما الهوى فيصد عن الحق . وأما طول الأمل فينسى الآخرة » .

فـكم صد الهوى عبده عن الحق ودفع به فى ظلمات الضلال . وكم زين له متع الحياة وبسط منه الآمال ، فهام على وجهه راتعاً فى أسوأ الأعمال (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون) .

وقد حذر الله تعالى عبده المؤمن من أن يميل به الهوى فيصده عن الحق ويبعده عن العدل فى قوله (يا أيهـا الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين. إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما . فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) .

فما يمنع المرء من التحلى بحلية التقوى والفضـائل إلا طغيان قوته البهيمية على قوته العاقلة ، ومن ملك الهوى زمامه أذله وأضله كما أكد تعالى فى قوله (ولا تتبع الهوى فيضلك

عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) .

ومن تأمل فى أسباب الفساد والهلاك وجد أن هوى النفس الأمارة أصل كل الرذائل والشرور . ومنبع كل معصية وكل فجور . فما أغرق الله تعالى قوم نوح بالطوفان إلا لاتباعهم الهوى ، وما أرسل على عاد الريح الصرصر فجعلتهم كأعجاز نخل خاوية إلا لاتباعهم الهوى . وما دمر على قوم لوط فخسف بهم الأرض وجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حاصباً من النار إلا لاتباعهم الهوى . وما أغرق فرعون وقومه وجعله نكالا وعبرة لمن خلفه إلا لاتباعهم الهوى . وما لعن بنى إسرائيل وضرب عليهم الذلة والمسكنة وشتت شملهم فى الأرض إلا لاتباعهم الهوى .

فما أزاغ الناس عن الصراط المستقيم وحال بينهم وبين هداية المرسلين ، إلا غلبة الهوى على عقولهم وسيطرته على إرادتهم كما أكد تعالى فى قوله (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لايهدى القوم الظالمين) نعم وصدق الله العظيم .

من أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟ ؟ فسيطر على سمعه وبصره وقلبه وكل قواه . وأمسك بزمامه وقيده وسلب نهاه . فأفرط فيما يهواه وفرط فى جنب الله (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) .

انظروا أيها الناس إلى تحكم الهوى ونفوذه على الإنسان . انظروا كيف أصمه وأعماه وأغراه بالعصيان . وكيف استعبده وأفسده وأبعده عن رحمة الرحمن . فما أشد أذى وأقوى سطوة هذا الشيطان .

أليس هذا الشيطان هو الذى يدفع بالمرء إلى المقامرة حتى يفقد ثروته ، ويدفع به إلى شرب الخمر حتى يفقد عقله وصحته ، ويدفع به إلى الفحشاء والمنكر حتى يفقد كرامته . ويدفع به إلى الإفراط فى كل شهوة حتى يفقد راحته . إن المقامر لايبالى بتعب السهر إلى الصباح فى سبيل لذة الربح الموهوم ويظل منكباً على المائدة الخضراء ليربح ماخسر

أو ليخسر ماربح ، فيخاطر بثروته و يعرضها للتبديد ، بل ربما امتدت يده إذا خلت إلى مال غيره و إلى ما ائتمن عليه . فيسوقه شيطان الهوى إلى الفقر وذل الدين والإفلاس . بل إلى ذل السجن وخزى الخيانة والاختلاس .

وكذلك السكير لا يبالى بأن يفقد نقوده وصحته وعقله واحترامه فى سبيل لذته الحقيرة . فلا يكف عن شرب الخمر مهما ساءت حاله الصحية والمالية والعقلية . فكم سبب شرب الخمر الفقر والجنون كما سبب التهاباً فى الكبد أو قرحة فى المعدة وأمراضاً شتى . و بالرغم من نصح الطبيب له وتحذيره من الخطر ظل السكير خاضعاً لشيطان هواه راضياً عن أذاه حتى حضره الموت وهو يحتضن زجاجة الخمر و يرتشف من سمها وهو فى حالة النزع .

وكذلك الفاجر الفاسق لا يكف عن الانغماس فى ملذاته حتى يفنى شبابه وقوته . فيغضب ربه و يحرم رحمته ، ليرضى هواه و يشبع شهوته .

وكم كان المال شيطاناً للهوى ، إذا كثر فى يد المرء أضله . وإذا ذهب من يده أذله . وإذا أقبل عليه تكالب على جمعه . وكلما زاد فى يده زاد فى جشعه . فلقد سيطر شيطان هوى المال على بعض الناس حتى أنهم قدموا لذة جمعه وادخاره واستثماره على كل لذة فى الوجود . و بدل أن يكون سبب لذتهم وراحتهم كان سبب حرمانهم وتعبهم . بل كم كان سبب شقائهم وعذابهم . كما كان فى الآخرة سبب عقابهم . إذ تناسوا من أجل حبه حقوق ربهم . وما أصدق قوله تعالى (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) .

وكم كانت الأولاد هوى كالأموال . وأكبر شيطان يسوق إلى الضلال والإضلال . فالأب الهوائى الجاهل الذى أعمته الأنانية . قد يرتكب من أجل مصلحة ولده كل معصية ، ولا يبالى بأن يغضب ربه ليرضيه ، ولا يربأ بنفسه أن يغتصب حقاً ليثريه . بل لا يتورع أن يظلم بريئاً لينجيه .

وهذه الأم التى يعميها حبها عن نقائص ولدها وعيوبه ، و يثنيها حدبها أن تردعه عن ذنوبه ، فلا تسعى لتعيده إلى صوابه ، إذ لا تجسر على عقابه ، ولا تطيق ألم إغضابه .

وما أصدق قوله تعالى : (أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) .

أما شيطان هوى التبرج : فإنه يجرد المرأة من الحياء والتقوى . فترضى بالخروج على آداب القرآن وهى تفهم . وتصر على عصيان أوامر الله وهى تعلم . وتكشف عما يزرى باحترامها ولا تتألم . وترضخ لقسوة أوامر هذا الشيطان ولا تتظلم . بل تكرس لرضاه نصف عمرها ولا تتبرم . إنها تقدس أمره وتقدمه على أمر الله . وتعتبره أهم وأقدس شىء فى الحياة . فما أصدق وصفه تعالى لمن اتبع هواه . بأنه عبده واتخذه إلهاً من دون الله (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) .

دعاهم هواهم فأطاعوه . وملك سلطانه قلوبهم فعبدوه ، وأصم آذانهم عن وعيد الله فلم يسمعوه . وأعمى بصائرهم عن آياته فلم يقدروه . فالويل لمن اتخذ هواه إلهاً يعبده . واستسلم له يكبله ويقيده . ويقوده كما شاء ويقيمه ويقعده . فيقصيه ويلهيه عما يسعده ، ويصمه ويعميه عما يتهدده . (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء) .

فما من نقيصة ولا جريمة إلا وكان الهوى متخفياً وراء سترها . وما من خلاف أو شقاق عميق إلا وكان الهوى رابضاً خلف أسبابه الظاهرة . وما أصدق قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إذا رأيت شحاً مطاعا وهوى متبعاً وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك » .

أى لا فائدة ولا ثمرة لنصح وإرشاد من كانت فيهم هذه الصفات الذميمة لأنها تدل على سيطرة الهوى على البصيرة ، ولذلك يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين . وما أنت بهادى العمى عن

ضلالتهم إن تسمعُ إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) وقال (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) .

يؤكد تعالى أن إرشاد و إقناع عبد هواه من المحال ، وأنه يأبى إلا أن يظل فى ظلمات الضلال . ولا يبالى بشر عواقب مايعمل من أعمال . بل تتقاذفه ملذاته ذات اليمين وذات الشمال . كالريشة فى مهب الريح لاتستقر ولا تثبت على حال . فالنفس العابدة لهواها تنفذ أمره ولو أهلكها . كالفراشة تعشق اللهب ولو أحرقها .

فاحذر أيها العاقل هواك ولا تعط نفسك مناها . إذا كان الشر فى هواها . قال بزرجمهر : لم أجد عدوا أعدى لى من نفسى . فإن أحدا لايستطيع أن يصيبك بعذاب مستديم . ولا يمكنه أن ينالك بضرر جسيم . أما هوى نفسك فهو الذى يستطيع أن يحرمك النعيم . وأن يذيقك العذاب الأليم فى قرار الجحيم . فاتقه واحذر شره . وحاربه ولاتطع أمره . فالانتصار على الهوى أعظم شجاعة . وقهر النفس الأمارة تقوى وطاعة . وقوة إيمان وعفة وقناعة .

فمن قوى إيمانه قويت إرادته فغلب هواه وقمعه . ومن ضعف إيمانه خارت عزيمته فرضخ لأمره واتبعه .

قال تعالى :

[فإذا جاءت الطامة الكبرى . يوم يتذكر الإنسان ماسعى . وبرزت الجحيم لمن يرى . فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى] .

صدق الله العظيم

المرحوم الدكتور محمد رضا
رحمه الله

مختـــارات

المحبـــــــة(١)

الامام الجليل « ابن قَيِّم الجوزية »

هى المنزلة التى فيها تنافس المتنافسون ، و إليها شخص العاملون ، وعليها تفانى المحبون ، و بروح نسيمها تروح العابدون ، فهى قوت القلوب ، وغذاء الأرواح ، وقرة العيون ، وهى روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التى متى خلت منها ، فهى كالجسد الذى لا روح فيه

لما كثر المدعون المحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى ، فتنوع المدعون ، فقيل : لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة (قل : إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ٣ : ٣١) فتأخر الخلق كلهم ، وثبت أتباع الحبيب فى أفعاله وأقواله وأخلاقه ، فطولبوا بعدالة البينة

---

(١) نهدى هذا المقال إلى الذين يتهموننا بأننا لا نعرف الحب ، ولا نحسن الكلام عن الحب ، وسيرون فيما كتب الإمام ابن القيم الذى نحبه فى الله مايثبت لهم أن المؤمنين هم الذين يعرفون الحب ، ويحسنون الكلام عن الحب .

أما مايسميه الصوفية حباً ، فليس له من صلة بالحب الذى يعرفه المؤمنون ، وتفيض به قلوب المؤمنين ، إن الحب الصوفى شهوة عاشقة ، أو هو كذب منافق ، ولهذا تراه يتعلق بالماديات ، لا بالروحانيات . تراه يتعلق بجسد الولى ، أو ثيابه ، أو يده ، أو قبره ، فيصبح الجسد مكان التقبيل ، والثوب مناط التمسح ، واليد مكان اللثم ، والقبر مطافاً وكعبة ! .

حتى حب رابعة فى كذبه ولعنته . إنها تخاطب الله ، وكأنما تخاطب عاشقاً لا خالقاً ، فتقول له أريدك أنت لا أرجو ثوابك ، ولا أخاف عقابك ، وحين طافت حول الكعبة تأففت ، ثم قالت . لم يبق مايحول بينى وبينك إلا هذا الصنم المعبود فى الأرض ! ! .

ماذا قدمت رابعة لدين الله ؟ .

لم تقدم سوى أشعار عشق وغزل لا يعرفه مسلم صادق ، وإنى لأرجو من يدافع عن رابعة أن يدلنى مشكوراً على خير واحد قدمته للاسلام وللمسلمين ! ! .

بتزكية : (يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ٥ : ٥٤) فتأخر أكثر المحبين ، وقام المجاهدون ، فقيل لهم : إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم . فهلموا إلى بيعة (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ، وأموالهم بأن لهم الجنة ٩ : ١١) فلما عرفوا عظمة المشترى ، وفضل الثمن ، وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع[1] . عرفوا قدر السلعة ، وأن لها شأنا ، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس[2] ، فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضى من غير ثبوت خيار ، وقالوا . والله لا نقيلك ، ولا نستقيلك ، فلما تم العقد وسلموا المبيع ، قيل لهم : مذ صارت نفوسكم ، وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت ، وأضعافها (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ٣ : ١٦٩ ، ١٧٠) .

الأسباب الجالبة للمحبة : وقد ذكر الإمام الجليل الأسباب التى تجلب المحبة ، ونحن نلخصها عنه فيما يلى .

أحدها : قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه . الثانى : التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض . الثالث : دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال . الرابع : إيثار محاب الله على محابك عند غلبات الهوى . الخامس : مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ، وتقلبه فى رياض هذه المعرفة ومباديها . السادس : مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الباطنة والظاهرة . السابع : وهو من أعجبها ـ انكسار القلب بكليته بين يدى الله تعالى . الثامن : التهجد بالليل لمناجاته وتلاوة كلامه ، والوقفة بالقلب ، والتأدب بأدب العبودية بين يديه .

---

(١) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) كلمة دقيقة رائعة من ابن القيم تكشف عن حكمة المؤمنين وجهالة وسفه غير المؤمنين ، فالأولون باعوا نفوسهم لله وحده بثمن عظيم يملكه من اشترى ، والآخرون باعوا نفوسهم لغير الله بثمن بخس نجس ، هو فى حقيقته وهم كبير ، فالذين يحبون رابعة العدوية مثلا ، أو البدوى ، أو الدسوقى ، ويعبرون عن هذا الحب بأقوال يمقتها الله ، وأفعال يبغضها الله ! ترى هل تملك رابعة أو البدوى الثمن ؟ !

التاسع : مجالسة المحبين الصادقين . العاشر : مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل .

علامات المحبة : واستنبط الإمام الجليل من القرآن علامات المحبة ، فقال باختصار :

أحدها : أنهم « أذلة على المؤمنين » قيل معناه : أرقاء رحماء مشفقين عليهم عاطفين عليهم . قال عطاء : للمؤمنين كالولد لوالده ، والعبد لسيده .

الثانى « أعزة على الكافرين » أى على الكافرين كالأسد على فريسته (أشداء على الكفار رحماء بينهم ٤٨ : ٢٩) .

الثالثة : الجهاد فى سبيل الله بالنفس واليد اللسان ، والمال ، وذلك تحقيق دعوى المحبة .

الرابعة : أنهم لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، وهذا علامة صحة المحبة ، فكل محب يأخذه اللوم عن محبوبه ، فليس بمحب على الحقيقة[١] .

دعاء الحب : ويقول الإمام أيضاً فى كتابه روضة المحبين [٢] :

من أفضل ماسئل الله عز وجل ـ حبه ، وحب من يحبه وحب عمل يقرب إلى حبه ، ومن أجمع ذلك أن يقول :

« اللهم إنى أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنى إلى حبك .

اللهم مارزقتنى مما أحب ، فاجعله قوة لى فيما تحب ، وما زويت عنى مما أحب ، فاجعله فراغاً لى فيما تحب .

اللهم اجعل حبك أحب إلى من أهلى ومالى ، ومن الماء البارد على الظمأ .

اللهم حببنى إليك ، وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك ، وعبادك الصالحين ، واجعلنى ممن يحبك ، ويحب ملائكتك وأنبياءك ورسلك ، وعبادك الصالحين .

اللهم أحى قلبى بحبك ، واجعلنى لك كما تحب .

اللهم اجعلنى أحبك بقلبى كله ، وأرضيك بجهدى كله .

اللهم اجعل حبى كله لك ، وسعيى كله فى مرضاتك » .

---

(١) نقلا عن مدارج السالكين منزلة المحبة (٢) ص ٤٤٥ ط ١ .

بماذا يتعلق الحب ؟ : يقول الإمام ابن القيم : « إن القلوب مفطورة على محبة الكمال ومن قام به ، والله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق من كل وجه الذى لا نقص فيه بوجه ما ، وهو سبحانه الجميل الذى لا أجمل منه ، ومن أسمائه الحسنى الجميل ، ومن أحق بالجمال ممن كل جمال فى الوجود ، فهو من آثار صنعه ، فله جمال الذات وجمال الأوصاف ، وجمال الأفعال ، وجمال الأسماء ، فأسماؤه كلها حسنى ، وصفاته كلها كمال ، وأفعاله كلها جميلة » .

« الهدى النبوى » انتهى ماأردنا نقله عن الإمام الجليل ابن القيم ، ولعل الذين يتهمون أنصار السنة بأنهم لا يعرفون الحب ، يراجعون أنفسهم ، لأن أنصار السنة يرون حب الله أصل توحيده وعبادته ، والحب له سبحانه سبيل مرضاته ، وحبه .

---

١٠ - نظرات فى التصوف

« تعقيب على أوراد الصوفية »

« إننا نمقت التصوف ؟؟

فبيننا و بينه ثأر قديم !!

فقد سلب منا ذات يوم أشرف ما مَنّ الله به علينا .

سلب منا العقل . فالتصوف خرافات مجنونة .

سلب منا الكرامة والحرية ؛ فالتصوف ذل للطواغيت ، وصغار مشين لشهوات الكهنة !!

سلب منا الإيمان ؛ فالتصوف وثنية حمقاء ، ومجوسية رعناء !!

وفى هـذه المقالات نحاول أن نثأر للضحايا من هذا الطاغوت الأحمق المجنون ، طاغوت التصوف ، وأن نحول بين الآخرين و بين أن يصبحوا قرابين ملعونة على مذابح التصوف النجسة الرهيبة » . عبدالرحمن الوكيل

* * *

عود على بدء : نقلت لك بعض أدعية الصوفية وأورادهم وصلواتهم على أسطورتهم التى يسمونها « الحقيقة المحمدية » . ومحمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم برىء من هـذه الأسطورة . وفى هذا المقال تعقيب على أدعيتهم وصلواتهم .

من هدى القرآن . يقول سبحانه : (قل : إن هدى الله هو الهـدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ، مالك من الله من ولىٍّ ، ولا نصير) .

وفى نور هذا الهدى الإلهى أقول : إن الله سبحانه علمنا كيف ندعوه ، حتى لانزيغ فنهلك . تدبَّر كيف تدارك برحمته أبوينا الأولين آدم وزوجه ، فعلمهما : كيف يستغفرانه

ويتوبان إليه (فتلقى آدم من ربه كلمات ، فتاب عليه ، إنه هو التواب الرحيم) وكانت هذه الكلمات : (ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا : لنكونن من الخاسرين) .

ثم تدبر هذه الأدعية القرآنية (ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم ، فآمنا . ربنا : فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار . ربنا ، وآتنا ماوعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) .

(ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وقِنا عذاب النار) .

(فاطر السموات والأرض ، أنت وَلِيِّ فى الدنيا والآخرة ، توفني مسلماً ، وألحقنى بالصالحين) . (رب هَبْ لى حكماً ، وألحقنى بالصالحين ، واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، واجعلنى من ورثة جنة النعيم) .

هذا هَدْى القرآن الكريم فى الدعاء ، وبعض هذا الدعاء أوحاه الله إلى أرواح النبوات الطهور ، لتخشع به بين يديه .

ولن أسوم النور والحق والإيمان بغياً ، فأطلب منك أن تقارن بين دعاء هو قَبَسٌ من وحى الرحمن ، وبين هراء هو دنس من وثنية الشيطان !!

ولكنى أسائل مفاليك الصوفية ، ألا يزالون مصرين على أن صريح الضلالة خير من صريح الهدى ؟!

هدى الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم : لم يكن يعرف أصحاب الرسول كيف يصلون عليه ، فأوحى الله إلى رسوله ، فعلمهم هذه الصلاة : « اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك ، كما صليت على إبراهيم . وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم » . وقد ورد لها صيغ أخرى لا تختلف إلا قليلا عن هذه الصيغة .

وقد عد الإمام الجليل ابن القيم أكثر من أربعين صحابياً رووا أحاديث الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحسبك ، أن يكون منهم أبو بكر وعمر وعلى .

فهل يزن « ابن بشيش » مقدار فتيل من شِسْعِ نعل أبى بكر ؟ وهل فى هذه الصلاة الطيبة الموصولة بهدْى النبوة غموض أو إبهام ، أو لجاجة باطل ، أو قلق ريبة .

مافيها إلا هدًى ، و إشراق روحانية ، وجمال سكينة ، وجلال يقين .

فلماذا يرغب بعض الناس عن الطيب إلى الخبيث ، أو عن صفاء النور ، إلى جهامة الظلام ؟

معنى الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم : « روى البخارى فى صحيحه عن أبى العالية أن صلاة الله على الرسول ثناؤه عليه عند الملائكة » .

ويقول الإمام ابن القيم : « الصلاة المأمور بها هى الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته ، وهى ثناء عليه ، و إظهار لفضله وشرفه ، و إرادة تكريمه وتقريبه فهى تتضمن الخبر والطلب » .

وسمِّى هذا السؤال والدعاء منا نحن صلاة عليه لوجهين .

أحدهما : أنه يتضمن ثناء المصلَّى عليه ، والإشادة بذكر شرفه وفضله ، والإرادة والمحبة كذلك من الله تعالى ، فقد تضمنت الخبر والطلب .

الوجه الثانى : أن ذلك مسمى منا صلاة لسؤالنا من الله أن يصلى عليه ، فصلاة الله عليه ثناؤه و إرادته لرفع ذكره وتقريبه . وصلاتنا نحن عليه سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به » .

فهل فى أوراد الصوفية لمحة من هذا النور ، أو نفحة من هذا العبير ؟ إنما فيها السباب الفاجر ، والبغى الجائر . والتوجه إلى الله أن يجعل من نفسه عبداً لبعض خلقه !! أو أن يكون هو عين خلقه .

لقد أبى الذين افتروا تلك الأوراد إلا أن تظل قلوبهم فى أكنة مما يدعوهم الله إليه !! وأبوا إلا أن يظل اتباعهم فى مثل حالهم ، حتى لا يستروحوا روحانية الإيمان ، وليظلوا أسارى الباطل الكنود ، والحقد المنكود ، ألِدَّاء العداوة للنور والحق والحياة !!

وليحملوا عن شيوخهم عبء الصراع ضد الإيمان فى عماية الحماقة والأضغان ،

أما الشيوخ !! أما الطواغيت !! أما هؤلاء الذين يجحدون على الله أنه الخالق ، وأنه القوى !! اما هم فعلى حِفافَىْ الأرائك ينفثون من مشافرهم دخان « الشيشة » !! تاركين « الدراويش » للجهل ، وللفقر ، وللقتال ضد الحق !!

سؤال وجوابه : وقد يسأل سائل : ألم نجد الصوفية غير هذه الأوراد التي هي أمشاج من عواء الكفر ، ونباح الوثنية ، ونعيب المجوسية ؟

وأقول : بلى وجدت لهم أوراداً أخرى فيها خير قليل ، وشر كثير كبير ، كومضة البرق لاتلبث أن تختنق تحت ركام من الغيوم والظلمات .

والورد الصوفى الخَلِيُّ من ألفاظ الكفر مَقيتٌ عند أهله ، مهجور منهم ؛ لأنه يدل على « سطحية » فى التصوف ، وعلى أن صاحبه لم يتمرس بعد بحقد العداوة للإسلام .

ولهذا ترى ألسنة « الدراويش » لاتلوك إلا الأوراد التى نفثها كفر الشيطان ، وهم فى النَّشَوَاتِ السواحر الفواجر .

ثم إن هذا الورد « البشيشى أو المشيشى » أنشودة الوَلَه عند طوائف الصوفية جميعاً ، وترانيم العشق عندهم على اختلاف منابتهم ومنازعهم ومشاربهم !!

ودعنى أسأل : أيحسب مسلماً من يكرر الشهادتين مائة مرة ، ويملأ العشايا بالتهجد ، حتى إذا تخلل السحر سريرة الليل راح ينبح بقوله « اللهم انشلنى من أوحال التوحيد ؟ » .

أيحسب مسلماً من يؤمن وجه النهار ، ويكفر آخره .

ودعنى أسأل أيضاً : أليست تلاوة القرآن مع التدبر أعظم ورد تضرع به روح المؤمن ؟ أما فى القرآن والسنة من أدعية وصلوات فياضة بأعظم معانى الإيمان ؟

فلماذا نهجر الخير العظيم ، لنتمرغ فى خطايا الشر الكبير ؟

لِيَقُلْها الصوفيون صراحة بعيداً عن هذه المداهنة المقيتة والرياء الممجوج : إنهم لايحبون القرآن !!

لماذا ؟ لأنه حق ! ولأنه غير صوفى !!

عبد الرحمن الوكيل

٥ - نواقض الاسلام

الثالث من نواقض الإسلام الذبح لغير الله ، لأنه عبادة كالصلاة ، وصرفها لغير الله شرك ، والذبيحة محرمة ، والذابح مشرك ، ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وإليك الآيات القرآنية الصريحة فى ذلك .

قال الله تعالى (٦ : ١٢١ ـ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) وقال الله تعالى (٦ : ١٦١ ، ١٦٢ ـ قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . قل إنى صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

وقال الله تعالى (١٠٨ : ٢ ـ فصل لربك وانحر) .

وقال الله تعالى (٢ : ١٧٢ ، ١٧٣ ـ يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ، وإنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) وقال الله تعالى (٥ : ٣ ـ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) وقال الله تعالى (٦ : ١٤٥ ـ قل لا أجد فى ما أوحى إلىّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس ، أو فسقاً أهل لغير الله به) وقال لله تعالى (١٦ : ١١٤ ، ١١٥ ـ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن أضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور الرحيم) .

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون . والإهلال فى الأصل هو رفع الصوت عند رؤية الهلال ثم استعمل فى رفع الصوت مطلقا ومنه إهلال الصبى ، والإهلال بالحج .

وكانوا فى الجاهلية إذا أرادوا ذبح ما قربوه إلى أوليائهم سموا عليها أسماءها كاللات والعزى ومناة ورفعوا بها أصواتهم .

والمراد بما أهل به لغير الله ما ذكر على ذبحه غير إسم الله تعالى من أسماء المخلوقات كائنا من كان وما أعلن أنه منذور به لغير الله وكذلك كل طعام يصنع ليوزع على العاكفين عند القبور باسمها وعلى بركتها هو بما أهل به لغير الله . فلو ذبح إنسان لغير الله متقرباً إليه فذبحيته محرمة وإن قال فيه باسم الله ، لأنها مما أهل به لغير الله ولأنها ذبيحة مرتد وتسميته اللفظية لاغية والعبرة بالإهلال الحقيقى بما أنطوى عليه من قصد التقرب به لغير الله كما يفعله الذين يتقربون إلى الكواكب والجن بالذبح والبخور ونحو ذلك باسم الزار وإخراج الجن المتلبس بالأنس بزعمهم ، ويدقون لذلك الطبول ولهذا ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه نهى عن ذبائح الجن » .

وقال الزمخشرى فى شرح ذلك : كانوا إذا إشتروا داراً أو بنوها أو استخرجوا عيناً ذبحوا ذبيحة خوفاً أن تصيبهم الجن فاضيفت إليهم الذبائح لذلك .

وهاك أيها الأخ المسلم بعضا من الأحاديث الصحيحة التى صرح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم على أن الذابح لغير الله ملعون ومصيره إلى النار .

عن على رضى الله عنه قال . حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات : « لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثاً ، لعن الله من غير منار الأرض » رواه مسلم .

عن طارق بن شهاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دخل الجنة رجل فى ذباب ، ودخل النار رجل فى ذباب ، قالوا : وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال :

مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً . فقالوا لأحدهما : قرب ، قال : ليس عندى شىء أقرب ، قالوا له : قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار . وقالوا للآخر : قرب ، فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون

الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة » رواه الإمام أحمد . فإذا كان هذا فيمن قرب لاصنم ذباباً فكيف بمن يستسمن الإبل والبقر والغنم ليتقرب بنحرها وذبحها لمن كان يعبده من دون الله ؟

وقد قال الله تعالى (٦٦ : ٦ ـ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه » رواه مسلم . وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار » رواه مسلم . هذه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحىٌ يوحى . قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) وقال الله تعالى (٢٤ : ٦٣ ـ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .

وقال الله تعالى (٨ : ٢٤ ـ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) وقال الله تعالى (للذين استجابوا لربهم الحسنى ، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به ، أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد) وقال الله تعالى (٤ : ٦٩ ـ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

الحديث موصول إن شاء الله

نور الدين على الصومالى

المرأة .. والوظائف العامة

بباب « هذا رأيى » نشرت صحيفة الجمهورية يوم ٢١/٦/١٩٦١ كلمة للأستاذ حافظ محمود ، يعارض فيها الذين يقولون إن المرأة أقل إنتاجاً من الرجل فى الوظيفة الحكومية ، ويلقى مسئولية قلة إنتاجها على عاتق رؤسائها .

يريد الأستاذ حافظ محمود بهذا الرأى أن يخالف الواقع الملموس ، فإن المرأة ماخلقت إلا لتدبر المنزل وترعى فيه شئون أولادها وزوجها .. ثم إن التجارب قد دلت على أن المرأة أقل إنتاجاً فى الميدان الذى خصص له الرجال .

وليتفضل السيد حافظ بقراءة التقرير الذى وضعه السيد رئيس ديوان الموظفين عن مدى نشاط المرأة ، يقول التقرير[1] : « إن الموظفة عند أول تعيينها تكون أكثر نشاطا وأكثر إنتاجا ، لكن لا نزاع أيضاً فى أنها بمجرد زواجها واضطلاعها بمسئولية البيت يقل نشاطها فى العمل إلى حد كبير . وفى رأيى أن النسبة تصل من ١٠٠ ٪ إلى ٢٥ ٪ ، وقد لمست بنفسى إحجام بعض الوزارات عن تعيين المرأة ، وقد يرجع هذا إلى طبيعة الأعمال التى تتطلبها الوظيفة » .

ونحن نعتقد أن السيد حافظ سيبادر بالاقتناع بهذا التقرير الذى صدر بعد تجربة وفهم ومعرفة ..

* * *

تنظيم الأزهـــــر

نشرت صحيفة الجمهورية يوم ٢٣/٦/١٩٦١ أن مجلس الأمة قد وافق على قانون بإعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها .

---

(١) نشر هذا التقرير بأهرام ١٧/٣/١٩٦١

•• نرجو أن يُخرِج هـذا القانون الأزهرَ من الجمود الذى أعيا المصلحين من رجاله طوال السنين الماضية فتختفى من عالمه الكتب الصفراء والمؤلفات الجوفاء التى سممت عقول الطلاب وأخرجت كثيراً منهم ولا يحملون فى أدمغتهم سوى التقليد البغيض والحرص على كل بدعة وخرافة .

إننا نأمل أن يتجه التنظيم الجديد بالأزهر إلى مناهل الإسلام العذبة فيدرس لطلابه العلم النافع ليخرج لنا رجالاً ينشرون الدين الإسلامى الصحيح فى البلاد التى يتوق أهلها إلى معرفة الإسلام ، كما نأمل كذلك أن يحتفظ الأزهر بطابعه الدينى وصبغته الإسلامية فى ظل التنظيم الجديد ليؤدى واجبه كما يريد الإسلام .

* * *

كيف نحمى أبناءنا من الانحراف

جاء فى مجلة « صباح الخير » يوم ٢٣/٦/١٩٦١ إن مركز خدمة الهرم سيقيم ندوة موضوعها « كيف نحمى أبناءنا من الانحراف » وستشترك فيها الأمهات فقط .

•• لقد سبقت هـذه الندوة اجتماعات وندوات كثيرة لبحث وسائل حماية النشء من الانحراف ، ولكنها لم تفعل شيئاً مفيداً ـ مع الأسف ـ ونصيحتنا لهؤلاء إن أرادوا حلاً حاسماً نافعاً أن يطالبوا المسئولين بمنع عرض الأفلام الجنسية الماجنة بدور السينما ، وعدم التصريح بظهور الكتب الرخيصة التافهة . وأن لا يلقوا هم حبل أولادهم على غاربهم وعدم السماح لهم بارتداء الأزياء الخليعة التى يقلدون فيها ممثلى الأفلام الداعرة ، وصيانتهم من الحياة العابثة التى يعيشون فيها . . نقول نصيحتنا لهؤلاء الأمهات . . ومن قبلهن « الآباء » أن يعملوا للقضاء على كل هـذه المهلكات إن أرادوا لنشئهم إصلاحا وإلا كانوا جميعاً « كالنافخ فى قربة مقطوعة » .

* * *

الشيوعية والرأسمالية

ذكرت مجلة « صباح الخير » يوم ٢٣/٦/١٩٦١ فى خبر لها : أن كاتباً إمريكياً ألف

كتابا باسم « الإنسان عند كارل ماركس » ومما قاله الكاتب : أن ماركس كان يرى أن الرأسمالية حولت العمل الإنسانى إلى « عبودية ورق » .

•• لايوجد نظام على وجه الأرض يهدر كرامة الإنسان ويسلب حريته وحقوقه الفردية ويجعله عبداً ذليلا مثل النظام الشيوعى الماركسى اللعين .

فالشيوعية تخدع الفرد ببريق الاشتراكية الزائفة . فإذا ما آمن بها ، واعتنق مبادئها أذاقته كئوس العبودية والسخرة ، وسلبت حقوقه الفردية ، فهو فى ظل النظام الشيوعى يعمل ولا يملك ، ويشقى ولا يجنى ثمرة شقائه وتعبه . ونحن هنا لاندافع عن الرأسمالية التى يتهمها ماركس باستعباد الإنسان . ولكننا نريد أن نقول له بأن الشيوعية لاتعمل فى صالح الإنسانية ، ولا تحترم للإنسان حقوقه وآدميته ، ولا تعترف بكيانه ووجوده .

* * *

خلفاء السيد البدوى

بباب « كل الناس » نشرت جريدة المساء يوم ١٩٦١/٦/٢٤ أن السيد وزير الأوقاف استثنى خلفاء مقام البدوى من أحكام اللائحة التنفيذية لصناديق النذور فى المساجد والأضرحة ، وإنهم سيحصلون على نصيبهم من النذور طوال مدة حياتهم .

•• أليس من الصواب ، ونحن فى وقت يتطالب من كل فرد فى المجتمع أن يسعى ويعمل — أن ندع خلفاء البدوى وغيرهم من طبقة تنابلة الصوفية الخاملين يضربون فى الأرض ليبتغوا من فضل الله كبقية عباده العاملين ؟ ! .

أليس من الصواب أن تنزع صناديق النذور من ضريح البدوى وغيره لنوفر آلاف الجنيهات التى يدفعها المساكين والفقراء لإعتقادات وهمية طاغية حتى لايأخذها هؤلاء التنابلة الذين تخلفوا عن ركب العمل والإنتاج ورضوا بهذه الحياة الخامله الناعمة ؟ ! .

ثم ماهو سر تمييز خلفاء البدوى عن بقية إخوانهم « التنابلة » باستثنائهم من اللائحة وإغداق أموال السحت عليهم . . بل وما هى المكانة التى كان يحظى بها البدوى نفسه فى المجتمع الإسلامى الواعى ، وما هى خدماته التى قدمها المسلمين حتى نكرم خلفاءه ونعظم شأنهم ، ونزيد من خمولهم وكسلهم . وندعهم يعيشون عالة على المجتمع طوال حياتهم ؟ ! .

سعد صادق محمد

من تاريخ الفرق

نجمت بين المسلمين عدة فرق كان لها خطر كبير أو شأن معروف فى تحطيم قوى المسلمين ، وقد عمد الكثير منها إلى صرف المسلمين عن الكتاب والسنة بما بثت من بدع وخرافات . وقد أردنا فى هذا الباب التعريف ببعض هذه الفرق فقد يكون من القراء الكرام من لا يعرف . وللرازى كتاب مختصر سماه « اعتقادات فرق المسلمين[1] والمشركين » وقد رأينا النقل عنه لاختصاره ، ولوفائه بحق المعرفة فى هذا الأمر .

* * *

الباب الأول فى شرح فرق المعتزلة : « أعلم أن المعتزله كلهم متفقون على نفى صفات الله تعالى من العلم والقدرة ، وعلى أن القرآن محدث ومخلوق ، وأن الله تعالى ليس خالقا لأفعال العبد .

لم سموا معتزلة : كان واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد[2] من تلامذة الحسن البصرى . ولما أحدثا مذهبا : وهو أن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر ، اعتزلا حلقة الحسن البصرى ، وجلسا ناحية فى المسجد ، فقال الناس : إنهما اعتزلا حلقة الحسن البصرى ، فسموا :

---

(١) الكتاب مطبوع سنة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٨ م بتحقيق الدكتور على سامى النشار ، وتقديم الشيخ مصطفى عبد الرازق .

(٢) عن واصل وعمرو انتشر الاعتزال بالبصرة ، وقد توفى الأول سنة ١٣٠ هـ وتوفى الثانى سنة ١٤٢ هـ

معتزلة[١] ، لذلك قال القاضي عبد الجبار ، وهو رئيس المعتزلة : كل ما ورد فى القرآن من لفظ الاعتزال ، فإن المراد منه الاعتزال عن الباطل ، فعلم أن اسم الاعتزال مدح ، وهذا فاسد لقوله تعالى : (فإن لم تؤمنوا لى ، فاعتزلون) فإن المراد من هـذا الاعتزال هو الـكفر » .

« فى العدد القادم ـ بإذن الله ـ فرق المعتزلة »

(الهدى النبوى)

---

(١) يقول الإمام الجليل ابن تيمية . «كانت الخوارج قد تـكلموا فى تـكفير أهل الذنوب من أهل القبلة ، وقالوا : إنهم كفار مخلدون فى النار ، فخاض الناس فى ذلك وخاض فى ذلك القدرية بعد موت الحسن البصرى ، فقال عمرو بن عبيد وأصحابه : لا هم مسلمون ، ولا كفار. بل لهم منزلة بين المنزلتين ، وهم مخلدون فى النار . فوافقوا الخوارج على أنهم مخلدون وعلى أنه ليس معهم من الإسلام والإيمان شىء ، ولـكن لم يسموهم كفارا ، واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصرى . فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن ثم يقول ، « لهم محاسن كثيرة يترجحون على الخوارج والروافض ، وهم قصدهم إثبات توحيد الله ورحمته وحكمته وصدقه وطاعته ، وأصولهم الخمس عن هذه الصفات الخمس لـكنهم غلطوا فى بعض ما قالوه فى كل واحد من أصولهم الخمس ، فجعلوا من التوحيد نفى الصفات ، وإنـكار الرؤية ، والقول بأن القرآن مخلوق ، وجعلوا من العدل أنه لايشاء ما يكون ، ويكون مالايشاء وأنه لم يخلق أفعال العباد ، فنفوا قدرته ومشيئته وخلقه ؛ لإثبات العدل وجعلوا من الرحمة نفى أمور خلقها ؛ لم يعرفوا ما فيها من الحـكمة وكذلك هم والخوارج قالوا بإنفاذ الوعيد ؛ ليثبتوا أن الرب صادق لا يكذب إذ كان عندهم قد أخبر بالوعيد العام ، فمتى لم يقل بذلك لزم كذبه ، وغلطوا فى فهم الوعيد ، وكذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر بالسيف ، قصدوا به طاعة الله ورسوله » .

انظر حـ ١ من مجموعة الرسائل الـكبرى ص ٢٧ ، ٧٥

أسباب البدع ومضارها

لإمام المسلمين الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث الصحيحة تدور كلها حول التحذير من الابتداع . ومن أشهر تلك الأحاديث : « من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد » وترجع البدعة فى واقعها إلى اختراع عبادة لم تكن معروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد بها نقل صحيح ولا تدل عليها أدلة شرعية معتبرة ، فهى أولا خاصة بما يتعبد به . وإذن فلا ابتداع فى العادات ولا فى الصناعات ولا فى وسائل الحياة العامة .

إن الابتداع فى الدين له أسباب توقع فيه ، ومضار تترتب عليه ، وشأن العاقل إذا عرف مضاراً لخطة ما ، أن يجتهد فى إبعاد نفسه عنها ، ويجعل بينه وبين الوقوع فى أسبابها المفضية إليها وقاية تعصمه من الوقوع فيها ، وينعقد لذلك فصلان : أحدهما فى بيان الأسباب التى توقع فى الابتداع وفى انتشار البدع ، والآخر فى بيان المضار التى تترتب على الابتداع والعمل بالبدعة .

الفصل الأول

فى أسباب الابتداع

لابد لكل شريعة يراد لها البقاء كاملة ، لايعتريها نقص ، سليمة لايلحقها تحريف ، من أن تعنى بمعرفة النوافذ التى يتسرب منها الخلل إلى الشرائع فتسدها وتحكم غلقها ، وبخاصة إذا كانت هذه الشريعة قد جاءت على أساس من العموم لتنظم شعوباً تختلف ألسنتها ، وتتباين عاداتها ، وتتعدد دياناتها التى كانت عليها من قبل .

وهكذا فعل النبى صلى الله عليه وسلم فى شريعته المطهرة ، فقدر وهو فى أول مراحله ، عليه الصلاة والسلام ، المداخل التى يمكن أن ينفذ منها الخلل إليها و ينتشر ، فنهى عنها ، وحذر منها و بالغ فى النكير على من حَامَ حولها .

وقد رأينا بعد الاستقراء ، أن المداخل الموقعة فى البدعة ، منها مايوقع فى ابتداعها ، ومنها مايوقع فى العمل بها وانتشارها ، وأن الشريعة عنيت بالأمرين وأشارت إلى أسباب كل منهما ، ووضعت لهذه الأسباب العلاج الذى لو أحسن استعماله لسلم الدين ونجت الأمة منها . وظل الدين نقياً سليما كما شرعه الله ، وكما بلغه رسوله ، ودرج عليه الأصحاب من بعده .

يرجع الابتداع إلى أسباب ثلاثة :

(ا) الجهل بمصادر الأحكام و بوسائل فهمها من مصادرها .

(ب) مسابقة الهوى فى الأحكام .

(حـ) تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات .

الجهل بمصادر الأحكام و بوسائل فهمها : مصادر الأحكام الشرعية كتاب الله ، وسنة الرسول ، وما ألحق بهما من الإجماع والقياس ، والأصل فى هذه المصادر التى يحكم على سائرها هو كتاب الله ، وتليه السنة ، ثم الإجماع ، ثم القياس . والقياس لايرجع إليه فى أحكام العبادات ؛ لأن من أركانه أن يكون الحكم فى الأصل معلولا بمعنى يوجد فى غيره ، ومبنى العبادة على التعبد المحض والابتلاء الخالص . ومداخل الخلل الناشئة من هذه الجهة ، ترجع إلى الجهل بالسُّنة ، و إلى الجهل بمحل القياس ، و إلى الجهل بأساليب اللغة العربية ، و إلى الجهل بمرتبة القياس .

أما الجهل بالسنة : فيشمل الجهل بالأحاديث الصحيحة ، والجهل بمكان السنة من التشريع ، وقد يترتب على الأول إهدار الأحكام التى صحت بها أحاديث كما يترتب على الثانى إهدار الأحاديث الصحيحة وعدم الأخذ بها . و إحلال بدع مكانها لايشهد لها أصل من التشريع ، وقد نبه على ذلك حديث « إن الله لايقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من

صدور الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » . وجاء فيه أيضاً حديث « مامن نبي بعثه الله فى أمته قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون سنته ويقتدون بأمره ، ثم تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

وأما الجهل بمحل القياس فى التشريع ، فقد نشأ عنه أيضاً أن قاس الناس من متأخرى الفقهاء فى العبادات وأثبتوا به فى الدين مالم ترد به سنة ولا عمل ، مع توفر الحاجة إلى عمله وعدم المانع منه ، ومن ذلك إسقاط الصلاة ، فإن أصحابها قاسوها على فدية الصوم التى ورد النص بها ، ولم يقفوا عند هذا الحكم بالجواز ، بل توسعوا فشرعوا لها من الحيل مايجعلها صورة لاروح فيها ولا أثر لها .

والابتداع هنا من أغرب أنواع الابتداع ، فهو ابتداع لأصل الحكم واحتيال لإسقاط تكاليف الحكم المبتدع ، ثم اعتبار الأمرين البدعة والاحتيال فى إسقاطها من الدين — ويجدر بنا تسميته بالبدعة المركبة — يخرجان من عهدة التكاليف ، ويترتب عليهما ثواب الله الذى أعده للذين آمنوا وعملوا الصالحات . وهذا نوع خاص من البدعة .

وأما الجهل بأساليب اللغة العربية ، فقد نشأ عنه أن فهمت بعض النصوص على غير وجهها ، وكان ذلك سبباً فى إحداث مالا يعرفه الأولون ومن ذلك قول بعض الناس إن حديث « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا علىّ » يطلب الصلاة على النبي من المؤذن عقب الأذان ، ولم يطلب منه أن تكون بغير كيفية الأذان ، وهى الجهر ، فدل على مشروعيتها بالكيفية المعروفة ! ووجهوا دلالة الحديث على طلبها من المؤذن بأن الخطاب فى قوله صلى الله عليه وسلم لجميع المسلمين ، والمؤذن داخل فيهم ، أو بأن قوله (إذا سمعتم) يتناوله لأنه يسمع نفسه ، وكلا التأويلين جهل بأساليب اللغة فى مثل هذا ؟

فصدر الحديث لم يتناول المؤذن قطعاً ، وآخره جاء على أوله فلا يتناوله أيضاً . ومن ذلك أيضاً مايزعمه بعض آخر من أن المحرم من الخنزير لحمه دون شحمه ؛ لأن القرآن إنما حرم اللحم دون الشحم ، وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن كلمة « اللحم » فى اللغة العربية تطلق على الشحم ولا عكس . ومنه أيضاً قول بعض المتكلمين إن لله (جنبا) بدليل قوله تعالى : « أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله » وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن العرب لاتعرف « الجنب » فى مثل هذا التركيب بمعنى العضو المعروف فهى تقول : هذا يصغر فى جنب ذاك ، تريد بالإضافة إليه . قال الإمام الرازى فى تفسيره : القائلون بإثبات الأعضاء لله تعالى استدلوا على إثبات الجنب بهذه الآية . واعلم أن دلائلنا على نفى الأعضاء قد كثرت فلا فائدة فى الإعادة : وبعد أن ساق المأثور عند المتقدمين عن المراد بالجنب قال : واعلم أن الإكثار من هذه العبارات لايفيد شرح الصدور وشفاء العليل فنقول : الجنب سمى جنبا لأنه جانب من جوانب الشىء ، والشىء الذى يكون من لوازم الشىء وتوابعه يكون كأنه جانب من جوانبه ، فلما حصلت هذه المشابهة من الجنب الذى هو العضو ، وبين ما يكون لازما للشىء وتابعاً له صح الإطلاق ، ولا جرم فى إطلاق لفظ الجنب على الحق والأمر بالطاعة . قال الشاعر :

أما تتقين الله فى جنب وامق   له كبد حرى عليك تقطع

هذه جملة من الأمثلة يتضح بها كيف يأتى الابتداع من جهة الجهل باللغة العربية : مفرداتها وأساليبها ، وقد أجمع الأولون على أن معرفة مايتوقف عليه فهم الكتاب والسنة من خصائص اللغة العربية شرط أساسى فى جواز الاجتهاد ومعالجة النصوص الشرعية والاقتراب منها .

وأما الجهل بمرتبة القياس فى مصادر التشريع وهى التأخر عن السنة ، فقد ترتب عليه أن قاس قوم مع وجود سنة ثابتة وأبوا أن يرجعوا إليها فوقعوا فى البدعة . والمتتبع لآراء الفقهاء يجد أمثلة كثيرة لهذا النوع ، وأقربها ماقاله البعض من قياس المؤذن على المستمع فى

الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام عقب الأذان مع وجود السنة التركية التى قد علمت حكمها وأنها مقدمة على القيـاس ، مع أن حديث « إذا سمعتم المؤذن » يدل بأسلوبه على اختصاص المستمعين بالصلاة عقب الأذان .

متابعة الهوى فى الأحـكام : قد يكون النـاظر فى الأدلة ممن تملـكهم الأهواء ، فتدفعه إلى تقرير الحـكم الذى يحقق غرضه ثم يأخذ فى تلمس الدليل الذى يعتمد عليـه ويجادل به ، وهـذا فى الواقع يجعل الهوى أصلا تحمل الأدلة عليه ويحكم به على الأدلة ، وهو قلب لقضية التشريع ، وإفساد لغرض الشارع من نصب الأدلة . ومتابعة الهوى أصل الزيغ عن صراط الله المستقيم « ومن أضلّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » وقد جاء فى الصحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) والابتداع به يكثر عنـد أرباب المطامع فى خدمة الملوك والحصول على عرض الدنيا وحطامها ، ولعل أكثر الحيل التى نراها منسوبة إلى الدين ـ والدين منها برىء ـ يرجع إلى هـذا . ولا يبعد أن يكون منه الأذان السلطانى ونحوه من البدع التى لم نرها إلا فى صلاة الملوك والسلاطين ، وكذلك بدعة المحمل ، وبدعة الاجتماع لإحيـاء بعض الليالى وغير ذلك ممـا يغلب أن يكون رغبة لملك أو مشورة لمقرب إليه ، ثم توارثتها الأجيـال ، وعمت الجماهير وصارت عندهم ديناً ينكرون على من أنـكره .

والمبتدعون بمتابعة الهوى ينتسبون بهذه الخطة السيئة إلى أولئك الذين قال الله فيهم : « ولا تشتروا بآيات الله ثمناً قليـلا وإياى فاتقون » . « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الـكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أَصْبَرَهُم على النار . ذلك بأن الله نزّل الـكتاب بالحق ، وإن الذين اختلفوا فى الـكتاب لفى شقاق بعيد » .

والواقع أنه بمتابعة الهوى تـكتسح الأديان ويقتل كل خير ، والابتداع به أشـد

أنواع الابتداع إثماً عند الله ، وأعظم جرماً على الحق . فكم حرف الهوى من شرائع وبدل من ديانات ، وأوقع الإنسان فى ضلال مبين .

تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات : إن الله جعل للعقول حداً تنتهى فى الإدراك إليه ، ولم يجعل لها سبيلا إلى إدراك كل شىء ، فمن الأشياء مالا يصل العقل إليه بحال . ومنها مايصل إلى ظاهر منه دون اكتناه . وهى مع هـذا القصور الذاتى لا تـكاد تتفق فى فهم الحقائق التى أمكن لها إدراكها ، فإن قوى الإدراك ووسائله تختلف عند النظار اختلافا كثيراً ، ولهذا كان لابد فيما لا سبيل للعقول إلى إدراكه ، وفيما تختلف فيه الأنظار ، من الرجوع إلى مخبر صادق يضطر العقل أمام معجزته إلى تصديقه ، وليس ذلك سوى الرسول المؤيد من عنـد الله العليم بكل شىء ، الخبير بما خلق ، وعلى هذا الأصل بعث الله رسله يبينون للناس مايرضى خالقهم ، ويضمن سعادتهم ويجعل لهم حظاً وافراً فى خيرى الدنيا والآخرة .

وقد شذ عن هذا الأصل قوم رفعوا العقل عن مستواه الذى حدده الله ، وجعلوه حجة الله على عباده ، وحكموه فيما لايدركه مما أنزل الله ، فرجعوا فى التشريع إليه وأنـكروا فى النقل كل مالم يعهد فى إدراكه ، ثم توسعوا فى ذلك وجعلوه أصـلا فى التشريع الإلهى ، واستباحوا بعقولهم فيه مالم يأذن به الله ، ومالا نعلم أنه يرضى الله أو يغضـبه ، ولقد أعانهم على الابتداع فى العبـادات أنهم نظروا فيما أدركه العلماء من أسرار التشريع وحكمه ، وزعموا أن هـذه الأسرار هى المقصودة لله فى تشريع الحـكم ، وأنها داعية إليه ، فشرعوا عبادات على مقتضى هذه الأسرار فى بعض تشريع الله .

وهذا هو الاستحسـان الذى ذمه أصحاب الرسول وأئمة الهدى والدين ، وأنـكروا على الآخذين به . ومن ذلك قول الشافعى : « الاستحسـان تلذذ ، ولو جاز الاستحسان فى الدين لجاز ذلك لأهل العقول من غـير أهل العلم ، ولجاز أن يشرع فى الدين فى كل باب وأن يخرج كل أحد لنفسه شرعاً » وقوله « ومن استحسـن فقد شرع » ومعناه كما قال الريانى

« إنه نصب من جهة نفسه شرعاً غير الشرع » وقد وقع كثير من الابتداع بهذا الطريق ، فبحكم العقل القاصر رد كثير من الأمور الغيبية التي صحت بها الأحاديث كالصراط والميزان وحشر الأجساد والنعيم والعذاب الجسمى ورؤية البارى وما إلى ذلك مما لم يدركه العقل ولا ينهض على إدراكه .

وباستحسان العقل القاصر تُرك العمل بكثير من الأحكام الشرعية جرياً وراء أن غيرها أقوى منها فى تحصيل الغرض المقصود من التكاليف ، وباستحسان العقل القاصر زيدت عبادات وكيفيات ما كان يعرفها أشد الناس حرصاً على التقرب من الله .

هذا وكما يترتب الابتداع بتحسين الظن على عدم إدراك العقل أو على ظن أن الأسرار مسوغات للتشريع وداعية إليه ، يترتب أيضاً على إرادة دفع منكر أو مخالفة لشرع ثابت فتستحسن بدعة يشتغل الناس بها عن مقارفة المنكر بزعم أن البدعة بمشروعية أصلها أولى من ارتكاب المنكر الصريح ، ومن ذلك قراءة القرآن بصوت مرتفع فى المسجد ، وقراءة الأدعية كذلك أمام الجنائز دفعاً كما يقولون لتحدث الناس بكلام الدنيا فى المسجد والجنائز .

ومنه الابتداع بقصد الحصول على زيادة المثوبة عند الله ؛ ويظن أن طريق هذا تحميل النفس مشقة فى جنس مايتعبد به الله . وهذا تارة يكون بإلحاق غير المشروع بالمشروع ؛ لأنه يزيد فى المقصود من التشريع ، ومن أمثلة ذلك التعبد بترك السحور لأنه يضاعف قهر النفس المقصود من مشروعية الصوم ، والتعبد بتحريم الزينة المباحة التى لم يحرمها الله لأنه يزيد فى الحكمة المقصودة من تحريم الذهب والحرير . ومن هذا النوع اختيار أشد الأمرين على النفس عند تعارض الروايات ، مع أن المأثور عنه صلى الله عليه وسلم أنه ماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما . وحمل جميع أفعال النبى صلى الله عليه وسلم على التعبد الذى يجب فيه التأسى مع أن كثيراً منها عادى لاتعبد فيه ولا يطلب فيه التأسى .

وتارة يكون باختيار عبادات شاقة لم يأمر بها الشارع كدوام الصيام والقيام والتبتل

وترك التزوج ، والتزام السنن والآداب كالتزام الواجبات ، وقد جاء تحذير عن ذلك كله كما فى قوله عليه السلام : « ما بال قوم يتنزهون عن الشىء أصنعه ، فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم خشية له » ، وقوله عليه السلام « لن يشاد الدين أحد إلا غلبه » وقوله « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم » وقد رد النبى صلى الله عليه وسلم على ابن عمر والرهط الذين تقللوا عبادته صلى الله عليه وسلم وأرادوا مشاق الطاعات .

وقد غفل قوم عن هذه التحذيرات واخترعوا لأنفسهم عبادات أو كيفيات فى العبادات أو التزامات خاصة ، وعبدوا بها وعلموها لأتباعهم على أنها دين، ودين قوى ، وجهلوا أن القرب من الله إنما يكون بالتزام تشريع الله وأحكامه ، وأن وسائل التقرب إليه محصورة فيما شرعه و بلغه عنه رسوله الأمين ، فوقعوا بذلك فى البدعة والمخالفة وحرموا ثواب العمل وكانوا من الآثمين .

هذه الأسباب التى أوردناها هنا للابتداع ، قد أحاط بأطرافها وجمع أصولها حديث : « يحمل هذا العلم فى كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » فتحريف المغالين يشير إلى التعصب والتشدد ، وانتحال المبطلين يشير إلى تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات ومتابعة الهوى ، وتأويل الجاهلين يشير إلى الجهل بمصادر الأحكام و بأساليب فهمها من مصادرها .

الاسباب المفضية إلى ذيوع البدعة : يرجع ذيوع البدعة وانتشارها بين الناس إلى أمرين شديدى الخطر على سلامة الأديان من التحريف والزيادة والنقص :

أولهما ـ اعتقاد العصمة فى غير المعصوم . والآخر ـ التهاون فى بيان الشريعة على الوجه الذى به نقلت عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكثيرا ماترى الأول فيمن ينتسبون إلى طرق التصوف وأنهم يقرأون عن شيخ طريقتهم شيئا من الأحوال التى تنافى الأحكام الشرعية فيعتقدون انها من التشريع الذى

خص الله به عباده المقربين ، وأن شيخهم لا يفعل إلا حقا ، ولا يقول إلا صدقا ، والفقه للعموم وهذه طريقة الخصوص ، فيتبعونه فى كل ما يؤثر عنه من قول أو فعل على أنه الطريق المقرب إلى الله الموصل إلى رضاه .

وتراه ايضا فى أتباع الفقهاء يقرأون عنهم فى كتبهم ، ويعتقدون عصمتهم من الزلل ، فيتمسكون بكل آرائهم وإن وصلتهم الرواية الصحيحة عن رسول الله بخلاف رأى أئمتهم ، وقد أفرط الناس فى رفع مستوى العلماء ومؤلفى الكتب بالنسبة إلى ما خلفوه من آراء وأحكام ، واعتقد كل فريق أن رأى متبوعه هو الحق ، وقالوا : إنه لو كان الدين غيره لما استقر على توالى العصور ، ولأنكره من قبلنا من الشيوخ والأئمة ، وأنه لاحق لنا فى التمسك بالحديث يروى بخلاف رأى الأئمة والمدون فى الكتب ، لأنهم أعلم منا بالحديث وبمعناه ، فلا شأن لنا به ولا يصح أن نعدل إليه ونترك ما ألفناه من العبادة وكيفيتها .

سرى ذلك فى عقائد الناس فعملوا بالبدعة وتركوا السنة ، مبررين اعمالهم بكلمة مأثورة وضعها أرباب الابتداع لتكون سبيلا إلى ترويج بدعهم وهى «من قلدعالما لقى الله سالما» وقد فات هؤلاء أن التقليد المباح المطلوب ، شرطه الاستشراف إلى الحق ، والرجوع إليه ببينة . وأنه مامن إمام إلا حذر من الاتباع وترك الحديث إذا صح ، وفاتهم أن هذه الطريقة قد أنكرها الله فى كتابه الكريم على من جعل اتباع الآباء والأسلاف أصلا فى الدين يرجع إليه دون سواه ، حتى ردوا برهان الرسالة وحجة القرآن بقولهم : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » وفاتهم ايضا أن التعصب لرأى العلماء إلى هذا الحد نوع من إتخاذ غير الله ربا . وكان ذلك سنة اتباع الأحبار والرهبان « إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » وفاتهم أن الإجماع الذى عد مصدرا من مصادر التشريع يجب اتباعه .

ويتصل بهذا أيضا الخطأ فى فهم معنى الإجماع الذى عد من مصادر التشريع الاسلامى ، فقد يقع فى أفهام كثير من الناس أن عمل الجمهور وبخاصة إذا اتفق توارثه عن أجيال سابقة ، وعم العمل به جميع الطبقات فى المساجد والمجتمعات وأندية العلماء ، من اجماع الأمة

التى ورد انها لاتجتمع على ضلالة فلا يجوز مخالفته ولو ظهر ما يخالفه ، ومن هنا يشتد تمسكهم بالبدع بل بالمحرمات بحجة انها اشياء مأثورة وقد رآها العلماء وخالطوا أهلها ولم ينكروها ، فدل على انها الشرع وغيرها الضلال المبين . وقد انتشر عن هذا الطريق كثير من بدع المساجد والموالد ، واحياء الليالى ، والاستئجار على الختمات والتهاليل والتسابيح إلى غير ذلك مما هو معروف بأنه دين والدين منه برىء .

أما الثانى وهو تهاون العلماء فى بيان الشريعه فإثمه على العلماء الذين أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يبينوا للناس ما نزل اليهم ، وقد اهمل جمهور العلماء من زمن بعيد هذا الواجب الدينى العظيم الذى يتوقف عليه بقاء الشريعة سليمة نقية من الأدران ـ أهملوه ـ إما ضعفا وخوفا من تألب العامة وغضب الخاصة ، وإما مجاملة للعظماء والحكام ، وإما تهاونا بأصل الواجب وجريا على قاعدة « دع الخلق للخالق » التى يبررون بها احجامهم عن البيان ، وإما تواكلا ، نظرا إلى أن البيان واجب كفائى قيام البعض به يسقط وجوبه عن الباقين .

ولما سكت العلماء وألف الناس منهم ذلك السكوت عن كل ما يفعلون ، ظن العامة أن ما يفعلونه دين وشرع ، وربما جاراهم بحكم الإلف والعادة العلماء لهم فيما يفعلون و بذلك صار ردهم عما ألفوا من البدع إلى ما تركوا من السنة شاقا على من يحاوله ؛ لأنهم يرونه إحداثا جديدا فى الدين لم يعرفوه ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

ولقد كان للعلماء من تحذير الله ، ترك البيان وإهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما يدفع بهم إلى مكافحة البدع كلما ذر قرنها ، والعمل على حفظ السنة كلما هبت عليها ريح عاصف ، ونرجو أن يكون من هذا ماينبهنا إلى واجبنا وينقذنا من هول مانحن فيه . هدانا الله إلى صراط المستقيم .

الفصل الثانى

فى مضـــار الابتداع

لو أن مضار الابتداع تقف عند المبتدع ولا تتعداه إلى غيره لهان الأمر وسهل الخطب؛ ولـكن مضار الابتداع منها ما يصيب المبتدع ومنها ما يصيبه ويصيب أتباعه فى العمل بالبدعة ، ومنها ما يصيب الدين نفسه ، ومنها ما يصيب الأمة التى وقع الابتداع فى دينها .

أما ما يصيب المبتدع فهو اغتصاب حق التشريع الذى لا يكون إلا لله وحده . وذلك أن المبتدع يرى أن الناس مكلفون ببدعة ، ولذلك يقوم بالدعوة إليها والحث عليها . وهو من هذه الناحية يضع نفسه موضع المشرع الذى يتعبد الناس بأمره ونهيه ، وهذا بعينه اغتصاب حق التشريع الذى لا يكون إلا لله . قصده المبتدع أم لم يقصده .

وقد وقع فيه مشركو العرب كما وقع فيه الأحبار والرهبان من أهل الـكتاب ونعى القرآن الـكريم على الفريقين مسالـكهم ، وقص علينا شيئا مما شرعه المشركون بغير حق . قال تعالى فى سورة الأنعام « وقالوا هذه أنعام وحرث حِجْر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ، وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم أنه حكيم عليم . » وقال تعالى فى سورة النحل : « ولا تقولوا لما تصف السنتكم الـكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الـكذب . أن الذين يفترون على الله الـكذب لا يفلحون » .

وقد ورد فى تفسير قوله تعالى : «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » أنهم لم يكونوا يعبدونهم ولـكنهم كانوا يحلون ويحرمون ، وهذه الربوبية هى ربوبية التشريع التى تتحقق باغتصاب حق التحليل والتحريم .

ولاشك أن مسلك المبتدع فى تحليل ما يحل وتحريم ما يحرم من غير سند شرعى ،

وفى دعوة الناس إلى بدعته هو بعينه مسلك هؤلاء الذين اغتصبوا لأنفسهم حق التشريع الذى لا يكون إلا لله .

ولهذا كان المبتدع فى هذه الناحية واضعا نفسه موضع المغتصب لحق التشريع الذى لا يكون إلا لله ، وواضعا نفسه موضع من يرى أن الحدود التى رسمها الله ليتقرب بها العباد إليه ، إما ناقصة وهو بابتداعه يستدرك ذلك النقص . وإما أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لأن الله يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم » فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا . وجاء فى كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن ارطأة «عليك بالسنة فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما فى خلافها من الخطأ والزلل والحمق ، فارض لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وتقوى » .

فإذا كان المبتدع يرى أن ابتداعه لم يكن إلا لخير الناس فى دينهم ، فما أجدره بالحزن العميق على نفسه بموقفه من البدعة التى عرف الشارع ما فيها من خطأ وزلل وحمق .

وإذا كان الابتداع يتضمن هذا الوضع السيء من هاتين الناحيتين « اغتصاب حق الله فى التشريع ، والوقوف من التشريع موقف من يعتقد فيه النقص وعدم التمام » فإنه من جهة ثالثة يوقع الناس فى اعتقاد أن ما ليس من الدين دين ، وهو من التلبيس الذى أضل به كثير من أهل الكتاب وصرفوا به كثيرا من الناس عن طريق الهدى والرشاد : « ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عِطْفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد » .

ومن هنا كان المبتدع ضالا عليه وزر عمله ، ومضلا عليه أوزار الذين اتبعوه فى بدعته قال تعالى : « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم » وفى الصحيحين (ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها) وقد أشار إلى

ذلك الحديث : (وما من نفس تقتل ظلما إلا كان على بن آدم الأول كفل منها لأنه أول من سن القتل) وفيه دلالة واضحة على أن من سن مالا يرضاه الله ورسوله فهو كابن آدم الأول فى تحمل قتل النفس التى تقتل ظلما ، لأن الإثم لم يتعلق بالقتل لخصوص كونه قتلا، وإنما لأنه عمل مالا يرضاه الله وسن سنة لا يقرها الدين ، وإذا غاب عن المبتدع شيء من هذه المضار التى تحوم حول العقيدة وتوشك أن تمسها ، فإنه لا يغيب عنه أنه بابتداعه يعمل على إماتة السنن ، فقد ثبت أن من السنة ترك البدعة فلا يمكن إقامة أحدهما مع العمل بالأخرى ، وقد جاء عن حذيفة رضى الله عنه أنه أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا يا أبا عبد الله ، ما نرى بينهما إلا قليلا ، قال : والذى نفسى بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور . وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : ما يأتى على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن .

وبهذه المعانى التى تلازم الابتداع فى الدين صحت الأحاديث فى رد عمل المبتدع عليه وحرمانه من الثواب . وقد ورد عن يحيى بن يحيى أنه ذكر الأعراف وأهله فتوجع واسترجع ثم قال : قوم أرادوا وجها من الخير فلم يصيبوه ، فقيل يا أبا محمد أفيرجى لهم مع ذلك لسعيهم ثواب ؟ فقال ليس فى خلاف السنة ثواب .

والوجه فيه ظاهر ، فإن التقرب إلى الله لا ينال ألا بفعل ما شرع الله وعلى الوجه الذى شرعه . أما ما لم يشرعه من وسائل التقرب إليه فإنه لا يثيب عليه .

وصحت الأحاديث أيضا فى استحقاقه اللعنة وحرمانه من شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام « : من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » قال الشاطبى فى الاعتصام : « وقد اشترك صاحب البدعة فى اللعنة مع من كفر بعد إيمانه ، وقد شهد أن بعثة النبى صلى الله عليه وسلم لاشك فيها وجاءه الهدى من الله والبيان الشافى . وذلك قوله تعالى : (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا

أن الرسول حق ـ إلى قوله ـ أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . . . الخ » .

واشترك أيضا مع من كتم ما أنزل الله و بينه فى كتابه وذلك فى قوله تعالى : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . . . الخ » .

فتأملوا المعنى الذى أشرك المبتدع فيه مع هاتين الفرقتين . وذلك مضادة الشارع فيما شرع ؛ لأن الله أنزل الكتاب وشرع الشرائع و بين الطريق للسالكين على غاية ما يمكن من البيان ، فضادها الكافر بأن جحدها جحدا ، وضادها كاتمها بنفس الكتمان ، لأن الشارع يبين ويظهر ، وهذا يكتم ويخفى ، وضاده المبتدع بأن وضع الوسيلة لترك ما بين وإخفاء ما ظهر .

أما ما يصيب أتباع المبتدع فهو الحرمان من الثواب ، لأنهم يعبدون الله بالبدع التى لم يقرها دينا ولم يجعلها طريقا للعبادة ، ولأنهم يتركون بكل بدعة يعملونها سنة من السنن التى جاء بها الرسول وحث عليها ، ولهم بذلك كفل من العمل فى هدم الدين عليه يجازون وبه يعاقبون ، وقد حكى الله لنا شيئا من عاقبة الأتباع الذين أخذوا بأباطيل المبتدعين ، وألقوا بأنفسهم فى أحضانهم وقد كان ميسورا لهم أن يعرفوا الحق من أهله وأن يرجعوا إليه ، قال تعالى فى سورة البقرة : «وقال الذين اتَّبَعُوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار » وقال فى سورة الأحزاب : « يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا : وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا » .

أما ما يصيب الدين نفسه من الابتداع فهو خفاء كثير من أحكامه وتشويه جماله .
والأول سبب من أسباب اندراس الشرائع ، والثانى سبب من أسباب الإعراض عنها وعدم

احترامها . ويتجلى هذا فى بدع أهل الطرق وغيرها مما يصور الدين تصويرا يأباه ما للدين من جمال وجلال ، وكثيرا ما تنتشر البدع وتأخذ مكانة الدين فى النفوس وتصبح هى الدين المتبع عند الناس ، وبقدر ذيوعها يكون اندراس الدين ، وهذا هو الطريق الذى اندرست به الشرائع السابقة وانحرف عنها المتدينون ، ولهذا نعى القرآن الكريم على من حرفوا الكلم عن مواضعه وأخفوا كثيرا من الأحكام .

أما ما يصيب الأمة التى دخلت البدع فى دينها فهو إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام ، وذلك أن صاحب البدعة ينتصر لبدعته والسنة لابد لها من طائفة تبينها وتقوم عليها ، وبذلك تنقسم الأمة على نفسها وتصبح شيعا وأحزابا ، وقد يشتد الخصام بين الفرق فيقع بينهم التكفير واستحلال الدماء وتنقلب الأمة يضرب بعضها رقاب بعض ، قالت عائشة : ألا إن نبيكم قد برىء ممن فرق دينه واحترب ، وتلت قوله تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » .

وقد جاء فى الوصايا العشر بآخر سورة الأنعام قوله تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » .

وروى أحمد والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال وهذه السبل ليس فيها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

وقال تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » .

وقد عنى القرآن كثيرا بتحذير الأمة من التفرق والاختلاف لأنه الداء الوبيل الذى يسرع بالفناء إلى الأمم .

وبعد : فهذا موجز القول فى بيان الأضرار المترتبة على الابتداع ، نرجو أن يجد فيها المبتدعون ما يردعهم عن خطة الابتداع ، ويدفع بهم إلى تعرف السنن والتمسك بها .

هدانا الله إلى صراطه المستقيم ؟

حديث الدين

يارب هيىء لنا من أمرنا رشداً ورُد للحق منا كل مأفون
وداو منا جراحات تسيل دماً لم يبق بالدين جرح غير مدفون
رسالة الحق قد جاء الرسول بها مبشراً بيديه غصن زيتون
قامت على صادق الإيمان وانتشرت على جهاد بأمر الله مرهون
تعلم الناس من سامى مبادئه خير النظام لافاشستى وماسونى
وكلما ردد القرآنَ قارئه يقول سامعه آمنت ، زيدونى

* * *

ما للحنيفية الغراء صارخة تقول ويلى من قوم أضاعونى
فاقتادنى اليوم أبنائى الكرام إلى سوق الرقيق وللطاغين باعونى
لو استقاموا لما ذلوا وما رجعوا من الجهاد بفلك غير مشحون
تفرقوا شيعاً شتى فلا بلغوا ملك الوليد ولا مجد ابن طولون

* * *

ياقادة الدين ردوا كل محدثة وجددوا مجدىَ الماضى وأحيونى
إنى أرى أمماً فى المجد صاعدة وكان أعظمها فى عزها دونى
تلمس الكون من مهدَىْ حضارته وازدان من جوهر بالمهد مكنون
فضلى عميم فلا زادى بممتنع عن الشعوب ولا مالى بمخزون
وكان يرهب سلطانى ويحذرنى من لم يخف أو يهب سلطان نيرون
وصار يطمع فى ملكى ويحسدنى على بقاياه حتى آل صهيون
قوم شروا ذمم الدنيا بأجمعها بالمال والمال موفور لشمعون
كانوا بغاة الورى فاستنسروا وغدوا لهم على الأرض ملك غير موهون

أللّه فرقهم فى ملكهم شيعاً　　لا جمع الله أشتاتاً لمفتون
فاستيقظوا ياحماة الدين إن لكم　　تاريخ مجد قديم العهد ميمون
دانت رقاب لكم فى الأرض قدمها　　على التزلف أهلوها كمربون
طوى التراب غزاة دوخوا أمماً　　ورب غاز لدى الجلى بمليون
وصرفوا الأمر بالشورى ولا تهنوا　　فإنها خير ناموس وقانون
تضامن الرأى أوصى الأنبياء به　　وقد قرأناه عن موسى وهارون
وكان سنة خير الخلق حين دعا　　لدين حق بنصر الله مقرون
لله والمجد والتاريخ سيرته　　وما تحمل من عات وفرعون
نأى وهاجر من أرض ومن وطن　　وخلف الأهل فى آلام محزون

* * *

بعثت ياخير خلق الله قاطبة　　تدعو لدين بأمر الله مسنون
ياخاتم الرسل الأطهار بى شغف　　أيان كنت إلى لقياك يحدونى
إنى أناجيك والقرآن وجهنى　　إلى مديحك والأشواق تدعونى
خلاصة الطهر إن قصرت معذرة　　فلست أطلب أجراً غير ممنون
لب البيان ولب القول يسعدنى　　لا يعرف الشوق إلا قلب مفتون

* * *

يارب انى مدفوع بعاطفة　　وهزة لرسول الله تعرونى
يارب رد إلى الإسلام شوكته　　فأنت قد قلت فى القرآن أدعونى

« الجيزه »　　　　نجاتى عبد الرحمن

(بقية أخبار الجماعة)

الإدارية بين المركز العام وفروع القاهرة وضواحيها ، وعقد اجتماعات دورية متقاربة من مندوبى الفروع واللجنة المختصة بالمركز العام .

ثم عرض الأستاذ سليمان حسونه أمين صندوق الجماعة حساب الإيرادات والمصروفات والميزانية العمومية للجماعة عن السنة الماضية فناقش الأعضاء جميع البنود مع مقارنتها بالسنة التى قبلها ثم أقرتها الجمعية العمومية .

واختار الحاضرون الأستاذ مصطفى عبد الجواد مراجعاً مالياً للجماعة للسنة القادمة بالإجماع ، ثم أجريت عملية انتخاب مجلس الإدارة الجديد . وسننشر الأسماء والمناصب فى العدد القادم بعد أن يتم اختيارهم من بين الأعضاء الناجحين بجلسة مجلس الإدارة يوم الخميس ٣٠ المحرم الجارى إن شاء الله .

المركز العام

فى الساعة السابعة من مساء يوم السبت ٢٥ المحرم سنة ١٣٨١ الموافق ٨ يوليو سنة ١٩٦١ اجتمعت الجمعية العمومية للجماعة فى دورتها العادية ، برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل الرئيس العام للجماعة ، الذى افتتح الاجتماع بكلمة جامعة عن دعوة التوحيد ، وتاريخ الجماعة ومؤسسها ورائدها الأول ، فضيلة الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله .

ثم أعقبه الأستاذ سليمان رشاد محمد سكرتير عام الجماعة ، بعرض أعمال مجلس الإدارة فى السنة المنتهية ، والإجراءات التى اتخذت لتنظيم شئون المجلة ، والنهوض بها ، وعن علاقة المركز العام بفروع الجماعة ، وعن مشروع دار ومسجد المركز العام . ثم تحدث عن الاقتراحات المقدمة من أعضاء الجمعية العمومية ، وخصوصاً ماتقدم به الأستاذ عبد الحافظ الفرغلى سكرتير فرع مصر الجديدة عن مشاهداته وملاحظاته فى موسم حج هذا العام ، من قبل خروجه من بيته ، إلى أن عاد بعد أداء الفريضة . وقد بسط فى تقريره من التقى بهم من إخوانه أنصار السنة من مختلف البلدان ، على ظهر الباخرة وفى جدة والمدينة المنورة ومكة المكرمة ومنى . ويرى أن يتولى المركز العام تنظيم الإجراءات ، وإيجاد الروابط بين أعضاء الجماعة من مختلف الجهات الذين يؤدون فريضة الحج والمناسك ، حتى يكون ذلك سبباً فى زيادة التعارف والتعاون بينهم على نشر التوحيد فى الموسم . وعرض اقتراحا مماثلا من السيد الحاج إبراهيم شمس الدين عضو الجمعية العمومية لتكوين لجنة فى المركز العام لتدبير أداء الفريضة على الفقراء وذوى الدخل المحدود من أعضاء الجماعة ، بموجب اشتراكات يطيقون دفعها ، واقتراح ثالث من الأستاذ يوسف جبر سكرتير فرع هاشم أغا ، لتوثيق الروابط

(البقية على ص ٥١)

العدد ٣ ربيع الأول
المجلد ٢٦ سنة ١٣٨١

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل

الاشتراك السنوى
٣٠ ـ ص فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ ـ فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

المجلد ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٨١ العدد ٣

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل ذكره (وإنْ كادُوا لَيَفتنُونَك عن الذى أوْحَينَا إليكَ ؛ لتَفتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وإذاً لا تّخَذُوكَ خَليلاً . وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إليهم شَيْئاً قَليلا إذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وضِعْفَ الْمَمَاتِ . ثم لا تَجِدُ لك عَلَيْنَا نَصِيرا . وإنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنها ، وإذاً لاَ يَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ إلاَّ قَلِيلا . سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا . ولا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلا ١٧ : ٧٣ ـ ٧٧) .

معانى المفردات

كاد . وضع العرب هذا الفعل للدلالة على مُقَارَبة الْفِعْل .

يفتنونك : أصل الفتن إدخال الذهبِ فى النار ؛ لتظهرَ جودتُه من رداءته . وجُعلت الفتنة كالبلاء فى أنهما يُسْتعملان فيما يُدفَع إليه الإنسانُ من شدة ورخاء . وهى فى الشدة أظهر . وفى اللسان : جماعُ معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار . . . ثم قال : والفتنة إعجابك بالشىء . . والفتنة فى كلامهم : المُمِيلة عن الحق .

ويفتنونك فى هذه الآية معناها : يميلونك ، ويزيلونك كما فى اللسان . أو يوقعونك فى بَلِيَّةٍ وشدة فى صرفهم إياك عما أوحى إليك . كما فى مفردات الراغب وكلا المعنيين صحيح . وقريب من صاحبه .

تفترى : أصل الفَرْى : قطعُ الجلد للخرز والإصلاح . والإفراء : الإفسادُ . والافتراء : للاصلاح وللإفساد . ولكنه فى الثانى أكثر . وافترى الكذبَ : اختلقه .

خليلا : من الخُلَّةِ وهى المحبة التى تخلَّلت روحَ المُحِبِّ وقلبه حتى لم يَبْقَ فيه موضعٌ لغير المحبوب .

ثبتناك : قوَّيناك .

تركنُ : تسكنُ إليهم وتميل :

ضِعف : يقال أضعفتُ الشىء وضعَّفته . وضاعفته : ضممتُ إليه مثله ، فصاعدا . قال الزجّاجُ : ضِعْفُ الشىء مثلُه الذى يضعِّفه . وقيل : ضِعْفُ الشىء مثلاه . وقال صاحب اللسان : الضِّعْفُ فى كلام العرب على ضَرْبَيْن : أحدُهما المِثْل ، والآخرُ أن يكون فى معنى تضعيف الشىء .

يستفزونك : فَزَّهُ . وأفزَّه : أفزعه وأزعجه . وطيَّر فؤاده ، والمعنى . وإن كادوا ليَستخِفُّونَك إفزاعاً يحمِلُك على خفّة الهرب

سنة : أصل السنة الطريقة والسيرة . وسنة الله ـ كما يقول الراغب ـ تقال لطريقة حِكْمته . وطريقة طاعته .

« المعنى »

أسباب النزول كما ذكرها المفسرون : قالوا : نزلت فى ثقيفٍ إذا قالوا : لا ندخُل فى أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نُعْشَرُ[1] ، ولا نحشر ، ولا ننحنى فى صلاتنا ولا نكسر أصنامنا وكل رباً لنا ، فهو لنا ، وكل رباً علينا ، فهو موضوع عنا . وأنْ تُمَتِّعَنا « باللاتِ » سنةً ، وأن تحرِّم وادينا كما حرَّمتَ مكة . فإن قالت العرب : لم فعلت ذلك ؟ فقل : إن الله أمرنى .

---

(١) لا نعشر = أى لا يؤخذ منا عشر الأموال . لا نحشر = أى لا يحشرون إلى عامل الزكاة ليأخذ صدقة أموالهم ، أو لا يدعون إلى الجهاد

وقيل : إنهم قالوا له : أجّلنا سنةً حتى يُهْدَى لآلهتنا ، فإذا قبضنا الذى يهدى لآلهتنا أخذناه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم . لا خير فى دين لاركوع فيه ، ولاسجود . وأما ألاّ تكسروا أصنامكم بأيديكم . فذاك لكم وأما الطاغية ـ يعنى اللات والْعُزَّى ـ فأنى غير مُمَتعكُمْ بها . فقالوا : يارسول الله : إنا نحب أن تسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تُعْطِ غيرنا . فإن خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل : الله أمرنى بذلك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فطمع القوم فى سكوته أن يعطيهم ذلك .

وقال المفسرون أيضا فى سبب نزولها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الأسود فمنعته قريش . وقالوا : لاندعك حتى تلم بآلهتنا ، وتمسها ، فحدث نفسه : ما عَلَىَّ أن أفعل ذلك . والله يعلم أنى لها كارهٌ بعد أن يدعونى أستلم الحجر الأسود .

وقالوا أيضا : طلب المشركون من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يذكر آلهتهم حتى يُسْلِموا ، ويتبعوه ، فحدّث نفسه بهذا . وقالوا أيضا : أطاف المشركون ليلةً برسول الله . فقالوا له : أنت سيدنا . وابن سيدنا ، فأرادوه على بعض ما يريدون ، فهَمَّ أن يقاربهم فى بعض ما يريدون ، ثم عصمه الله .

وقالوا : إن رسول الله هَمَّ أن يُنْظِر قوما بإسلامهم إلى مُدَّةٍ سألوه الإِنْظَارَ فيها[1] .

تعقيب : هذا ما ذكره المفسرون مَعْزُوًّا إلى الظنون . فما ثَمَّ لِقِصةٍ من هذه القصص سند صحيح من السنة أو التاريخ . ولا يُلْجِئنا إلى اليقين أو الإيمان بهذه القصص أنها نُثِرت فى عدة تفاسير . ونحن أنصار السنة ـ لا نقول على الله بغير علم . ولا نقلد الناس فيما اختلقوه . ولا نحرص على استثارة الإعجاب بالزور . ولا على دَغْدَغَةِ العواطف بالأساطير .

ولقد نقلنا ما قال المفسرون : لنقول : إننا لا نستطيع الحكم بصحة شىء من هذا فما ثَمَّ ما يثبت . ولهذا نجد شيخ المفسرين « الطبرى » يعقب ـ بعد أن روى بعض هذه

---

(١) انظر تفسير الطبرى . والكشاف للزمخشرى ، والبيضاوى ، والجلالين . والبغوى ، والخازن . أما ابن كثير فأضرب صفحا عن ذكر شىء من ذلك كله .

الأقوال ـ بقوله : « جائز أن يكون ذلك ماذكر من أمر ثقيف ومسألتهم إياه ما سألوه مما ذكرنا وجائز أن يكون غير ذلك . ولا بَيانَ فى الكتاب. وفى خبريقطع العُذْرَ أى ذلك كان والاختلاف فيه موجود على ماذكرنا ، فلاشىء فيه أصوبُ من الإيمان بظاهره ، حتى يأتىَ خبرٌ يجب التسليم له ببيان ما عنى بذلك منه » وهى كلمة جليلة من الحق .

والذى نؤمن به أن هؤلاء المذكورين حاولوا صَرْفَ الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحق الذى أنزله الله ، ليختلق على الله سبحانه غير ما قاله . أى ليقترف إثم الشرك . ودنس الكفر .

ومن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم . ومما ذكره الله عنه فى الكتاب نَسْتَشِفُّ أن هؤلاء قد افْتَنُّوا فى فتنة الرسول وراودوه مرارا عن إيمانه الثابت ، وجدُّوا فى تزيين فتنتهم بما يجعلها تبدو وكأنها صورة من الحق والخير ، فما كان لهذه النفس العظيمة السامية ـ نعنى محمدا الذى اصطفاه الله خاتما للنبيين ـ أن تُفْتَن عن الحق إلا بعد جهد جهيد متواصل يبذ له أشد الفاتنين مكرا . وأفتنهم سِحْرا . وما كان لنفس محمد صلى الله عليه وسلم أن تفتن عن الحق والإيمان والخير إلا بما ظنَّت أنه حق وإيمان وخير . كما صنع الشيطان بآدم فقد صَوَّر له المعصيةَ بأنها شجرةُ الخُلدِ ، ومُلْكٌ لا يَبْلَى(١) . ولا رَيْبَ فى أن هؤلاء الشياطين قد صَوَّرُوا لمحمد صلى الله عليه وسلم ما أرادوا أن يختلقه على الله تصويرا ساحر الفتنة ، فاتنَ الشاعِرِيَّة ، يَتراءى فى شُفُوفٍ من صفاء الخير وجلالِ الحق وَرَوْعَةِ الإيمان . وإلاَّ ما قاربوا فتنته .

---

(١) ومن يتدبر يجد هذه الآيات مسبوقة بالآيات التى تحدثت عن قصة الشيطان مع آدم وفتنته له وبالآيات التى تحدثت عن عمى القلوب . فورود هذه الآيات بعد كل هذا فيه توكيد للتحذير من الشيطان الذى مارس فتنة آدم أبو البشرية حتى استزله ، ومارس فتنة أفضل أبناء آدم محمد حتى كاد أن يستنزله حتى لا نغتر بقوانا النفسية التى نظن أنها تقهر الفتنة ، أو نزعم بها أننا فى عصمة من استزلال الشيطان بعد إذ هدانا الله .

وحتى نظل دائما على اليقين من أن أعداء الله ووليهم الشيطان لا يسكتون عن فتنتنا . وأنهم إن تراءوا بهذا لحظة ، فلأنهم يعدون لفتنة جديدة .

كما نستشف من الآيات الإشارةَ القوية إلى ضعف البشرية وإلى أنها فى حاجة دائما إلى مَدَدٍ مُبَارَكٍ كريم من قوة الله سبحانه فهذه بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم تمارسُ الفتنة الخلوبُ قُوَّتها . ويمارس شياطين الإنس صَرْفها عن الحق . فيتداركُ اللهُ ـ جل شأنه ـ رسوله بالتثبيت ، فيصمد للفتنة ، ويقهرها بقوة الله . وإذا كان هذا شأن خاتم النبيين . فما بالك بغيره من البشر ؟ فلا يَنامَنَّ امرؤٌ عن الفِتَن زاعما أنه بِمَنْجَاةٍ من الوقوع فيها . فقد كاد أعظم بشرى ، وأعظم رسولٍ يركن إلى فتنة المشركين . وليكن على حَذَرٍ دائما مما يحاول به أعداء الله فتنته عن الحق .

ليتدبر كُلُّ مسلم أن عدو الله يحاول دائما فتنتة عن الحق بكل ما أوتى . وليتدبر أن عدو الله حاول فتنة خاتم المرسلين ، ليفترى الكذبَ على الله وأنه كاد يُفْتَن .

وليتدبَّر كُلُّ مسلم القصة : ليتبين له أن الله مع المتقين .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكاد يركن شيئا قليلا إلى المشركين . ثم يتداركه الله : لأنه يستحق هذا العونَ وهذا التأييد ، وهذا الأخذَ بناصره فى ساعة المحنة . فكم خيرٍ قدَّم لله . وكم صالحةٍ له عند رَبّه .

فليحرصْ كل مسلم على أن يكون له عند الله صالحاتٌ تنفعه فى ساعة العُسْرة . كما نفعت الصالحاتُ رسولَ الله فى ساعة ابتلاء هو أشد ما مَرَّ به من ابتلاء . ولِمَ لا . وقد كاد يَرْكن إلى عدو الله ؟ ! وليتدبر كُلُّ مُسْلم القصةَ : ليتبين له جَلِيًّا أنه لا ينفعه حَسَبٌ ولا نَسَبٌ . ولا شيخ طريقةٍ . ولا بَدَوِىٌّ ولا دُسُوقِىٌّ ، ولا جِيلانِىٌّ . فهذا محمد صلى الله عليه وسلم لم تشفع له عبوديته الخالصة . ولا أنه خاتم النبيين فى أن يُعْفِيَه الله من ذكر هذا الذى ذكره الله عنه فى هذه الآيات ولا سيما الكشف عن أنه كاد يركن إلى عدو الله شيئا قليلا .

وليتدبر كل مسلم القصة : ليتبين له أن الركون إلى المشركين ، وإن كان شيئا قليلا ، له هذا الجزاء الذى أنذر اللهُ به الأُسْوَةَ والقدوة محمدا صلى الله عليه وسلم . وأنقل هنا كلمة طيبة

قالها الزمخشرى فى هذا المعنى : « إن أدْنى مُدَاهنة لِلغُوَاة مُضَادَّةٌ لله وخروج عن ولايته ، وسببٌ مُوجِبٌ لغضبه ونـكالِه . فعلى المؤمن إذا تلا هذه الآية أن يَجْثُوَ عندها ، ويتدبرها ، فهى جديرة بالتدبر ، وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية ، وازدياد التَّصَلُّبِ فى دين الله[1] »

فما للذين يزعمون أنهم شيوخ فى الدين يَجْنَحُون دائماً إلى الطراوة والرخاوة المقيتة التى تقشعر منها رُجُولِيَّـة المؤمن مع البدعة وأنصارها ، ويتوجهون أحياناً إلينا بالملامة . لماذا ؟ لأننا ـ كما يقولون ـ أشِدَّاء فى محاربة البدعة ! !

ترى متى كانت هذه الشدة عيبا حتى نوسم بهذا العيب ؟ أو متى كانت ذنبا حتى نُدْعى إلى الاستغفار منه . ثم إننا نراهم فى نقدهم للبدعة يكادون يجعلون النقد لها تَقْبِيلاً ولَثْماً . وذل سجود لأصنامها ! ! ليقرأ مَنْ يزعمون أنهم يحاربون البدعة ، ويقيمون السنة ـ وهم أولياء البدعة وأعداء السنة ـ هذه الآية ، لعلهم يؤمنون أن الركون شيئاً قليلا إلى البدعة جزاءه هذا العذاب الرهيب ! !

ليتدبروا قبل أن يمارسوا فتنتنا عن الشدة فى محاربة البدعة .

هذه بعض العِبَر فى الآية الأولى ، أما معناها فواضح بَيِّنٌ كاد المشركون يصرفون رسول الله عن الحق الذى أنزله ، ليختلق على الله الـكذب . ولو تم هذا لاتخذه المشركون أعَزَّ صديق وَأَحَبَّ حبيب[2] .

وفى قوله جل شأنه « وإذاً لاتخذوك خليلا » وعيد شديد وكَشْفٌ عن خِسَّـة الوضاعة التى يتردى فيها من يمالئُ مشركا أو صاحب بدعة ، لقد كان وليا لله من قبل ، وأعْظِمْ بمكانة ولى الله ومقامه عنـد الله وعند ملائـكته ، ثم هَوَى إلى الحضيض إلى الرَّدْغَة النتنة التى يصبح فيها خليلا لهؤلاء السفلة الأوغاد أعداء الله رب العالمين .

---

(١) وليتدبر هذا أولئك الذين يراودوننا أحيانا عن مداهنة الصوفية وأحلاف البدع . فلن نزداد إلا عداوة لأعداء الله

(٢) ليتدبر صوفية « الحقيقة المحمدية » والذين يزعمون أن محمداً كان يعرف القرآن قبل نزوله . فهل تتفق أساطير ضلالتهم مع هذا الحق العظيم من القرآن ؟ .

ثم يبين الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فضله الأعظم عليه فى الآية التى بعدها ، وهو أنه لولا تقوية الله وتثبيته لركن محمد إليهم شيئاً قليلا ، والشيء القليل هنا كثير كثير . ولم لا ، وهو مُخرِجٌ من الإيمان . تدبّر قول الله (إن الَّذِينَ فرَّقُوا دِينَهم ، وكانوا شِيَعاً لست منهم فى شيء) فبالشيء القليل إذَنْ يصبح منهم ، ونعوذبالله فهل يعتبر « دراويش » الشيوخ الذين يزعمون أن شيوخهم آلهة . والإله لا يخطيء أبدا ، ولا يُسْئَل عما يَفْعَل ، ولهذا يعتقدون فى خمرة شيوخهم أنها رحيق الجنة ، وفى أنفاس « الشيشة » أنها ريحان الفردوس ! !

ثم يذكر الله بعد هذا ذلك العقاب الشديد القوى الرهيب الذى أعده لمن يميل شيئاً قليلا إلى الشرك والمشركين ، ولا سيا للذين ينصبون أنفسهم للدعوة إلى الله . فليتدبر خطباء المساجد والوعاظ ، ودعاة الجمعيات الدينية .

لو أن محمدا صلى الله عليه وسلم ركن شيئاً قليلا إلى عدو الله لأذاقه الله ضِعْفَ الحياةِ وضعف المات .

قالوا : أى ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب المات ، أو ضعف عذاب الدنيا ، وضعف عذاب الآخرة . أو ضعف عذاب الحياة الآخرة ، وضعف عذاب القبر .

ولعل من الأسلم أن نفقه معنى الآية كما وردت ، وكما هو جَلِيٌّ من ظاهرها .

فليس أشد على نفس الإنسان — لوتدبر — من أن يعمَّرَ فى الدنيا تعميرا يصل بين بدء الحياة ، ونهايتها بما فيها من أحزان وآلام وتعاسة وخوف وقلق وأفراح هى مزيج من الخوف والقلق .

إنه ليجد الموت خيرا من هذه الحياة المتطاولة الأجناب على هذه الألوان المتباينة من فنون العذابات ، إن الحياة حتى فى أفراحها مشوبة بما يجعلك غير مطمئن إليها . وأمرُّ العذاب فى الحياة هو القلق . فكيف بالنفس المرهفة الحساسية يختبرها الله بحياة طويلة الآماد بمثل هذه المشاعر التى ترى الدموع حتى فى حُلْوِ البسمات ؟ !

فالوعيد بحياةٍ طويلةٍ طويلةٍ مضاعفةِ الآمادِ ، ثم الوعيد بمماتٍ طويلٍ طويلٍ مضاعفٍ

الآمادِ . ويا للمشرك ويا لَلْمُصِينين على بِدْعة ، الراكنين إليه مما بعد الموت ! ! حياة هي أطول حياة بكل ما في الحياة من ألوان .

وممات هو أطول ممات مما فيه من هَوْل رهيب أعد لمثل هذه الخطيئة .

ثم يؤكد الله لخاتم أنبيائه أنه لو اقترف هذه الخطيئة لذاق هذا العذاب الذى أنذره الله به ؛ إذ لا يجد له نصيرا ينصره على الله وأمره . فالأمر يومئذ لله . فهل يعتبر الواهمون الذين يظنون أن لهم من شيوخهم يوم القيامة نصراء وشفعاء؟ !

ثم تكشف الآية التى بعدها عن أحقاد المشركين ودأبهم على العمل فى سبيل القضاء على دعوة الحق والداعين إليها ، وعن شىء آخر كان رسول الله يأتيه : يدل على هذا قوله جل شأنه « وإن كادوا ليستفزونك من الأرض » لقد راحوا يقترفون من الأعمال أو الأقوال ما يُرْهبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويدفعون به الخوف إلى قلبه ، وينزعون به إلى الفرار والهرب منهم حُبًّا فى السلامة ، كما فُعِل بذى النون من قبل .

وهو ديدن المشركين دائمًا فى كل زمن . يدبرون المكائد والمؤامرات ضد أولياء الحق . ويقترفون من الموبقات والآثام فى سبيل إرهاب دعاة الحق ، وتضييق الخناق عليهم ، وحملهم على الفرار ، أو الصمت عن دعوة الحق . لقد جهدوا فى سبيل ذلك مع رسول الله ، ويجهدون أنفسهم الآن مع أنصار رسول الله ولكن الله مُتِمٌّ نورَه ولو كره الكافرون .

ولكن ما الأرض التى كانوا يعملون فى سبيل استفزازه منها ؟ قالوا إنها أرض المدينة ، وقد حاول اليهود إخراجه منها بمكرٍ واحتيالٍ لئيم .

وقالوا إنها أرض مكة ، وقد عمل المشركون على إخراج الرسول منها ، ولكنه خرج منها قبل أن يتحقق لهم كيدهم .

وما فى الآية دليل قطعى على هذا أو ذاك . فلعل المراد ـ والله أعلم ـ الأرض بمعناها

العام . فقد كان أعداء الحق من المشركين واليهود وغيرهم حريصين الحرص كله على مطاردة الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل أرض أى أرض وعلى النيل منه بكل وسيلة ، ليحملوه على الفرار إلى حيث لا يستطيع دعاء ولانداء ، بل ليحملوه على الخروج من الأرض كلها بالقضاء على نفسه . فبهذا تبدو صورة الشرك فى حقده الأصم الجحود . وضراوة حسده وكراهيته ، إنه يعمل ، ولا يمل ، ولايكل،فى سبيل القضاءقضاء تاما على دعوة الحق ودعاتها . لقد خرج من مكة ، فهل سكت أعداء الحق ؟

ولو أنه خرج من المدينة أيضاً ماسكتوا . ما كان يريحهم إلا أن يخرج من الأرض كلها ؛ ليستريحوا ! !

ثم جاء ختام الآية بشيرا ونذيراً . بشيرا لأولياء الحق ، ونذيرا لأعدائه . تدبر قول الله : « وإذاً لايلبثون خلافك إلا قليلا » لو أنهم استفزوك من الأرض ، لانتقم الله منهم بَعْدَكَ ، ولعذبهم بما فعلوا ، وبمثل ما فعلوا . وهو الإخراج من الأرض وهل يخرجهم منها إلا بالقضاء عليهم ؟ !

ثم جاءت الآية الأخيرة تؤكد نصر الله لأوليائه وأخذه الشديد لأعدائه وانتقامه منهم . إذ تبين أن هذه هى سنة الله فيمن أرسلهم الله من الرسل قبل محمد . فما من أمة فعلت برسولها ذلك إلا فعل الله بها ما ذكر الله من قبل .

ثم أكد الله أن سنته لاتتغير فقال : « ولا تجد لسنتنا تحويلا » فهل ينفع الشفعاء الموهومون ؟ فليحذر الذين يخالفون عن أمر الله .

ليحذر الذين يحاربون دعوة الحق ليحذر الذين يكيدون للاسلام الصحيح يدعو به أولياء الحق .

ليحذروا جميعا ، فهذا وعيد الله يُدَوِّى فى جلاله وقهره .

ليحذر الصوفية ، ليحذر المبتدعون ، ليحذر الذين يزعمون أنهم يعملون بالكتاب والسنة ، وهم عدو الكتاب والسنة ، ليحذروا من حرب الله ورسوله وأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ربنا لا تزغ قلوبَنا بعد إذ هَدَيْتَنَا ، وهَبْ لنا من لَدُنْكَ رحمةً إنكَ أنتَ الوهاب ؟

عبد الرحمن الوكيل

توحيد الله عز وجل

والآن لم يبق من الكلام على توحيد الإلهية إلا عن العبادات المالية التى تعبدنا الله بها فى أموالنا من الصدقات والذبائح والنذور ونحوها ، وهذا النوع من العبادات قد دخله من ألوان الشرك وصوره ما يصعب حصره ، فإن كثيراً من الناس يجهلون أن لله عليهم عبادة فى أموالهم التى هى من رزقه وفضله. وقد لبس عليهم الشيطان فى أمرها كما لبس عليهم فى غيرها بل أشد فألقى فى روعهم أن هذه الأموال إنما سيقت إليهم ببركة الشيخ (فلان) أو بسبب دعائه وشفاعته . و إنه هو القائم على حراستها وتنميتها فهى ستبقى ما بقى الشيخ راضيا وهو لا يرضى طبعاً حتى يجعلوا له فى هذه الأموال نصيباً مفروضاً . فتراهم ليسوا على شىء أحرص منهم على سوق هذه الأموال من النذور الذبائح إلى أضرحة هؤلاء المشايخ . وعلى شهود المهرجانات الشركية التى تقام لهم .

و إذا سولت لأحدهم نفسه أن (يأكل النذر) الذى نذره لواحد من هذه الأضرحة فإنه يبقى طيلة عامه متوقعاً للمصائب تحيق به على يد الشيخ صاحب النذر لا سيما إذا كان الشيخ غضوباً كما تزعمه العامة فى (أبى العينين الدسوقى) فإذا جرى على هذا الآكل للنذر شىء من قدر الله عز وجل ، من فقد مال ، أو ولد ، أو نحو ذلك ، أيقن أن الذى أصابه إنما هو بسبب غضب الشيخ عليه لعدم وفائه بالنذر. وهكذا يعيش هؤلاء التعساء من عباد القبور فى هم ناصب وقلق واصب لأنهم لا يدرون مواقع الرضى والغضب من نفوس هؤلاء الموتى وأيهم أحق أن يرضوه وصدق الله إذ يقول (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) .

ونرى بعد هذه المقدمة الطويلة أن نكشف للناس عن هذه التلبيسات التى يلبس بها

عليهم شياطين الإنس والجن وأن نقول كلمة الحق فى هذه المسائل إعذارا إلى الله عز وجل ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة . ويكفينا فى هذا المجال أن نثبت أن هذه الأمور من جملة العبادات التى يتقرب بها إلى الله سبحانه ، فإنه إذا ثبت ذلك علم قطعاً انه لا يجوز صرفها إلى غير الله كما هو الشرط فى سائر العبادات . أما الصدقات فلا يشك مسلم فى أنها من أعظم القربات إلى الله عز وجل وقد قرنها الله بالصلاة فى كثير من آيات الكتاب الحكيم وجعلها من أعظم خصال الإيمان ووعد عليها بجزيل الثواب بل وسماها قرضا ووعد عليه أضعافا كثيرة .

ويطول بنا القول لو تتبعنا ما ورد فى شأن الصدقة من الآيات والأحاديث وهو أمر معلوم لكل من له المام بنصوص الوحيين ولكن الذى يحتاج للتنبيه عليه هو ما يعرض للصدقة من أعمال شركية تحبطها وتبطل ثوابها وذلك مثل الرياء ، والمن بها على الآخذ ، والاستطالة بها عليه . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرون) .

ومن ذلك أيضا أن يتحرى بصدقته الفقراء المجاورين عند الأضرحة لما يلتمسه من بركة أصحابها ، أو أن يقيم لهم بها موالد أو يشترى لهم بها أستاراً أو بسطاً أو سرجاً أو نحو ذلك مما تزين به هذه الأضرحة ظناً منه أن تلك قرب يتقرب بها إلى الله عز وجل فلا يزداد بها من الله إلا بعداً .

وهذه حال كثير من الناس لا يتحرون بصدقاتهم إلا هذه المواضع مما يدل على أنهم لم يقصدوا بها وجه الله بل إنما قصدوا إلى إرضاء أصحاب هذه الأضرحة بل قد يترك بعضهم الفقراء من ذوى قرابته أو أهل بلده ممن هم أحق بصدقته ويدفعها إلى من لا يستحقها من سدنة هذه الطواغيت والعاكفين عليها . وأما النذر فهو فى الأصل غير مشروع بل قد ورد النهى عنه . قال صلى الله عليه وسلم (لا تنذروا فإن النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخره

وإنما يستخرج به من البخيل) . ولـكنه إذا نذر لزمه الوفاء وصار النذر حينئذ قربة وعبادة لا تنبغى إلا لله وعلى هذا يحمل قوله تعالى من سورة البقرة (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) وقوله من سورة الحج (وليوفوا نذورهم) . قوله من سورة الدهر فى صفة الأبرار (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً)

وفى الحديث الصحيح (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه) وبهذا يتبين أن ما ينذره بعض الجهلة لأصحاب الأضرحة من نقود وشموع ونحوها هو نذر باطل وشرك صريح وأنه لا يلزم أحداً الوفاء بهذا النذر إذ لا وفاء لنذر فى معصية الله عز وجل .

وقد روى أن رجلاً قال للنبى صلى الله عليه وسلم إنى نذرت أن أنحر إبلا بمكان كذا فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا المكان هل كان فيه صنم يعبد ؟ فقيل لا . ثم سأل : هل كان يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية ؟ فقيل لا . فقال للرجل (أوف بنذرك فإنه لا وفاء بنذر فى معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم) .

ومن العجيب انه قد صدرت فى هذا الموضوع عدة فتاوى رسمية وأذيعت عنه أحاديث كثيرة كلها مجمعة على بطلان هذه النذور واعتبارها شركا ولـكن الناس لا يزالون سادرين فى غوايتهم ومصرين على ضلالتهم لا يقبلون فيها لومة لائم ، وقديماً قيل (حبك الشىء يعمى ويصم) وأما الذبح أو النحر فلا يشك مسلم كذلك فى أنه عبادة مأمور بها قال تعالى من سورة الأنعام (قل إن صلاتى ونسكى محياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) والنسك هنا معناه الذبح ـ وقال من سورة الحج (ولـكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير).

وقد أمر الله من تمتع بالعمرة إلى الحج أن يذبح ما استيسر من الهدى . وأوجب على من ارتـكب شيئاً من محظورات الاحرام فدية من صيام أو صدقة أو نسك

وقال تعالى (إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر) فجعل الأمر بالنحر قرين الأمر بالصلاة ، وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم نحر فى حجة الوداع مائة بدنة وأنه كان يضحى يوم عيد الأضحى بكبشين أملحين ، ولم تزل الأضحية واجبة على كل قادر عليها من المسلمين . فدل ذلك كله على أن الذبح عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل وفى الحديث أفضل الحج (الثج العج) والمراد بالثج صب الدماء وعلى هذا فمن ذبح ذبيحة وأهلّ بها لغير الله ، أو قصد التقرب بذبحها لغيره ، أو أطعمها الناس على اسم غيره كهذه الذبائح التى تذبح فى مولد البدوى وغيره فقد أتى عملاً فظيعاً من أعمال الشرك وضاهأ أهل الجاهلية الأولى فى ذبحهم لآلهتهم على النصب وفى الحديث (لعن الله من ذبح لغير الله) .

نسأل الله أن يجنبنا مزالق الشرك كلها ونستعيذ به أن نشرك به شيئاً ونحن نعلم ونستغفره لما لا نعلم ، وصلى الله على محمد النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

البخل

البخل : هو الإفراط فى حب المال وادخاره والحرص عليه . وضده الكرم والسخاء. أو الإسراف والتبذير .

وهو داء عضال يسيطر على القلب الضعيف الإيمان ، الغافل عن الله واليوم الآخر . الناسى للموت المتعلق بالحياة .

وهو جرثومة فتاكة إذا تغلغلت فى قلب المرء قتلت فيه الرحمة فقسا حتى على نفسه وولده وفضل معبوده المال على راحته وحاجته . وعلى متعته وسعادته . بل على شرفه وكرامته . وعلى دنياه وآخرته .

فالبخيل لا يشعر بآلام غيره . ولا يبالى ببؤسه وفقره . إذ سطا عشق المال على عقله فسلبه . وفتن قلبه وخلبه . وأعمى عينيه . وأصم أذنيه . وغل يديه . فأصبح عدوا لنفسه يحرمها الثواب . ويسعى ما استطاع ليدخرلها العذاب . إذ كلما عظم كنزه أعظم لها العقاب . (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) . (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضلههو خيرا لهم بل هو شر لهم . سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعلمون خبير) .

والبخل برهان النفاق وضعف الإيمان أو فقده . قال الرسول (ص) (الشح والإيمان لا يجتمعان فى قلب) لأنه من المحال أن يعرف المرء ربه ويؤمن بثوابه ووعده ويقدر عظيم الربح من معاملته ثم لا يعامله . ثم من المحال أيضا أن يعرف قدر غضبه وعظيم انتقامه وسخطه على من لم ينفق فى سبيله ثم يتعرض لهما بالبخل ومنع حق الفقير فى ماله . فإن من البديهيات الأولية أن كل من وثق بنفع شىء لابد أن يسارع إليه وهو مرتاح النفس

مطمئن القلب . وكل خائف من شيء لابد أن يتقيه ويسارع إلى تلافيه ما استطاع إلى ذلك سبيلا . وأعظم ما يثبت ذلك أن المريض يحرص على تناول دواء الطبيب الذى يثق به ويطمئن إلى طبه رغبة فى الحياة وخوفا من الممات . فكيف يكون إذن مؤمنا بالله من يثق بقول طبيبه فيطيع أوامره لينجو من المرض وآلامه ويحظى بالشفاء . ولايثق بقول ربه فلا يطيع أوامره لينجو من عذاب الجحيم ويحظى بالنعيم . ؟ (ومن أصدق من الله قيلا) وكيف لا يسارع إلى الربح الخالد العظيم . هذا الذى يعشق الربح إذا كان يوقن بوعد الله تعالى ويصدق قوله (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) .

وآية أن البخيل لا يثق بوعد ربه أن يعد الصدقة مغرما وضياعا لماله فيتألم لها وتتقطع نفسه حسرات عليها ولا ترشح يده بصدقة إلا عن كره وهذا ما وصف به تعالى المنافقين بقوله (ولا يقومون إلى الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون) فلا يجزع ويهلع إذا مسه شر . ولا يبخل ويمنع إذا مسه خير . إلا من فقد الإيمان فسيطر على نفسه ما فطرت عليه من غريزة الجبن والشح فكفر بأنعم الله وجبن عن التضحية فى مرضاته وبخل بفضله . فهو لعدم ثقته بالآخرة أفرط فى التعلق بالحياة الدنيا فأسرف فى حب النفس وأصبح هلوعا جزوعا . وأسرف فى حب المال وأصبح منوعا . أما المؤمنين فإن الله تعالى نزههم من البخل والجبن ووصفهم بأنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ولا يبخلون عن السائل والمحروم فى قوله : (إن الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) .

ولذلك يحذرنا الله تعالى أشد التحذير من غريزة الشح أخطر عدو لنا كامن فى نفوسنا . ويأمرنا بأن نتقيه سبحانه ما استطعنا وأن نسمع لنصحه ونطيع أمره وننفق خيرا لأنفسنا وأنه لا يفلح إلا من قهرت قوة إيمانه شح نفسه فقال (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

ووصف الله تعالى المنافق بأنه يبخل ويأمر غيره بالبخل ويكتم ما آتاه الله من فضل وينكر ماخوله من نعم ليهرب ويتخلص من غرامة التصدق فى سبيله فقال (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله . وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وقال (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض . يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم) فالبخيل يعادى الكرم ويأمر بالمنكر وينهى عن المعروف إذ يأمر بالبخل وينهي عن التصدق ويقول : أنطعم من لو أراد الله أطعمه . فينشر من حوله الفساد ويحرض على هذا الداء الذميم فيقدم إلى المجتمع أعداءه الألداء الذين يأخذون ولا يعطون ويضرون ولاينفعون . وهو يتأذى أن يرى محسنا يواسى فقيرا لقسوة قلبه وشدة بخله . وكيف يشفق على غيره من لا يشفق على نفسه ؟ فإن من ظلم نفسه فهو لغيره أظلم . أما من رحم غيره فإنه بنفسه أرحم . إذ من قدم لغيره فإنما لنفسه قدم (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعلمون بصير) (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) .

أما اغتصاب حق الفقير فإنه سرقة وأعظم خيانة . فالبخيل لص دنىء خان الأمانة . واتبع ما أسخط الله وكره رضوانه . ولم يثق بوعده فأساء الظن به . سبحانه . وبخل عن غيره فبخل عن نفسه واستوجب حرمانه . (ومن يبخل فإنمايبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء) .

قال ابن القيم : لو قدمت أيها البخيل صدقة فى حب الله لوجدتها . ولكن يؤذيك الجشع . ويعميك الطمع . فكم جاء الثواب يسعى فوقف بالباب فرده بواب سوف ولعل وعسى . كيف الفلاح بين إيمان ناقص وأمل زائد . ومرض لاطبيب له ولا عائد . وهوى مستيقظ وعقل راكد .

والبخل دليل الغباوة والجهل . لأن البخيل يظلم نفسه من حيث يريد النفع لها ويحرمها

متاع الدنيا والآخرة معا . فهو يعيش فقيرا مهينا محروما . ليموت غنيا ملعونا مذموما . ثم يتعذب فى نار جهنم ليمتع غيره بما ادخر وجمع . فهل بعد ذلك من غباوة ؟ ؟

فيا عجبا للبخيل . يحيا فى الدنيا حياة الفقراء . ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء . ويمنع نفسه اكتساب الحسنات مع افتقاره إليها . ويحرمها مباح اللذات مع اقتداره عليها . ويستعجل الفقر الذى منه هرب . ويفوته الغنى الذى إياه طلب . فهو من حب الغنى وخوف الفقر فى فقر . إذ يقضى حياته فيما يكرهه ويخشاه . ويبتعد عما يحبه ومايتمناه . ويقاسى الحرمان باختياره لا رضوخا لأمر الله . فيذوق عذاب الدارين ويحرم نعيم الحياتين . فهل بعد ذلك من غباوة ؟ ؟

والبخل رذيلة تزرى بصاحبها وتحط من قدره وكرامته كالخمر إذ تخدر عواطفه وتفقده رشده وتخمد كل شعور كريم فى قلبه وتذهب بالحياء من وجهه . قال أحد الحكماء : الكريم شجاع القلب . والبخيل شجاع الوجه .

فلا بد أن يتجرد المرء من الحياء والتقوى حتى يبخل . فكم دعا البخل صاحبه إلى الطمع وقتل ضميره فضل وزل . وكم دعاه إلى الصفاقة والشراهة وقتل كرامته فهان وذل . إذ مد يده إلى جيب غيره وهو غنى ولم يخجل . وجلس على مائدة لم يدع إليها واستجدى واستهدى وتطفل . فهو لشحه وجشعه لا يأنف من أن يطلب من غيره ما يشتهيه ويقترض ما يحتاج إلى استعماله وارتدائه ليوفر نقوده . ولا يربأ بنفسه أن يصادق بالإكراه ذوى المال والجاه ويسعى ما استطاع أن يستغل حياءهم ليحظى بأكلة أو نزهة ولينتفع بخدمة أو متعة . فيعيش عيش الطفيليات محتقراً ممقوتاً . يستطعم ولا يطعم ويأخذ ولا يعطى ويستهدى ولا يهدى . يحرمه شح نفسه ماله ولذته . ويزرى البخل به ويسلبه كرامته . ويقتل الطمع حياءه ويستفز وقاحته . فيلجأ إلى التطفل لينال شهوته . إذ وجد أن غيره أرحم به من نفسه .

ومن الناس من إذا عضه الفقر بنابه وذاق ألم الحرمان عاهد الله أن يتصدق ويصلح

إذا أنعم عليه ورزقه . فلما منّ الله عليه بالرزق وأسبغ عليه النعم نكث عهده وتناسى وعده فعاقبهم الله بأن زادهم نفاقا على نفاقهم فماتوا وهم كافرون . قال تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقنّ ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون) .

يظن بعض الناس جهلا منهم أن الإقلاع عن اللهو والقصف والامتناع عن الإسراف والبذخ شح وتقتير . ولا يدرون أن البخل هو التقصير فيما يجب من زكاة وتصدق ومنع حق الفقير وذوى القربى واليتامى والمساكين . والتقتير على النفس والأهل فى ضروريات الحياة ، من مسكن لائق صحي ، وملبس لائق نظيف ، ومأكل مغذ ، وتعليم كاف ، وتهذيب كامل . ولا يعلمون أن مايعتبرونه كرماً وسخاء مما يرونه من توسع وترف وسرف قد يكون سبب أعظم بخل وباعثاً على شح النفس . فكم دعا الإسراف إلى البخل وكم قتر المترف على غيره ليسرف على نفسه فاقترف ذنبين كبيرين إذ كان مسرفا بخيلا .

ومن نتائج البخل الوخيمة بعد غضب الله وحرمان النفس فى الدنيا والآخرة واحتقار الناس ، توليد الكره فى قلوب ذوى القربى ، بل فى قلوب الأولاد والزوج . فكم من أولاد مقتوا أباهم لبخله وتقصيره فى واجباتهم وتمنوا هلاكه ففرحوا لموته ولم يطلبوا له الرحمة من الله . بل ربما لعنوه وطلبوا له العذاب الأليم فى نار الجحيم .

فالبخل جامع للمساوىء والعيوب . قاطع للمودة من القلوب . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « يا ابن آدم تقول مالى مالى . وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت . أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت » .

وقال الشاعر :

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه ... تملكه المال الذى هو مالكه
ألا إنما مالى الذى أنا منفق ... وليس لى المال الذى أنا تاركه
إذا كنت ذا مال فبادر به الذى ... يحق وإلا استهلكته مهالكه

فاحذر أيها العاقل شح نفسك وحاربه ما استطعت بكل قوتك . واقهره بصلب عزيمتك . وكبله بحديد إرادتك ، وبادر إلى خيرك قبل فوات الوقت (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول : رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها . والله خبير بما تعملون) .

يندم البخيل ويتحسر ساعة الموت عندما يرى أنه سيترك كل ما ادخره لغيره . ويذهب صفر اليدين من ماله وأجره ، ينوء تحت حمل ثقيل من إثمه ووزره . فيهلع قلبه ويقول : هل من سبيل إلى النجاة ، هل من دواء يشفينى ويرجعنى إلى الحياة ، لعلى أعمل صالحا وأستدرك مافات . ولكن هيهات هيهات . فما هي إلا حسرات تتلوها حسرات . (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال : رب ارجعون ، لعلى أعمل صالحا فيما تركت) ولكن لات حين مناص . لن يرجع إلى الدنيا ولن ينفع الندم بعد فوات الوقت ، ولن يؤخره الله ولا دقيقة واحدة ، فيموت متحسراً حزينا ، ويعذب فى الآخرة عذابا مهينا .

اللهم قنا شر الشح والبخل ، واجعلنا من أهل الجود والبذل ، واهدنا إلى طريق الحق والعدل ، وانقذنا من شر الغفلة والجهل .

المرحوم الدكتور محمد رضا
رحمه الله

من أخبار الجماعة :

تم تأليف مجلس إدارة المركز العام الجديد على الوجه الآتى :

١ ـ فضيلة الأستاذ عبد الرحمن الوكيل رئيساً عاماً
٢ ـ فضيلة الأستاذ محمد خليل هراس نائباً للرئيس
٣ ـ الأستاذ عبد اللطيف حسين وكيلا أول
٤ ـ الحاج سيد محمد رضوان وكيلا ثان
٥ ـ سليمان رشاد محمد سكرتيراً أول
٦ ـ سليمان حسون أميناً للصندوق
٧ ـ رشاد الشافعى مراقباً إداريا
٨ ـ سيد محمد متولى سكرتيراً ثان
٩ ـ محمد سليمان فضل مساعد الأمين الصندوق
١٠ ـ ابراهيم محمد قنديل
١١ ـ أحمد طه نصر
١٢ ـ صابر أحمد ابراهيم
١٣ ـ شاكر الدمبشاوى
١٤ ـ محمد رشدى خليل
١٥ ـ محمد صالح سعدان
١٦ ـ أمين محمد اسحق
١٧ ـ حسن محمد كرار : أعضاء .

١١ – نظرات فى التصوف

الذكر الصوفى

يكاد يكون الذكر الصوفى كله بالإسم المفرد ، ولكل نحلة صوفية اسم خاص تذكر به ، لتمتاز به عن سواها من النحل .

على أن الذكر يكون فى بداية سلوك الطريق ، فإذا وصل السالك إلى مقام العارفين الواصلين حرم الذكر عليه .

يقول ابن عطاء السكندرى – وهو صوفى يوسم بالاعتدال – : « من العارفين من اختار السكوت عن الذكر فى النهاية » ثم يقص عن الجنيد أنه كان يتكلم ، فزعق الشبلى قائلاً : الله . فقال له الجنيد : الغيبة حرام !! . وقد فسر ابن عطاء هذا بقوله : معناه : إنك أن كنت غائباً ، فذكر الغائب غيبة ، وإن كنت حاضراً فذكر الإسم فى الحضرة سوء أدب [1] .

ويقول ابن عربى :

بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب
فترك الذكر أفضل كل شىء إذا ظهر لذاتكم الغيوب [2]

ويقول صوفى سواه :

عجبت لمن يقول : ذكرت ربى فهل أنسى ، فتذكر ما نسيت
شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفد الشراب ، ولا رويت [3]

---

(١) ص ٤٥ مفتاح الفلاح ، وقد تناسى مقترف هذه الخطيئة ، أن الغيبة هى الذكر بما يكره المذكور . أما الثناء على امرىء فى غيبته فليس بغيبة ، وهل ذكر الله بما يحبه الله غيبة له ؟

(٢) ص ١٠٢ النفحات الأقدسية .

(٣) ص ٢٩ الرسالة .

ويقول آخر : « نفوس العارفين تتبرم بالأذكار ، لأنها تستصغر ثمراتها » ويقول سواه : أنه ترك الذكر ؛ لأنه مستغرق فى مشاهدة الذات الإلهية[١] .

وكل ماقيل خرف عاشق محموم الشهوة عن غانية تعد له خطايا المخدع ! ! ولكن لا يهمس به من خيفة الله مؤمن ، لأن الله نفسه هو الذى يقول (يأيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبحوه بكرة وأصيلا ٣٣ : ٤١ ، ٤٢) فهل يأمرنا الله بالغيبة ، أو بسوء الأدب فى حضرته كما يزعم الجنيد ؟ ، وهل يفرض الله علينا ما به تنطمس بصائر عباده ، وقلوبهم ، وتزداد ذنوبهم كما يكفر ابن عربى ؟ ! .

لا تقولوا ، وأنتم تفرون من الحق : إن لكلام الشيوخ باطناً غير الظاهر الذى تنتقده ! ! .

لأن الحق يقول لكم : إن الظاهر والباطن من كلام شيوخكم نفاثات إلحاد ، وأحقاد زندقة .

لحقيقة قول الصوفية هنا هو : لا يجوز أن تذكر الله ، لأنك أنت الله ، أو لأنك غائب عن ذاتك بذاته ، وعن أسمائك وصفاتك بأسمائه وصفاته ، فلا ترى ثمت سواه ، فكيف تذكره[٢] ؟ ! .

تحقير كلمة التوحيد : يقول كهنة الصوفية : من قال لا إله إلا الله ، فهو مشتغل بغير الحق ، ومن قال : الله ، فهو مشتغل بالحق ! ! . ويعللون هذا بما يأتى : « إن نفى الشىء إنما يحتاج إليه عند خطور ذلك الشىء بالبال ، وخطور ذلك الشىء لا يكون إلا عند

---

(١) ص ٧٤ التعرف لمذهب أهل التصوف .

(٢) لا يرتضى الصوفية أن تنسب إليهم أنهم يشاهدون حقائق الأسماء والصفات . فهى مرتبة للمبتدئين من السالكين أو هم لا يرضون بغير شهود الذات الإلهية بدلا ، ولهذا يشرح بعضهم الاستغفار بقوله . هو أن تطلب من الله أن يستر عنا أسماءه وصفاته ؛ لنرى ذاته ص ١٠١ الرسالة .

نقصان الحال فأما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك ، امتنع أن يكلفوا نفى الشريك » ويقترفون علة أخرى لتحريم الذكر بكلمة التوحيد وهى « لا إله إلا الله » وتلك هى أن نفى العيب عمن يستحيل عليه العيب عيب ، وعلة أخرى هى : أن الذاكر قد يبغته الموت عقيب نفى الألوهية بقوله : لا إله فيموت الذاكر ملحداً [1] ! ! .

دجل يهطع له عباد الباطل ، ويبهرج فتنته ! ! .

أما عباد الرحمن . فلا يهطعون إلا لقول الله سبحانه ، ولقول رسوله صلى الله عليه وسلم

إنهم يؤمنون بأن كلمة التوحيد هى شهادة الله . وشهادة الملائكة ، وشهادة أولى العلم ، فهل بعدهذه الشهادة من شهادة (شَهِدَ اللهُ أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولُوا الْعلم قائماً بالْقِسْطِ . لا إله إلا هو العزيز الحكيم ٣ : ١٨) ويوقنون بأن العلم بها ، وبما توجبه ، وبالعمل بما توجبه أقدس فرض ، وأعظم واجب (فاعلم : أنه لا إله إلاَّ الله) فهل يأمرنا الله بأن نخطر الشريك على البال حين نذكره ؟ .

أو يأمرنا بذكر فيه آفةٌ قاتلة ؟ .

وهل الله بارغ حتى يحاسب من فجأه الموت قبل أن يتم الكلمة ؟ أتراهم يبهتون الله بأنه لا يعلم خائنة الأعين ، وماتخفى الصدور ؟ .

وإن تعجب فعجب أنهم يفرضون على المريد أن يجعل شيخه فى قلبه ، ويحرمون عليه أن يغيب عن باله طرفة عين ، وهو يذكر الله ! ! .

بل يفرضون عليه أن يخطر على باله كل شيوخ الطريق ! ! أى يفرضون عليه أن يخطر على قلبه عشرات الأغيار من الأصنام والطواغيت ! ! .

لعل هذا يؤكد لك أن الأمر أمر كراهية مقيتة لكلمة التوحيد ، لا أمر عيب بذكر آفة ، ولا شرك بخطور غير على البال ، هذا . لأن كلمة التوحيد تقضى على باطل التصوف كله وضلاله .

---

(١) ص ٢٩ مفتاح الفلاح .

ثم اذكر مع خرفهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أفضل ما قلته أنا ، والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله » ، ولكن التصوف يزعم أن أفضل ما يقوله خاتم النبيين ما هو إلا سمة جهالة . ولوثة ضلالة ! ! .

ولنعد مرة أخرى إلى نصوصهم .

يقول ابن عطاء : « منهم – أى من شيوخ التصوف – من اختار لا إله إلا الله ، محمد رسول الله فى الإبتداء والإنتهاء . ومنهم من اختار لاإله إلا الله فى الابتداء وفى الانتهاء ، بالاقتصار على الله : وهم الأكثرون . ومنهم من اختار : الله ، ومنهم من اختار : هو[1] ».

أما الغزالى الذى لقبه التصوف بأنه حجة الإسلام ، فيقول : « لا إله إلا الله توحيد العوام ، ولا هو إلا هو توحيد الخواص ، لأن ذلك أعم ، وهذا – أى الذكر بلا هو إلا هو – أخص ، وأحق ، وأدق ، وأدخل بصاحبه فى الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة[2] » .

وكبرت كلمة خرجت من فم الغزالى ! ! .

ألا تراه يزعم أن شهادة الله ، وشهادة ملائكته ، وأفضل ما قاله محمد صلى الله عليه وسلم والنبيون من قبله – يزعم أنها توحيد العوام ! ! .

ونظرة فاحصة فى قول الغزالى تؤكد إيمانه بوحدة الوجود فيما قال . فالذكر بلا إله إلا الله يثبت لله الألوهية ، وينفيها عن غيره . ولكنه لا ينفى « وجود » سواه سبحانه .

الذكر بكلمة التوحيد يستلزم الإيمان بوجود خالق معبود ، ووجود خلق عابد ، فهو إذن يقرر ثنائية الوجود .

أما الذكر بلا هو إلا هو ، فيثبت الوجود لله وحده ، وينفيه عن غيره فكلمة « هو »

---

(١) ص ٢٧ مفتاح الفلاح .

(٢) ص ١٢٥ رسالة مشكاة الأنوار من مجموعة الجواهر للغزالى .

إشارة إلى وجوده الباطن ، فيصير معنى الجملة لاموجود إلا الله ، أو لاوجود إلا وجوده ، ومعنى هذا إثبات الوجود لحقيقة واحدة ونفيه نفياً جازماً عن سواها ، أو إثبات لوحدة الوجود ، أو إثبات للوحدة التامة بين الخلق والخالق ، أو إثبات لما يدين به الصوفية ، وهو أن الله هو عين الأشياء ! ! وإلى هذا يشير الغزالى بقوله « الفردانية المحضة ، والوحدانية الصرفة » فالغزالى يذكر موجودا وجوده قائم بوجود غيره ، أو وجوده ، جزء من وجود غيره أو هو يذكر فى الحقيقة عدماً يتوهم أنه وجود ! ! .

ليس كل اسم صالحا للذكر : ليس المريد حراً فى أن يذكر الله بما يريد من أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا : لأن الذكر ببعض الأسماء قد ينفع مريداً ، ويضر آخر . لهذا يجب على المريد ألا يذكر إلا بما عينه له الشيخ[1] ! ! حتى فى ذكر الله ! ! يحتم التصوف السجود للصنم الطاغية ! ! .

يقول ابن عطاء : « اسمه تعالى : الباعث يذكره أهل الغفلة ، ولا يذكره أهل طلب الفناء ، اسمه تعالى العفو يليق بأذكار العوام لأنه يصلحهم ، وليس من شأن السالكين

---

(١) جاء فى كتاب العهد الوثيق للشيخ محمود خطاب السبكى ما يأتى :

واحذر أن تذكر فى أى اسم إلا بإذن من الشيخ ، وإلا ربما هلكت. كما جاء فيه عن آداب الذكر : « مستأذنا أهل الطريق ورسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم والحضرة الإلهية فى دخول حضرة الذكر التى هى حضرة الله تعالى جاعلا خيال شيخك بين عينيك ، ليكون رفيقك فى السير إلى الله تعالى . . . . ثم تذكر فى الاسم الذى أذن الشيخ لك فيه بهمة تامة » ص ٤ ، ٥ طبع الحميدية . ونرجو ممن يهمهم أمر الدعوة الشرعية البراءة إلى الله مما فى هذا الكتاب من أمور تخالف صريح الكتاب والسنة . ودين الله أعز وأغلى من ذكرى كل عزيز . ولا نقولها إلا كما يقول الأخ الناصح المشفق . فما ثم فيما نقلنا إلا صوفية تصرف عن الإسلام

إلى الله ذكره ، لأن فيه ذكر الذنب ، وذكر القوم لا يكون فيه ذكر الذنب . بل ولا ذكر الحسنة[١] » .

ويظل ابن عطاء هكذا سادرا فى غيه حتى يستغرق كلامه جل أسماء الله الحسنى .

وقد يجد مثل هذا الهراء الصوفى الوثنى آذانا تصغى إليه ، وقلوبا تحنو عليه ، غير أنك لن تجد من بينها أذن مؤمن ، ولا قلب مؤمن ! !

الذكر بألفاظ منكرة : وابن عطاء هذا الذى يبهت أسماء الله الحسنى بهذا الزور من القول ، وبهذا الإفك من الباطل ، ويحكم حكم الكفر بأنه لا يجوز الذكر ببعض الأسماء الإلهية . تراه يبيح الذكر بمثل مايأتى : « هو هو . . لا لا لا . . آ ، آ ، أه أه » بل يبيح الذكر بصوت بغير حرف ، ويسمى مثل هـذا الذكر واردا إلهيا ، ويوجب على الذاكر التسليم لهذا الوارد الإلهى ؛ لأنه حينئذ يكون مسلوب الاختيار[٢] . يزعم أن الله هو الذى يختار له حينئذ ، وأن إرادته قد فنيت فى إرادة الله ! !

أفيختار الله مثل هذا السفه ؟ أم يريد مثل هذا الهذيان ؟

لماذا يفضلون الذكر بهو ؟ : تمجد الصوفية الذكر بكلمة « هو » ؛ لأنه يسبغ الألوهية بأسمائها وصفاتها على كل « هو » ، أو قل الحقيقة لأنه يدع للشهوات أن تؤله من تشاء ، وما تشاء مما يمكن أن يشار إليه بكلمة « هو » ! ! يقول ابن عطاء السكندرى : « أعلم أن هو إسم موضوع للإشارة . وعند أهل الظاهر[٣] : لا يتم الكلام إلا بخبر، نحو : قائم . وقاعد . فيقول : هو قائم ، هو قاعد . وعند هذه الطائفة ـ أى الصوفية ـ هو إخبار عن نهاية التحقيق ويكتفون به عن كل بيان : لاستهلاكهم فى حقائق القرب وإستيلاء

---

(١) ص ٢٣ مفتاح الفلاح .

(٢) ص ١٩ المصدر السابق .

(٣) يعنى خيار سلف هذه الأمة الذين كانوا يؤمنون بظاهر القرآن والسنة ، أو بالحق الجليل البين من القرآن والسنة .

ذكر الحق على أسرارهم ، فما سواه لاشيء ، حتى تقع الإشارة إليه . قيل لبعض الوالهين : ما اسمك ؟ قال : هو .

قيل : من أين أنت ؟

قال : هو .

قيل : ومن أين جئت ؟

قال : هو .

قيل : ما تعنى بقولك هو ؟

قال : هو . وما سئل عن شيء إلا قال : هو . قيل : لعلك تريد الله فصاح صيحة عظيمة ، ثم مات[1] » .

لقد زعم الغزالى أن الذكر بلا هو إلا هو ، تعبير صادق عن كمال التوحيد ، ولكن صوفى الوثنية المُمَتَّقة يرى فى ذكر كلمة « لا » بعض مايشوب إخلاص التوحيد ؛ لأنها تخطر « غيراً » أى غير على البال ، ففرض الذكر بكلمة « هو » وحدها ؛ لأن الذكر بها يثبت وجودا واحدا ، ولا ينفى شيئا . إذ ما ثم وجود آخر ، حتى يصح النفى ، أو يكون النفى ! !

ولم يكتف « ابن عطاء » بهذا التلويح الذى يشف عن وضح التصريح : إذا خشى ألا يفهم بعض القراء دينه : لهذا ذكر قصة هذا « المجذوب » الملعون : ليفصح بها عن حقيقة معتقده ، وهو إيمانه بالعينية التامة بين الخلق والخالق ، أو بأن الذاكر عين المذكور ، أو بأن العبد عين الرب ! !

الخلق ، والمكان ، والزمان وكل شيء هو الله ! ! وكل ما يحكم به على الأشياء يحكم به على الله .

---

(١) ص ٢٩ وما بعدها مفتاح الفلاح .

وكل اسم يسمى به ، فهو اسم الله ! !

وكل صفة يوصف بها ، فهى صفة لله ! !

تدبر ما يقوله ابن عطاء « وما سئل عن شيء إلا قال : هو » ، وما يقوله : « لعلك تريد الله » تدبر هذا : لتعرف جيدا أننى لا أرمى ابن عطاء بغير دينه .

هذا هو ابن عطاء السكندرى الذى يقدسون « حِكمَهَ » ويرونها نشيد الأنشاد ، وعبق العطر من خمائل القدس ! !

أو قل : هذا هو دين الصوفية الذين يزعم لهم بعض المخادعين أنهم معتدلون ! !

لقد بيناه فى وضوح : ليعلم الذين يؤمنون بتصوف ، ويكفرون بتصوف[1] أن التصوف كله دين واحد ، وأن تقسيمه إلى معتدل وغير معتدل ماهو إلى شركٌ لئيم . يعد لاصطياد من لديه بقية من حذر الإيمان و بصيرته .

هل القتل جهرة رذيلة ؟ والقتل خفية فضيلة ؟ إن من يجيب على هذا يستطيع أن يجيب على هذا السؤال : أتصوف ابن عربى كفر . وتصوف ابن عطاء إيماء ؟ !

عبد الرحمن الوكيل

---

(١) أقول هذا لأولئك الذين يحسنون الظن بالتصوف العملى ، ويثنون على بعض ألوانه كتصوف الجنيد ، والجيلانى ، وابن عطاء . ولعلهم . وقد رأوا تصوف ابن عطاء ، وهو من الموسومين بالاعتدال العظيم فى التصوف . لعلهم يعذروننا فى مهاجمة كل تصوف سواء منه تصوف الجنيد . أم تصوف ابن عربى ، فهذا وليد ذاك ، ثم إننا لا يمكن أن نقر كـاملين شيئا يقوم بإزاء الإسلام ، فما ثم من حق إلا دين الله.

من تاريخ الفرق :

فرق المعتزلة

يقول الرازى : « أعلم أنهم سبعة عشر فرقة »

الفرقة الأولى : الغيلانية .

أتباع غيلان الدمشقى[١] وهؤلاء يجمعون بين الاعتزال والإرجاء[٢] . وغيلان هذا هو الذى قتله هشام بن عبد الملك سابع خلفاء بنى مروان .

---

(١) غيلان بن مسلم القبطى الدمشقى كان من الخائضين فى القدر كمعبد الجهنى الجعد بن درهم قبل ظهور واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد زعيمى المعتزلة . وقد جعله الرازى من المعتزلة للتشابه التام بين أصول مذهب القدرية ـ ومنهم غيلان ـ وبين أصول المعتزلة الذين هم تلامذة القدرية. وإليك ما يقوله شيخ الإسلام ابن تيمية عن القدرية : « وأصل بدعتهم كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله والإيمان بأمره ونهيه ووعده ووعيده ، وظنوا أن ذلك ممتنع . . وكان أكثر الخواض فى القدر بالبصرة والشام وبعضه فى المدينة فصار مقتصدوهم ، وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم ، وصار نزاع الناس فى الإرادة وخلق أفعال العباد ، فصاروا فى ذلك حزبين . النفاة يقولون : لا إرادة إلا بمعنى المشيئة ، وهو لم يرد إلا ما أمر به ، ولم يخلق شيئا من أفعال العباد وقابلهم الخائضون فى القدر من المجبرة ، مثل الجهم بن صفوان وأمثاله ، فقالوا : ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة ، والأمر والنهى لا يستلزم إرادة ، وقالوا العبد لا فعل له ألبتة ، ولا قدرة ، بل الله هو الفاعل القادر فقط» ص ٢٥ ومابعدها جـ (١) مجموعة الرسائل الكبرى

(٢) يقول الحميرى فى الحور العين : وسميت المرجية مرجية« لأنهم يرجون أمر أهل الكبائر، من أهل محمد إلى الله تعالى ولا يقطعون على العفو عنهم ولا على تعذيبهم . ويحتجون بقوله تعالى:=

الفرقة الثانية : الواصلية : أتباع واصل بن عطاء الغزّال ، وهو أول من قال : إن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر ، ولا منافق ، ولا مشرك . ومن مذهبهم أن عليا وطلحة رضى الله عنهما لو شهدا فى شىء واحد فشهادتهما غير مقبولة ، وإن شهد فيه كل واحد منهما مع شخص آخر ، فشهادته مقبولة(١) .

الفرقة الثالثة : العَمْرِيَّة أتباع عمرو بن عبيد ، ومن قولهم : إن شهادة طلحة والزبير غير مقبولة بوجه(٢) .

= (وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم ، وإما يتوب عليهم) ويقولون إخلاف الوعد كذب ، وإخلاف الوعيد عفو وتفضل وكرم . . فجائز أن يخلف الله وعيده فى القرآن ، ولا يعذب أحدا من أهل الكبائر من المسلمين . ويجوز أن يعذبهم بقدر ذنوبهم . وأرجوا الأمر فى ذلك إلى الله » ص ٢٠٣ الحور العين مطبعة السعادة سنة ١٩٤٨ .

(١) يقول عبدالقاهر البغدادى فى كتابه « الفرق بين الفرق » بعد أن ذكر رأى السلف والخوارج فى على ومعاوية وأصحابهما : « وخرج واصل عن قول الفريقين وزعم أن فرقة من الفريقين فسقة لابأعيانهم ، وأنه لايعرف الفسقة منهما ، وأجازوا أن يكون الفسقة من الفريقين علياً وأتباعه وسائر من كان مع على يوم الجمل ، وأجاز كون الفسقة من الفريقين عائشة وطلحة والزبير ، وسائر أصحاب الجمل . ثم قال فى تحقق شكه فى الفريقين : لو شهد على وطلحة أو على والزبير أو رجل من أصحاب على ورجل من أصحاب الجمل عندى على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما ، لعلمى بأن أحدهما فاسق لا بعينه ، و لو شهد رجلان من أحد الفريقين أيهما كان قبلت شهادتهما » ص٧٢ ، ثم حكم فى كتابه « أصول الدين » بكفر واصل لأنه أنكر قدر الله ، وأثبت أن العبد هو الخالق لفعله ، ولشكه فى شهادة على وأصحابه أنظر ص ٣٣٥ من كتابه « أصول الدين » مطبعة الدولة فى استانبول سنة ١٩٢٨ م وانظر أيضاً ص ٤٠ التبصير للاسفرايينى .

(٢) يقول صاحب « التبصير » ص ٤٢ عن عمرو بن عبيد : « كان يوافق واصلا فيما ذكرنا من بدعته ، وزاد عليه أن قال : كلا الفريقين من أصحاب حرب الجمل فسقوا ، وهم خالدون مخلدون فى النار » .

الفرقة الرابعة : المزيلية[1] أتباع أبى المزيل . ومن مذهبهم «أن خالقية الله تعالى قد انتهت إلى حد لا يقدر أن يخلق شيئا آخر » ؟ .

العدد القادم إن شاء الله بقية فرق المعتزلة . وتبدأ بالفرقة الخامسة « النظامية أتباع إبراهيم بن سيار النظام » . الهدى النبوى

---

(١) الأولى تسميتها : الهذلية ، فقد سميت هكذا فى أكثر كتب الفرق ، ثم هى منسوبة إلى أبى الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٢٦ هـ . واسمه كما فى الفرق للبغدادى أبو الهذيل ابن محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف وسماه كذلك صاحب التبصير وفى شرح المواقف « أبو الهذيل ابن حمدان العلاف » وفى الملل والنحل « أبو الهذيل حمدان بن أبى الهذيل العلاف » ويقول صاحب التبصير ص ٤٢ : فى عد فضائحه ، القول بتناهى مقدورات الله ، والقول بفناء نعيم الجنة ، وعذاب أهل النار ، وبقاء أهل الجنة والنار فى جمود وسكون ، والقول بأن صفات الله عين ذاته .

من أخبار الجماعة :

قرر مجلس إدارة (المركز العام) تكوين لجنة لشئون الفروع من السادة الأساتذة : رشاد الشافعى وشاكر عبد العليم القمبشاوى ومحمد سيف الدين سكورى. وذلك للمرور على الفروع ، وتفقد شئونها ، وتقديم مشورتها إليها فى أمورها . كما سيقوم الأستاذ محمد سيف الدين سكورى بمراجعة سجلات ومستندات ودفاتر الفروع وفحص حساباتها وتقديم تقرير عنها للمركز العام مرة فى كل سنة على الأقل . فعلى مجالس إدارات الفروع تمكينهم من ذلك حتى يتم الترابط والتعاون على أكمل وجه إن شاء الله .

مختـــــارات :

دعاء كريم

« اللهم أعنى ، ولا تعن علي ، وانصرنى ، ولا تنصر على ، وامكر لى ، ولا تمكر بى ، واهدنى ، ويسر الهدى لى . وانصرنى على من بغى على . رب إجعلنى لك شكاراً . لك ذكارا لك رهابا . لك مطاوعاً . لك مخبتاً . إليك أواهاً منيباً . رب تقبل توبتى ، واغسل حوبتى ، وأجب دعوتى ، وثبت حجتى ، واهد قلبى وسدد لسانى واسلل سخيمة صدرى[١] »

« المسند والترمذى من حديث ابن عباس » .

« عليك بالسنة »

قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة « الشهير بالماجشون التيمى المدنى الفقيه المتوفى سنة ١٦٦ هـ » .

عليك بلزوم السنة . فإنها لك بإذن الله عصمة ، فإن السنة إنما جعلت ليستن بها . ويقتصر عليها ، وإنما سنها من قد علم مافى خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعمق . فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم . فإنهم عن علم وقفوا ، وببصر بافذ كفوا، ولهم كانوا على كشفها أقوى ، وبتحصيلها لو كان فيها أحرى ، وإنهم لهم السابقون ، وقد بلغهم عن نبيهم ما يجرى من الاختلاف بعد القرون الثلاثة ، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه ، لقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلتم : حدثٌ حدثَ بعدهم ، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم ، واختار ما نحته فكره على ما تلقوه عن نبيهم ، وتلقاه عنهم من

---

(١) شكار : كثير الشكر . رهابا : كثير الخوف . مخبتا : خاشعا. منيبا : راجعا إليك بالتوبة . حوبق : إثمى. سخيمة : الحقد .

تبعهم بإحسان . ولقد وصفوا منه ما يكفى ، وتكلموا منه بما يشفى ، فمن دونهم مقصر ، ومن فوقهم مفرط . لقد قصر دونهم أناس ، فجفوا.وطمح آخرون ، فغلوا ، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم » .

حول الصفات الإلهية

عن الربيع بن سليمان أنه قال . سألت الشافعى ــ رحمه الله تعالى ــ عن صفات الله تعالى ، فقال : « حرام على العقول أن تمثل الله تعالى ، وعلى الأوهام أن تحده،وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى الضمائر أن تعمق ، وعلى الخواطر أن تحيط ، وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه ، أو على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام » .

وقال سحنون صاحب مالك : « من العلم بالله السكوت عن غير ما وصف به نفسه » .

وخطب مطرف بن عبد الله بن الشخير التابعى العظيم . فقال : « الحمد لله الذى من الإيمان به الجهل بغير ما وصف به نفسه » .

فعقب الحسن البصرى بقوله معجبا مسرورا : لقد تكلم مطرف على هذه الأعواد بكلام ما قيل قبله ، ولا يقال بعده .

« الهدى النبوى »

سموم تصدرها المطابع

إلى العالم الإسلامى

تفضل الأخ الكريم نور الدين على الصومالى بزيارتى فى منزلى ـ وهو قاض شرعى بالصومال ، وعضو بعثة الصومال إلى الأزهر ـ . وقال الأخ لقد كتبتم عن كثير من الأصنام التى تعبد من دون الله . وما تفضلتم بالكتابة عن « عبد القادر الجيلانى » الذى يعبده الكثير من دون الله فى الصومال . ولهذا جئت أرجوك فى الكتابة عنه ، لعل المسلمين فى الصومال العزيز ينيبون إلى الله وحده .. ويتوبون مما زينه لهم شيطان الجن أو شيطان الإنس من الاستعمار .

ثم تفضل مشكورا . فأعطانى كتابين أولهما موسوم باسم « تفريح الخاطر فى مناقب تاج الأولياء و برهان الأصفياء الشيخ عبد القادر الجيلانى » ألفه بالفارسية الشيخ محمد صادق القادرى ، الشهابى السعدى وترجمه إلى العربية الشيخ عبد القادر بن محيى الدين الأربلى القادرى الطبعة الرابعة سنة ١٩٥٧ م شركة مكتبة ومطبعة (. . . . . .) وهى مطبعة كبرى فى حى الأزهر من القاهرة .

أما الثانى فموسوم باسم « الفيوضات الربانية فى المآثر والأوراد القادرية » وهو مطبوع فى نفس المطبعة .

ولقد تصفحت الكتاب الأول . ورأيتنى أكتب على غلافه تحذيراً لولدى الصغير حين يكبر من هذا الكتاب : « لقد تمرست طويلا بخرافات التصوف . وضلالات زندقته . وعماية جهالته ، فيما خلف من تراث . ولكننى لم أجد كتابا من بين كتب التصوف يساوق هذا الكتاب فى ضلالته وخرافاته » وفى صفحة أخرى وجدتنى أخط على الكتاب: « كتاب كله خرافات ملعونة » .

و إليك بعض ما فى الكتاب : كل ولى على قدم نبى . إذا سمعت من الصوفية ضلالا يخالف الشريعة . فتوقف فيما سمعت ، ولا تحكم بضلاله . واعلم أن لأرواح الكمل تصرفات

ثلاثة ؛ أولا : التجسد والتمثيل بالصور كما تجسد روح على بن أبى طالب لاستخلاص سلمان الفارسى من السبع .

ثانيا : التصرف فى الأجساد الإنسانية لتكون روحانية نورانية .

ثالثا : التصرف فى الأشياء . وللارواح فيوض . بها تربى فى عام الظاهر بالمشافهة والمواجهة . أو من غير رؤية .

ثم يزعم الكتاب أن الجيلانى رأى الرسول ليلة المعراج ، وشرف بتشريف الولاية المطلقة المحمدية ، ثم يزعم أن الرسول بلغ سدرة المنتهى . فتوقف جبريل ، وتحير الرسول إلى أين يذهب . ولكنه مالبث أن شعر بكتف يحمله . فنظر الرسول . فرأى الجيلانى هو الذى يحمله على كتفه إلى الله ! ! فقال له الرسول : طوبى لمن رآك . أو رأى من رآك أو رأى من رأى من رآك إلى سبعة وعشرين . وجعلتك وزيرى فى الدنيا والآخرة ، ووضعت قدمي هذه على رقبتك وقدماك على رقاب جميع الأولياء بلاتفاخر !! وتروى هذه الأسطورة بطريقة أخرى فى الكتاب لما ارتقى الرسول السبع الطباق ليلة المعراج رأى العرش عظيما رفيعا ، وسمع صوتا من عالم القدس : ارق على العرش . وخطر فى قلبه كيف أرقى عليه بهذه العظمة والرفعة . فحضر فى تلك الحالة شاب حسن وجهه نورانى ، وأدى التحية اللائقة لحضرته ، فبلسان الباطن ألتمس أن يضع قدمه المباركة على رقبته ، فوضع النبى قدمه على رقبته . فقام ونما حتى استوى إلى العرش ، فتوجه إلى الشاب . وسأل عن اسمه . فخطر فى قلبه أن لهذا الشاب رتبة بلا نهاية ، ومقاما ليس كمقامات الولاية . فسمع النبى هاتفا من الله : ياحبيبى هذا من ولدك وقرة عينك واسمه عبد القادر !! فقال له الرسول : يانور عينى وياضياء أهل بيتى تكون قدماك على رقاب جميع الأولياء ، فمن قبل قدمك ، فله الدرجة العظمى ، ومن لم يقبلها حط عن رتبة الأولياء .

وجاء فى الكتاب أيضا أن الجيلانى حل محل البراق ، وأن موسى ناقش الغزالى ليلة المعراج ، فغلبه الغزالى ، وأن الجيلانى صام فى المهد ، وأن من يذكر اسم الجيلانى بغير

وضوء ينفصل رأسه عن جسده . أو يضيق عليه الرزق ، وأن من نذر هدية إلى الجيلانى وجب عليه الوفاء ، وأن الجيلانى أحيا ميتا قائلا له : قم بإذنى ، فانشق القبر وقام الميت حيا مغنيا . وأن من رأى الجيلانى فى يوم الجمعة صار وليا ، وأن الجيلانى كان ينظر إلى التراب فيصير ذهبا ، وأن الله قال له جعلت أسماءك مثل اسمائى فى الثواب والتأثير !!

ويصور لنا الكتاب صورة معركة بين ملك الموت و بين الجيلانى . فيزعم أن ملك الموت قبض روح خادم للجيلانى فجاءت زوجته تصرخ . فصعد الجيلانى على برج المراقبة . فرأى ملك الموت يصعد إلى السماء ومعه الأرواح المقبوضة . فقال ياملك الموت أعطنى روح خادمى فلان ، فرفض ملك الموت قائلا : أنى أقبض الأرواح بأمر إلهى ، وأؤديها إلى باب عظمته . واحتدم النقاش بين الملك و بين الجيلانى . وأخيرا مد الجيلانى يده واختطف الزنبيل الذى به الأرواح المقبوضة . فتفرقت هذه الأرواح ورجعت إلى أبدانها ، فاشتكى ملك الموت . فقال له الله : يا ملك الموت إن الغوث الأعظم محبو بى ومطلو بى لم لا أعطيته روح خادمه ؟ وقد راحت الأرواح الكثيرة من قبضتك بسبب روح واحد ، فتندم ملك الموت .

هذه خرافات أخترتها من عدة صفحات قليلة من الكتاب، ، بقايا الكتاب مفعمة بمثل هذه النتن الإلحادى . ولقد علمت من الأخ الكريم نور الدين أن هذه الكتب وأمثالها من مؤلفات « دحلان والنبهانى » كان يروجها الاستعمار التركى هناك .

وواضح أشد الوضوح أن مثل هذه الكتب لا تخدم إلا الاستعمار ، فإنها تربط الناس بالأصنام التى يشيدها ، وتفرغها من الخوف من الله ، ومن حب الله ، وتملأها بالخوف من الطواغيت أو الشيوخ و بالحب لهم . وإذا تجرد القلب من خوف الله وخشيته تجرد من الإيمان والعاطفة الشريفة . لقد قلنا مرارا ، وكررنا ذلك : وهو أن التصوف يعيش دائما فى خدمة المستعمرين . وراقبوا كل بلد رزىء بالاستعمار وفتشوا ونقبوا فى تراثه الدينى . فإنكم لن تجدوا سوى تصوف حنى بكل خرافة . و بكل أسطورة ، و بكل ما يربط مصائر الناس بالأوثان .

ثم راقبوا هذا البلد بعد نجاته من الاستعمار ، إنكم ستجدون ثورة . ثورة على كل بقايا الاستعمار وأوكاره ، ولاسيا التصوف . وستجدون هذا ينزوى فى ركن قصى يترقب اللحظة التى ينتقم فيها من الإسلام . وممن فضحوه . وفضحوا نواياه وصلته الآثمة بالاستعمار . وفى ترقبه هذا يتردى برداء يزعم فيه أنه إصلاح وروحانية . وما هو إلا فساد وعماية مادية .

إن الصومال الوطن الإسلامى عزيز علينا نحن المسلمين وحبنا لهذا البلد الكريم هو الذى يدفعنا إلى أن ننبه إلى أمثال هذه الكتب التى نصدرها نحن إليه . وإلى أن نطالب بمنعها منعا باتا حتى لا نكون كالصديق الجاهل ، أو كالدبة التى قتلت صاحبها . كما يدفعنا حبنا للصومال ، ولغيره من الأوطان الإسلامية إلى أن نطالب بالإكثار من إرسال البعثات الدينية من رجال يفقهون الدين جيدا . وعلى بصيرة مما أنزل الله ، ليبينوا لاخواننا هناك أن هذا الكتاب وأمثاله من الحجب الصم التى تحول بينهم و بين الإيمان القوى الصحيح . أو بين النصر الكبير فى المعركة الكبرى ضد الاستعمار وخلفائه . ماذا نقول ونحن الذين نصدر هذه السموم الفتاكة إلى الصومال وغيره ؟

إننا أمة مسلمة . ولديننا شرعته السامية ومثله العالية ، وقيمه الخالدة . فلنحرص — ونحن فى نضالنا العظيم — على أن نبين هذه المثل والقيم كما بين الله ، لا كما بينت القرون المظلمات . وأهواء الاستعمار ، ونزوات الشيوخ . لنحرص على أن نأمر الناس بأمر الله وننهاهم عما نهى الله ، فى إخلاص وصدق وقوة دون مواربة ومداهنة . فالقليل من المؤمنين أنفع من أمم ضالة غوية . أما إذا حرصنا على هوى الناس ، فكأنما نحرص على هوى المستعمرين ، فما نظن مسلماً يكون له مثل هذا الهوى ، الذى يقدس مثل مافى ذلك الكتاب ، إننا بدعوتنا هذه ، إنما ندعو إلى إقامة أمة مسلمة موحدة تدين بدين واحد ، لتظل أبداً فى كفاحها وحدة قوية تنحسر دونها قوى البغى والعدوان .

يقول بعض الناس : إننا بنضالنا ضد هذه الخرافات نفرق الجماعة ! ! .

أية جماعة تقصدون ؟ .

ولو كان الأمر كما تقولون ، لما قام محمد صلى الله عليه وسلم بواجبه ، ولصدق اتهام المشركين له ! ! .

بل لما قامت ثورة إصلاحية فى مصر كان لها أثرها الجليل الرائع فى جميع البلاد التى رزئت بالاستعمار .

لو حرصت الثورة على جماعة كهذه ، ماأصلحت شيئاً ، ولكنها حرصت على مبادىء وقيم وأهداف ، وسواء رضى بعض الناس أم غضبوا ، إذ لا يهم أبداً فى ميزان الحقيقة رضى أحد من الناس وغضبه ، إنما المهم دائماً أن يكون الحق وحده رائدنا ، ورضوان الله وحده مبتغانا .

وإننا بالحرص على جماعة بضلالها ، إنما نحرص على أن نفقد عون القوة التى لا تهزم أبداً ولها النصر أبداً . قوة المدد من الله سبحانه .

إننا نحمل الراية ، والمشعل ، ونقود السارين فى طريق النضال والحرية ! ! .

وواجبنا يحتم علينا أن ندعو من يحيد ونهديه سواء السبيل ، وأن نستنهض من يبغى القعود أو التخلف ، وأن نسحق كل عقبة فى الطريق ، وأشد العقبات فى طريق الإيمان وتحرر العقل، تراث الخرافة فى التصوف ، فلنعلنها حرباً لا هوادة فيها عليه .

لماذا ؟ .

لنستحق نصر الله ، وعون الله ، ومدد الله ، ولننقذ العقول من هذا السرطان الذى يفتك بها .

رئيس التحرير

صحافتنا . . وخرافة البخت

في جرائدنا ومجلاتنا أبواب ثابتة (للبخت) يطالع فيها القارىء كل يوم ماسيحدث له في المستقبل بحسب التاريخ الذى ولد فيه والمحدد بصفحة البخت .

وكثير من المؤمنين بالبخت لايبدأون تصفح الجرائد والمجلات إلا إذا ألقوا نظرة كلها لهفة وشغف على أعمدة البخت ليطمئنوا على مايخبئه لهم المستقبل .

ولو كان هذا العمل صادراً من الدجاجلة الذين يشتغلون بالتنجيم لابتزاز أموال السذج من الناس لهان الأمر ولخفت المصيبة . ولكن ـ مع الأسف الشديد ـ نجد أن هذا العمل ـ على مافيه من مخالفة للدين والشرع ـ يصدر من الصحافة التى نعتبرها أداة توجيه وإرشاد وتبصير !!

وصحافتنا حين تنشر هذه الأمور التى تعتبر من « الغيبيات » تنشرها اتباعاً لسنة التقليد والجهل لا أكثر من ذلك ولا أقل .

وقد سبق أن نشرت صحيفة الشعب التى اندمجت فى الجمهورية كلمة لفلكى يتنبأ فيها بفساد حكم خروشوف في أغسطس سنة ٥٩ و بعدم زيارته لأمريكا فى سبتمبر سنة ١٩٥٩ . ولكن حدث العكس .

وأرسلت لمحرر باب « عزيزى القارىء » بالشعب ناقداً صحيفته لإيمانها بخرافة البخت . وكان أن عاق المحرر على نقدى بقوله (. . . ولماذا الشعب وحدها يا أخى ! ؟ كُنْ عادلا وقُلْ إن أعمدة البخت هذه ليست وقفاً على الشعب فقط . بل تنشرها جميع الصحف والمجلات . و بلا استثناء . إننى أومن ـ من بين ما أومن ـ بما يقوله لسانى أو تخطه يمينى فقط !. ولست مسئولا طبعا عن « صحافة البخت ») .

هذه شهادة شاهد من أهل الصحافة على إيمان الصحافة بالخرافات والترويج لها ، فمتى تؤمن صحافتنا بالله الذى بيده وحده علم الغيب والقائل فى كتابه العزيز : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) ، ومتى تؤمن صحافتنا أيضا أنها أداة إرشاد وتبصير و بناء !.

* * *

صحافتنا .. والتفاهات

مات الكاتب الأمريكى (ارنست هيمنجواى) منذ أيام فأفردت الصحف والمجلات المساحات الكبيرة من صفحاتها للكتابة عنه . وراح الكتاب يكتبون فى إسهاب عن قصة حياته وعبقريته ووطنيته ، و يشيدون به ، كما راحوا يعلقون على نهايته . وهل مات ميتة طبيعية أو مات مصروعا أو .. أو .. الخ .

وليس جديداً على صحافتنا أن تهتم كل هذا الأهتمام بالكاتب الأمريكى . فهذا شأنها وديدنها . فقد كتبت من قبل وملأت الأعمدة عن وفاة الممثل جارى كوبر ، وعن قصة حياته ، وعن مرض اليزابث تايلور ، وعن مجون هذا الممثل وعربدة تلك الممثلة أو العاطلة . وهكذا شغلتنا وتشغلنا صحافتنا دائما بأخبار وقصص الفساق ومجونهم ، فهى لاتكتب إلا فى التافه ولا تبحث إلا عن الغث ، وكأن مشاكل حياتنا قد انتهت فلم يعد منها مهم لتتخذ منها الصحافة مادة للكتابة .

و إنى لا أدرى والله .. ماذا يهمنا من كون هيمنجواى كان أديباً عملاقا وفيلسوفا بارعا ؟. وماذا ستفيدنا قصص وأخبار طائفة الفساق والمعربدين من الممثلين والممثلات ؟. هل كل هذه التوافه لها دور مهم فى بناء المجتمع ؟

ومن أغرب الغرائب أن صحيفة المساء نشرت يوم ١٢/٧/١٩٦١ كلمة لرئيس تحريرها يعتب فيها على الصحافة اهتمامها الزائد بقصة هيمنجواى وغيره وتركها المهم و الجاد من الأمور .. وفى اليوم التالى لنشر ذلك العتاب نشرت المساء نفسها شيئا عن حياة هيمنجواى . أليس هذا تضاربا ومبعثا للعجب ! ؟؟.

إن هناك من الأمور العظام ما يجدر بالصحافة أن تكتب فيها لاتصالها ببناء المجتمع ومستقبله ، كما أن فى بلادنا من الشخصيات الجليلة ماينبغى للصحافة أن تتكلم عنها وتبرز عمالها ، لأنها شخصيات قدمت لنا عظيم الخدمات .

* * *

الإذاعة فى فترة الصباح

إذاعاتنا فى القاهرة لا تكاد تنتهى فى فترة الصباح من إذاعة القرآن حتى تبدأ فى أسماعنا أغانى ، بعيدة كل البعدة عما يدعو إليه القرآن من خلق وأدب و إصلاح .

وفى الإذاعة أناشيد وقصائد وطنية وحماسية كثيرة خليقة بأن تذاع عقب تلاوة القرآن خير من هذه الأغانى التى تضر الأفكار والعقول .

ينبغى على الإذاعة ألا تأتى عقب تلاوة القرآن مباشرة : بما يبدد هدايته من النفوس ويذهب بالفائدة المرجوة من تلاوته . . ينبغى ذلك فكفانا ماتذيعه علينا طوال النهار والليل من الأغانى .

هذه صور من الحياة التى نعيشها ، ونحس فيها بالألم والمرارة . نطلب من الله الهداية للاذاعة والصحافة حتى تُصَحِّح هذه الأوضاع قريبا إن شاء الله .   سعد صادق محمد

[بقية المقال صفحة ٤٣]

فالمال الذى يكسبه المحامون من طريق نصرة الباطل حرام لا يباركه الله . . على القضاة أن يقتدوا بالرسول فيعظوا الخصوم قبل الاستماع إليهم . لعلهم يثوبون إلى الحق ويعترفون به . . إذا حكم القاضى لشخص ليس هو صاحب الحق . كان الوزر على هذا الشخص لأنه استحل مالا يحل له . فإذا استطاع صاحب الحق أن يثبت حقه بعد ذلك وجب على القاضى أن ينصت له ، وإذا ماتبين الحقيقة نقض حكمه الأول . . لأن الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل .

بركات على أحمد إبراهيم

أمين عهدة مدرسة آمون ببور سعيد

بين الضمير والقانون

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما أنا بشر . . وإنه يأتينى الخصم . . فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض . . فأحسب أنه صادق . . فأقضى له بذلك . فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار . فليأخذها أو ليتركها) رواه البخارى .

بينما كان النبى صلى الله عليه وسلم فى حجرة زوجه أم سلمة ، سمع بالباب جلبة خصومة ، إذ قدم إليه رجال يختصمون فى إرث قديم ، فخرج إليهم . . وقبل أن يستمع إليهم قدم لهم نصيحته . . قائلا : إنى إنسان لا أعلم سرائر النفوس . . ولا أعرف ماوراء الظاهر ، وإنما علم ذلك عند الله وحده ، فإذا اختصم إلى خصوم فربما كان أحدهم أنصع بياناً ، وأطوع لساناً ، وأقدر على الإقناع ، وقد يكون غير محق . . فأحكم بما يظهر لى ، ولست عليما بالغيب . وربما كان صاحب الحق عاجزاً عن الإبانة . . يضطرب فى مجلس القضاء فينسى الدليل ولا يحسن الدفاع فأحكم عليه . . لأنى لا أعلم أنه صاحب الحق . . وإذاً فليحذر كل امرىء منكم أن يدافع عن باطل ، وليحذر أن ينال بقضائى ماليس له . . فمن قضيت له بغير حقه فإنما جزاؤه النار لأنه عاش ظالم ، وأن أولئك المحامين الذين ينصرون الباطل ، و يستعينون على ذلك بالبراعة الخطابية والقدرة على التلاعب بالقانون .. متناسين واجبهم الأصلى فى مساعدة القضاء . . للوصول إلى الحقيقة . إنهم آثمون ، خارجون على حكم الدين وكأنهم .. نسوا أو تناسوا أن المساعد على الجريمة مجرم ، وأن المال الذى يتقاضونه من طريق غير مشروع . . وإذا استطاعوا أن ينجوا المجرم من العقوبة فى الدنيا فمن الذى يستطيع أن ينجيهم يوم القيامة من العذاب . . الدفاع عن الباطل ، وطمس معالم الجريمة وإدانة البرىء ، وتبرئة المجرم إثم كبير . قال تعالى (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ، إن الله لايحب من كان خواناً أثيما) . ويقول سبحانه (ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا . فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ..) .

(البقية بذيل صفحة ٤٢)

٦ - نواقض الإسلام

الرابع من نواقض الإسلام : النذر لغير الله تعالى ، لأنه عبادة لا يجب على الناذر الوفاء به إلا إذا نذره لله ، فيكون النذر لغير الله شركاً ويصير الناذر مشركاً به (من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) والمنذور باطل لا يجوز الوفاء به .

الآيات القرآنية الدالة على أن النذر عبادة وصرفه لغير الله شرك : قال الله تعالى (٢ : ٢٧٠ ـ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار) وقال الله تعالى (٦ : ١٢١ ـ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) وقال الله تعالى (٦ : ١٣٦ ـ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله ، فهو يصل إلى شركائهم ، ساء مايحكمون) وقال الله تعالى (٦ : ١٣٨ ـ وقالوا هذه أنعام وحرث حِجْر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ، وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها إفتراء عليه ، سيجزيهم بما كانوا يفترون) وقال الله تعالى (٦ : ١٤٥ ـ قل لا أجد فى أوحى إلىّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أودماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به) وقال الله تعالى (٧٦ : ٥ ، ٨ ـ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ، يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً) .

وإذا علمت ذلك من الآيات القرآنية ، فهذه النذور الواقعة من عباد القبور تقرباً بها إليهم ليقضوا لهم حوائجهم وليشفعوا لهم عند الله ، كل ذلك شرك فى العبادة بلا ريب . ذلك لأن الناذر لله وحده قد علق رغبته به ، لعلمه بأن ماشاء الله كان ومالم يشألم يكن ، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع . فتوحيد القصد هو توحيد العبادة . ولهذا

ولهذا ترتب عليه وجوب الوفاء فيما نذره طاعة لله ، والعبادة إذا صرفت لغير الله صار ذلك شركاً بالله فيكون الصارف قد أثبت ما نفته « لا إله إلا الله » من إلهية غير الله ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) .

الأحاديث الدالة على أن النذر لغير الله باطل : لايجوز للناذر لغير الله الوفاء به ولا يحل للسدنة قبضه، عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » رواه البخارى .

وعن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال « نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة فسأله النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قالوا : لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوف ، فإنه لا وفاء لنذر فى معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه أبو داود .

وعن طارق بن شهاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دخل الجنة رجل فى ذباب ، ودخل النار رجل فى ذباب . قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً ، فقالوا لأحدهما : قرب . قال : ليس عندى شىء أقرب ، قالوا له : قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار . وقالوا للآخر : قرب فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة » رواه الأمام أحمد .

إجماع العلماء المحققين على أن النذر لغير الله معصية لا يجوز الوفاء به ولا يحل للآخذين آكله :

قال الحافظ ابن حجر : إتفقوا على تحريم النذر فى المعصية وتنازعوا هل ينعقد موجباً للكفارة أم لا ؟والراجح لا كفارة عليه .

قال شيخ الإسلام[1] رحمه الله: وأما ماندر لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر

(١) هو ابن تيمية رحمه الله (الهدى النبوى) .

والقبور ونحو ذلك ، فهو بمنزله أن يحلف بغير الله من المخلوقات . لاوفاء عليه ولا كفارة، وكذلك الناذر للمخلوقات فإن كلاهما شرك . والشرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر الله من هذا ويقول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من حلف وقال فى حلفه : واللات والعزى ، فليقل لاإله إلا الله » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وبن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وقال فيمن نذر للقبور[1] ... هذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به . وكذلك إذا نذر مالا للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة ، فإن فيهم شبهاً من السدنة التى كانت عند اللات والعزى ومناة ، ويأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله.

وفيهم أيضاً شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام (ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون؟) والذين اجتاز بهم موسى عليه السلام وقومه (وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) فالنذر لأولئك السدنة « الخلفاء » والمجاورين فى هذه البقاع نذر معصية . وقال الرافعى فى شرح المنهاج وأما النذر للمشاهد التى على قبر ولى أو شيخ . . . فهذا النذر باطل غير منعقد .

وقال الشيخ قاسم الحنفى فى شرح درر البحار : النذر الذى ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيقول : يا سيدى فلان إن رد الله غائبى أو عوفى مريضى أو قضيت حاجتى فلك من الذهب أو الفضة أو من الطعام أو من الماء أو من الشمع أو الزيت كذا . فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه :

منها أنه نذر لمخلوق ، والنذر للمخلوق لا يجوز ، ولأنه عبادة لا تكون لمخلوق ، ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر . إلى أن قال: إذا علمت هذا ، فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربياً إليها فحرام بإجماع المسلمين .

وقال الشيخ صنع الله الحلبى فى الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء : فهذا الذبح

(١) يعنى شيخ الإسلام ابن تيمية.

والنذر إن كان على اسم فلان فهو لغير الله فيكون باطلاً . قال الله تعالى (٦ : ١٢١ ـ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) .

وقال الله تعالى (٦ : ٥٢ ـ إن صلاتى ونسكى ومحياى ، ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له) والنذر لغير الله اشراك مع الله كالذبح لغيره . وقال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعانى فى تطهير الإعتقاد .

فإن قلت هذه النذور والنحائر ما حكمها ؟ قلت قد علم كل عاقل أن الأموال عزيزة عند أهلها يسعون فى جمعها ولو بارتكاب كل معصية ، ويقطعون الفيافى من أدنى الأرض والأقاصى ، فلا يبذل أحد من ماله شيئاً إلا معتقداً لجلب نفع أكثر منه أو دفع ضرر . فالناذر للقبر ما أخرج من ماله إلاّ لذلك ، وهذا اعتقاد باطل ، ولوعرف الناذر بطلان ما أراده ما أخرج درهماً ، فإن الأموال عزيزة عند أهلها قال الله تعالى (٤٧ : ٣٧ ـ ولا يسألكم أموالكم . إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) فالواجب تعريف من أخرج النذر بأنه إضاعة لماله وأنه لا ينفعه ما يخرجه ولا يدفع عنه ضرراً، وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن النذر لا يأتى بخير وإنما يستخرج به من البخيل » .

ويجب رد نذر المعصية إليه وأما القابض للنذر فإنه حرام عليه قبضه لأنه أكل لمال الناذربالباطل لافى مقابلة شىء ، وقد قال تعالى (٢ : ١٨٨ ـ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) ولأنه أعان على إقرار الناذر على شركه وقبح إعتقاده ورضاه بذلك ، ولا يخفى حكم الراضى بالشرك (٤ : ١١٦ ـ إن الله لايغفر أن يشرك به) فهو مثل حلوان الكاهن ومهر البغى ، ولأنه تدليس على الناذر وإيهام له أن الولى ينفعه ويضره . فأى تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على الميت ؟ وأىّ تدليس أعظم وأى رضاء بالمعصية أبلغ من هذا ؟ وأى تصيير لمنكر معروفاً اعجب من هذا ؟ .

وما كانت النذور للأصنام والأوثان إلاّ على هذا الأسلوب : يعتقد الناذر جلب النفع فى الصنم ودفع الضرر ، فينذر له جزوراً من ماله ويقاسمه فىغلات أطيانه ويأتى به إلى سدنة الأصنام فيقبضونه منه ويوهمونه حقية عقيدته ، وكذلك يأتى بنحيرته فينحرها بباب الصنم وهذه الأفعال هى التى بعث الله الرسل لإزالتها ومحوها وإزالتها والنهى عنها . اه .

الحديث موصول إن شاء الله تعالى . نور الدين على الصومالي

العدالة الاجتماعية فى الإسلام

كان الناس -عربهم وعجمهم- قبل الإسلام، و بعثة الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم، فى فوضى عامة من جميع جوانب الحياة، فلم تكن تربطهم أواصر المحبة الإنسانية، ولا التعاون على البر والتقوى، ولا علائق من المحبة والمودة، ولا رباط من الرحمة والشفقة. إنما كان قانونهم شريعة الغاب، وتحكم القوى فى الضعيف، وإذلال الغنى للفقير، وتجبر الكبير على الصغير. و إذا كانت القبائل متماسكة أو متحدة، فإنما للتعاون على الإثم والعدوان على غيرها، والإغارة والسلب والفتك بالآخرين، حتى استحقوا المقت والبغض من الله.

ثم بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وداعياً إلى الله بإذنه وإلى صراط مستقيم، وجمع الله به الناس على الحق المبين، وهدى به إلى الطريق القويم. فتآلفوا بعد فرقة، واجتمعوا بعد شتات، وتحابوا وتآخوا بعد عداوة. وأصبح الرجل منهم يحب لأخيه مايحب لنفسه، بل و يؤثره على نفسه، امتلأت قلوبهم إيماناً بالله، و إيماناً برسوله، وحباً لله ولرسوله، ثم ظهرت ثمرة هذا الإيمان وهذا الحب، خلقاً رفيعا، وسلوكا حميداً، وطاعة وانقياداً لأمر الله، وتضحية بالمال والنفس فى سبيل الله، وتواضعاً وحباً لعباد الله، وشعوراً صادقاً بالمساواة، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله وطاعته، وأن الناس جميعاً لآدم وآدم من تراب، وأنهم سراسية كأسنان المشط، وأن خيرهم أنفعهم لعباد الله. فتسابقوا فى مواساة الفقير، وتنافسوا فى البذل والكرم والإحسان، وسارعوا إلى الإنفاق على اليتامى والأرامل والمساكين، فغدت الأمة كلها تتقلب فى نعيمى الدين والدنيا، إذا جاعوا جاعوا جميعاً، و إذا شبعوا شبعوا جميعا، وتلك لعمر الله - أسمى درجة فى العدالة الاجتماعية- والحاكم والمحكوم فيها سواء.

وما زال أمر الناس كذلك، حتى سرى فيهم داء الترف، فأصابتهم الأثرة والأنانية والشح وحب النفس، فقبضوا أيديهم، و بخلوا بما جعلهم الله مستخلفين فيه، وأمسكوا مال الله عن عباد الله. فأخلفهم ذلا بعد عزة، وضعفا بعد قوة، وقذف فى قلوبهم الوهن

وجعل بأسهم بينهم شديداً ، فتفرقوا بعد اجتماع ، وأصبحوا مطمعا لكل طامع ، وفريسة لكل جائع .

لن نذهب بك بعيداً فى الزمان ولا فى المكان ، ولكن انظر إلى حال بلدتنا هذه من عهد قريب كانت مقدرات الأمة كلها من مال وعقار وجاه وسلطان مجتمعة فى أيدى نفر قليل من السادة ، وكان أكثرهم أجانب عن الأمة . كان جل هؤلاء السادة ـ إن لم نقل كلهم ـ من المتمردين على الله وعلى رسوله ، فلم تسجد لله منهم جبهة ، ولم يجع لله منهم بطن ، ولم يخرج لله من جيبهم قرش ، ولم تسع لحج بيت الله منهم قدم ، بل كان حجهم لأوربا ، وقرشهم لبيوت الأزياء والجواهر وكل ماحرم الله ، وسجودهم وخنوعهم للمستعمر .

لقد قامت الثورة بأعمال جليلة قلما تتاح مثلها فى أجيال ؛ ولكنها حققتها فى بضع سنين،فطردت المستعمر،وبوّأت للعرب مركزاً ممتازاً فى الحقل الدولى ؛ وأيقظت الشعوب فى إفريقيا وآسيا ، وساعدت على استقلال كثير منها . وفى الداخل استردت قنال السويس من الغاصبين ، وردت إلى الفلاحين أرض آبائهم وأجدادهم ، وأقامت المصانع حتى أوشكت الأمة أن تكتفى ذاتياً من كل شىء مما كان يستورد ؛ وسلحت الجيش حتى أصبح أقوى درع للعرب جميعاً ، ونفذت مشروع كهربة خزان أسوان ، و بدأت فى مشروع السد العالى لمضاعفة الأراضى المزروعة والقوى المحركة ، وأنشأت من المدارس والمعاهد والمستشفيات أضعاف ما كانت من قبل ، وغير ذلك مما يجل عن الحصر ، فهل تحرك أحد من الأغنياء أصحاب الملايين للمساهمة فى تلك الأعمال الجليلة ؟ لم يفعل أحد منهم شيئاً .

فلما كانت الذكرى التاسعة لقيام الثورة أعلن قائدها وزعيمها الرئيس جمال عبد الناصر عن قوانين وتشريعات فى إعادة تحديد الملكية الأرضية ، وفرض ضرائب تصاعدية ، مما يحقق كثيراً من العدالة الاجتماعية ، ويقرب الشقة الواسعة بين الطبقات ، و يوفر دخلا كبيراً للثروة العامة ، حتى تنهض الثورة بالمشروعات التى أعدتها لرفاهية الشعب وتقدمه .

لقد منع هؤلاء الأغنياء الزكاة التى فرضها عليهم الإسلام من زمن بعيد ، ومنعوا أيديهم أن تنبسط بخير إلى بنى وطنهم ، فكان حقاً على الله أن يأخذها منهم عنوة ، وأن يذيقهم مرارة الخروج من بعض أموالهم وهم كارهون .

أيها الأغنياء : لا تزال فى أيديكم أموال كثيرة ، ولا تزال خزائنكم ملأى مما أعطاكم الله فاتقوا الله واعرفوا حق الفقير فيما جعلكم مستخلفين فيه ، واعلموا أنكم غير معجزى الله ، وأنه سبحانه لكم بالمرصاد ، فعودوا إلى الله بالطاعة والخشية والتوبة والإنابة ، وكفروا عما سلف منكم ، واعلموا أن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .

ما أشبه ما فعلت الثورة بما فعل الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز حينما ولى الحكم فأخذ المظالم وردها إلى أهلها ، فليس فيما فعلت الثورة إذن بدعة ، ولكنها العدالة ، ومحو المظالم ، وتحقيق المساواة .

لقد نجحت الثورة فى القضاء على خطر الإقطاع ، الذى كان يجعل من الإقطاعى صنما يعبد من دون الله . يهب لفرد كل شىء ، ويحرم الألوف من كل شىء بذلوا الجهد والعرق فى سبيله ، ونسأل الله أن يوفق الثورة فى القضاء على إقطاع آخر أشد خطراً يتمثل فى الصوفية وليدة الصهيونية والاستعمار ، فإنها الوباء الذى يفتك بعقائد المسلمين وأخلاقهم بما بثت فيهم من البدع والخرافات .

إن الإقطاع الصوفى يتمثل خطره الداهم ، وداؤه الوبيل ، ومرضه الفتاك ، فى أنه يجعل (الشيخ) طاغوتاً كبيراً تشد إليه الملايين من الناس ، فتصبح حياتهم مسخرة لشهواته ونزواته .

قد يثور الأجراء على الإقطاعى الذى سلبهم ثمرة عملهم ، أما فى الإقطاع الصوفى فلن يثور الدرويش أبدا على شيخه الذى سلبه إرادته ومشاعره وعقيدته ، لأنه يراه ممثلا لإرادة الله فى الأرض ، وهيكلا حلت فيه روح الله .

إن الإسلام ليطلب فى قوة أن تتجه إليه أنظار المصلحين ليرفعوا عنه هذا الركام من الضلالات والوثنيات التى حطتها عليه الصوفية فحجبت نوره المشرق وضوءه الباهر عن الناس ، إن الإسلام يريد أن يزحف لينير للأمم طريق الحرية والعزة والكرامة الإنسانية كما فعل من قبل ، ففكوا عنه أغلال الصوفية وآصارها .

انصروا الله بهذا . فإن تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم .

سليمان رشاد محمد

العدد ٤ — ربيع الثانى
المجلد ٢٦ — سنة ١٣٨١

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
الهدى النبوى
مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٣٠ ـ في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ ـ فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

المجلد ٢٦ — ربيع الثانى سنة ١٣٨١ — العدد ٤

قتل الإنسان ما أكفره ؟

مقتطفات من قلم فقيد الإسلام أستاذنا الجليل الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنته .

اختصرها : محمد رشدى خليل

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل ذكره (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم) .

الخطاب موجه للذين كفروا بالله وآياته ، الذين يضلون بالقرآن وأمثاله ، والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل من الأرحام وغيرها ، والذين يفسدون فى الأرض بكفرهم ونفاقهم وعصيانهم .

يقول تعالى ذكره : على أى حال و بأى صفة تكفرون بالله ربكم ، وتجحدون آلاءه ونعماءه عليكم وتبطرون حقه ، وتستكبرون عن عبادته وطاعة نبيه الذى اختاره واصطفاه من أنفسكم واتخذه سفيراً بينه وبينكم . ليهديكم إلى صراطه المستقيم ، وتأبون إلا عناد ذلك العزيز الحكيم اتباعاً لهوى أنفسكم الجاهلة وعصبية لما ورثتم عن آبائكم وأجدادكم من العقائد الباطلة من عبادة موتى لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً

ولاحياة ولا نشوراً ، ومن اتخاذ أنداد تدعونهم من دونه ، وهم أضعف من الذباب وأوهن من العنكبوت ، وتسوونهم بالله القاهر فوقكم وفوق كل شىء والغالب عليكم وعلى كل شىء ؛ والمدبر لكم ولكل شىء . وهو ذو البطش الشديد ، وهو الذى يبدىء ويعيد ، وهو الفعال لما يريد . وها أنتم أولاء ترون آيات قدرته باهرة ، وسوابغ نعمته متتالية متظاهرة . فقد كنتم عدماً متوغلين فى الخفاء والعماء ، وأتى عليكم حين من الدهر لم تكونوا شيئاً مذكوراً ؛ منبثة أجزاؤكم فى طبقات الأرض تراباً وماء وهواء ، لا فرق فى ذلك بين أجزائكم و بين أجزاء كل الحيوان والنبات والجماد ؛ ثم أنشأكم من ذلك العدم ، ووهبكم الحياة وأعطاكم هذه النعمة التى أبرزتكم إلى عالم الوجود فخلقكم أطواراً فقبض من أجزاء تلك الأرض قبضة خلقها بيده وصورها أحسن صورة ، وأكملها ونفخ فيها من روحه ، فكانت أباكم الأول آدم ثم خلق من نفسه زوجه حواء . ثم أجرى بعد ذلك تلك الأجزاء والذرات فى مسارب الحرث والأنعام ، وساقها إلى الأبوين غذاء يجرى فى عروقهما حتى تكون فى مستودعها من الصلب والترائب ؛ ثم ركب فيهما من الحرارة والشهوة ، وجمع بينهما بالحب والتزاوج حتى التقيا على أمر قد قدر . فكان منه دفق تلك النطفة المهينة فى مستقرها من الرحم فانضم عليها واحتضنها حتى كانت بعد مدة مقدرة علقة ثم مضغة ، ثم قدرها عظاماً دقيقة رقيقة ، ثم كسا العظام لحماً ؛ ثم أنشأه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين (هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم) (فلينظر الإنسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر . يوم تبلى السرائر . فما له من قوة ولا ناصر) (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) .

فانظر أيها الإنسان وتأمل شديد التأمل فيما لله القوى القاهر الحكيم اللطيف الخبير ، الرءوف الرحيم ، عليك من فضل . كيف صورك فى بطن أمك ، ثم لطف بك جنيناً

يطعمك ويسقيك ويرزقك حيث لا يقدر أحد ، ويحفظك ويرعاك ويهيىء لك أسباب الحياة فى هذه الظلمات حيث لا يستطيع غيره ، ثم أخرجك من ذلك المكان الضيق ويسر خروجك بعجيب قدرته ، ثم أعاد ذلك المكان إلى حاله الأول من الضيق ببالغ حكمته ، ثم عطف عليك قلبيْ أبويك وأنت طفل ضعيف فى مهدك ، فسهرت الأم ليلا طويلا ، وتحمل الأب عناء ثقيلا فى سبيل راحتك ، وكيف أجرى الله لك اللبن فى ثديها يحلله مما تتناول من الأغذية الثقيلة ويجريه فى قنواته ويصفيه ويمزجه بما يكون أصلح غذاء لمعدتك ، وأنفع طعام لإنماء جسمك ؛ وما زال يترقى بك شيئاً فشيئاً حتى قويت معدتك على هضم الطعام ، فأنبت لك عندئذ الأسنان التى تطحن هذا الطعام ، وتذوق به لذة العيش ومتعة الحياة ؛ وأخرجك من بطن أمك لا تعلم شيئاً فجعل لك السمع والبصر والفؤاد لعلك تشكره بما تعرف من آلائه ونعمائه ، وأخرجك من بطن أمك عارياً فكساك ووارى سوأتك مما أنزل لك من اللباس والرياش والزينة ، وهكذا لا يزال الله يتولانا بالعناية والرحمة والإحسان . (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) أبعد كل هذا يكفر الانسان بربه ؛ ويتخذ له الأنداد والأمثال ؟ (قتل الإنسان ما أكفره) أبعد هذا ومع هذا يقول الانسان : إن الله لا يسمع الدعاء ولا يجيبه إلا بواسطة الموتى من الأولياء وغير الأولياء ؟ أبعد هذا ومع هذا يجعل الإنسان لما لا يعلم من أولئك الموتى نذراً يتقرب به إليهم ، ليستدفع به بأسهم ، وغضبهم ونقمتهم . ويستجلب به رضاهم وبركتهم مما خلق الله له ورزقه من الحرث والأنعام ؟ ! سبحانك ما أحلمك على عبادك ، وما أكرمك على خلقك ، تحلم عليهم لعلهم يتوبون إليك ويرجعون إلى ساحتك ، وتتودد إليهم لعلهم يعرفونك فيذكرونك فيشكرونك بإخلاص العبادة لك وحدك ، والكفر بكل ما يعبد من دونك ، سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك .

وفى قوله تعالى (ثم يميتكم) إيقاظ لقلوب غلبت عليها زينة الحياة الدنيا ، وفتنتها مباهجها وملاذها ، وخدعها الشيطان عن ربها وبارئها ، وقادها بزمام هذه الدنيا لحازها وتملكها ، ونفث فيها من سمومه ما أماتها وأفقدها إحساسها وشعورها فمادت كالحجارة

القاسية ، وأعماها عما نصبه الله بين يديها من شبح الموت ، وأغفلها عما كتبه الله عليها من مفارقة هذه الدار ، وأنساها ربها وكتابه الذى كتب فيه أجلها ورزقها وعملها ، وأنساها وعد ربها الذى لن يخلف ، وأوهمها أن مدى هذه الحياة بعيد وحبلها غير منصرم ، وسببها غير منقطع ، فاشتد تعلقها بهذه الدنيـا وملاذها ، واشتد حرصها على شهواتها ومتاعها ، وركضت وراءها بكل قوتها وسمرت العين فى هذه الدنيا فلا ترى سواها ، وتعلقت النفس بحبالها فلا تفكر إلا فيها ، وهى عنها مولية مدبرة سريعة التولى والإدبار ، ولا يزال كذلك عبد الدنيا يركض وراءها ، وهى تمنيه ولا تعطيه ، وتخدعه ولا تواتيه ، حتى تلقيه فجأة فى حفرة قبره ، وتسلمه على حين غرة إلى الملكين يسألانه ، ويشددان عليه المسألة ، فتضيق عليه الدنيا ، ويضيق عليه القبر حتى تختلج أضلاعه ، وتذهب نفسه حسرات ويقول : هل إلى خروج من سبيل ؟

أيها الأحياء المتمعون بنعمة الحياة ، المسرفون على أنفسهم فى ملاذ هذه الحياة ، الغافلون عما بين أيديهم مما هو آت ولا بد بعد هذه الحياة ، أفرغوا قلوبكم من هذه الحياة الفانيه ، واملأوها بعبادة الله وخشيته ، والاستعداد لما بعد هذه الحياة ، فإنكم والله إن لم تفعلوا لجاهلون سفهاء . « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » فلقد توعدكم الرب القادر الحكيم ، الذى أعطاكم هذه الحياة الأولى وأخرجكم بها مما كنتم فيه من العدم وأمدكم فيها بمال و بنين وجنات وعيون وكنوز ونعيم ، توعدكم هـذا الرب القهار أنه لابد يسلبكم هذه الحياة و يعيدكم إلى الأرض مرة ثانية ، تختلط أجزاؤكم بذراتها وتنبت فى طبقاتها ، وتدغم فى عوالمها (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) وستبقون فى الموتة الثانية مدة لايعلم قدرها إلا الله مقدرها ، كما أنه لايعلم قدر الموتة الأولى والعدم السابق إلا الله وحده وهو علام الغيوب .

(ثم يحييكم) بعد هذه المدة التى انقضت على موتكم فيبعثكم من القبور بعد طول رقدتكم ، فإن الذى بدأكم أول مرة هو الذى سيعيدكم ، وأن الذى وهبكم الحياة الأولى

بعد العدم الأول قادر على أن يردكم إلى الحياة الثانية بجمع ماتفرق من أجزائكم و بنائها حتى تعود كما كانت ، ويأمر الروح أن تخرج من مستقرها لتعود إلى جسمها ومسكنها الذى كانت تسكن فيه وتقطنه فى الحياة الأولى .

(ثم إليه ترجعون) فى يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون (إن يوم الفصل كان ميقاتا . يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا) (يوم يقوم الناس لرب العالمين) (يوم توفى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون) (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) (يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) (يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه . وصاحبته و بنيه . لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه . وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها قترة ، أولئك هم الكفرة الفجرة) .

فهل ينبغى و يليق بالإنسان العاقل ، الساعى إلى مصلحة نفسه ونفعها ونجاتها وجلب الخير والسعادة لها أن يكفر بالرب الخالق القهار الذى هذا خلقه ، وهذا فضله ، وهذا ملكه ، وهذا عدله ، وهـذا شأنه وحكمه ؟! هل يليق أن يتخذ لهذا الرب العظيم المالك للدنيا والآخرة أنداداً من خلقه ؟ من الموتى الذين أحياهم الله أولا ثم أماتهم وفرق أجزاء أجسامهم وحبس أرواحهم حيث أقرها حتى يجىء وقت عودتها إلى جسمها فى الحياة الثانية ، وهم لايملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا .

ثم ساق الله تعالى حجة أخرى ، على أن الإنسان الظالم لنفسه أشد الظلم فى اتخاذ آلهة من دون الله ، وأنه لاينبغى ولا يليق أن يُعبد إلا الله وحده مخلصاً له الدين ، مجرداً قلبه له وحده ذلاً وحباً ، وفقراً ومسكنة ، وخشوعاً واستكانة وتوكلا ودعاء ، واستغاثة والتجاء ، فقال سبحانه و بحمده وتعالى جدُّه وجل ثناؤه :

(هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم) .

يذكّر الله عباده بأنه العظيم القدرة الواسع العلم ، العزيز الحكيم : الذى خلق الأرض

وكل مافيها من حيوان ونبات ، وماء وهواء ، وجبال ورمال ومعادن (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعقلون تلك الآيات ويقولون (رَبَّنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) ويذكرهم سبحانه أن كل ذلك منّة منه عليهم ، وإحسان من كرمه وجوده إليهم ليشكروه حق شكره بإخلاص القلب لعبادته وبذل النفس فى طاعته ، وصدق التوجه إليه وحده ، بدون التفات إلى شىء من الدنيا من إنسان أو ملك ، فإن الله وحده كافى عباده ، وحسبهم أن يحتاجوا إلى سواه (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونْ . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) .

ففى قوله (خلق لكم مافى الأرض جميعا) أمران عظيمان جدير بالانسان أن يتفهمهما جيد التفهم . أحدهما : أنه خلق ذلك عبرة لنا ، ومعونة بالنظر فيه والتأمل على تحقيق التوحيد والإخلاص فى الذل والخضوع لبارئه ومبدعه ، وأن ذلك ـ والذى نفسى بيده ـ لأجلّ مايهتم له العاقل ويقدره حق قدره ، ويصرف إليه عظيم جهده وعميق تفكيره وتأمله . والأمر الثانى : أنه سخر لعباده كل مافى الأرض ، وأعده لمنفعتهم وقضاء لباناتهم ، وسد عوزهم وحاجاتهم حتى لا يكون لهم حجة فى الانشغال عن ربهم وعبادته ، بما يصرفهم الشيطان به ويخدعهم من طعام أو شراب ، أو متاع . وذلك كقوله تعالى (ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) وقوله : (ألم تر أن الله سخر لكم مافى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم) وقوله (وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

وفى هذا دليل للقاعدة المشهورة من الدين « الأصل فى الأشياء الإباحة » أى إباحة الانتفاع بها ، أكلا وشربا ولبسا ، وجميع الاستعمالات حتى يرد النص من كتاب الله أو حديث رسوله صلى الله عليه وسلم بالنهى عنها وحظرها . وأنه ليس لمخلوق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحرم شيئاً أو يبيحه . قال تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ليفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله

الكذب لايفلحون) وقال (قل : أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالا . قل الله أذن لكم ، أم على الله تفترون) وما يحظره الطبيب على المريض من طعام أو شراب حلال فى نفسه ، وكذلك مايمنع منه حاكم مسلم عادل مقيم لدين الله ، حاكم بما أنزل الله من التصرف فى بعض المباحات ، اتقاء مفسدة ، أو لجلب مصلحة — فليس من التحريم الدينى . ولا يكون ذلك وصفاً دائماً للشىء بل يبقى وصفه مادامت علته . فإذا زالت العلة زال الوصف .

وقوله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم ﴾ « استوى » علا وارتفع وقصد ؛ أى بعد أن دحى الأرض وأخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعا لكم ولأنعامكم ، قصد (إلى السماء) وهى دخان (فسواهن سبع سموات) فأتم خلقهن من هذه المادة الدخانيه ، وفصلهن سبع سموات طباقا ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وجعل فى كل سماء بروجها وكواكبها وزينتها ، وأسكنها من شاء من ملائكته ، وزين السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظاً من كل شيطان مارد . قال تعالى فى سورة فصلت (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ، ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ، ذلك تقدير العزيز العليم) وقال تعالى فى سورة الكهف (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) فلا نعلم من كيفية خلق الله للسموات والأرض وترتيب ذلك وأيهما الآخر إلا ما حكى الله فى هذه الآيات ؛ فلنقف عند ذلك حتى يجيئنا الخبر القاطع عن الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم .

وقد ختم الله تعالى الآية بما ينبه إلى الوقوف عند ما ذكر الله وعدم الخوض فى غير

ذلك : إذ قال (وهو بكل شيء عليم) فهو العليم بكيفية خلق ذلك وكنهه وحكمته ومايننفع الناس منه .

وقد قال تعالى فى سورة الطلاق (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن. يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، ونسأله أن يزيدنا ثباتا وتقديراً لنعمة ربنا علينا بالهداية . ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً

محمد حامد الفقى
رحمه الله

« توحيد الله عز وجل »

فرغت من الكلام عن كلٍّ من توحيد الربوبية الذى هو اعتقاد أن الله عز وجل هو رب كل شىء وخالقه ومليكه وأنه مدبر الأمر كله لا مدبر له غيره وأنه الرازق للعباد المتكفل بمصالحهم وأن الحكم كله لله لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا مُنكِره له على مايريد. وتوحيد الألهية الذى هو أفراده سبحانه بالعبادة وإخلاص الدين له وحده والبراءة من كل مايعبد من دونه مما لا يملك لعابديه نفعا ولا خيرا ولا هدى ولا نصرا ولا رزقا ولا شفاء ولا غير ذلك من شئون الربوبية التى لا يستحق العبادة والتعظيم إلا من كان متصفا بها. وليس ذلك إلا الله وحده جل شأنه: والآن أنتقل إلى بيان النوع الثالث من التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات. ولهذا النوع من التوحيد أهمية خاصة لكثرة ما يقع فيه من اللبس. ولطالما احتدم حوله الجدل وثار النزاع بين الطوائف المختلفة. فهو بحق مدحضة العلماء ومزلة أقدامهم ومحك اختبارهم، كم ضل فيه من علماء أعلام وتاه فى تيهه كثير من أولى النهى والأحلام ولا سبب لذلك طبعا إلا الجرى وراء الفلسفات الدخيلة والمذاهب الوثنية وإحسان الظن بها وتقديم ذلك على هدى الكتاب والسنة وقد عالجت هذا الموضوع فى كتابى المعروف (بابن تيمية السلفى) عند الكلام على المذاهب المختلفة فى الصفات. وفى شرحى للعقيدة الواسطية المعروف بالثمار الشهية. وقد ألفت فيه أخيرا رسالة صغيرة بعنوان (مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية فى صفات الله تعالى) ولكنى مع ذلك لازلت أرى أن الموضوع من الخطورة بحيث يحتاج إلى مزيد من الإيضاح والتأكيد.

وقد رأيت أن أقتصر هنا على إثبات المذهب الحق ضاربا صفحا عن ذكر ما عداه من المذاهب سواء ما كان منها غاليا فى الإثبات كمذاهب المشبهة والممثله. أو غاليا فى النفى والتعطيل كمذاهب الجهمية والمعتزلة والفلاسفة وإن فيما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه

ابن القيم الجوزية رحمهما الله تعالى فى هذا الباب لغنية وشفاء فقد أوفيا فيه على الغاية إيرادا للحجج والبراهين وردا على المشاغبين والمعاندين وتركا فى هذا الموضوع من المؤلفات الصغيرة والكبيرة ما يعيا به الحصر. فعلى طالب الهدى الرجوع إلى ذلك ليعلم أين يكون الحق فى هذا المضطرب الذى تتصارع فيه الآراء والأفهام

ولقد رأيت أن أفتتح الكلام فى هذا الموضوع بتلك المقدمة القوية الرائعة التى صدر بها شيخ الإسلام ابن تيمية فتواه الحموية ، التى ألفها جواباً على سؤال ورد إليه من حماه يقول فيه صاحبه (ما قول السادة الفقهاء أئمة الدين فى آيات الصفات كقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقوله (ثم استوى على العرش) وقوله (ثم استوى إلى السماء وهى دخان) إلى غير ذلك من الآيات — وأحاديث الصفات كقوله صلى الله عليه وسلم « إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن » وقوله « يضع الجبار قدمه فى النار » إلى غير ذلك وما قالت العلماء فيه ؟ وابسطوا القول فى ذلك مأجورين إن شاء الله تعالى . فأجاب الشيخ رحمه الله وغفر له .

الحمد لله رب العالمين — قولنا فيها ما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهذا هو الواجب على جميع الخلق فى هذا الباب وغيره .

فأن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد وشهد له أن بعثه داعيا إليه بإذنه وسراجا منيراً وأمره أن يقول (هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) فمن المحال فى العقل والدين أن يكون السراج المنير الذى أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو إلى الله و إلى سبيله بإذنه على بصيرة . وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمتة .

محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الأيمان بالله والعلم به ملتبسا مشتبها ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول .

فكيف يكون ذلك الكتاب ؟ وذلك الرسول ؟ وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقادا وقولا ؟

ومن المحال أيضا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وقد علم أمته كل شيء وقال (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى ألا هالك » وقال فيما صح عنه أيضا « ما بعث الله من نبي ألا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم » وقال أبو ذر « لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه فى السماء ألا ذكر لنا منه علما » وقال عمر بن الخطاب « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه » رواه البخارى ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة فى الدين وأن دقت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم فى ربهم ومعبودهم رب العالمين الذى معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول إلية غاية المطالب . بل هذا خلاصته الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الالهية . فكيف يتوهم من فى قلبه أدنى مسكة من إيمان أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام .

ثم إذا كان هذا قد وقع منه فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا فى هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين .

ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة — القرن الذى بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وغير قائلين فى هذا الباب بالحق المبين لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول ، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع إلى أن يقول :

« ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لا يعرف قدر السلف بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن « طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم » وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء فقد يعنى بها معنى صحيحا .

فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هى مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى) وأن طريقة الخلف هى استخراج معانى النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات .

فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التى مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا فى تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف فى الكذب عليهم والضلال بتصويب طريقة الخلف » اهـ .

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

دعـــاء

وقفت أعرابية على قبر أبيها فقالت : يا أبت إن فى الله تبارك وتعالى من فقدك عوضاً ، وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصيبتك أسوة . ثم قالت : اللهم نزل بك عبدك مقفراً من الزاد ؛ مخشوشن المهاد ، غنياً عما فى أيدى العباد ، فقيراً إلى مافى يديك ياجواد ، وأنت أى رب خير من نزل به المؤملون ، واستغنى بفضله المقلون ؛ ولج فى سعة رحمته المذنبون . اللهم فليكن قِرى عبدك منك رحمتك ، ومهاده جنتك ، ثم انصرفت .

الإسراف

الإسراف : هو الإفراط والتمادى وتجاوز القصد . وضده التفريط والتقتير أو البخل . وهو يختلف باختلاف مواقعه . فالإسراف فى الإنفاق تبذير وسرف . وفى التنعم وتدليل النفس رفاهية وترف . وفى حب المال وادخاره بخل وطمع . وفى الأكل والشرب نهم وجشع . الخ

والإسراف فى أى ناحية يدفع إليها الهوى طيش وسفاهه . ودليل على حب الظهور وعلى الأنانية والشراهة .

فهو عطش الحس . وجشع النفس . وثورة الشهوة . وسيطرة النزوة . وتحكم شيطان الهوى على نفس سفيهة مطواعة . تخضع صاغرة لشهواتها ولا تعرف القناعة .

فكلما حرم القلب سعادة الإيمان ولذة الروح فضعفت رغبات المرء المعنوية واشتدت رغباته المادية وتركزت فى شهواته الجسدية . إذ لابد للمرء أن يتلذذ ، فإن لم يجد لذة القلب انغمس فى لذة البدن ، وإن لم يذكر الباقية ، تعلق بمتع الفانية ، وقضى حياته فى لهو ولغو وترف وقصف وكان من المسرفين على أنفسهم المفسدين فى الأرض الذين لا يصلحون . وأسير الشهوة كيف يُصلح ؟ وغريق اللذة كيف يفلح ؟ وما أصدق قول الله تعالى (ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون)

والإسراف رذيلة تفضى بصاحبها إلى الفقر وذل الدين والندم ، فكم من غنى شهوانى أنانى ، بدد ماله وشتت ثروته ، فيما يرضى هواه ويشبع شهوته . فأغضب ربه ولم يؤد فرضه ولم يحج بيته ولم يصل رحمه ، وترك أولاده فقراء محرومين ولم يبال بمستقبلهم وراحتهم ، فضحى من أجل لذته بسعادتهم .

إن مطاوعة النفس الأمارة والتمادى فى التمتع بالمتع الجسدية من أكل وشرب ولهو وغيره ، إسراف يمقته الله وينهى عنه بقوله (كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين)

فهو يكره منا أن نوجه كل همنا إلى بطوننا وشهواتنا البدنية ، وأن نكرس حياتنا وجل وقتنا لملذاتنا وأهوائنا التافهة الدنيوية ، وأن ننفق فى طعامنا وشرابنا فوق ما تقضى به حاجة المعيشة وضرورتها . ويريد سبحانه أن يقينا داء الشراهة ويصون أموالنا وأخلاقنا من عواقبها الوخيمة ، ويحفظ صحتنا من مضار النهم الجسيمة . فإسرافنا فيما نحب يفضى بنا إلى ما نكره ، ولا بد من الحرمان بعد الإدمان .

فكم خسر المسرف ماله وصحته وشرفه ودينه بالإفراط فيما يهواه . ألم تر كيف تهالك الطماع الجماع على الربح وباع الآخرة لتهافته على دنياه . ؟ ؟ فأغضب ربه وأشقى نفسه وغيره وراح ضحية هواه . ألم تر كيف تهافت النهيم على ألوان الطعام ، وعاش ليأكل ويشرب كما تعيش الأنعام ، فأتلف صحته واشترى لبدنه الأسقام ، وزاق أضعاف لذته مرارة الآلام . انظر كيف فتكت ضروب الإسراف بالأخلاق والأموال والأجسام ، وكيف دفعت إلى الى الانتحار وارتكاب الآثام . ؟ فمن منتحر بالإسراف فى الأكل ومن منتحر بالإسراف فى العمل . ومن منتحر بالاسراف فى المتع بل هناك من انتحر بالاسراف فى العبادة . وكل منهم ممقوت من الله بإسرافه وعصيانه قوله تعالى (لا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) لأن كلا منهم قلب الخير شرا ، وجعل بإفراطه من النفع ضررا . فكان كمن انتحر بإسرافه فى تناول الدواء الشافى فجعل منه سما قاتلا . وما أصدق من قال : ما زاد عن حده ، انقلب إلى ضده .

إن فى الإسراف لشراحتى فى الحب ، فما أضل المسيحيين ودعاهم إلى الشرك بالله إلا الإسراف فى حب عيسى عليه السلام والغلو فى إجلاله و إطرائه ولذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم « لا تطرونى كما أطرى النصارى عيسى ابن مريم »

وما أضل المرء ودفعه إلى الآثام والاعتداء على غيره أو التقصير فى حق غيره إلا الإسراف فى حب نفسه فظلم نفسه وغيره .

وما أعمى الوالدين عن واجبهما فأفسدا أولادهما بالتدليل والتغاضى عن آثامهم إلا الإسراف فى حبهم فهلك الحبيب والمحبوب .

وما أهلك البخيل وحرمه لذة الدارين وأذاقه عذابهما إلا الإسراف فى حب المال فأخذ شره وترك خيره .

وما أفلس الغنى إلا الإسراف فى حب الظهور وحب الأحدوثة والبذخ والترف فقعد ملوما محسورا .

وما أسقم وأضعف القوى السوى إلا الإسراف فى حب الأكل أو حب العمل والربح أو حب المتع والملذات ، فالهلاك وكل الهلاك فى الإسراف .

والإسراف فى أى عمل مضر حتى فى نواحى الخير ، لأن من يتفانى فى ناحية من نواحى الخير لا بد أن يتوانى فى ناحية أخرى فينقلب عمله إلى شر .

ومن يفرط فى الانكباب على واجب لابد أن يفرط فى واجبات ، ولا قيمة لخير جاء بشر ولا خير فى عناية دفعت إلى تقصير ولا فى أداء واجب ضيع حقا .

فكم من متعبد أغضب الله بإفراطه فى عباداته لتفريطه فى واجباته ، وكم من مقصر فى فريضة ليسرف فى عبادة ومتفان فى واجب يتوانى فى أوجب منه . فباء بغضب من الله لأن إسرافه أخرجه على حدود الحق والعدل فأضر لينفع وأهمل ليعنى وقسا ليرحم فأفرط وفرط لاتباعه هواه كما قال تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)

فهناك الذى يتفانى ويفرط فى الانكباب على عمله فيفرط فى واجبه نحو بيته وزوجه وولده ، ويضحى بصحته وراحته وراحة وسعادة أهله وينغص عيش الأسرة بتغيبه المستمر وتقصيره وإهماله الدائمين ويتناسى أن زوجه وولده أحق وأولى برعايته وأن واجبه الأدبى نحوهما أهم من واجبه المادى ولا يستحى من أنه أهمل بيته وأهله ليعنى بالناس وتفانى فى واجب العمل الذى يهواه فتوانى فى أوجب منه وكان سبب شقاء وتعب من أمر وكلف بإسعادهم وراحتهم فعصى أمره تعالى (ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين) وأمر رسوله فى قوله « إن لجسدك عليك حقا . وإن لعينك عليك حقا . وإن لزوجك عليك حقا » .

وهناك من يسرف فى العبادة فيهمل عمله ويضيق على أهله ويمنع حق الفقير فى ماله ليحج كل عام ويواظب على زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يحرم هذه الرحلة الممتعة السنوية . وتناسى أن قريبه الفقير المريض وابن وطنه المحتاج اليتيم أحق وأولى بهذا المال الذى ينفقه فى سبيل متعته وهو يظن أنه ينفقه فى سبيل الله ، وغفل عن أن الله سيعاقبه على هذه العبادة الهوائية لأنه ضيع حقا وقصر فى فريضة ليسرف فى عبادة توافق هواه فعصى أمر ربه (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)

واعجب لمن لا يميز بين الكرم وبين التبذير ولا بين الاقتصاد وبين التقتير فيرى الاقتصاد بخلا والإسراف كرما وسخاء فيلبس الفضيلة ثوب الرذيلة والرذيلة ثوب الفضيلة . ويعتبر المقتصد الذى يجتنب كثرة اللهو والمرح والتمادى فى التزين والتأنق ، القنوع الذى يكره التبذير والفهم فلا يفرط فى الأكل والشرب ، التقى الذى يحب الاحتشام ويعاف التبرج والتهتك ، بخيلا جاهلا : أما الفاسق المبذر المتمرغ فى حمأة الرذائل والمنكرات . الجشع النهم الغارق فى المآكل واللذات ، الماجن الطائش المنهمك فى الحفلات والسهرات . فيعده سخيا كريما ويعتبره محترما عظيما .

فالكرم ليس بكثرة التأنق والتنعم والرفاهية ، ولا بفاخر الرياش ونفيس الأثاث وسكن القصور الفخمة العالية ، ولا بكثرة إقامة الولائم والحفلات وأكل ألوان الطعام الشهية الغالية . « فشر الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الشبعان ويمنع عنه الجوعان » كما قال الرسول عليه السلام . إنما الكرم مصدره النفس المؤمنة الكريمة التى تسارع فى الخيرات ، لا النفس الشرهة اللئيمة التى تسارع فى اللذات ، النفس الرحيمة التى تواسى البائس المسكين ، وتغيث الملهوف وتعطف على المريض والحزين ، فحد الجود أن يبذل المرء ماله حيث يجب البذل ، ويحفظه حيث يجب الحفظ ومن بذل مكان الإمساك فهو مبذر . ومن أمسك مكان البذل فهو بخيل .

قال الشاعر :

لا تجد بالعطاء فى غير حق　　ليس فى منع غير ذى حق بخل .
إنما الجود أن تجود على من　　هو للبذل منك والجود أهل .

ثم اعجب لهذا المبذر الذى لا يقدر نعمة المال فينثره يمنة ويسرة بلا اكتراث . هذا الذاهل المتلاف الذى تتدفق النقود من يده فى استخفاف كالسيل فى بالوعات اللهو والملاذ . فينفق ويسرف ويقرض ويتلف ويهدى ويولم بل ويتصدق لا لأنه يعرف قيمة الصدقة ، بل لأنه لا يعرف قيمة المال ، فهو يلقى بالصدقة كأنه يلقى بالقمامة ، وهو ينفق من ماله بلا حساب ولا يبالى بشر عواقب الإسراف حتى يفقد ماله وصحته بعد ما فقد دينه وسعادته الأبدية . فالمسرف يذهله حب الشهوات عن حب المال كما يذهل البخيل حب المال عن حب الشهوات حتى المباحة التى لم يحرمها الله . فكلاهما خرج عن القصد إلى طرفى نقيض وأفضى بهما الإسراف إلى رذيلتين متناقضتين فحادا عن الصراط المستقيم . وكلاهما غفل عن الله واتبع هواه فأفرط وفرط كما قال تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)

والإسراف نسبى كالبخل . فما يعتبر إسرافا بالنسبة إلى فقير قد يعتبر بخلا بالنسبة إلى غنى ، وما يعتبر بخلا بالنسبة إلى غنى قد يعتبر إسرافا بالنسبة إلى فقير . والعاقل هو الذى يعرف أين يبتدىء البخل وينتهى الإسراف ، وأين يبتدىء الإسراف وينتهى البخل .

وقد أمرنا الله تعالى بالتوسط والاعتدال فى كل شؤوننا وأمور حياتنا وتحرى القصد فى إنفاقنا وكل تصرفاتنا فقال (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) وقال (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) فالتوسط والاعتدال هو الكمال . وكلما انحرف المرء عن الوسط اتجه إلى النقص وابتعد عن الكمال . ولذلك مدح الله تعالى المسلمين بقوله (وجعلناكم أمة وسطا) وقال الشاعر :

لاتغلُ فى شىء من الأمر واقتصد   كلا طرفى قصد الأمور ذميم

وذم الله تعالى التبذير ونهى عنه حتى فى التصدق . فاسمع لقول الله تعالى (وآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) تفهم أنه سبحانه لا يريد أن نغدق العطاء على حبيب أو قريب

إرضاء لعواطفنا فيعطيه أكثر من حقه . وتأمل كيف اعتبر الله تعالى مايحتاج إليه الفقير حقا . وما يزيد عما يحتاج إليه تبذيرا ، فما أبلغ وأصدق هذا التعبير . لأن معنى التبذير هو وضع الشيء فى غير محله و إلقاؤه كما تلقى وتبذر الحبوب على الأرض ، فإعطاء الفقير مالم يكن فى حاجة ماسة إليه ، تبذير وتضييع للمال سدى لأنه لم ينفع الآخذ ولا المعطى . بل أضر بالآخذ لأنه اغتصب مالم يكن فى حاجة إليه فاكتسب وزرا . وأضر بالمعطى لأنه لم ينتفع به فى الدنيا ولم يغنم به أجراً فى الآخرة ، فذهب هباء منثورا . ولذلك وصف الله تعالى المبذر بالكفر كالشيطان لأن التبذير استخفاف بنعمة الله والاستخفاف بالنعمة كفر بها و بمن أنعم بها .

وكم جنى التبذير فى التصدق إفساداً لأخلاق بعض الفقراء وهضما لحقوق الآخرين إذ يأخذ البعض زيادة عن حاجتهم فيغريهم بالشراهة والفساد ويدفعهم إلى اللهو والتدخين . و يأخذ البعض الآخر قليلا لايكفى حاجتهم وأولادهم ، وهل يصح فى شرعة العقل والإنصاف أن يمتع فقير ويدلل لأنه يجيد التملق والتزلف ، أو لأنه قريب أو حبيب . ويهمل آخر ويضيع لأنه غريب أو فظ غليظ وهما فى الفقر سواء ولكل منهما حق لابد أن يأخذه سواء كان عدواً أو حبيباً . وهل من العدل والإحسان أن يطعم فقير مايشتهى من لحم طير وحلوى ويتضور الآخر وأولاده جوعاً . ويكسى فقير من صوف وحرير ولا يجد الآخر مايستر عورته ويقيه وأولاده برد الشتاء . و يملأ جيب فقير بالمال يعبث به فى أبواب اللهو والملاذ . ولا يجد الآخر ثمن الدواء اللازم لمرضه وألمه . فوصية الله تعالى بالعدل وتحذيره التبذير ينظم الإحسان والتصدق فينال كل فقير مايستحقه على درجته من الفقر والعيلة و يصبح بذلك التنظيم القليل من الصدقة ينتفع به العدد الكثير من الفقراء .

فوا عجباً لأغنياء سفهاء يبذرون أموالهم جزافا ، ولا يجتنبون فى إنفاقهم إسرافا . ولا يراعون فى صدقاتهم عدلا ولا إنصافا ، ويحسبون أنهم يحسنون إذ يتصدقون بثوب سهرة وأدوات زينة أو بلهو فى مسرح أو بحلوى وسجائر كأن الصدقات جعلت للذة واللهو

والتنعم والتأنق . وذلك لأن المسرف الشهوانى الذى يعبد لذته ، قد يرأف بشهوانى مثله حرم متعته ، فيسعفه ويغيثه بما ينيله شهوته . وبئس العطاء الذى يخرج عن العفة والقناعة ويدعو إلى اللهو والمجون ، بل قد يمهد إلى ارتكاب الفحشاء والمنكر . فكل هذه الأشياء إنما هى مفسدات متلفات ، وحض على اتباع الهوى والشهوات . وإنما التصدق الذى يأمر به الله تعالى هو ملء البطن وغذاء البدن بما يفيده ويقيه ضرر الجوع وألمه ، لا بما يلذه ويمتعه ويشبع نهمه ، وستر الجسم وحفظه من البرد بثوب نظيف متين . لا تجميله وتزيينه بثوب أنيق ثمين ، فبهذا الإسراف على البعض يحرم البعض الآخر نصيبه فى الزكاة والصدقات .

وإنى أرى أن التصدق على المدخن أو المبذر حرام . لأنه لو امتنع عن التدخين واقتصد فى معيشته ولم يخضع لشراهته لكفاه رزقه ولما اضطر إلى الاستجداء . فهو إنما يستجدى توسعه ولذته . لا اضطراره وحاجته . وما جعلت الصدقات إلا للوازم الحياة ، وما يثبت ذلك قول الله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم) أى لا تطعموا المساكين من أغلى المآكل وأثمن الطعام ليتلذذوا ويبطروا . ولا من أحقره ليذلوا ويحقروا . ولكن أطعموهم من أوسط الطعام الذى يجمع الغذاء والإكرام معا .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام . « لا تسرف فى الماء ولو كنت على شاطىء نهر » فيفهم من هذا الحديث الشريف أن الاقتصاد واجب حتى فى الرخاء ، ولا يكون فضيلة إلا فى الغنى لأن الاقتصاد فى الفقر قهرى . أما فى الغنى فإنه اختيارى ، ولا فضل ولا قيمة لعمل عمل بالإكراه لا بالاختيار .

ولقد أعجبتنى أقصوصة فرنسية صغيرة ، وهى أن أحد التجار الأغنياء زار ابنه يوماً فى مكتبه ، وكان الابن تاجراً كأبيه ولكنه لم يوفق مثله إلى الربح الكثير فسأل أباه قائلا : كيف استطعت يا أبتى أن تجمع هذه الثروة الطائلة ؟؟ فأجابه الأب بعد أن أطفأ شمعة من الشمعتين اللتين كانتا موقدتين فوق مكتبه : لم أكن يابنى لأوقد شمعتين مادامت تكفينى

واحدة . ومغزى هذه الأقصوصة : أن الاقتصاد واجب حتى فى الأشياء الصغيرة التافهة . لأن الصغير مع الوقت والتكرار ، يصير كبيراً . والقليل مع التكرار يصير كثيراً . فالدينار يتكون من دراهم ، والسنة تتكون من دقائق ، والأنهار تتكون من قطرات . وكل هذا العالم يتكون من ذرات ، فلا يحتقرن عاقل القليل المستمر ، وليجتنبن الإسراف لأنه كالبالوعة لاتبقى ولا تذر . وكل ما كان محدوداً لابد أن ينفد مهما كان كثيراً . وكل ما كان محدوداً لابد أن يفنى مهما كان كبيراً . فمن يديم التبذير لابد أن يصل إلى الإفلاس كمن يديم الهدم لابد أن يأتى على الأساس . ومن يلقى بنفسه فى هاوية الفقر لابد أن يستقر فى قاعها .

فاحذر أيها العاقل كل أنواع الإسراف لئلا تضيع مالك وصحتك ، وتفقد كرامتك ، وتحرم سعادتك وراحتك ، وتخسر دنياك وآخرتك .

(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا) .

صدق الله العظيم

المرحوم الدكتور محمد رضا

رحمه الله

التـــبرج

جبلت المرأة على التزين والتبرج لما تقتضيها وظيفتها التى خلقها الله لها ، وهى أن تكون متاعا للرجل وزينة للحياة الدنيا ، فالطفلة تفرج وتزدهى بالملابس الجديدة الزاهية ، ويلذ لها النظر فى المرآة كثيراً ، ثم تنمو غريزة حب التبرج فيها وتشتد وهى فتاة ، وتلازمها طوال حياتها حتى فى شيخوختها ، فيصبح كل همها التأنق والتجمل ، وكل سعادتها فى أن تبدو أجمل وأصغر من حقيقتهـا ؛ وتسعى ما استطاعت أن يستحسنها ويعجب بها كل من رآها من رجال ونساء وتنتهز الفرص لتظهر جمالها وأناقتها ، فكثيراً ما تذهب المرآة إلى المحال التجارية لا لحاجة إليها ، وتكـثر الزيارات وتحرص على حضور حفلات الأفراح لا للمجاملة والترويح عن النفس ، بل لاظهار زينتها وإبراز ما خفى من جمالها .

والمرأة تميل إلى من يستحسنها ، ويلذ لها إطراء جمالها ولو كان كذبا ، ولا يؤلمها شىء كنقد جمالها أو ذم حسنها

والحق الذى لا شك فيه أن المرأة باصطناعها الجمال المتـكلف ؛ واجتلابها المحاسن المزورة لا تـكتسب فى الواقع جمالا ولا محاسن بل تمسخ وجهها ، وتخفى ما بها من جمال فطرى تفضل عليها به الله أحسن الخالقين .

والمرأة المسلمة التى تستعمل الأصباغ وتقلد الأجنبيات لا تدرى أنها صارت اضحوكة وسخرية ، وتظن أنها صغرت سناً والحقيقة أنها صغرت عقلا ، وذهب احترامها من نفوس العقلاء .

أن الجمال الحقيقي ليس كل هذه التكلفات السمجة ، إنما هو جمال النفس المؤدبة ، والحياء الذى يتجلى على الوجه فيكسوه جمالا وبهاء ينفذ إلى القلوب ويبهر الأبصار .

إن الفتاة التى تواجه الرجال سافرة متوقحة بأصباغها قد تجردت من ثوب الحياء والأدب ففقدت بذلك أكبر جاذبية وأجمل حلية لا نوثتها ، وأنها لجديرة بما حاق بها من الحقارة والمهانة من كل من يراها من العقلاء .

واللوم كل اللوم فى ذلك الانحلال إنما يرجع إلى الآباء والأزواج الذين فرطوا فى واجبهم وضيعوا أوامر ربهم فإن الله تعالى يقول (الرجال قوامون على النساء) ويقول (قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وما ذلك إلا لأن طبيعة المرأة لا تكبح إلا بلجام من غيرة الرجل ، وقوة حرصه على الشرف والكرامة . فمن أجل ذلك جعل الله زمام المرأة فى يد الرجل العاقل الغيور ، فويل ثم ويل للرجال الذين لا يصونون كرامتهم ، ولا يحفظون رعيتهم ، ولا يحسنون القيام على ما استرعاهم الله من الزوجات والآبناء .

أيها الناس : لمَ تظلمون الإسلام بادعائكم أنكم من أهله ، وتزعمون أنكم مصلون وحاجون وأنتم تحاربونه فى الصميم ، وتقتلون أوامره التى لا توافق أهواءكم بكل سلاح . أليس العفاف والحياء والأدب من أهم ما يدعو إليه الاسلام ؟ (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) .

والمرأة المسلمة يجب أن تتحلى بالشرف ولا تتجمل إلا لزوجها ، وأن تصون جمالها عن كل أحد سواه ، فلا ترسل لهذا نظرة ساحرة ، ولا لذاك ابتسامة خلابة ، ولا لثالث ضحكة فاتنة .

والغريب أنك إذا نصحت إحدى أولئك المتهتكات بالتزام الاحتشام ، والوقوف عند أدب الاسلام ، أجابتك بأن ذلك لايتفق مع الحضارة والرقى ، والعلم والمدنية ! ! عجباً . هل العلم فى الأصباغ التى على الوجه ، والملابس التى على الجسم ؟ أم فى العقل الذى فى الرأس ؟ هل التمدن فى المظاهر أم فى النفس المهذبة ؟ أنت بالنفس لا بالجسم إنسان .

وأغرب من ذلك أن بعض المسلمات المصليات الحاجات يزعمن أن التبرج مما يبيحه الاسلام ولا يمنع منه ، وهذه جرأة على الله ، ودليل ساطع على جهلهن مهما زعمن من علم

وثقافة ، وما هو إلا جهل وسخافة . أين هن من قول الله عز وجل فى كتابه (قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهم) الخ . .

لو كان أولئك النسوة يصلين على الوجه المشروع لظهر أثر تلك الصلاة ، ولكنهن يصلين صلاة العادة والتقاليد ، والقلوب فى غمرة من الأهواء والشهوات والآرواح ميتة من أمراض التبذل والسيئات . فلن يكون لتلك العبادة أثر لا فى القلوب ولا عند الله ؟

كلمات من الحكمة

وقفت السيدة عائشة على قبر أبى بكر رضى الله عنه فقالت : نضر الله وجهك وشكر لك صالح سعيك ؛ فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها ، وكنت للآخرة معزاً باقبالك عليها ، ولئن كان أجلّ الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك ، وأعظم المصائب بعده فقدك ؛ إن كتاب الله ليعد بحسن الصبر فيك وحسن العوض منك ؛ فأنا أنتجز موعدك الله بحسن العزاء عليك ، وأستعيضه منك بالاستغفار لك ، فعليك السلام ورحمة الله ؛ توديع غير قالة لك ، ولا رازئة على القضاء فيك ، ثم انصرفت .

فى ذكرى المولد النبوى ! !

احتفل المسلمون بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم كعادتهم فى أوائل الشهر الماضى (ربيع الأول) . واحتفلت القاهرة بالليلة الكبيرة احتفالا من لون جديد ! ! فأقيمت المسارح والسينما والتليفزيون فى ميادين الأحياء الشعبية وسهر الناس فيها حتى الصباح .. .!

وتنافس سكان الأحياء فى إقامة الفوانيس الرمزية والأعلام وزينوا بها المنازل والشوارع والحارات ! !

وفى حى شبرا ــ من أحياء القاهرة ــ إشترك أحد الأديرة المسيحية مع سكان الحى فى عمل سرادق كبير ، ووقف فى مدخل السرداق أطفال ذلك الدير بآلاتهم الموسيقية يرتلون ، و يعزفون الاناشيد . . ! !

ومبدأ جماعة أنصار السنة فى هذه الذكرى معلوم مابرحت تطالع به المسلمين وتنصح به الناس ، وتصنع له الرسائل المفردة توزعها بالمجان ابتغاء مرضاة الله ونصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، أو تنشره فى مجلتها ، أو يترجم عنه دعاتها فوق أعواد المنابر . وهذا المبدأ يلخص فيما قاله رئيس الجماعة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله فى إحدى هذه الرسائل . ــ بعد أن قسم ولادته صلى الله عليه وسلم إلى ولادتين ، إحدهما : بشرية وهى التى أصبحت كل شىء عند الناس اليوم جهلا وتقليداً ، والأخرى: روحية وهى التى يجب أن تكون عندهم كل شىء ــ لو كانوا يعلمون ــ عند سلفهم بالأمس ، ولكنهم ضدفوا عنها جهلا وتغريرا من شياطين الانس ــ :

« فلم كان الفضل الأعظم والرحمة العامة الشاملة ، والهداية التى أخرجت الناس إلى النور من محمد بن عبد الله ، و إنما كانت من محمد رسول الله ؛ وما كانت هذه الرسالة إلا بعد

تلك الولادة الروحية الثانيه التى كانت ليلة القدر من شهر رمضان بعد بلوغه سن الأربعين

فلئن كان شيء من هاتين الولادتين جديراً بالتذكير والأحياء فهى الولادة النبوية لا الولادة البشرية . وأنه لمن أوجب الفروض إحياء هذه الذكرى فى قلب المؤمن ونفسه وبيته ومتجره ونظام معيشته وإدارة شئونه العامة والخاصة .

وإن من أقوى أسباب سعادة الأمة أن تحيي هذه الذكرى . ولن يكون ذلك الاحياء بالاحتفال يوما معينا أو ليلة واحده من السنة . لا . وإنما يكون ذلك فى كل وقت ولحظة وفى كل عمل وشأن ، تبقى هذه الذكرى النبوية ألزم للانسان من طعامه وشرابه لا تبرح قلبه ولا تخرج من نفسه ، لتكون هى المقومة لعمله والمهذبة لخلقه والهادية له فى شئونه كلها إلى الصراط المستقيم وطريق الرشاد القويم .

هذه الذكرى الروحية تتصل بالروح والأخلاق والآداب ، لا بالظواهر الفارغة من شموع تضاء وخيام تنصب وطبول وزمور ، فان هذه الولادة الروحية تمقت أشد المقت تلك المظاهر الفارغة .

ولقد وفق الصحابة والتابعون والأئمة المهتدون وسلفنا الصالحون رضى الله عنهم إلى الانتفاع بهذه الذكرى المجيدة وأحلوها من نفوسهم المحل الأرفع ، ايمانا وهداية وطاعة لله ولرسوله ، وأخلاقا كريمة ، وشدة على الكفار ، وتراحماً بينهم ، وركوعا وسجودا ، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، وعدلا وإنصافا وصدقا وبراً ، فكانوا بهذه الذكرى خير أمة أخرجت للناس .

وأعرضوا كل الأعراض عن ذكرى الولادة البشرية ؛ فلم يحتفلوا لها ولم يقيموا لها وزنا، لأنهم يعلمون أن فى شهر ربيع الأول كانت الولادة البشرية وفيه كانت الوفاة البشرية ، فأى الحادثتين يذكرون ؟ أما الولادة الروحية فلم تنقطع ولم تقبر ، ولن تقبر حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ؛ ولا يزال فضلها وخيرها يعم أهل الأرض غضاً طريا كأول شأنها فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم البشرية .

* * *

والذكريات تحفز المحتفل إلى تعرف خصائص ومزايا هذه الذكرى وتحضه على البحث والتنقيب على ما امتاز به المحتفل بذكراه واختص به عن غيره ، وتدوين تلك المزايا ونشرها وبثها فى الذكرى وفى الناس ليكون لهم منه قدوة نافعة وأسوة حسنة ، والمذكر يجتهد فى أن يصور تلك الذكرى بأقصى ما يستطيع وأروع ما يقدر ، ليكون لها فى النفوس الأثر الذى يريده .

فالصحابة والسلف الصالح رضى الله عنهم لشدة حرصهم على ذكرى الولادة النبوية الروحية يبذلون أقصى ما يستطيعون فى حفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتخلق بأخلاقه النبوية ، وآدبه الرسولية ، وينشرونها فى الناس ، ويتحملون فى سبيل نشرها فى نواحى العالم أشق الجهود وأبعد الأسفار . وما زالوا كذلك يفعلون حتى ملأوا الأرض بالهدى والنور النبوى ، وعمت رحمة الله فى مشارق الأرض ومغاربها بفضل أولئك الذين كانوا يعرفون محمداً رسول الله ، لا محمداً البشر العربى ، ويعرفون رسالته لا جسمه ، ويعرفون نور هداية نبوته ، وإشراق صحيفة ملته ، لا نور عينيه ، ولا بياض وجهه وخديه .

* * *

فجماعة أنصار السنة المحمدية تدعو المسلمين إلى الحرص على إحياء هذه الذكرى الرساليه بتمجيد الرسالة المحمدية وبعثها فى النفوس بكل ما أتت به من الهدى والحق ، الذى لا يناسبه تلك الخرافات والأباطيل التى فتن الشيطان الناس بها بدعوى أنها ذكرى ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم .

كما تناشدهم أن يكفوا عن هذه العادات الفاسدة التى هى سرطان أموالهم وأخلاقهم وعقائدهم ، خصوصاً فى هذا الوقت الذى يجب فيه الرجوع إلى الله ، كما يجب أن يراعى فيه القصد فى كل شيء : عسى الله أن يتجلى علينا بقبس من رحمته ؛ إن رحمة الله قريب من المحسنين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المنافقون

بقلم الامام ابن القيم رحمه الله

الزنادقة : وهم قوم أظهروا الاسلام ومتابعة الرسل ، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله . وهؤلاء هم المنافقون ، وهم فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا . فالكفار المجاهرون بكفرهم أخف منهم ، وهم فوقهم فى دركات النار ، لأن الطائفتين اشتركتا فى الكفر ومعاداة الله ورسله ، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق. وبليّة المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين . ولهذا قال تعالى فى حقهم (٦٣ : ٤ هم العدو فاحذرهم) ومثل هذا اللفظ يقتضى الحصر ، أى لاعدو إلا هم . ولكن لم يرد هاهنا حصر العداوة فيهم وأنهم لاعدو للمسلمين سواهم ، بل هذا من إثبات الأولوية والأحقية لهم فى هذا الوصف ، وأنه لايتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً وموالاتهم لهم ، ومخالطتهم إياهم : أنهم ليسوا بأعدائهم ، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم فى الدار ؛ ونصب لهم العداوة ، وجاهرهم بها ، فان ضرر هؤلاء المخالطين المعاشرين لهم – وهم فى الباطن على خلاف دينهم – أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة ، وألزم وأدوم . لأن الحرب مع أولئك ساعة أوأيام ثم ينقضى ويعقبه النصر والظفر . وهؤلاء معهم فى الديار والمنازل صباحا ومساء يدلون العدو على على عوراتهم ، ويتربصون بهم الدوائر ، ولايمكنهم مناجزتهم . فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر فلهذا قيل (هم العدو فاحذرهم) لا على معنى أن لاعدو لكم سواهم ؛ بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدوا من الكفار المجاهرين .

ونظير ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم « ليس المسكين الطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان . ولكن المسكين الذى لايسأل الناس ولايفطن له ، فيتصدق عليه » فليس هذا نفياً لاسم المسكين عن المطواف ، بل إخبار بأن هذا القانع الذى لاتسمونه مسكيناً أحق بهذا الاسم من الطواف الذى تسمونه مسكيناً .

والمقصود أن هذه الطبقة أشقى الأشقياء ولهذا يستهزأ بهم فى الآخرة ، وتعطى نوراً

يتوسطون به على الصراط ثم يطفىء الله نورهم ، ويقال لهم (٥٧ : ١٢ ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً) ويضرب بينهم وبين المؤمنين (٥٧ : ١٣ ، ١٤ بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . ينادونهم ألم نكن معكم ؟ قالوا بلى ؛ ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور) هذا أشد ما يكون من الحسرة والبلاء : أن يفتح للعبد طريق النجاة والفلاح ، حتى إذا ظن أنه ناج ، ورأى منازل السعداء اقتطع عنهم ، وضربت عليه الشقوة . ونعوذ بالله من غضبه وعقابه .

وإنما كانت هذه الطبقة فى الدرك الأسفل لغلظ كفرهم ، فانهم خالطوا المسلمين وعاشروهم ، وباشروا من أعلام الرسالة ، وشواهد الايمان مالم يباشره البعداء ، ووصل اليهم من معرفته وصحته مالم يصل إلى المنابذين بالعداوة ، فاذا كفروا مع هذه المعرفة والعلم كانوا أغلظ كفرا ؛ وأخبث قلوباً ، وأشد عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين من البعداء ، وأن كان البعداء متصدين لحرب المسلمين ، ولهذا قال تعالى فى المنافقين (٦٣ : ٣ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون) وقال فيهم (٢ : ١٨ صم بكم عمى فهم لايرجعون) وقال فى الكفار (٢ : ١٧١ صم بكم عمى فهم لايعقلون) فالكافر لم يعقل ، والمنافق أبصر ثم عمى ، وعرف ثم تجاهل ؛ وأقر ثم أنكر ، وآمن ثم كفر . ومن كان هكذا كان أشد كفراً وأخبث قلباً ؛ وأعتى على الله ورسله فاستحق الدرك الأسفل .

وفيه معنى آخر أيضاً وهو أن الحامل لهم على النفاق : طلب العز والجاه بين الطائفتين ، فيرضوا المؤمنين ليعزوهم ، ويرضوا الكفار ليعزوهم أيضا . ومن ههنا دخل عليهم البلاء . فانهم أرادوا العزتين من الطائفتين . ولم يكن لهم غرض فى الايمان والاسلام ، ولا طاعة الله ورسوله ، بل كان ميلهم وصفوهم ووجهتهم إلى الكفار . فقوبلوا على ذلك بأعظم الذل ؛ وهو أن جعل مستقرهم فى أسفل السافلين تحت الكفار . فما اتصف به المنافقون من مخادعة الله ورسوله والذين آمنوا ، والاستهزاء بأهل الايمان ، والكذب ، والتلاعب بالدين ، وإظهار أنهم من المؤمنين وإبطان قلوبهم الكفر والشرك وعداوة الله ورسوله : أمر اختصوا به عن الكفار . فتغلظ كفرهم فاستحقوا الدرك الأسفل من النار . ولهذا

لماذكر تعالى أقسام الخلق فى أول سورة البقرة فقسمهم إلى مؤمن ظاهرا وباطنا ، ومؤمن فى الظاهر كافر فى الباطن ـ وهم المنافقون ـ ذكر فى حق المؤمنين ثلاث آيات . وفى حق الكفار آيتين . فلما انتهى إلى ذكر المنافقين ذكر فيهم بضع عشرة آية ، ذمهم فيها غاية الذم ، وكشف عوراتهم وقبحهم وفضحهم ، وأخبر أنهم هم السفهاء المفسدون فى الأرض ، المستهزئون المغبونون فى اشترائهم الضلالة بالهدى ، وأنهم صم بكم عمى فهم لا يرجعون ؛ وأنهم مرضى القلوب ؛ وأن الله يزيدهم مرضا على مرضهم ، فلم يدع ذما ولاعيبا إلا ذمهم به ، وهذا يدل على شدة مقته سبحانه لهم ، و بغضه إياهم ، وعداوته لهم ، وأنهم أبغض أعدائه إليه . فظهرت حكمته الباهرة فى تخصيص هذه الطبقة بالدرك الأسفل من النار . نعوذ بالله من مثل حالهم . ونسأله معافاته ورحمته .

ومن تأمل ما وصف الله به المنافقين فى القرآن من صفات الذم علم أنهم الأسفل . فانه وصفهم بمخادعته ومخادعة عباده . ووصف قلوبهم بالمرض ، وهو الشبهات والشكوك ، ووصفهم بالافساد فى الأرض والاستهزاء بدينه ، و بالطغيان ، واشتراء الضلالة بالهدى ، و بالصمم والبكم والعمى والحيرة ، والكسل عن عبادته ، والزندقة ، وقلة ذكره ؛ والتردد ، وهو التذبذب بين المؤمنين والكفار فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . والحلف باسمه تعالى كذبا وباطلا ، و بالكذب ، و بغاية الجبن و بعدم الفقه فى الدين ، و بعدم العلم ، و بالبخل ، و بعدم الايمان بالله واليوم الآخر ، و بالرب . و بأنهم مضرة على المؤمنين . ولا يحصل لهم بنصيحتهم إلا الشر : من الخبال والاسراع بينهم بالشر والقاء الفتنة ، وكراهتهم لظهور أمر الله ، ومحو الحق ، وأنهم يحزنون بما يحصل للمؤمنين من الخير والنصر ، ويفرحون بما يحصل لهم من المحنة والابتلاء ، وأنهم يتربصون الدوائر بالمسلمين . و بكراهتهم الانفاق فى مرضاة الله وسبيله ، و بعيب المؤمنين ورميهم بما ليس فيهم . فيلمزون المتصدقين ، ويعيبون الذين لا يجدون إلا جهدهم . و يرمون مكثرهم بالرياء وارادة الثناء فى الناس .

وأنهم عبيد الدنيا : إن أعطوا منها رضوا وان منعوا سخطوا . و بأنهم يؤذون رسول الله

وينسبونه إلى ما برأه الله منه ، ويعيبونه بما هو من كماله وفضله . وأنهم يقصدون إرضاء المخلوقين ولا يطلبون إرضاء رب العالمين . وأنهم يسخرون من المؤمنين وأنهم يفرحون إذا تخلفوا عن رسول الله . ويكرهون الجهاد فى سبيل الله . وأنهم يتحيلون على تعطيل فرائض الله عليهم بأنواع الحيل . وأنهم يرضون بالتخلف عن طاعة الله ورسوله . وأنهم مطبوع على قلوبهم؛ وأنهم يتركون ما أوجب الله عليهم مع قدرتهم عليه . وأنهم أحلف الناس بالله كذبا ، قد اتخذوا أيمانهم جنة تقيهم من إنكار المسلمين عليهم . وهذا شأن المنافق : أحلف الناس بالله كاذبا ، قد اتخذ يمينه جنة ووقاية . ووصفهم بأنهم رجس ، والرجس من كل جنس أخبثة وأقذره ؛ فهم أخبث بنى آدم وأقذرهم وأرذلهم ، وبأنهم فاسقون ، وبأنهم مضرة على أهل الايمان ،

ـق بينهم ؛ ويؤوون من حاربهم وحارب الله ورسوله ، وأنهم يتشبهون بهم
ـ أعمالهم ليتوصلوا منها إلى الاضرار بهم ، وتفريق كلمتهم ، وهذا شأن المنافقين

وبأنهم فتنوا أنفسهم بكفرهم بالله ورسوله وتربصوا بالمسلمين دوائر السوء . وهذا عادتهم فى كل زمان . وبأنهم ارتابوا فى الدين ؛ فلم يصدقوا به ، وغرتهم الأمانى الباطلة وغرهم الشيطان ، وأنهم أحسن الناس أجساما ، تعجب الرائى أجسامهم والسامع منطقهم ، فاذا جاوزت أجسامهم وقولهم رأيت خشباً مسندة ، لا ايمان ولا فقه ، ولا علم ولا صدق ؛ بل خشب قد كسيت كسوة تروق الناظر وليسوا وراء ذلك شيئا .

وإذا عرض عليهم التوبة والاستغفار أبوها ، وزعموا أنهم لا حاجة لهم اليها إما لأن ما عندهم من الزندقة والجهل المركب مغن عنها وعن الطاعات جملة ، كحال كثير من الزنادقة . وإما احتقارا وازدراء بمن يدعوهم إلى ذلك . ووصفهم سبحانه بالاستهزاء به وبآياته وبرسوله ، وبأنهم مجرمون ، وبأنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم عن الانفاق فى مرضاته ، وبنسيان ذكره ، وبأنهم يتولون الكفار ويدعون المؤمنين . وبأن الشيطان قد استحوذ عليهم وغلب عليهم ، حتى أنساهم ذكر الله . فلا يذكرونه إلا قليلا ، وأنهم حزب الشيطان ؛ وأنهم يوادون من حاد الله

ورسوله ، و بأنهم يتمنون مايعنت المؤمنين و يشق عليهم . وأن البغضاء تبدولهم من أفواههم وعلى فلتات ألسنتهم ، و بأنهم يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم .

ومن صفاتهم التى وصفهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكذب ؛ والخيانة فى الأمانة ، والغدر عند الخصام ؛ والخلف عند الوعد ؛ وتأخير الصلاة إلى آخر وقتها ، ونقرها عجلة واسراعا ؛ وترك حضورها جماعة . وأن أثقل الصلوات عليهم الصبح والعشاء .

ومن صفاتهم التى وصفهم الله بها : الشح على المؤمنين بالخير . والجبن عند الخوف فاذا ذهب الخوف وجاء الأمن سلقوا المسلمين بألسنة حداد ، فهم أحدُّ الناس ألسنة عليهم ، كما قيل :

جهلا علينا وجبنا عن عدوكم   لبئست الخلتان

وأنهم عند المخاوف تظهر كائن صدورهم ، ومخبئات قلوبهم ؛ وأما عند الامن فيجب ستره . فاذا لحق المسلمين خوف دبت عقارب قلوبهم ، وظهرت المخبئات و بدت الأسرار ومن صفاتهم : أنهم أعذب الناس ألسنة ، وأمَرُّهم قلوبا ، وأعظم الناس تخالفاً بين أعمالهم وأقوالهم .

ومن صفاتهم : أنهم لايجتمع فيهم حسن سمت وفقه فى دين أبدا . ومن صفاتهم أن أعمالهم تكذب أقوالهم ، و باطنهم يكذب ظاهرهم ؛ وسرائرهم تناقض علانيتهم .

ومن صفاتهم : أن المؤمن لايثق بهم فى شىء ، فانهم قد أعدوا لكل أمر مخرجا منه بحق أو بباطل ، بصدق أو بكذب . ولهذا سمى واحدهم : منافقا . أخذاً من نافقاء اليربوع ؛ وهو بيت يحفره اليربوع و يجعل له أسرابا مختلفة . فكلما طلب من سرب خرج من سرب آخر . فلايتمكن طالبه من حصره فى سرب واحد . فأنت منه كقابض على الماء ليس معك منه شىء .

ومن صفاتهم : كثرة التلون وسرعة التقلب ؛ وعدم الثبات على حال واحد ، بينا تراه

على حال تعجبك من دين أو عبادة أوهدى صالح أو صدق ، إذ انقلب إلى ضد ذلك كأنه لم يعرف غيره . فهو أشد الناس تلونا وتقلبا وتنقلا . جيفة بالليل قطرب بالنهار(١) .

ومن صفاتهم : أنك إذا دعوتهم عند المنازعة للتحاكم إلى القرآن والسنة أبوا ذلك وأعرضوا عنه ودعوك إلى التحاكم إلى طواغيتهم . قال تعالى (٤ : ٦٠ - ٦٣ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ؟ ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً . فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله أن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا . ... بهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) .

... رضة ماجاء به الرسول بعقول الرجال وآرائهم ثم تقديمها على ماجاء به فهم معرضون عنه ؛ معارضون له ؛ زاعمون أن الهدى فى آراء الرجال وعقولهم دون ماجاء به . فلو أعرضوا عنه وتعوضوا بغيره لكانوا منافقين . فكيف إذا جمعوا مع ذلك معارضته وزعمهم أنه لايستفاد منه هدى ؟

ومن صفاتهم : كتمان الحق والتلبيس على أهله ، ورميهم لهم بأدوائهم ، فيرمونهم إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ودعوا إلى الله ورسوله : بأنهم أهل فتنة مفسدون فى الأرض . وقد علم الله ورسوله بأنهم هم أهل الفتن المفسدون فى الأرض . وإذا دعاه ورثة الرسول إلى كتاب الله وسنة رسوله خالصة غير مشوبة رموهم بالبدع والضلال . وإذا رأوهم زاهدين فى الدنيا راغبين فى الآخرة متمسكين بطاعة الله ورسوله ، رموهم بالزوكرة والتلبيس والمحال . وإذا رأوا معهم حقا ألبسوه لباس الباطل وأخرجوه لضعفاء العقول فى قالب لينفروهم عنه . وإذا كان معهم باطل ألبسوه لباس الحق وأخرجوه فى قالبه .

---

(١) القطرب : دويبة لا تستريح نهارها سعيا ، فشبه بها الرجل يسعى نهاره فى حوائج دنياه ، فإذا أمسى كان كالا تعبا ، فينام ليلته حتى يصبح كالجيفة التى لا تتحرك .

وجملة أمرهم : أنهم فى المسلمين كالزغل فى النقود ، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد ، ويعرف حاله الناقد البصير من الناس وقليل ماهم . وليس على الأديان أضر من هذا الضرب من الناس ، وانما تفسد الأديان من قبلهم . ولهذا جلا الله أمرهم فى القرآن ، وأوضح أوصافهم وبيّن أحوالهم ؛ وكرر ذكرهم لشدة المؤنة على الأمة بهم وعظم البلية عليهم بوجودهم بين أظهرهم ، وفرط حاجتهم إلى معرفتهم ، والتحرز من مشابهتهم ، والاصغاء اليهم . فكم قطعوا على السالكين إلى الله طرق الهدى وسلكوا بهم سبيل الردى ؟ وعدوهم ومنّوهم الويل والثبور . فكم لهم من قتيل ولكن فى سبيل الشيطان ؟ وسليب ولكن للباس التقوى والايمان ؟ وأسير لايرجى له الخلاص ؟ وفارّ من الله لا إليه ؟ وهيهات ولات حين مناص . صحبتهم توجب العار والشنار ، ومودتهم تحل غضب الجبار ، وتوجب دخول النار . من علقت به كلاليب كلبهم ومخاليب رأيهم مزقت عنه ثياب الدين والايمان ، وقطعت له مقطعات من البلاء والحرمان والشقاوة . يمشى على عقبيه القهقرى إدبارا منه وهو يحسب ذلك إقبالا . فهم والله قطاع الطريق حقاً . فيا أيها الركب المسافرون إلى منازل السعداء حذار منهم حذار ومن البلية انهم الأعداء حقاً ، وليس لنا بد من مصاحبتهم ؛ وخلطتهم أعظم الداء وليس بد من مخالطتهم . قد جعلوا على أبواب جهنم دعاة اليها ؛ فبعداً للمستجيبين . ونصبوا شباكهم حواليها على ما حُفّت به من الشهوات ، فالويل للمغترين . نصبوا الشباك ومدوا الأشراك . وأذّن مؤذنهم : ياأشباه الأنعام : حيّ على الهلاك ، حى على التباب . فاستبقوا يهرعون إليه . فأوردهم حياض العذاب . لا الموارد العذاب . وأسامهم من الخسف والبلاء أعظم خطة وقال : ادخلوا باب الهوان صاغرين ، ولاتقولوا حطة حطة ؛ فليس بيوم حطة . فواعجباً لمن نجا من أشراكهم لا من عاق . وأنى ينجو من غلبت عليه شقاوته ولها خلق ؟ ! .

فحقيق بأهل هذه الطبقة أن يحلوا بالمحل الذى أحلهم الله من دار الهوان ، وأن ينزلوا فى أردأ منازل أهل العناد والكفران . وبحسب ايمان العبد ومعرفته يكون خوفه أن

يكون من أهل هذه الطبقة : ولهذا اشتد خوف سادة الأمة وسابقيها على أنفسهم أن يكونوا منهم ، فكان عمر بن الخطاب يقول « ياحذيفة ، ناشدتك الله ، هل سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القوم ؟ فيقول : لا ، ولا أزكى بعدك أحداً » يعني لا أفتح هذا الباب في تزكية الناس . وليس معناه أنه لم يبرأ من النفاق غيرك . وقال ابن أبي مليكة «أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله كلهم يخاف النفاق على نفسه ، مامنهم أحد يقول : أنه على ايمان جبرائيل وميكائيل » .

انتهى كلام ابن القيم ، ودرره الغوالي ، التي وصف بها أولئك المنافقين في الزمن الأول وفي زمنه أدق وصف وأجلاه .

فيا أيها المسلم الناصح لنفسه ؛ ها أنت ترى أمام عيبك وصف أولئك الذئاب الضارية واضحاً جلياً ، قد أقام الله به الحجة لك أو عليك . فاحذر أن تكون من الهالكين ؛ فبادر بنجاة نفسك ، من صفاتهم وأعمالهم ودعاتهم وضلالهم ، وزغلهم وافسادهم ؛ لتكون من الفائزين .

نصيحة

اعرف دينك

إن مصدرى دينك وتبعيه هما كتاب الله تعالى وما صح من سنن وآثار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فلا تتكلم إلا بهما ، ولا تتعلم إلا منهما ، ولا ترجع فى عقيدتك وعبادتك إلا إليهما . ولا تنخدع بقول شيطان يحاول أن يصدك عنهما إلى التبعية الذليلة ، والانقياد الأعمى لمذاهب الناس ، وآرائهم .

قال تعالى (فإن تنازعتم فى شىء ، فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) أى فردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

القبر

جاءنا الأسئلة الآتية : —

ا — هل المراد بالقبر هذه الحفرة فى الأرض ، فلا يكون العذاب والنعيم إلا لمن دفن بها أم المراد شىء آخر ؟

ب — وما هى مدة إقامة الروح فى القبر ؟ وهل الروح بعد مفارقتها للجسم بالموت تعود إليه كما كانت فى الدنيا ؟

الجواب

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله

ا — المراد من القبر كل ما ينتقل إليه الإنسان بالموت من هذه الدنيا : سواء فى ذلك الحفرة أو بطون السباع والسمك وغيرها . وهذا فرعون يقول الله تعالى فى شأنه وشأن حزبة الأخسرين (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وهو الآن موجود فى صندوق فى دار الآثار فى القاهرة معروض لأنظار الناس ، تصديقا لقوله تعالى (ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) .

أما ذكر القبر فى النصوص الشرعية فبحسب الغالب الأكثر ، لا على سبيل الحصر .

ب — قال تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فأمثال هذه المسائل المتعلقة بالروح : الأولى بالمؤمن أن لا يكثر البحث فيها ، لأنها لا يترتب عليها فائدة له فى دينه ولا دنياه ولا آخرته . وقد جاء عن النبى صلى الله

عليه وسلم فيما روى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا — أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا النبى محمد ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال له : أنظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة . قال النبى صلى الله عليه وسلم . فيراهما جميعا . وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدرى ؛ كنت أقول ما يقول الناس فيه : فيقال لادريت ولا تليت ، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين » .

وروى الإمام أحمد وأبو داود باسناد رواته محتج بهم فى الصحيح عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ، ولما يلحد بعد . فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير ، و بيده عود ينكت به فى الأرض ، فرفع رأسه فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا . ثم قال : أن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل إليه ملائكه من السماء بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ؛ معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ؛ و يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ؛ فيقول : أيتها النفس الطيبة ، أخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان . قال : فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين ، حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ، ويخرج منه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض . قال : فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان بن فلان ، بأحسن أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهوا بها

إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيفتح له ؛ فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين ، وأعيدوه إلى الأرض فى جسده . فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول ربى الله فيقولان ما دينك ؟ فيقول دينى الإسلام . فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله . فيقولان ما يدريك ؟ فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته ؛ فينادى مناد من السماء : أن قد صدق عبدى فافرشوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة . قال : فيأتيها من روحها وطيبها ، ويفسح له فى قبره مد بصره . قال ، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعد . فيقول : من أنت ؟ فوجهك الحسن يجىء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح . فيقول : رب أقم الساعة ، رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى » .

ثم ذكر العبد الكافر على عكس هذا تماما وأنه لا تفتح لروحه أبواب السماء . ثم قرأ (لا تُفَتَّحُ لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سِمِّ الخياط) فيقول الله اكتبوا كتابه فى سجين الأرض السفلى . ثم تطرح روحه طرحا . ثم قرأ (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به فى الريح فى مكان سحيق) فتعاد روحه فى جسده . ويأتيه الملكان فيسألانه — الحديث » .

وكل هذا من الاخبار عن الغيب الذى لا يعلم حقيقته إلا الله . فلا نعلم كيفية هذا السؤال ولا كيفية هذا الجلوس والقعود . ولا كيفية هذا القبر الذى وسع فيه مد بصره ولكننا نؤمن بذلك إيمانا يقينيا ونقول : صدق الله ورسوله . اللهم نجنا من أهوال القبر وعذابه . وثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا والآخرة . ومن

الناس من حجبت قلوبهم عن نور الإيمان بالغيب . وحكموا عقولهم الضيقة فى أحوال ما بعد الموت . فانكروا عذاب القبر ونعيمه . وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه . ومن الناس من انساق وراء وهمه وخياله ، فتحدث فيها زيادة عما أخبر الله ورسوله ، حتى زعم بعض الخياليين : أنه فهم اللغة التى يكون بها سؤال القبر . وزعم أنها السريانية . وهذا جهل محض وقول على الله بالكذب . وقد زلت أقدام كثير من الناس فى هذا المقام ، من شغفهم بطول البحث والتنقيب وإرخاء العنان للسان والقلم .

وما كان هذا شأن السلف الصالح فى هذا وأمثاله من علم الغيب ، الذى لا يعرف العقل الإنسانى اليوم كنهه ولا حقيقته . فقف أيها الأخ عند النصوص الصحيحة . وقل آمنت به كل من عند الله . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . والله الهادى إلى سواء السبيل .

معنى شهادة أن محمدا رسول الله

هو الإقرار والاعتراف بأنه الرسول المبلغ عن الله ، وأنه الذى يجب اتباعه فى كل ما جاء به . وأنه المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى وأن كل ما قاله حق وأنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم . وأن ما قاله غيره يحتمل الخطأ والصواب ، فيؤخذ منه ما وافق الحق ، و يترك ما خالف الحق .

فلا تقدم على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قول أحد ، ولا تعارض كلامه بكلام أحد ، فإنه لا يؤمن أحد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به .

الصحافة والدين

البدعة الملعونة التي يحب بعض الصحفيين أن يقترفها فى هذه الأيام هى الهجوم على الدين والنيل بَغْيًا من قيمه المقدسة ومثله العليا . وإنى لأوقن أن هؤلاء الصحفيين الذين يقترفون هذا هم ألد أعداء ثورتنا العظيمة ، وإن كانوا يزعمون أو يتراءون بأنهم أبرُّ أنصارها . فإن من يقرأ لهؤلاء الزائدين عن الجهالة والجاهلية ، قد يظن أن الهجوم على الدين من سمات العهد الحاضر ، وديدن أبطاله . ولعل هؤلاء الكائدين لثورتنا العظيمة بهذا الكيد الملعون يحبون أن يفهم المسلمون هذا ، فتنقطع الأرحام ، وتستعصى على الأخوة القلوب ، وعلى الوحدة الآمال والغايات . مِنْ هؤلاء مَنْ يدعون إلى الإباحية المقنعة ، وإلى المجانة التى لا ترى للفضيلة الدينية قدسية ، ولا ترعى لها محرابًا ! ! .

ومنهم من يتهجم على أقدار رجال لهم صيت كريم بين المتدينين ، وليس هدفه فى الحقيقة سوى التهجم بقحة وتبجح على الدين نفسه .

ومنهم نكرات تحاول اقتراف الشهرة بالكفر الصراح ، أو السوء البَوَاح ، أو بالسباب المقذع ، والهجاء الفاحش لخير أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهذا كاتب يكتب فى إحدى الصحف عن الخليفة الجليل عثمان بن عفان الشهيد البار وعن كاتب الوحى معاوية ابن أبى سفيان وعن [illegible] العظيم عمرو بن العاص أنهم أبناء الارستقراطية والانتهازيين ، ويغمزهم غمزًا دنيئًا تفهم منه أنه يشبههم بأبى جهل لعنه الله .

وقد ظن الكاتب الإمعة أنه بهذا الفحش والبهتان يدافع عن الاشتراكية ، كما ظن أنه بهذا البهتان سيقتحم مقام الخلود على الخالدين ، ولعله بات يحلم بالدوى العظيم الذى سيحدثه مقاله ، وبالأقلام التى ستشرع للرد عليه ، أو للدفاع عنه ، فيكسب من وراء ذلك شهرة ، وإن كانت شهرة الشيطان .

إن هؤلاء الكاتبين ألد أعداء الثورة ، ألد أعداء العدالة الاجتماعية ، ألد أعداء النصر الكبير الذى نأمل أن تخفق ألويته إنهم يكيدون مستعمدين أو غافلين لثورتنا الظافرة

أدنأ الكيد ، ويوحون إلى الناس فى الخارج أننا أمة راحت تتنكر لدينها وتكفر بربها ، وتمقت رسولها ، وتقذف بقرآنها وراء ظهورها فى سخرية عاتية . ولهذا نؤمن بأنه لابد من أخذ هؤلاء بشدة وصرامة فيها غضب الحق على الباغين عليه . حتى نؤكد لهذه الأمة أننا الحريصون على دين الله فما سمعنا من قائد الثورة البطل سخرية بالدين ، ولا كلمة تهزأ به ، وإنما سمعنا صوته مدوياً ينذر الملاحدة ذات مرة بقوله « لن ترتفع فوق راية هذا الشرق إلا راية الإسلام » .

فما لهؤلاء الكتاب يأبون إلا هذه اللآمة فى الكيد لدين الله ولشريعته ، ولرسوله ، ولكتابه ، ولثورتنا الجليلة ؟

ولقد كنا نود أن نصرح بأسماء هؤلاء الكاتبين ، غير أنا أكرمنا هذه المجلة عن أن ندنسها بذكر أسمائهم ولعل الإمعة الذى اتهم الخليفة الجليل عثمان رضى الله عنه بأنه كأبى جهل يلطم خديه الآن آسفاً ، إذ لم يجد لمقاله ذلك الدوى الذى كان يترقبه ، وإنما وجده أشبه بقطرة صغيرة من القطران فى محيط عميق .

صلاح دسوقى

ولقد هزنا ذلك المقال العظيم الذى كتبه الأستاذ الكبير محافظ القاهرة[1] صلاح دسوقى رداً على الكاتب الذى تهجم على الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة فأكد بهذا المقال أن الثورة البناءة تعرف للدين قدره العظيم ، وأن رجالها لا يمكن أن يطرق بخاطر واحد منهم النيل منه ، وإليك بعض ما جاء فى هذا المقال الذى نشر بجريدة الجمهورية بتاريخ ١٩٦١/٨/٢٦ .

لا أعدو الحقيقة إذا قلت صادقاً إنى تألمت للهجوم القاسى الذى شنه الأستاذ (. . .) على الشيخ « محمد أبو زهرة » .

ولا أود أن يظن إنسان إنى أحاول فى هذه الكلمات أن أدافع عن الشيخ أبو زهرة أو أن أنتصف له فإنى أعرف أن الشيخ يملك من وسائل الدفاع عن نفسه ما قد يقصر عنده جهدى .

---

(١) ورد فى المقال العظيم أشياء يختلف رأينا فيها عن رأى الأستاذ الكبير .

كما لا أود أن أتعرض لتفصيلات الخلاف فى الموضوع وإن ماقصدت إليه أن أعبر عن بعض المشاعر المخلصة التى حركتها فى نفسى مقالة (. . .) الأخيرة .

وإن أرد فى نفس الوقت على الاستفسارات التى حملها إلى البريد والتى تلقيتها من أناس أعرف بعضهم عن معنى هذا الهجوم القاسى وعما إذا كان وراءه أكثر من معناه الظاهر .

بعض الكتاب

لم تكن مقالة (. . .) هى الأولى فى الآونة الأخيرة التى يتعرض كاتبها للهجوم على رجل من رجال الدين . فقد أصبحت سمة التحرر عند بعض الكتاب الشباب هى الهجوم على الدين والسخرية من رجاله بل لقد وصل الأمر عند بعضهم إلى حد الهجوم على السلف الصالح وتطور الأمر تطوراً خطيراً عندما أصبحت الملائكة مادة للفكاهات المكتوبة أو المرسومة فى بعض المجلات وهذا الاتجاه الخطير يولد فى نفوس الناس وخاصة النشء شعوراً عميقاً بالربط بين الدين والرجعية حتى أصبح الشاب لكى يكون متحرراً يجب عليه أن يتخلص أولاً من نوازع دينه فى نفسه ، وأصبح الدين وجهاً من وجوه الرجعية التى تعاند التطور وتقف فى وجه التقدم . . وإذا لاحظنا ضعف الوازع الدينى عند الشباب على وجه العموم ولأسباب أخرى مختلفة لاستطعنا أن نحس بخطورة هذا الاتجاه الذى يعزز هذا الضعف والذى يشعر الشباب أنهم بالبعد عن الدين إنما يقتربون من التحرر ومن التطور الذى يلحق المجتمع والعالم .

التعميم خطأ

وإذا سلمنا بأنه من بين رجال الدين أفراد قد يندفعون فى التمسك بحرفيته حرصاً عليه . فاننا لاننكر كذلك أن بعض رجال العلم يندفعون فى التمسك بقوانين العلم إلى الحد الذى يجعلهم يرفضون الدين وتعاليمه وقيمه . . وإذا كان وجود أفراد من النوع

الأول ليس مبرراً لرفض الدين والتهجم عليه فوجود أفراد من النوع الثانى ليس مبرراً للتهجم على العلم ورفضه ولكن الخطورة تأتى من التعميم ومن تحميل الكثرة والمجموع إخطاء القلة المعدودة .

وإذا حاولنا أن نعود إلى تاريخنا القريب لنرى هل حقيقة كان الدين حجر عثرة فى سبيل تقدمنا وهل حقيقة كان رجاله حرباً علينا وعلى تطور مجتمعنا لرأينا أن العكس هو الصحيح . .

مجتمعات أخرى

لقد وجدت مجتمعات أخرى لعب رجال الدين فيها الدور الأول فى القضاء على الحرية ، محالفة أعداء الشعوب من الاقطاعيين والمستعمرين حتى كانت ثورات كثيرة تقوم تحت ضغط ما يفعله رجال الدين الذى زاد كثيراً عما يفعله الاقطاعيون والحكام الطاغون .

ولكن الأمر فى بلادنا على خلاف ذلك فلم يكن رجال الدين فى مجتمعنا رجال اقطاع ولم يكن للمساجد سطوتها الدنيوية على الناس ولم يبع رجال الدين فى مجتمعنا صكوك الغفران . . بل لقد كان رجال الدين فى مجتمعنا فى مقدمة الصفوف التى خرجت لمحاربة الفرنسيين والانجليز والعثمانيين .

نحن نؤمن بالله

اننا شعب يؤمن بالله و برسله و بكتبه المنزلة فليكن ايماننا بالله رائدنا فى مناقشة قضايانا وخاصة ما يتصل منها بدين الله و بالرجال الذين قاموا على الحفاظ على هذا الدين حتى عندما يدفعهم حرصهم على القسوة على من يظنونه خارجا عن حدوده

مختـــارات

هَدْيُ النبوة فى الاستخارة

روى جابر وغيره : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول :

إذا هَمَّ أحدُكم بالأمرِ فليركَع ركعتين من غير الفريضة . ثم ليقل :

« اللهُمَّ إنِّى أسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وأسْتَقْدِرُكَ بقُدْرَتك ، وأسألُكَ من فَضْلِكَ العظِيم . اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمرَ ـ وتُسَمِّيه باسمه ـ خَيْرٌ لى فى دينى ومَعَاشى ، وعاقبةِ أمرى ، فاقْدُرْهُ لى ، ويَسِّرْه ، ثم بارك لى فيه . وإن كنت تعلم أن هـــذا الأمر شَرٌّ لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، فاصْرِفْهُ عنى ، واصرفنى عنه ، واقدر لى الخيرَ حيث كان ، ثم رضِّنى به » .

أُخُـــوَّة

قال أحدهم يصف صديقا له :

خَلِيلٌ إذا ماجئتُ أبْغِيه حاجةً رجعتُ بما أبغى وَوَجْهِى بمائه

بَلَوْتُ رِجَالاً بعـده فى إخائهم فما ازْدَدْتُ إلاَّ رغبة فى إخائه

حقـــوق

قال أحد الحكماء :

الحقوق أربعة : حَقٌ لِلهِ تعالى . وقضاؤه الرضا بقضائه ، والعملُ بطاعته ، وإكرامُ أوليائه .

وحَقٌ نفسك . وقضاؤه تَعَهُّدَها بما يَصْلحها . ويُصِحُّها ويَحْسِمُ موادَّ الأدْوَاء عنها .

وحَقُّ الناس : وقضاؤه عمومُهم بالمودة ، ثم تخصيص كل واحـد منهم بالتوقير والتفضيل والصِّلة .

وحَقُّ السلطان : وقضاؤه تعريفه ماخفى عليه من مَنْفَعَةِ رعية ، وجهاد عَدُوٍّ ، وعمارةُ بلد ، وسَدُّ ثغر .

رأى فى نُفَاة الصفات

يقول الإمام الجليل ابن تيمية رضى الله عنه :

إن المعطِّلة نُفَاة الصفات ، أو نُفَاة بعضها لايعتمدون فى ذلك على ماجاء به الرسولُ صلى الله عليه وسلم ، إذ كل ماجاء بة الرسول إنما يتضمن الاثبات لا النفي .

وحقيقة قولهم أن الرسول لم يذكر فى ذلك مايرجع إليه لا مِنْ سَمْـعٍ ، ولا عقل ، فلم يخبر بذلك خبراً بيَّن به الحق على زعمهم ، ولا ذكر أدلة عقلية يُبَيِّن الصواب فى ذلك .

فلما كان حقيقة قولهم : إن القرآن والحديث ليس فيه فى هذا الباب دليل سَمْعِي ولا عَقْلِيٌّ سَلَبهم الله فى هذا الباب معرفة الأدلة السمعية والعقلية حتى كانوا من أضَلِّ البريّة مع دعواهم أنهم أعلم من الصحابة والتابعين ، وأئمة المسلمين . بل قد يدعون أنهم أعلم من النبيين . وهذا ميراثٌ من فرعون وحزبه اللعين « ص ١٢٦ وما بعـدها ، جـ ١ مجموعة الرسائل الـكبرى » .

اقامة الصلاة

أداؤها مستقيمة معتدلة ، فتحافظ على أدائها فى أوقاتها المعينة لها ، وتوفى لها شروطها ، وتتم لها قيامها وركوعها وسجودها ، وتلتزم الخشوع فيها ، ولا تؤديها ، وأنت ساه عنها ، غافلا ملتفتنا بقلبك إلى غيرها ، فليس لك من صلاتك إلا ماعقلت منها . والصلاة عمود الدين الذى يقوم عليه ويسقط بسقوطه ، فلا تضيعها ، فتـكون قد هدمت دينك ، وفارقت إسلامك ، فتصبح من الخاسرين .

هذيان مخبول

كتب إلينا أستاذنا الجليل الشيخ محمد نصيف يلفت نظرنا إلى مقال نشر بإحدى المجلات تحت عنوان « من أحاديث ولِىّ » .

وبالاطلاع على المقال المذكور وجدنا فيه دعوى مجيبه وادعاء غريبا من رجل يقرر بنفسه أنه لم يتعلم ولا يرغب فى أن يتعلم .

ونلخص ما احتواه ذلك المقال فيما يلى ، حرصا على وقت القراء أن نضيعه فيما يضر ولا ينفع ، وإليك موجز مااحتوى عليه المقال .

« يدعى حضرة الولى أنه تنتابه نوبات ــ أخْذ ــ وأنه فى هذه النوبات يتلقى علما لم يكن يعرفه ــ وإن مايتلقاه من علم وهو مأخوذ ــ حق كله لا يأتيه الباطل ؟

كما يقول متماديا فى هذيانه « أن قصة موسى والخضر عليهما السلام تتكرر معه ؟؟

وبعد أن يستمر فى هذيان فارغ يوهم فيه مجالسيه أن هذا العلم الذى يتلقاه وهو مأخوذ ليس صادرا من ذات نفسه ولكنه يتنزل عليه من علٍ ، واصفا له بأنه « فيض سماوى كريم » أى أنه يتلقى وحيا من الله تعالى ! !

ولا يكتفى هذا الدعى بإيهام الناس أنه يتلقى علما خاصاً عن طريق وحى خاص ، بل يذهب إلى مدى بعيد من الضلاله والغى فيحاول أن ينتقص من مقام خاتم الأنبياء وسيد المرسلين عليه الصلاة والسلام .

وذلك أنه يقرر بنفسه أنه لايقرأ الكتب ــ جميع الكتب ــ حتى القرآن ، وهو مع ذلك يقرر مؤكداً أنه (ليس يجوز أبداً من باب الأدب مع الله أن يخاطب إنسان ربه بقوله : أعوذ بك منك) ،

ولما كانت هذه الاستعاذة جزءاً من بعض أذكار النبى صلى الله عليه وسلم فالواضح

أن هذا المسكين يرفع من قدر نفسه حتى يبلغ بها درجة التلقى عن الله تعالى مباشرة و يسلك بذلك نفسه فى سلك أنبياء الله !!

و بعد ما اطمأن إلى تصديق دعواه هذه الباطلة من جلسائه ومريديه راح يتطلع إلى مرتبة أسمى ومقام أعلا ، فوصف كلام خاتم الأنبياء والمرسلين بأنه من سوء الأدب مع الرب سبحانه وتعالى!!

وهذا يعنى أنه بلغ من الكمال وحسن الأدب مع الله تعالى ماقصر عنه محمد صلى الله عليه وسلم .

أما خطاب الناس لربهم بقولهم أعوذ بك منك . فإليك بيان الحق فيه :

إن مما نقل من أذكاره صلى الله عليه وسلم بأصح الأسانيد وفى أصح كتب الحديث ، ماروى الامام مسلم رضى الله عنه فى صحيحه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت « افتقدت النبى صلى الله عليه وسلم ليلة ولم تكن فى بيوتنا سُرُج فالتَمَسْتُه فوجدته ساجداً وهو يقول : « اللهم أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك . لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »

أفرأيت أيها المسلم أينَ يذهب الشيطان بأوليائه ؟

وليس هذا الحديث وحيداً فى هذا المعنى فهو مع أنه من أصح ماروى عنه عليه السلام كثير النظائر . فقد روى البراء بن عازب عنه عليه السلام أنه قال : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمري إليك رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك . . . . الخ » والأحاديث فى معنى أعوذ بك منك كثيرة متواترة ، بل إن الكتاب العزيز وهو وحده الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أثبت ذلك فى سورة التوبة فى ذكر الثلاثة الذين خلفوا فقال (وعلى الثلاثة الذين خلِّفوا حتى إذا ضاقت

عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه . . . ﴾ الآية .

و بعد : فإنه قد يكون حقاً إن هذا الدعى يتلقى فى غيبو بته فيضاً أو وحياً كما يزعم ، ولكنه لا شك ليس فيضاً سماوياً كريما كما أراد ، ولا إلهاماً ربانياً لعبد صالح . ولكنه فيض شيطانى غرّ به إبليس هذا المسكين حتى أوقعه بغروره فى حمأة لا مخلص له منها إلا بالإنابة إلى الله تعالى والرجوع عن هذيانه هذا . لأن محاوله الحط من خلقه صلى الله عليه وسلم ردة لاشك فيها.

واقرأوا إن شئتم قول الله تعالى فى سورة الشعراء : (هل أدلكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم . يُلقون السمع وأ[illegible] وكذب المبطلون .

المقربون إلى الله يوم القيامة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« سبعة يظلهم الله يوم القيامة فى ظله ، يوم لاظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى طاعة الله ، ورجل ذكر الله فى خلوة ففاضت عيناه . ورجل قلبه معلق بالمساجد . ورجلان تحابا فى الله . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال : إنى أخاف الله . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماصنعت يمينه » .

أحاديث مختاره

الصـــدقه

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماتصدق أحدٌ بصدقة من طيِّبٍ ـ ولايقبل الله إلا الطيِّب ـ إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة ، فَتَرْبُو فِي كف الرحمن ، حتى تكون أعظَمَ من الجبل ، كما يُرَبِّي أحدُكم فَلُوَّهُ أو فَصِيلَه » أخرجه مسلم عن أبي هريرة .

ويقول صلوات الله عليه : « تبَسُّمُكَ في وجه أخيك صدقة ، وأمرُكَ بالمعروف صدقة ، ونَهْيُكَ عن المُنكر صدقة ، وإرشادك الرجلَ في أرض الضلال لك صدقة ، وإماطَتُكَ الحجَرَ والشَّوْكَ عن الطريق لك صدقة ، وإفْرَاغُك من دَلْوِك في دَلْوِ أخيك

الله يحب الرفق

ـ . ي صلى الله عليه وسلم قال « إن الرِّفق لا يكون ى سىء إلا رانه ، ولا يُنزَع من شيء إلا شانَهُ » .

وفي رواية : قال : « ركبتْ عائشة بعيراً ، وكانت فيه صُعوبة ، فجعلتْ تُرَدِّدُه ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق » .

وفي رواية أخرى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ويُعْطِي على الرِّفْق ، ما لا يُعْطى على العُنفِ ، ومالا يُعْطى على ماسواه » أخرجه مسلم .

فعليك ياأخي بالرفق فإن الله عز وجل يحب الرفق في الأمر كله ، ومن أُعطى حَظَّهُ من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ، ومن حُرِمَ حَظَّهُ من الرفق فقد حُرِمَ حَظَّهُ من الخير .

تجاوز اهل الله يتجاوز عنا

عن أبي مسعود البدرى رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُوسِبَ رجل ممن كان قبلكم ، فلم يُوجَدْ له من الخير شيء ، إلا أنه كان يخالط الناس وكان مُوسراً ، وكان يأمُر غِلمانه أن يتجاوزا عن المُعْسر ، قال : قال الله عز وجل : نحن أحَقُّ بذلك منه ، تجاوزوا عنه » أخرجه مسلم .

دعاء الاستخارة

اللهم انى أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولاأقدر . وتعلم ولاأعلم وأنت علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرلى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، أوقال عاجل أمرى وآجله ، فاقدره لى ويسره لى . ثم بارك لى فيه ـ وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، أوقال فى عاجل أمرى وآجله ، فاصرفه عنى واصرفنى عنه . واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به » قال ويسمى حاجته .

رواه البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

الصيـــام

الصوم لغة الإمساك ، فالإمساك عن الكلام صوم عنه ، والإمساك عن الطعام صوم عنه ، والممسك عن السير صائم .

والصوم شرعاً : الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس .

ولا يفسده طيب أو قطرة أو حقن بدواء لضرورة ، أو نحو ذلك مما يعسّر به على الناس ما يسره الله .

وليعلم الصائم أنه فى عبادة ، ولا يليق بمن كان مع الله إلا أن يكون فى غاية الأدب . فلا يرسل عينه أو أذنه أو لسانه أو يده أو رجله وكل حواسه وجوارحه إلا فى مرضاة الله من العمل الصالح والقول النافع ، وحفظ هذه الجوارح عما يغضب الله .

وليعلم الصائم أن الله تعالى أمرنا بصوم هذا الشهر تطهيراً لأرواحنا وقلوبنا وأبداننا ، وتزكية لنفوسنا وتجديداً لإيماننا ، ومحطة نتزود منها للكفاح ضد قوى الشر من شياطين الإنس والجن طول عامنا (فالصوم جُنّة) . كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم .

فلتكن فى هذا الشهر قوى النفس ، جم النشاط ، غاض البصر ، عف اللسان ، سخى اليد ، قوى الإيمان بالله وبما عند الله (وما عند الله خير وأبقى) ، شديد العزم .

لاتحفل بالطعام والشراب كثيراً بل اجعلهما أقل من كل وقت .

صدر حديثاً كتاب

الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة

صدر هذا الكتاب القيم الذى ألفه الإمام ابن القيم ، وهو ينسف ثلاثة أساطير من حجج الجهمية والمعطلة ، بالحجة والبرهان:

(١) إذا تعارض العقل والنقل قدموا العقل ، وعطلوا النص .

(٢) أولوا صفات الله تعالى ، من الاستواء والفوقية والعلو والكلام ، وسموا كل ذلك مجازاً ، فأثبت هو أن كل ذلك حقيقة ، وأوقعهم فيما فروا منه .

(٣) أثبت أن تقسيم الحديث إلى متواتر وآحاد تقسيم باطل .

يطلب هذا الكتاب القيم من مكتبة أنصار السنة المحمدية ـ لصاحبها : محمد موسى خليل

٨ شارع قوله بعابدين — القاهرة

الثمن ٥٠ خمسون قرشاً

من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

رسول الله

صلى الله عليه وسلم

هو عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، أرسله ربنا رحمة للعالمين ، وإماماً للمتقين ، وحجة على الخلائق أجمعين ، وهدى به إلى أقوم الطرق ، وأوضح السبل ، وافترض على العباد طاعته ، وتعزيره وتوقيره ومحبته ، وسد دون جنته الطرق فلن تفتح لأحد إلا من طريقه . وشرح له صدره ورفع له ذكره ، ووضع عنه وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره . وجعل العزة والفلاح لمن اتبعه ونصره ، وهو البشير النذير ، والسراج المنير . أمين الله على وحيه ، وسفيره إلى عباده ، وخيرته من خلقه . صاحب الشفاعة العظمى ، والحوض المورود ، واللواء المعقود ، والمقام المحمود . سيد الأولين والآخرين ، وأفضل ولد آدم أجمعين .

وهو عليه الصلاة والسلام أعرف الخلق بالله ، وأتقاهم لله ، وأحبهم إلى الله ، وأهداهم إليه سبيلا

سعد وأفلح فى الدنيا والآخرة من استن بسنته ، واتبع سبيله وشرعته ، وشقى وخاب وخسر من تنكب طريقه ، واتبع البدع ومحدثات الأمور .

اللهم اجعلنا ممن يسعدون بشفاعته ، بحبه واتباعه وطاعته .

العدد ٥
المجلد ٢٦

جمادى الأولى
سنة ١٣٨١

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٣٠ — في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ — في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

المجلد ٢٦ | جمادى الأولى سنة ١٣٨١ | العدد ٥

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل ذكره : (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ، وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا . وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ، عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا . وَقُلْ : رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ١٧ : ٧٨ ، ٨٠) .

معانى المفردات

الصلاة : قال الزجاج : الأصلُ فى الصلاة اللزومُ . وقال غيره . إن الصلاة مأخوذة من الصَّلَوَيْن ، وهما أول موصل الفخذين من الإنسان وقال ابن القيم : أصل هذه اللفظة فى اللغة يرجع إلى معنيين . أحدهما . الدعاء والتبريك . والثانى العبادة والدعاء . وهو دعاء عبادة ودعاء مسئلة ، والمصلى من حين تكبيره إلى سلامه بين دعاء العبادة ودعاء المسئلة فهو فى صلاة حقيقية لا مجازا ، ولا منقولة .

دُلوك : قال ابن فارس عن الكلمة إنها أصل واحد يدل على زوال شيء عن شيء ، ولا يكون إلاّ برفق . يقال . دلكت الشمس . : زالت ، ويقال : دلكت . غابت . وفى لسان العرب عن الأزهرى : والقول عندى دلوك الشمس زوالُها نصف النهار ؛ لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس ، ونقل عن ابن مسعود أنه كان يفسرٌ دلوك الشمس بغروبها ، أما ابن عمر وغيره ، فنقل عنهم تفسير الدلوك بالميل إلى الزوال .

ولا تعارض بين الرأيين ، فأصل المعنى يدل على زوال شيء عن شيء . وفى زوال الشمس وغروبها يتحقق أصل المعنى .

غسق : غسق الليل شدة ظلمته . والغاسق : الليل ، أو القمر إذا كسف فاسْوَدّ . وفى اللسان : غَسَقَت عينُه : دمعت ، وقيل انصبّت ، وقيل أظلمت ، وغسقت السماء : انصبّت . ومنه قول عمر . حين غَسَق الليلُ على الظّراب أى انصب الليل على الجبال . وغسق الليل أول ظلمته وقيل : إذا غاب الشفق .

قرآن : قرأت الشيء : جمعتُه ، وضممتُ بعضه إلى بعض ، فالأصل فى هذه اللفظة الجمعُ ، وكل شيء جمعته ، فقد قرأته .

الفجر أصله : شَقُّ الشيءِ شقًّا واسعا ، ومنه قيل للصبح فجر لكونه فاجر الليل .

مشهودا : المشهود الشهادة : الحضور مع المشاهدة إمّا بالبصر . أو بالبصيرة .

وقال الراغب عن معنى « إن قرآن الفجر كان مشهوداً » أى يشهد صاحبُه الشفاء والتوفيقَ والسكيناتِ والأرواحَ المذكورة فى قوله (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) .

تهجّد : هجّدتُه فتهجّد ، أزلتُ هجودَه أى أيقظتُه ، فتيقظ . والهاجدُ : النائم ، وإنْ صلى ليلا فهو متهجِّد كأنه بصلاته ترك الهجود عنه .

نافلة : من النَّفْل ، وهو الزيادة على الواجب ، وسميت صلاة التطوع نافلة لأنها زيادة

أجر لهم على ما كتب لهم من ثواب ما فرض عليهم . وكل عطية تبرع بها معطيها من صدقة أو عمل خير فهى نافلة .

المعنى

يأمر الله جل شأنه خاتم أنبيائه بإقامة الصلاة . فما بالك بمن هم دونه ، ولا قيمة لصلاة لا تقيمها كما أمر الله . وإليك من القرآن آيات تبين ما يجب عليك التزامه ، لتكون مقيما للصلاة .

أولا : أداؤها فى وقتها ، قال تعالى : (إن الصَّلَاةَ كانَتْ على المؤمنين كِتاباً مَوْقُوتاً ٤ : ١٠٣) ثانياً : المداومةُ عليها (الذين هُمْ على صلاتِهم دائمون ٧٠ : ٢٣) . ثالثاً : المحافظة عليها (والذين هم على صَلَوَاتِهِمْ يُحَافظون) رابعاً : الخشوعُ فيها . (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ٢٣ : ١ ، ٢) .

الاصطبار عليها : (وَأْمُرْ أهلَكَ بالصَّلَاةِ ، واصْطَبِرْ عليها ٢ : ١٣٢) أن يلبِّى النداء إليها ، فلا يتخذها هزواً وَلَعِباً كالكافرين الذين وصفهم الله بقوله (وإذا نَادَيْتُمْ إلى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ، ذلك بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ ٥ : ٨٥) أن يؤديها وهو طاهر وعلى وضوء أو تيمم . (يَا أَيُّهَا الذين آمنوا إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إلى المرافق وامْسَحُوا برؤسِكُمْ وأَرْجُلَكُمْ إلى الكَعْبَيْنِ ، وإنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا ، وَإنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أوْ عَلَى سَفَرٍ أو جاء أَحَدٌ منكم من الغائطِ ، أو لامَسْتُمُ النساء ، فلم تَجِدُوا مَاء ، فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ، فَامْسَحُوا بوجوهِكم وَأَيْدِيكُمْ منه ٥ : ٦) .

أن يؤديها ، وهو فى يقظة عقلية تامة (لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وأنتم سُكَارَى ٤ : ٤٣) .

أن يؤديها ، وهو نَشِيطُ القلب فَرِحُ الروح بها ، خَالِيًا من الكسل ، وإلا كان ممن كفروا بالله وَبرسوله (وما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ منهم نَفَقَاتُهم إلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا باللهِ و برسوله ، ولا يأتون الصَّلَاةَ إلاَّ وَهُمْ كُسَالَى ، ولا يُنفِقُونَ إلاَّ وَهُمْ كَارِهُون ٩ : ٥٤) . أو كان

من المنافقين الذين وصفهم الله بقوله : (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ، ولا يذكرون الله إلا قليلا ٤ : ١٤٢) .

وملاك هذا كله أن تكون الصلاة لله وباسمه سبحانه ليدخل المصلى بين يدى الله مطهراً من الدنس المادى ، والدنس الروحى ، ومطهراً من الحدث ، ومن الشرك ، وهو الحدث الأكبر الذى يطمس هداية الفطرة ويستذل كرامة الإنسانية . (إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له ٦ : ١٦٢) .

بهذا يعد المؤمن مقيما للصلاة ، فأين هذا مما عليه الناس اليوم ؟ .

ولا سيما أولئك الذين يأتون جميع الصلوات معاً وهم كسالى ، وفى وقت واحد ، وفى زمن تتطلب أكثرَ منه صلاةٌ واحدة ؟ .

وقد بين الله سبحانه فى هذه الآية أوقات الصلاة ، فدلوك الشمس يتناول الظهر ، والمغربَ ، وغسقُ الليل يتناول وقت صلاة العشاء ، أما العصر فجاء فى قوله سبحانه : (وأقم الصلاة طرفى النهار ، وزلفاً من الليل ١١ : ١١٤) فطرفا النهار هما صلاة الصبح وصلاة العصر[1] ، وزلف الليل للمغرب ، وللعشاء .

ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بياناً شافياً هادياً للأمة هذه الأوقات ، وما أجمل مايقول ابن كثير « وقد بينت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تواتراً من أفعاله وأقواله تفاصيل هذه الأوقات على ماعليه أهل الإسلام اليوم مما تلقوه خلفاً عن خلف ، وقرناً بعد قرن ، كما هو مقرر فى مواضعه ، ولله الحمد » . وقد عنينا بنقل هذه الكلمة المحكمة الدقيقة ، لتكون — بما فيها من حق ويقين — شجًى فى حلوق أولئك الذين حاولوا ، ويحاولون تشكيك المسلمين فى صلواتهم ، وأوقاتها ، وكيفياتها ، ولمن ارتاب

---

(١) وقد تكون صلاة الصبح ، وصلاة المغرب .

مسلمٌ فى كيفية الصلاة ، وهى متواترة عملا وقولا . وفى أوقاتها كذلك ، فسيجره الشيطان إلى الارتياب فى القرآن نفسه ! ! .

« وقرآن الفجر » النص عليها بهذا البيان الجميل يكشف لنا عن عظمة صلاة الفجر ومكانتها السامية ، وسميت قرآناً تنبيهاً إلى القيام بتطويل قراءة القرآن فيها ، وإضافة القرآنِ إلى الفجر تُشْعِرُ بالجلال والجمال والصفاء ، وتثير التطلع الروحى إلى هذا القرآن الذى يُرَتَّلُ فى الفجر ، وتدبره بكل مافى الإنسان من قوى عقلية وعاطفية .

« كان مشهودا » ورد فى بعض الأحاديث تفسيرها بأن ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدونها[1] ، ونص القول فى رواية البخارى عن أبى هريرة « وتجتمع ملائكة الليل ، وملائكة النهار فى صلاة الفجر » .

وهذا تعبير آخر يكشف عن جلال صلاة الفجر ، وقيمتها السامية .

والفجر مشهود لما يتجلى فيه من جمال الله وجلاله . هذا الوجود تحت رفيف السَّحَر . وعطور الفجر ، وفوقه السماء الصافية بنجومها الزُّهْر . يبعث فى النفس الإيمان بجلال قدرة الله وشمول رحمته ، وعظمة ملكوته ، وهذا الظلام يتخاذل أمام النور ، وهذا النوم الآخذ بالعيون يوحى إلى النفس بما يوحى من إيمان قوى بالله وقوته وقهره ، وإحاطة علمه بكل شىء ، سبحانه .

لحظة مع الفجر بروحك ومشاعرك ، وتدبرك فى آيات الله كفيلة بأن تفيض على روحك سكينة الإيمان ، وطمأنينة اليقين إلى أنك بين يدى رب عظيم علىّ كبير رحيم وَدُود ، أفلا يستحق هذا الوقت الجليل الجميل أن يكون مشهوداً من الملائكة ومن الناس ؟ .

ثم إن عَطْفَ « قرآن الفجر » على الصلاة يدلك على وجوب إقامةِ قرآن الفجر ،

---

(١) وردت فى البخارى ، ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة .

وما إقامته ؟ تَدَبُّر معانيه كما قال الله : (أفلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) . وتَرْتِيلُه ترتيلا قويا حسناً كما قال الله : (وَرَتِّلِ القرآن ترتيلا) .

« ومن الليل فتهجد به نافلة لك » يأمر الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم والمسلمين جميعاً أن يقوموا من الليل لعبادته ، أن يتركوا الهجود أى النوم — ليكونوا مع الله بتدبر قرآنه ، والقيام من الليـل لتلاوة آيات الله وتدبرها ، كان وما يزال عبادة البررة الأتقياء من عباد الله (مِنْ أهلِ الـكتابِ أُمَّةٌ قائمةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللهِ آناءَ الليلِ ، وهم يَسْجُدُون ٣ : ١١٣) . (إنَّ رَبَّكَ يعلم أنك تقوم أَدْنَى من ثُلُثَيِ الليلِ ، ونِصْفَهُ ، وثلثه وطائفةٌ من الذين معك ، واللهُ يُقَدِّرُ الليلَ والنهارَ ، عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ ، فتاب عليكم ، فاقرءوا ماتيَسَّرَ من القرآن ٧٣ : ٢٠) .

والقيَام من الليل لذكر الله واستغفاره ، والصلاة له كان وما يزال أيضاً عبادة للبررة الأتقياء من عباد الله (أمَّنْ هو قانتٌ آناءَ الليل ساجداً وقائماً يَحْذَرُ الآخرة ، ويرجو رحمة رَبِّهِ ٣٩ : ٩) (ومن الليل فاسْجُدْ له ، وَسَبِّحْه ليلا طويلا ٧٦ : ٢٦) (كانوا قليلاً مِنَ الليل مايهجعون . وبالأسحار هم يَسْتَغْفِرُون ٥١ : ١٧ ، ١٨) (تَتَجَافَى جنوبُهُمْ عن المضاجِــع يدعون رَبَّهُم خَوْفاً وطمعًا ٣٢ : ١٩) .

أذكِّرُ بهذه الآيات أولئك الذين يزعمون أن الأمر بالتهجد فى هذه الآية خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم . على حين أنه أمر لـكل مسلم يحقق القيامَ به أن يقرأ الإنسانُ ماتيسر من القرآن فى الليل ، ومن شاء فليصل كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليستغفر الله ، ويسبحه سبحانه . هؤلاء هم عباد الله الذين يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ويعملون فى النهار بقوة الإيمان الذى فاض نوره على أرواحهم وهم بين يدى الله فى ظلمات الليل .

فقارنْ بهم أولئك الذين يتهجدون بالآثام والخطايا فى حمأت الدَّنَس ، وَرَدَغات الرذيلة

وأشنع منهم جريمة أولئك الذين يتهجدون بأوراد الشرك تحت أقبية الليل فى معابد الأصنام ، وأضرحة الماهدين .

المسلمون القانتون يتهجدون فى الليل بمثل قول الله : (فاطِرَ السَّموات والأرض . أنت وَلِيِّ فى الدنيا والآخرةِ تَوَفَّنِى مسلماً ، وأَلحقْنِى بالصالحين) .

أما عبيد الخرافة ، وعُبَّادُ الموتى ، وسَدَنَةُ الشرك والتصوف ، فيتهجدون بمثل قولهم : (اللّهمَّ انشلنِى من أوحَالِ التوحيد) ! ! ويحتفى بهذا الشرك الملعون أقوام وأقوام ! ! .

« نافلة لك » زيادةً لك فى ثواب الله ورضوانه ، وزيادة لك فى تقوى الله وطاعته ، وإدراك شواهد قدرته آناء الليل ، ولهذا وصف الله لحظةَ العبادة من الليل بقوله : (إنَّ نَاشِئَةَ الليلِ هى أَشَدُّ وَطئاً وَأَقْوَمُ قيلا) .

« عسى أن يبعثك رَبُّكَ مقامًا محموداً » بشرى كريمة من الكريم القادر لكل امرىء يقوم بما فرضه الله من قبل ، يقوم بإقامة الصلاة ، والتهجد بالقرآن من الليل ، هذه البشرى هى أن يقيمه الله يوم القيامة مقامًا يحمده هو ، ويحمده الذين يَعْتَدُّون بحمدهم ، وهل يحمد هؤلاء إلا كلّ جليل وعظيم وفاضل وجميل ؟ ! .

وقد ظن المفسرون أن الآية خاصة بالرسول وحده ؟ ، ولا أدرى من أين جاءوا بهذا الظن ؟ ألا يبعث الله القانتين الذين يقومون بما يُحِبُّ الله مقاماً محموداً ؟ بلى إنه يبعثهم .

وقد اختلف المفسرون حول المقام المحمود الذى يبعثه الله لنبيه يوم القيامة فمنهم من قال : هو مقام الشفاعة ، وهو قول يخالط شغاف القلب ويطمئن إليه الفكر .

أما القول الآخر ، فهو قول دفع إليه الإسرافُ فى الحُبِّ ، أو الإسراف فى سوء القصد ، أو الإسراف فى التشبيب الذى ينزِّه الله عنه ، والإسراف فى الحب يلتقى مع الإسراف فى الكراهية ، فلقد زعم الزاعمون أن المقام المحمود هو أن يُجْلِسَ الله معه محمداً على عرشه يوم القيامة ، وهو قول لا يسنده كتاب ولا سنة ، ولا فكر رشيد ، ونحن

لا نقول على الله جل شأنه إلا ماقاله هو سبحانه ، وإلا ماثبت يقيناً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله .

وليس فى كتاب الله ، وليس فيما صح عن رسوله مايدنى هذا الزعم من منطقة القلب والفكر ومن قدامة الصدق ، كل مايجب علينا الإيمان به هو أن الله سبحانه سيبعث محمداً مقاماً محموداً ، وسيبعث كل من يقوم بما أمر الله فى هذه الآيات مقاماً محموداً .

(وقُلْ ربِّ أدخلنى مدخل صدق) قال المفسرون عن مُدْخَل الصدق ومخرج الصدق أقوالا مختلفة ، وكل منها عند الفحص يدل على جزء من المعنى ، لا على كل المعنى ، ومما قالوه عن مدخل الصدق أنه مَدْخَل الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة حين هاجر إليها ، ومخرج الصدق هو مخرجه من مكة حين هاجر منها ، وبعضهم قال : يعنى بالإدخال الموت ، والإخراج : الحياة بعد الموت .

وقال آخرون بل عنى بذلك : أدخلنى فى أمرك الذى أرسلتنى به من النبوة مُدْخل صدق ، وأخرجنى منه مخرج صدق ، وقال آخرون : أدخلنى فى الإسلام مدخل صدق ، وأخرجنى منه مخرج صدق . وأعم الأقوال : القولان الأخيران . .

وأقول : لم لا نأخذ الكلمتين : « مدخل ، ومخرج » بمعناهما العام ، فالله كريم . نضرع إليه أن يجعل كل مدخل لنا فى طاعته مدخل صدق ، وكل مخرج لنا من معصيته أو من كل ضائقة ، أو من شدة ، أو من الدنيا إلى الآخرة مخرج صدق ، هكذا نفهم فى كلمات الله ، فلا نسد باباً فتحه الله ولا نضيق رحاباً وسعها الله ، ولا نُسْلِم الحق البيِّنَ إلى هوًى يميل بنا عن رِضْوان الله .

وكذلك نفهم من قوله سبحانه (واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً) . فلا نُقَيِّدها كما فعل المفسرون بمَلِكٍ ناصِرٍ ينصره على من نَاوَأَهُ ، أو بحجة قاطعة ، وإنما نفهم السلطان بمعناه العام ، فالحجة سلطان ، والتقوى سلطان ، ولآخرة الصادقة فى الله سلطان ، والخليفة الصدوق القوى سلطان وهكذا . فاللهم اجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً نقيم به دينك وندفع عنه من أراده بسوء .

عبد الرحمن الوكيل

إلى جمال عبد الناصر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد الذى أرسله الله رحمة للعالمين .

« وبعد » فقد كانت كل كلمة من بيانك تعبيراً صادقاً كاملا عن سمو الحب ، وروعة التضحية ، وجلال الفداء ، وكبرياء الجرح . كان فى بيانك أعز ما يحرص عليه العرب من تاريخ ، وأنبل ما تهفو إليه الإنسانية من مُثُل ، وما تمتاز به من خلق ، وما تحققه حكمة القيادة من قيم .

كان فيه أجل ما للأبوة من حنان وحكمة ، وأجمل ما للأخوة من صفاء ورحمة ، وأسمى ما للبنوة من بر كريم ، وأعظم ما تتصف به الزعامة الرشيدة من تفان فى خدمة الأمة . .

لقد جاشت قلوبنا بالدموع ونحن نسمع صوتك ، فقد كان فى نبراته جلال الألم ، وجمال القوة ، وسماحة العزة ، وأريحية الكرامة ، وإشفاق الأبوة العظيمة على مصير المتمرد من الأبناء .

كان الكثيرون يعتقدون أنك ستدمر بقسوة القوة أوكار الخيانة ، وتقذف بالحمم يوم الخرائب .

ولكن أبت إنسانيتك السامية ، وبرك العظيم بهذه الأمة إلا أن تكون فوق ما حدست الظنون ، وإلا أن تحقق المثل العليا للحكمة وضبط النفس ، ونكران الذات .

كان فى مقدورك أن تقتل وتدمر ، ولكنك ادخرت كل قطرة دم عربية لليوم الموعود يوم النضال الأكبر والنصر الأعظم على عدونا وتحقق وحدتنا الكبرى تحت راية الحق الذى دعا إليه النبى العربى محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

ما شعرنا ـ وأنت تتكلم ـ بأنك الزعيم العظيم وبأنك الأخ الحبيب ـ فحسب ـ وإنما شعرنا مع هذا بأنك تحقيق متجسد جليل لحب العرب وآمالهم وأحلامهم العذاب فى المجد والعزة .

وإننا لنثق بأن ما حدث سوف يدفعنا — نحن أبناء العروبة والإسلام — إلى الحفاظ القوى المتين على مثلنا وغاياتنا ، وإلى أن تمتلىء قلوبنا بالإيمان بالوحدة الجليلة الشاملة التى فرضها الله سبحانه : (واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا) ولن نهادن عدوآ لنا ، ولن نفرط — بإذن الله فى أمر فرضه الله علينا . وسنظل ننادى ، وندعو بما دعا إليه المرسلون جميعا « أقيموا الدين ، ولا تتفرقوا فيه) .

وإننا لنصارحك بأن قلوب العرب جميعا تشفق كل الإشفاق من فداحة العبء ، وقسوة الخطب ، ومن قلبك الكبير الرحيب الذى يحمل بالحب آلام العرب وأحزانهم . ولهذا نضرع إلى الله بقلوب تجيش بالإخلاص والصدق أن يمدك الله بإجلال بنصره وعونه ، وأن يكلأك ، وأن يحقق على يديك وحدة العرب والمسلمين ، وأن يهب لك الحياة المديدة فى طاعة الله ورضوانه والجهاد فى سبيله .

إنه جل شأنه ـ سميع مجيب .

عبد الرحمن الوكيل
الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

توحيد الله عز وجل

وإذا كان توحيد الأسماء والصفات يقوم كما ذكرنا على أن الله سبحانه مختص بما له من الأسماء والصفات ، لايشاركه فيها أحد من خلقه ، وعلى وجوب إثبات كل ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات من غير تمثيل ولا تعطيل . فإن هناك قواعد عامة فى هذا الباب يجب رعايتها حتى تكون بمنجاة من التورط فى ورطات الضلال التى وقعت فيها الفرق المختلفة . فمنهم من غلا فى الإثبات حتى مثل الله بخلقه ، ووقع فى حمأة التشبيه . ومنهم من غلا فى النفى والتعطيل حتى أدى به ذلك إلى جحد الذات نفسها واعتبارها عدماً لا وجود له . ومنهم من أثبت الأسماء دون الصفات تحكما بلا دليل . ومنهم من أثبت بعض الصفات دون بعض ، جرياً وراء وهم فارغ لا أصل له .

ولم يكن لهذا الضلال كله من سبب إلا الإعراض عن هدى الكتاب والسنة ، والتصرف فى نصوصهما بالتأويلات الفاسدة ، والجرى وراء الظنون الكاذبة ، بدعوى أنها عقليات لاتقبل النقض ، والقول على الله سبحانه بلا علم .

أما تلك القواعد والأسس التى تجب ملاحظتها فى هذا الباب فهى :

أولا : لايصح أن يسمى الله عز وجل إلا بما سمى به نفسه ، أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا أن يوصف كذلك إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن أسماء الله تعالى كلها توقيفية لايجوز إطلاق شىء منها على الله فى الإثبات أو فى النفى إلا بإذن من الشرع .

وما لم يصرح الشرع بنفيه ولا بإثباته يجب التوقف فيه حتى يعلم مايريد به قائله ، فإن أراد به معنى صحيحاً موافقاً لما ورد به النص قُبِل ولكن لايعبر عنه إلا بألفاظ

النصوص ولا يعدل عنها إلا لضرورة ، وإن أراد به معنى فاسداً وجب رده ، والأصل فى ذلك أن معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ، هى من شئون الغيب التى لاسبيل إلى إدراكها بالعقل وحده ، فإن العقل لايتجاوز بقدرته نطاق هذا الوجود الحسى الذى يمكن أن ينفذ إليه من طريق الحواس . أما شئون الغيب فلا مجال له أن يحكم عليها بمقتضى أقيسته وبراهينه . وإنما وظيفته أن ينظر فيما جاءت به النصوص من أخبار هذه الغيوب فيثبت ماأثبتته النصوص وينفى مانفته ، من غير أن يضيف من عنده شيئاً لا فى الإثبات ولا فى النفى . ومهما توهم العقل أن صفة ما هى صفة كمال ، لايجوز له إثباتها مالم تكن ثابتة بالشرع ومهما توهم أن صفة ما هى صفة نقص لايجوز له نفيها مالم تكن منفية بالشرع إذ لا عبرة فى هذا الباب بوهم العقل فإنه قد أدى فى كثير من الأحوال إلى نفى كثير من صفات الكمال الثابتة بالكتاب والسنة .

ثانيا : يجب أن يكون معلوما أن الله عز وجل لايماثل شيئا من خلقه ولا يماثله شيء ، فكل ماثبت له من الأسماء والصفات فمعناه يختص به لايشاركه فيه أحد .

نعم قد يكون هناك أسماء مشتركة بين الله وبين خلقه أو بين صفاته وصفات خلقه ، فهذه يجب أن لاتوهم تشابها فى المسمى . فأن الاشتراك إنما هو فى محض الاسم وفى القدر المشترك الذى يدل عليه عند الإطلاق ، وذلك لايوجب مماثلة أصلا بين الله عز وجل وبين من يسمى بهذه الأسماء أو يوصف بهذه الصفات من المخلوقين .

فتسمية الله تعالى قادرا لا توجب مماثلة قدرة الله لقدرة العبد ، وكذا تسميته عالما ومريدا وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما وغير ذلك من أسمائه الحسنى التى قد تطلق على غيره لاتوجب أن علمهم كعلمه ولا إرادتهم كإرادته ولا حياتهم كحياته . . الخ

والأصل فى ذلك أن ما يوصف به العباد إنما يتعين ويتخصص بالإضافة فإن أضيف إلى الله كان معنى مختصاً به لا يليق بغيره ، وإن أضيف إلى المخلوق كان معنى مختصا به يتنزه الله عز وجل عن الاتصاف به .

وفى تقرير هذه القاعدة على هذا الوجه حل لإشكالات كثيرة ، فإن الذين نفوا عن الله عز وجل ما يطلق على خلقه من الأسماء والصفات وتأولوا ما ورد فيها من الآيات والأحاديث ، إنما فعلوا ذلك لتوهمهم أن إثبات هذه الأسماء والصفات يقتضى المماثلة بين الله وخلقه فعطلوا خوف التشبيه . ولو أنهم أدركوا أن لهذه الألفاظ إذا أطلقت على الله معانى أخر غير التى تناسب المخلوق ، لما وقعوا فى حمأة التعطيل ، ولكن من يضلل الله فما له من سبيل . وبناء على هذه القاعدة العظيمة يمكن أن نثبت لله كل ماورد به الكتاب العزيز من صفات الإستواء والمجيء والإتيان يوم القيامة والتكليم والنداء والمناجاة بأصوات مسموعة وحروف مفهومة . والرحمة والحكمة . والرضى والغضب . والمحبة والكراهة . واليدين والعينين والوجه أو غيرها وكذلك نثبت له ما وردت به السنة الصحيحة من صفات النزول إلى سماء الدنيا كل ليلة . والدنو من الحجاج عشية عرفة . والفرح بتوبة عبده حين يتوب والضحك وغيرها . ما دمنا نعتقد أن كل ما ثبت لله من هذه الصفات هو غير ما ثبت منها للمخلوقين ، ونرجىء الكلام على بقية القواعد إلى العدد القادم إن شاء الله ؟

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

الدين والمجتمع

نقلا عن (أخبار اليوم) بتاريخ ٢٣ / ٩ / ١٩٦١

تهب على ابناء الشرق تيارات عاصفة من الآراء والمذاهب والافكار . . وتلبس شعارات العلم أو الواقع أو العقل أو الاعتماد على الحس ومظاهر الطبيعة ويخلص أصحاب هذا المنطق من شعاراتهم إلى النيل من الأديان ، ليخلصوا أنفسهم من الايمان بالله إلى الايمان بهذه الشعارات . وليتحللوا من المعانى الانسانية والقيم الروحية ليعيشوا فى إسار المادية . .

وهذه التيارات غير جديدة على الدين ، فقد منى منذ بزغت شمسه ، بمذاهب الالحاد والانحلال ، وكانت النتيجة دائما أن يخرج منها غالبا منتصرا ، وتمسى هى مغلوبة مقهورة . . ذلك لأنه ينبثق من روح الله ونوره والله متم نوره ، أما هى فتعتمد على الانطلاق من قيود الروح لترسف فى قيود المادة ، وتندفع فى هذا الطريق فتنقطع بينها كل رابطة . . وتسلم كل انسان إلى هواه . . .

وسرعان ماتحس الإنسانية بالالم والقلق والخوف والحيرة ، فتتجه إلى الروحانية التى تملك مفاتيح القوة ، وتقدر على تجميع الطاقات فتبدد من الإنسانية قلقها وتسبغ عليها روح الأمن ، وتهيىء لها وسائل الاستمتاع بالطيبات ، وتنتشلها من الانانية والاستبداد ، ومن الكبت والضيق والحرمان ، وتمسح بلمساتها الإنسانية الرقيقة عوامل الضعف واليأس . . .

ومن هنا تلمس الإنسانية الفرق الواضح بين حياتها الإجتماعية والإقتصادية فى ظلال مجتمع تسوده النظم الدينية ، ومجتمع تستولى عليه المذاهب والآراء التى يفرضها الإنسان على الإنسان . .

هذا مجتمع يحيا فى ظلال الايمان بالله ، وفى دستور يحثه على العناية بروحه والعناية بجسمه ، ويسوى بين كل فرد فيه و بين القائمين بالحكم عليه ، لاميزة لحاكم على محكوم ولا خاصية لطائفية أو جنسية ، الكل سواء والكل يراقب بعضه بعضا حتى تستقيم الأمور بينهم على خير حال من الحرية والعدالة والمساواة .

وذاك مجتمع يعيش فى إسار إنسان ضرب عايه نفوذه ، وجعل منه آلة ، وسلبه حق الحرية والكرامة ، ونزع منه ذاتيته ، وأبعده عن فطرته ، وعن الاستماع إلى صوت الضمير الإنسانى ، فيعيش أبدا فاقداً لمقومات نفسه ، ويظل أبدا أسير السلطان الذى يحكمه بمشيئته وبما فرضه عليه من المذاهب والآراء .

هنا مجتمع يدرك الحقائق بحسه كما يدركها بعقله ، ويتصرف فيها بارادته ويكيفها حسب ظروفه ومصالحه . . وهناك مجتمع يقوده الطمع والاستغلال ولا يقوم الفرد فى المجتمع إلا على أساس الإنتاج ، وتقوم العلاقة بين الافراد وبين الدولة على هذا الاساس ، وليس له إلا ما يعطاه نظير إنتاجه ، والدولة وحدها صاحبة الرأى فى تقدير الإنتاج وتقدير الجزاء عليه .

هنا مجتمع يشعر بأن جوانب الحياة يكمل بعضها بعضا ، وهناك مجتمع لا يرى الحياة إلا من جانبها المادى غافلا عن الطاقة المحركة للمادة والباعثة للحياة ، والتى لولاها ما كان للمادة كيان ، ولولاها ما استطاعت هذه المادة أن تتحرك وتسعى وتعمل . .

أى المجتمعين أجدى على الإنسانية وأكثر نفعا لها . . مجتمع توفر مبادئه الطمأنينة النفسية ، وتملأ قلوب ابنائه بالامل ليصلوا إلى غاياتهم ، ويقوم كل فرد بمقدار ايمانه وخلقه وعمله ، وتحاسبه على ما يفعل من خير فتجازيه خيرا ، وما يقترف من شر فتجازيه شرا ؟ . .
أم مجتمع يسلب كل فرد حريته ، ويدفعه إلى حركة دون غاية ، وعمل بلا أمل ؟ .

أم ذلك المجتمع الذى يعزل الأمة عن تاريخها ويبيح لكل إنسان أن يفعل ما يشاء ؟ ويصير فيه الجلاد مثل الضحية والخائن مثل البطل ؟ ويسوى بين أوجه النشاط . . .

وايهما أقرب إلى المنطق والعقل ، أن ندين بدين يخاطب الضمير الإنسانى فى كل زمان ومكان ، أم ندين بالعلم وما تزال التجارب تغير من قواعده ؟ أم بالعقل وهو متأثر أبدا بالظروف التى يعيش فيها صاحبه ؟ الظروف الجغرافية والقومية ؟ والظروف الصحية والاجتماعية ، ولا ينكر أحد تأثير هذه الظروف فى التوجيه والتفكير . . . أم ندين بالحواس وما تقع عليه ، وهى كثيرة الخداع ، وصاحبها دائما متأثر بها خاضع لما يقع تحتها . . . ؟

إن طبيعة الإنسان المتقلبة ، لاتخضع إلا لمن يفوقها قدرة وحكمة ، ولم تجتمع هذه الصفات لأحد من المخلوقات . انما هذه الصفات لله وحده ، والايمان بالله هو الذى يعصم الإنسانية من التناحر ، ويحول بين الفرد وبين التعدى على غيره ، ويوجه الافكار والعقول إلى مقاصد الخير ، ويدفعها إلى البحث والتطور ، ويقدر النزعات والعواطف والميول ، فيرسم لها ما يقيها شر الصراع والزيغ والضلال .

ومن هذا الايمان يستمد الإنسان ايمانه بنفسه ، فيجد فى تحقيق كيانه وتكوين شخصيته . . ومن هنا تكون قوة الترابط بين أفراد المجتمع وتذوب بينهم الفوارق المختلفة وتبرز معانى الايثار والتعاون والتكافل ، ويزول اغراء الشهوات ويقوى خلق التضحية ، فلا يبقى فى المجتمع جائع أو عريان .

إن المجتمع الدينى يؤمن بالفرد والجماعة ويحدد لكل حقوقه وواجباته كما يؤمن بالحرية لأنها جزء من ايمان الفرد بذاته ، حرية العمل وحرية الكسب وسائر الحريات التى لا تلحق بالمجتمع ضررا . .

ولقد عبر السيد الرئيس عن هذه المعانى اصدق تعبير إذ يقول :

« نحن العرب . . . نحن المسلمين .

« نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » .

« ونؤمن بأن لكل عامل جزاء عمله ، وألا تزر وازرة وزر أخرى » .

« ونؤمن بأن لكل فرد فى كل جماعة كيانا فى ذاته ، وكيانا فى أهله ، وكيانا فى قوميته العامة وفى بلده . . »

« ونؤمن إلى كل ذلك بالاخوة الإنسانية وبالتكافل الاجتماعى وبالايثار القائم على الاختيار لتوثيق الروابط الإنسانية » .

« ونؤمن بأن لكل فرد فى الدولة حقا ـ وعليه واجبا يكافىء هذا الحق » .

« وأن على الدولة لكل فرد فيها واجبا ، ولها عليه حقا يكافىء هذا الواجب »

« فهى تبعات متبادلة بين الحكام والمحكومين ، ليس فيها قهر ولا اذلال ولا تسلط ولا طبقات قليلة العدد من السادة وطبقة ضخمة من العبيد » .

« اننا نؤكد ايماننا بديننا الذى ندين الله عليه ، ونترسم دستوره فيما نعمل بأنفسنا ولقومنا » .

* * *

« الهدى النبوى » : هذه كلمة طيبة ترد على ذلك المراء الإلحادى الذى هذى به الكاتبان اللذان أشرنا إليهما فى العدد الماضى ، ونشرنا مقتطفات من رد الأستاذ الكبير صلاح دسوقى محافظ القاهرة على أحدهما .

ولعل فى هذه الكلمة أيضا ما يؤكد لنا حرص الحاكمين على الدين ، ويدعونا إلى أن نضرب بشدة على أيدى هؤلاء الكتاب الماجنين ، ونقصف أقلامهم فى أعينهم التى تتوقد أحقادا على الدين .

ولعل فى هذه الكلمة أيضا مايدعونا إلى أن نحطم هذه الطواغيت التى تقف حجر عثرة فى سبيل الإصلاح الدينى المنشود المستمد من الكتاب الكريم . وأشد هذه الطواغيت طاغوت الصوفية . وقد جاء الوزير الكبير بوصفه فى قوله : « وذاك مجتمع يعيش فى إسار إنسان ضرب عليه نفوذه ، وجعل منه آلة ، وسلبه حق الحرية والكرامة ، ونزع منه ذاتيته وأبعده عن فطرته ، وعن الاستماع إلى صوت الضمير الإنسانى : يعيش أبدا فاقد المقومات فى نفسه ، ويظل أبداً أسير السلطان الذى يحكمه بمشيئته ، وبما فرضه عليه من المذاهب والآراء » هذه الكلمة تصدق على المجتمع الصوفى كله الذى يجعل من الشيخ إلهًا معبودا ، ومن الشعب خدما وعبيدا لأهوائه وشهواته . إن الصوفية تفرض على المريد أن يكون بين يدى شيخه كالجثة بين يدى الغاسل ! ! تفرض عليه أن يُفنى إرادته فى إرادة الشيخ ، وتحذره من أن يعترض عليه وإن رآه يخالف الشرع علانية وتفرض عليه القرابين فى الموالد وغيرها للشيخ بل تفرض عليه ألا يذكر الله إلا بإذن من الشيخ ، وتشده فى حياته إلى الموتى ، وتربط مصيره بالأحجار يتلمس منها المدد والعون . هذا هو ما تقترفه الصوفية العملية . أما الصوفية النظرية صوفية ابن عربى ، والجيلى وابن الفارض فحسبنا أنها تصحح دين الصهيونية ، وتقدس الشيطان ، ولا يمكن لإصلاح دينى أن يقوم ، وهذه الصوفية قائمة . كلمة حق نقولها لوجه الله ، شاكرين الوزير الكبير على كلمته الجليلة .

باب الـكتب

(قاموس) الأضرحة والمقابر

والأجداث والصور والتماثيل المقدسة وغيرها من آثار القديسين والأولياء

– ١ –

فهرس وتعليق ونقد

تأليف – ج . ا . س كولان دى بلانسى

By. J. A. S. Collin de Plancy

الناشر – مكتبة چوبان وشركاه . طبع فى باريس سنة ١٨٢١

قام بالترجمة : الدكتور أمين رضا

تنبيـــه (للمؤلف)

لا أظن المخلصين من المسيحيين يستاؤون منى بسبب هذا الـكتاب .

إننى لا أهاجم فيه تعليمات الإنجيل . ولا أنتقد حياة يسوع المقدسة .

ولا أعرض بآباء الـكنيسة . ولا بأى شىء يستحق احترام أولى الألباب .

إننى لأعلنها حرباً ضروسا على ذلك المذهب المضحك الذى يفرض على معتنقيه عبادة الأشياء الظاهرية . وعندما يرى القارىء أن هذه الآثار المقدسة التى عبدها الناس ليست إلا آثاراً مختلقة ، سيدرك ما أقصد . أما إذا غضب بعض الناس من جرأة هذا السجل . فإننى أرجو أن يلاحظوا أننى لا أنـكر هذا المذهب الا انكاراً مدعماً بالبراهين والوقائع الثابتة . وإننى لأربأ بهم أن يغضبوا منى إن أنا أحصيت للقديس أندريه Saint-André سبعة عشر ذراعا . فإننى لست مسؤولا عن وجود كل هذا العدد من الأزرع لآدمى واحد .

كما أنه لا يجب أن يغضب منى أحد إن أنا وصفت كيف يعبد الناس القديس جينيوليه Saint-Guignolé فى بلدة لانديفينيك Landevenec فوجدوا هذه العبادة تشمئز منها الأنفس ، وتحمر منها الوجوه .

(١) فلست أنا المسؤول عن ابتداع هذا الإفك الأثيم . كذلك يجب أن لا يحمل على أحد إن أنا لاحظت أن الفكرة الأصلية فى عبادة بعض هذه المقاصير والأضرحة ، فكرة وضيعة مشبعة بالشرك والظلم والعدوان . فلا دخل لى فى ايجاد هذه العقيدة . وسيجد القارىء أن أشد الكلام قبحا فى كتابى هذا إنما هو مايصف الأقاصيص التى استقيتها من كتب الدين المعترف بها فى كل مكان . ولست مسؤولا عن اختراع أى منها .

أما أولئك الذين يؤيدون بدون تبصر ولا ترو مذهب عبادة المقاصير والأضرحة والتعاويذ المقدسة . بالرغم من الآيات الإنجيلية وبالرغم من الحجج الدامغة . فإننى لا يمكننى أن أقول لهم أى شىء أكثر من ذلك . حيث إن لكل منهم منفعة أو مقصد خاص من تحمسه فى دعوته .

(١) هذا القديس له ضريح وتمثال فى البلدة المذكورة ، تقصده النساء من جميع انحاء فرنسا طلبا للحمل . ويعبدنه بطريقة غاية فى الاباحية .

وبما اننا تحت إمرة حكومة رشيدة تركت لنا حرية ابداء الرأى فإننا يمكننا أن نحكم على هذه الأمور التى ـ وإن كانت أموراً دينية ـ الا أنها لا تتصل بأية صلة بالإنجيل ـ وهو أساس دين هذه الدولة ، وأصل كل عقيدة فيها .

ولا أظن أن أى مسيحى متدين يمكنه أن يغضب من هذا الكتاب الذى ما قصدت منه الا تنوير العقول ، والذى لايمس أيا من الأصول الدينية بسوء ، ولا يستعمل فى منطقه الا البرهان المباشر المستقيم ، من غير اللجوء إلى أى من الطرق المنطقية المعوجة التى يستعملها عبدة الأوثان الذين ينتمون إلى المسيحية .

وعلى كل حال فإن المراجع التى استقيت منها مؤلفى هذا معروفة لدى المسيحيين ، وعلى

ضوء هذه المراجع يمكنهم فحص هذا الكتاب ويمكنهم تكذيب ما لا يعجبهم فيه . ان هم وجدوا سبيلا لذلك .

ولوفرة المواد التى أكتب عنها فإننى لم اتمكن من تدوين كل ما قيل عن آثار القديسين وبقاياهم ، وإنما جمعت فى هذا الفهرس فقط المقدسات التى كان لها نصيب وافر من الاحترام والعبادة .

مقـــــدمة الكتاب

الباب الأول ـ فى مذهب عبادة الأشياء الظاهرية

لم تكن ميول الإنسان الأول ـ الذى يعيش على الفطرة ـ تتعدى احتياجاته البسيطة ـ فإن الخطر الذى كان يحدق به من كل جانب فى البادية أو فى الغابة ، وكثرة التزاماته فيها ، لم تكن لتعطيه وقتاً وفراغاً كافياً يفكر فيه ، فينمو منطقه ويتسع إدراكه . لذلك فإنه لم يتمكن بتفكيره وحده أن يكوّن فكرة وجيهة تليق بمقام ربه وخالقه . ومع ذلك فإنه يوجد فى قلب كل إنسان احساس غريزى يناديه قائلا بأن هذا العالم لا يمكن أن يصنع نفسه بنفسه . لذلك فإن الإنسان الأول لابد وأنه قد عبد إلهاً واحداً من غير أن يعرفه .

وبعد قليل استرعت الشمس نظر الإنسان المتوحش . فاعتقد أن هذا الكوكب الذى يبعث الحياة فى كل شىء لابد وأن يكون هو الأصل . وهكذا بدأ الصبأ . فكانت عبادة الكواكب أول دين وثنى ظهر على وجه الأرض .

وبعد ذلك ظهر بين الناس رجال حاذقون صنعوا لهم ماينفعهم فى دنياهم . فأحبهم القوم ولما توفاهم الله احتفظوا لهم بذكريات عاطرة واحترموهم ، ثم تناقل الناس الحديث عنهم ودبجوا قصة حياتهم بالأقاصيص المثيرة ، مظهرين بذلك حبهم واخلاصهم لهم . وما أن تباعد العهد بهم ، حتى صارت هذه الأقاصيص يعتقد الناس فيها أنها معجزات ، يزيد

فى خطرها كل جيل . وكان مثل هؤلاء الرجال الذين أحبهم الناس فى حياتهم ، و بجلتهم الأجيال التالية ، مثل كل شىء عجيب ، يزيد الناس به إعجاباً ، واعظاماً كلما بعد به العهد ، وهكذا أصبح عظماء القوم وأحباؤه بعد موتهم . آلهة يدعوهم الناس و يحلفون بهم

ثم جاءت حقبة أخرى ، فقد لاحظ الناس أن حياتهم فى هذه الدنيا مليئة بالمتاعب والآلام ، فاستنبطوا من ذلك أنه لابد من أن يكون للشر إله . وكان هذا الإله يستحق عبادتهم لخوفهم منه ولتعظيمهم إياه . ولم يدع الدجالون هذه الفرصة تفلت من أيديهم فانتحلوا لأنفسهم صفة وزراء الآلهة . وأوهموا الناس أنهم أقرب للآلهة من العامة . واحتكروا الصلوات والعبادات . حتى أنهم ليؤدونها بدلاً من عامة الناس مقابل الهدايا والقرابين ولقد در ذلك عليهم رزقاً وفيراً . فأصبحوا أغنياء ، وفقد الشعب ماله عليهم ، وسعدوا بشقاء مريديهم .

هذا هو أصل تقديم الضحايا لشياطين الشر لتهدئتها ، ويجب ملاحظة أن آلهة الدين لم تحظ إلا باهتمام ضئيل ، وما ذلك إلا أن الإنسان بطبيعته يخشى الآلام والهموم ، فيسعى أولا إلى إبعادها ، و إذا ما استراح منها ، فإنه يفكر بعد ذلك فى استجلاب الخير . و بما أن الناس كانوا يهابون آلهة الشر ، فقد ظهرت عبادة الحيوانات البشعة الخيالية من أمد بعيد جداً ، حيث أن العقول البدائية كان لابد لها أن ترى الآلهة رأى العين ، وحيث أنها كانت بمنطقها تحتم أن يكون إله الشر قبيح الشكل ، مخيف المنظر .

وأمثلة إله الشر المخيفة كثيرة ، فقد كان الميكسيكيون يسيلون الدماء الآدمية على مذابح آلهة الشر . وكان الآسيريون يعكفون على عبادة « ملوخ » Moloch إلههم المخيف وكان المصريون يعبدون التمساح .

أما آلهة الخير : فقد كانوا فى كل مكان أناساً صالحين توفوا ، وألههم الناس وعبدوهم .

و إذا نظرنا نظرة فاحصة لهذين المذهبين الوثنيين وجدنا أنهما لم يتجها إلى تأليه آلهة الشر وآلهة الخير إلا لحاجة فى نفوس الناس . إما خوفاً من نزول المصائب بهم أو اعترافاً

بجميل آلهتهم عليهم ، أو طمعاً فى مصلحة ينشلونها من وراء عبادة الناس لهـا . فقد عمل الناس مافى وسعهم لتهدئة الآلهة الشريرة ، ثم عبدوا عبادة أقل خطر من الآلهة والقديسين الذين كانوا متصفين بالطيبة والدين فى حياتهم . والذين كانوا إذ ذاك لايتمتعون إلا بقليل القوة والسلطان . أما الآلهة التى كان الناس يرجون من ورائها المحافظة على الأنفس والأموال فقد نالت اهتماماً أكبر وأعظم من بقية الآلهة .

هذه الاتجاهات النفسية هى التى جعلت القدماء يعبدون باكوس Bacchus لأنهم كانوا يعتقدون أنه المسؤول عن كثرة محصول العنب ، وكذلك يحترم المسيحيون القديس فنسان Saint-Vincent لأنه أيضاً المسؤول الأول عندهم عن وفرة محصول العنب . وقد ألّه القدماء نبتون Neptune واحترم المسيحيون القديس نيقولا Saint-Nicolas لأن كلاهما يحفظ من العواصف والأعاصير . أما مينرفا MineRvA عند القدماء والقديسة كاترين Saint-Catherine فهما اللتان تمنحان النور للعقول . واسكلاب Esculape والقديس كوزم Saint-Cosme هما إلها الطب فى القديم والحديث . أما إلها الحدائق فهما برياب Periape عند القدماء والقديس فياكر Saint-Flacre عند المسيحيين ، أما جونون junon ونوتردام دى ليس Notre-Dame-de-Liesse فهما المسؤلتان عن علاج العقم عند النساء ، ولوسين Lucine . والقديسة مرجريت Saint-Marguerite مسؤولتان عن سلامة الولادة . وسيريس Cérès والقديس جونجول Saint-Gengoul مسؤولان عن الحصاد ، ومركور Mercur والقديس أنطون دى بادو Saint-Antoine-de-Padoue مسؤولان عن استرجاع الأشياء المفقودة وديانا Diane والقديس هوبير Saint-Hubert مسؤولان عن الصيد . كل الآلهة والقديسين الآخرين عند القدماء وعند المسيحين لهم اختصاصات يرعونها . فهم إما يشفون من مرض معين ، أو لهم يد فى الحصول على رغبة خاصة ، ولم يكن لأحد من الناس أن يعبد إلهـاً أو قديساً إلا إذا عرف أنه قادر على أن يؤدى له مطمعاً خاصاً . لذلك فإن الدور والمقاصير والآثار المقدسة الأخرى التى لم تكن لها معجزات كثيرة

معروفة ، لم تكن تجلب الكثير من الحجاج ، فى حين أنه أحصى من الحجاج فى بعض المواسم عند نوتردام دى لوريت[1] NoTre-Dame-de-Lorette مايربو على المائتى ألف .

وعلى كل حال فإن عدد المعابد الخاصة بعبدة الأوثان الحقيقيين ، أقل بكثير من الكنائس التى تعبد فيها الأوثان تحت ستار المسيحية ، وعدد هذه الكنائس يزيد على الخمسمائة ألف ، وكلها تحتوى على المقاصير المزينة بالصور المقدسة والكنوز المبركة ، وكلها كانت فى وقت ما تصنع المعجزات ، ولكنها الآن توقفت عن صنعها لسبب لايعرفه أحد .

إن الشىء الذى يدهشنا حقاً هو أن عبادة الأشياء الظاهرية ـ هو الدين الذى تفشى بين الشعوب الجاهلة المتأخرة ـ انتشر انتشاراً ذريعاً فى الشعوب المتنورة المتمدينة ، ولكن هذه الدهشة تتبدد إذا علمنا أن المصلحة هى التى دعته ومهدت له السبيل . فإن أحبار الآلهة والقديسين لايتعيشون إلا من وراء عبادة الناس لأصنامهم . لذلك فقد سحروا عيون الناس وعقولهم بأعمال خارقة تأتى بها أوثانهم . واخترعوا لذلك الروايات الملفقة عن معجزاتها ، واستعمل العلماء علمهم فى تدعيم الباطل بدلاً من أن يستعملوه فى محاربة الخرافات والسخافات . فكم من الكتب ألفها علماء اللاهوت لإثبات أشياء يعرف كل واحد منا بالبديهة أنها خاطئة ، ثم لاتلبث هذه النظريات التى أثبتوها فى كتبهم أن تنهار عندما يتوقفون عن تأكيدها ، وتتردى فى حقيقة ثابتة فى الظاهر ، إلى هزل كاذب وهوانة مضحكة .

لذلك فإننا نجد أن هذه المقاصير والأضرحة والتعاويذ وغيرها من الآثار المقدسة قد احتاجت إلى كل أنواع الدجل ، وكل ألوان المنطق الملتوى لكى تعمر طويلا .

إن التاريخ الفلسفى للآثار والتعاويذ المقدسة يحتاج إلى يراع بارع ليسطره كما يجب ، ولكننا إذا نظرنا إلى هؤلاء الناس الذين لم يبق فى نفوسهم ذرة من العقل أو الفكر ، وجدناهم يعبدون كتلة من الحجر أو كومة من العظام ، ووجدناهم يسجدون بغباوة ظاهرة لقطع من الثياب أو مجموعة من المسامير ، أو يسجدون عبادة وضيعة للقديس جنوليه ،

(١) نوتردام اسم فرنسى مركب معناه « سيدتنا » وهو يطلق على كل ما يمثل السيدة العذراء مريم ـ من تماثيل وصور ومقاصير ، وأضرحة وكنائس ويعبده المسيحيون .

أو يحدثون المعجزات المضحكة ، أو يسجدون بطرق تشمئز منها الأنفس أو تجوز عليهم حيل الرهبان فى شفاء المرضى وفى صنع المعجزات . إننا إذا رأينا كل ذلك لاحمرت وجوهنا خجلا من شدة تدهور العقل الإنسانى إلى حد يدعو إلى الحزن والأسى وإلى حد يدعونا أن نوافق على أن الفئة التى تسمى نفسها كاثوليك وهى كلمة معناها « موافق للسنة والقاعدة » لا يمكن أن تمت إلى الدين المسيحى بصلة .

وإننى فى الأبواب التالية لحاول أن أصف باختصار تاريخ مذهب عبادة الآثار المقدسة وبعد ذلك سأتناول بالتفصيل كل أثر على حدة .

« يتبع »

ترجمة الدكتور أمين رضا

من أين لك هذا ؟

عن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا على صدقات بنى سُلَيم ، يدعى ابن اللتبية ، فلما جاء حاسبه ، قال : هذا مالكم وهذا هدية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فهلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ؟ ثم خطبنا . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد : فأنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله ، فيأتى فيقول : هذا مالكم وهذا هدية أهديت إلىّ ، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته ؟ ! والله لايأخذ أحدكم شيئاً بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة ، فلأعرفن أحداً منكم لقى ربه يحمل بعيراً له رُغاء ، أو بقرة لها خُوار ، أو شاة تَيْعر ، ثم رفع يده حتى رُئى بياض إبطه يقول « اللهم هل بلغت » ؟ رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

سنة العزاء فى الموتى

وهل للناس فعلها وفق أهوائهم ؟

وجه أحد القراء أسئلة دينية إلى كاتب كبير من كتاب الصحف اليومية ، ذوى الشهرة الواسعة ، نشرت فى يوميات الصحيفة التى يحرر فيها الكاتب المشار إليه ، وأجاب عنها بما ارتآه .

ولولا أن موضوع الأسئلة فى صميم بعض الآداب الإسلامية التى يجب التأدب بها والوقوف عندها ، كما يجب بيانها وتوضيحها لعامة المسلمين وخاصتهم ، وخصوصاً فى هذا العصر الذى انقلبت فيه سنن الإسلام بدعاً ، والبدع سنناً ، ولولا ما أبداه الكاتب من الآراء التى لا توائم روح الإسلام وجوهره فى قليل ولا كثير ، لأهملنا شأن ما كتب .

ولذا فقد رأينا أن ننقل لقراء (الهدى النبوى) نص الأسئلة وما أجاب به الكاتب عليها ، مع التعقيب على ما أخطأ فيه جانب الصواب ، أو زل فيه قلمه .

يقول مقدم الأسئلة :

« الموضوع هو فكرة العزاء عند الوفاة ، فهل العزاء واجب من الواجبات ؟ أو هو من السنة المحمدية ؟ وهل يوجد لذلك دليل فى القرآن أو السنة يؤيد ذلك ؟ كذلك نصب الصيوان أمام منزل أهل المتوفى لتقبل العزاء ، هل هذا بدعة وحرام وضلال كما قال لنا أحد المشايخ أم لا ؟ وماذا كان يفعل الرسول عليه الصلاة والسلام فى مثل هذه المناسبات ؟ . »

ثم يقول السائل : نرجو التفضل بتفصيل الموضوع حتى تهدأ النفوس وتستقر الأفئدة ؟ »

هذه هى الأسئلة ، ونحن نسترعى انتباه القارىء الكريم إلى هذا التهكم اللاذع ، البالغ حد الغلو من الكاتب فى مستهل إجابته حيث يقول :

« ترددت كثيراً فى نشر هذا الخطاب لولا أن العجب من احتدام المناقشة إلى هذا الحد

فى موضوع كهذا الموضوع أمر يفوق فى دواعى الدهشة أعجب المخترعات فى هذا القرن ، و بعد عدة قرون !!! »

هذا هو استهلال الكاتب الكبير الذى مهد به للإجابة على الأسئلة ، ترى هل يجيب علماء المسلمين على الذين يستفتونهم بمثل هذا ، أم أنهم يبدأون بحمد الله تعالى ، ثم يجيبون بما يرون أنه الحق من دين الله ؟

لا جرم أن ذلك هو المعهود من العلماء .

ثم يقول فى رده على المانعين من إقامة المآتم والسرادقات : « هل يتخيل المنكرون لذلك أن الدين أمر أتباعه إذا أصيب أحدهم بوفاة عزيز عليه أن يتركه لحاله بغير كلمة عزاء أو بغير مصاحبة تخفف عنه عزلة المصاب » .

لم يقل أحد بهذا ، والإنكار على المآتم والسرادقات ليس معناه المنع من تقديم العزاء ومواساة أهل الميت .

إننا نأخذ على الكاتب[١] إقذاعه و إسفافه فى تهكمه على الذين يرون الاكتفاء بما ورد فى السنة النبوية فى باب العزاء .

ولا شك فى أن مايقام من المآتم والسرادقات للعزاء فى الموتى – كما هو الحال فى مصر – ليس له مايؤيده من دين المسلمين ؛ بل هى بدع ضارة فوق أنها تكليف لأهل الميت مالا يطيقون . ورُبَّ ميت من هؤلاء الذين تقام فى مآتمهم تلك السرادقات ، له من الأطفال الصغار ومن فقراء الورثة من هم أحق بدرهم مما ينفق فى هذه السرادقات التى لا فائدة ترجى من ورائها ولا عائدة تعود على الصغار وفقراء الورثة منها ، إلا مايبتغيه البعض من السمعة الزائفة ، والتفاخر الكاذب .

---

(٢) دأب هذا الكاتب على التهكم والازدراء بعلماء المسلمين المتمسكين بدينهم وسنة نبيهم وفى عدد ذى الحجة سنة ١٣٨٠هـ من (الهدى النبوى) كتبت كلمة أعيبت عليه فيها بالائمة لمثل هذا التهكم والازدراء فى مسألة يوم (شم النسيم) حين ندد بالذين لايوافقونه فى الاحتفال بذلك اليوم .

فدعوة الناس أو إقرارهم على إقامة المآتم والسرادقات للعزاء ، وأن ذلك لايضر ، جهل من قائله بالسنة النبوية ، وخصوصاً إذا علمنا أن السائل إنما يسأل عن الوارد فى السنة « وماذا كان يفعل الرسول عليه الصلاة والسلام فى مثل هـذه المناسبات ؟ » كما هو نص سؤاله المتقدم .

لقد كان الأولى بالأستاذ المجيب أن يتحرى الوارد فى الشريعة أولا ، ثم كان له أن يعقب بما يراه بعد . وإن كنا لانقر أحداً مهما كان شأنه أن يقدم قوله على قول الله وقول رسوله (يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله) .

* * *

هذا ومع وضوح الأسئلة وضوحاً تاماً ، فإن المجيب عليها أخطأ جانب الصواب ، حين زعم أن المانعين من إقامة السرادقات للمآتم يمنعون من تقديم العزاء لأهل الميت أو مواساتهم ، وهو خطأ أوقعه فيه سوء ظنه بعلماء المسلمين . فإن هؤلاء يعلمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة للمسلمين ، وأنه علمنا أن نقـدم العزاء فى الموتى ، وأن نواسى أهل الميت .

نعم ، إن تقديم العزاء واجب ، وللمسلم أن يواسى أخاه المسلم فى كل ماينتابه ، وخاصة إذا نزلت به مصيبة الموت فى أحد أقربائه ، فمواساته وتعزيته فى هـذه الحالة من أوجب الواجبات . وقد كان من هدى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقول معزياً أهل الميت : « أحسن الله عزاءكم » أو « عظم الله أجركم ، وجبر مصابكم ، وغفر لميتكم » وما فى هذا المعنى من العزاء والمواساة .

وفى زاد المعاد لابن القيم رحمه الله ، فى الجزء الأول مانصه :

« وكان من هديه صلى الله عليه وسلم تعزية أهل الميت ، ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء ، ويقرأ له القرآن ، لا عند قبره ولا غيره . وكل هذا بدعة حادثة بعده ، مكروهة » .

« وكان من هديه أن أهل الميت لايتكلفون الطعام للناس ، بل أمر أن يصنع الناس

لهم طعاماً يرسلونه إليهم[1] وهذا من أعظم مكارم الأخلاق والشيم ، والحمل عن أهل الميت فإنهم فى شغل بمصابهم عن إطعام الناس » .

وروى الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه ، قال : « كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد دفنه ، من النياحة » .

أقول : وهذا الحديث حكمه حكم المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن قول الصحابى « كنا نعد » معناه : كان ذلك هو المعهود فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد قدمنا أنه لم يكن من هدى النبى صلى الله عليه وسلم أن يجتمع للعزاء ، كما فى (زاد المعاد) .

فإذا كان الاجتماع عند أهل الميت بعد دفنه ، حكمه حكم النواح عليه ـ كما أفاده الحديث المتقدم ، والنواح محرم تحريماً باتاً بنص أحاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

ففى الصحيحين عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الميت يعذب بما نيح عليه » وعن عبد الله بن عمر أيضاً فى الصحيحين : « إن الميت ليعذب ببكاء الحى » والمقصود النياحة وليس البكاء ، ويؤيده مارواه الطبرانى فى الكبير عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه أنه قال : « قد رخص لنا فى البكاء عند المصيبة من غير نوح » .

وإذن فليس البكاء هو سبب التعذيب ، وإنما النوح الذى يصاحب البكاء هو المراد ، ولعل مقتضى التعذيب هو لعدم وصية المتوفى أهله بعدم النواح عليه عند موته . ويؤيده أيضاً حديث بن عمر الذى يرويه البخارى ، حين اشتكى سعد بن عبادة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ، وبكى الناس معه ، فقال : « إن الله لايعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا ، وأشار إلى لسانه ، أو يرحم ، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه » .

---

(١) كان ذلك حين قتل جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم مايشغلهم » .

وإذا كان هذا حكم النواح ، فكذلك يحرم الاجتماع بعد دفن الميت للعزاء ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم سوّى بينهما ، واتباع ماسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق وأولى من آراء الرجال ، وما تهوى الأنفس .

* * *

فهذا الإسراف فى إقامة السرادقات للعزاء ، وما يؤتى فيها من البدع ، مثل قراءة القرآن ، سواء كانت القراءة على روح الميت ، كما يفعله الجاهلون ، أو للعظة والاعتبار ، فالأمر فى كل ذلك أنها بدع ضارة « وكل بدعة ضلالة » .

والعجب أن الكاتب الكبير لم يجب على صميم الأسئلة ، كما كان منتظراً ، ولكنه حام حولها دون أن يطرق لها باباً .

فأى مناسبة بين تقديم العزاء فى الموتى ، وهو من السنة ، و بين تنوع ألوان الطعام على موائد الناس وهو من المباحات ، وقد أحل الله الطيبات من الرزق ، و بين انتشار الصحف اليومية فى هذا العصر ! ! حتى يخلط الكاتب هذا الخلط العجيب حين يقول :

« إننا نأكل اليوم أصنافاً من الطعام لم تعرف فى عهد النبى عليه السلام ، ونقيم الولائم فى السرادقات ، ولم تكن لولائم السردقات سابقة فى السنة النبوية » ! ! .

ثم يقول : « وقد شاعت بين المسلمين بعد عصر النبوة أسماء لم يتسم بها أحد من الصحابة كأسماء : حسنى وصبرى وحمدى وعزت وحكمت وهمت[1] ، وأنشأ المسلمون صحفاً تكتب فيها اليوميات . . . . الخ ، فهل كلها بدع لأنها لم تسبق قبل بضعة عشر قرناً ؟ » .

---

(١) إن هذه الاسماء بهذه الكيفيات أوجدها الأعاجم من المسلمين ، وأعنى بهم الاتراك ، بعد أن استولوا على الخلافة الاسلامية ، فترة من الزمن . فكان منهم هذه الاسماء التى تدل على عجمتهم . ولا أظن أن الكاتب يجهل هذا ، إن لم يكن متجاهلا .

هذا مثال لما يجادل به الكاتب مخالفيه فى مسألة دينية ، ذلك لأنه لا يفرق بين البدعة فى الدين ، و بين المصالح المرسلة . فهل تراه ـ أيها القارىء الكريم ـ أفاد شيئاً ، أم هو جدل عقيم يزرى بصاحبه ؟ .

* * *

و يفهم من كلام السائل أن هناك فريقاً من الناس لم يرتض الوقوف عند الحدود المرسومة فى العزاء حين أفتى لهم أحد العلماء بها ، لغلبة العادة عند الناس على خلاف ذلك ، فاحتدم النقاش وهذا ما جعل خيال الكاتب الخصب يصول و يجول فى الحملة على علماء الدين المانعين من إقامة السرداقات وحفلات المآتم .

نعم ، إن الكاتب الكبير نطق بكلمة حق حين قال : « إن الدين لا يتعرض للتحريم فى غير العادات القبيحة التى ينجم منها الضرر للإنسان أو للجماعة البشرية » .

ونحن نقره على هذا القول ، ولكن أليس الضرر واقعاً على أهل الميت حين يكلفون أنفسهم إنفاق الأموال الطائلة تصرف فى السرادقات وما فيها من مفروشات وثريات كهربائية ، ثم ما يقدم فى السرادقات من مشروبات ومدخَّنات (سجاير) . أليس كل ذلك ضرراً واقعاً على أهل الميت ، لا شك أن الضرر واقع لا محالة ، و إذن فالدين يحرم مثل هذه العادات تحريماً باتاً قاطعاً ، مهما تمحل له الممحلون ، وزينه المزينون . وهذا ما جعل ذلك العالم الفاضل يفتى بتحريمه ، لأنه خلاف المشروع فى دين المسلمين .

* * *

ومما يؤخذ على صاحب الأسئلة ، وهو رجل مثقف ، لأنه حامل لإجازة الحقوق ـ كما ترجم نفسه عند تقديم الأسئلة ـ أنه لم يأخذ بما قاله أحد المشايخ من علماء الدين ، ورجوعه إلى هذا الكاتب بعد أن أفتاه رجل الدين . وقد كان الأجدر به أن يعيد السؤال مرة أخرى عند غيره من العلماء ، و إذ ذاك كان يتبين له الرشد من الغى . ولكنه أحسن الظن بهذا الكاتب لعلمه أنه ممن أكثروا الكتابة فى المسائل الإسلامية ، فظن أنه من ذوى الاختصاص فيها ، وليس الأمر كما ظن . فإن الكاتب الكبير لم يخرج من

أن يكون أديباً كبيراً وشاعراً وكاتباً من كتاب الصحف اليومية المشهورين، أما أن يكون عالماً متخصصاً فى علوم الكتاب والسنة، فهذا مالا نقره عليه إلا إذا كان دارساً للكتاب والسنة قبل الادلاء بفتواه، ومع احتمال حصول الخطأ والصواب فيما يقول بعد تلك الدراسة؛ فاننا لاندعى العصمة لأنفسنا فيما نقول، وبالتالى فليس مخالفنا بمعصوم أيضاً. ولكننا نتحرى الصحة جهدنا فى دين الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لا نلقى القول جزافاً، ولا نرمى غيرنا بمخالفة السنة اعتباطاً.

* * *

وقد أطلعنى ـ بعد كتابة ما تقدم ـ الأخ الكريم الأستاذ سعد صادق محمد، على كلمة أخرى للكاتب المشار إليه فى عدد تال للجريدة اليومية التى يحرر فيها، فى الموضوع ذاته، حين أرسل له أحد القراء يعرفه أن المقصود من الأسئلة غير ما أجاب به عنها، ولكنه كعادته حمل على مخالفيه حملة شعواء، وذكر بعض الأحاديث الموضوعة مؤيداً بها دعواه وموعدنا العدد القادم إن شاء الله، للرد على الجديد من ادعاءاته، والله ولى التوفيق.

محمد صالح سعدالله

من شرفات التاريخ

ضيف من المشركين

— ٥ —

لم تر الأرض شريعة أرسخ قواعد فى نظام العدل ، ولا أدق أحكاماً فى بناء المجتمع ولا أوفر إنصافاً لحقوق البشر من الشريعة الإسلامية ، ذلك لأنها نهجت على طريق وسط هذا الطريق رسمه لطيف خبير لم يجعل شريعته شاقة توقع العبد فى مزالق الحرج ولا جامدة تجلب له العنت . ولا كذلك لينة هينة تلقى الحبل على الغارب ، بل تقع الفرائض والسنن تحت كسب العبد وقدرته . ولو سارت الدنيا كلها تحت لواء هذه الشريعة لاستراحت من الشرور والأوزار ولكن لكل وجهة هو موليها . ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين .

ضغائن الأعداء

وقد صور المستشرقون الخبثاء صور الإسلام بمبدأ يتعطش معتنقوه إلى الدماء يروون منها سيوفهم ويخضبون منها أسلحتهم ، ولكن الإسلام كما يدل عليه اسمه قانون إلهى للسلام ، والحرية والإخاء ، وقد قام محمد صلى الله عليه وسلم فبلغ الرسالة وأظهر الحجة ، وأنار المحجة واختار معه صفوة صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، ومن هؤلاء الصفوة الصادقة .

على بن أبى طالب

فتى شباب مكة ، وخير فتيان قريش و بطل الغزوات الشعشاع .

وقد ألف المؤرخون أسفاراً لأبى تراب وكتباً لسيف الله الغالب . لكنا سنأخذ من سيرته الطويلة هذه الحادثة التى ستبين لنا مقدار فهم الصحابة للدين وتطبيقهم كتاب الله نصاً وروحاً فى أصعب أوقات المحن وأحلك عصور التناحر .

ضَيف من المشركين

اطمأن أهل مكة للهدنة التى عقدت مع الرسول فما عرفوه غادراً ولا ناكثاً ، وقال عنه أبو سفيان قائد جيش الكفار قبل أن يسلم ، إنه يأمر بالصلاة والصدقة والصدق ولاينقض

عهداً ولم يستطع أن يعيب محمداً صلى الله عليه وسلم فى صغيرة ولا كبيرة وهو الذى حطم جيشه فى بدر ودمر أسلحته فى أحد وشتت رجاله فى كل غزوة وسرية .

نام مشركو مكة ملء جفونهم فقد ابتعد عنهم شبح الحرب ، فمحمد صلى الله عليه وسلم إمام الموحدين يحفظ العهد ماحافظ عليه الطرف الآخر (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم) .

فى هذه الآونة نزح من الأكواخ التى حول مكة أعرابى من عامة الناس لا رأى له ولا خطر ولم تكن قبيلته من الصدارة التى تؤهلها لأن تؤازر الكفار أو تحالف المسلمين أو ترجح إحدى كفتى الحرب والسلم ، فما عرف هذا الرجل إلا حاطباً أو جامعاً للنوى أو أجيراً لرعى غنم .

وصل هذا الأعرابى إلى « السنح » بجوار ديار عمرو بن عوف من أرباض المدينة وطاب له المقام أياماً ، ثم دخل المدينة خائفاً يترقب لعله يجد من يستضيفه أو يستأجره ، بل ربما يهتدى كغيره إلى هذا الدين فينال خيراً فى الدنيا وأجراً فى الآخرة كما سمع من المسلمين .

المخابرات الإسلامية

وتنازعت الرجل حيرة شديدة هل يرجع إلى أهله فقد اشتاق إليهم ، هل يؤمن بهذا الدين الجديد ؟ هل يبحث عن عمل فى حوائط المدينة ؟ وطال تردده ولم يخرجه من حيرته إلا وقوعه تحت يد المهاجرين الذين يعرفون أنه من سحنة أهل مكة فضيقوا عليه الخناق وأمطروه أسئلة وهو مضطرب ويتلجلج ولا يدرى بماذا يجيب ، وهذا الاضطراب هو الذى أثار الشك حتى غلب الظن أنه جاسوس جاء ليكشف عورات المسلمين ويعرف مدى استعدادهم الحربى ووجهتهم فى الضربة القادمة بعد أن اطمأنت مكة بالهدنة وذهبت الظنون بهم كل مذهب والرجل المكى حائر لا يدرى ماذا يقول .

قضية ولا أبا حسن لها

وكما يقولون فى الأمثلة : قضية ولا أبا حسن لها . فإن الله أراد أن يمر أبو الحسن على

الناس وهم يستجوبون الرجل وهو يتهرب من الإجابة حتى من الله عليه وقال : جئت لأعرف ماهو هذا الدين وأسمع عنه مايذهب عنى الوساوس لعلى أتخذ رأيا .

والناس لا يصدقون ولكن ابن أبى طالب الوزير الصالح الصحابى البطل والعالم الفذ الذى يفهم الشريعة وأصولها يأخذ الرجل ويمر به فى شوارع المدينة ويدخله المسجد ويسمعه القرآن وأحاديث الرسول ويطوف به على بيوت المسلمين . يفعل ذلك ليذهب عنه الخوف ويطمئن ويفكر بعمق فى هذا الذى جاء من أجله . ثم بعد ذلك يخيره بعد أن رأى وسمع . بين الرحيل والبقاء فى ضيافته فيختار الرحيل فيوافقه . خير الوزراء والعلماء ويودعه إلى ظاهر المدينة وكأنه ضيف عزيز ، وصديق من زمن قديم .

اعتراضات مكبوتة

رحل الأعرابى عن المدينة يتحسس رقبته ولا يصدق النجاة فلم يعد لهذا الأمر عدته ولكن نجا على كل حال ورجع على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى المدينة فرأى على شفاه الناس سؤالا يرن ولا يخرج . واستنكاراً يطوف على الأفواه لم يكد يظهر . وككل عبقرى يعرف مافى عيون الصامتين من قول مكتوم ويشرح على بن أبى طالب لإخوانه ماتبع مع الأعرابى فبين لهم أنه جاء مسترشداً متأملا طلباً للفوز ولا يصح للمسلمين أن يلحقوا به أى أذى فقد سبق العتاب فى القرآن والنكير الشديد (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً) . بل يطمع اللبيب الحريص فى إسلام كل قادم ولن يستطيع أحد أن يشق قلوب الناس ليفتش فيها عما يضمرون . ولو كان هذا القادم مشركا معلناً شركه وجاء ليقف على حقيقة هذا الدين فإن الواجب بذل كل عون له حتى يستكمل كل مايطلب فإن أبى ورجع فليرجع إلى أهله محروساً حتى يلحق بداره فيعامل معاملة أهله هناك . والله أوجب ذلك فقال (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) وقد استأمن الرجل لنفسه واستجار ولا يسعنى إلا أن أحقق له ماطلب .

وهز الناس رءوسهم إعجابًا بأخ لهم يطبق الآيات القرآنية نصًا وروحًا ويقولون : لله أنت ياأبا الحسن .

محمود محمد حسن البرماوى
المدرس بمدرسة عمر مكرم بشبرا

من أخبار الجماعة :

بيان عن أوجه النشاط

لجماعة أنصار السنة المحمدية – بالخرطوم جنوب – بالسودان

خطاب سكرتير الجماعة فى الاجتماع السنوى العام

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً . ما كثين فيه أبداً . والصلاة والسلام على المنزل عليه (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات) .

اللهم جنبنا الزلل فى القول والعمل ، واهدنا جميعًا صراطك المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم .

إخوانى الأعزاء : فى هذه الساعة المباركة وبين جمعكم الموقر ، أعرض عليكم جزءا موجزاً من حياتنا وحياة هذه الجماعة من عهدها الأول إلى هذه الساعة التى نسأل الله جميعا أن يسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، آمين .

إخوانى : تكونت جمعيتكم هذه فى شوال سنة ١٣٦١ هـ الموافق ١٥ /٨ /١٩٤٩ م . وأول اجتماع عقد بدارها الأولى بالسجانة كان برئاسة الشيخ عبد الله حمد رئيس المركز العام آنئذ بأم درمان ، وكان عدد المشتركين يربو على العشرين شخصاً ألفوا من بينهم أول هيئة تنفيذية مكونة من الآتية أسماؤهم :

الحاج محمد أحمد على	مديراً للدار	حسن دفع الله	محصلا
الشيخ محمد بشير	مساعداً له	جيلانى الشريف بركات	سكرتيرا
أمين نقد الله	أميناً للصندوق	عمر عبد الله	مساعداً للسكرتير
أحمد التهامى	مساعداً له		

ومن ثم تألفت اللجنة حسب مقتضيات الأحوال والظروف ، وفى ثانى اجتماع عقد بالدار كتب أول خطاب لمفتش المركز الإنجليزى آنئذ بتاريخ ١٧ / ١٢ /١٩٤٩ لإعطاء الجمعية قطعة أرض لبناء دار فكان الرد بعدم الإجابة ، مع الأمر بإيقاف النشاط الدينى مع التهديد وقال : أطلعونى على قانون الجماعة ودستورهم ، وفى هذا الرد نقطة هامة لا يفوتنى أن أتعرض لها بالتعليق ، وهى لا بد لكل هيئة من دار ولوائح وقوانين تبين هدفها وغرضها لكى يتفهمها الناس ويعرفها المسئولون معرفة تامة ، ومن ثم كان الرد على جواب المفتش المذكور :

دستورنا القرآن والسنة ، فجاء رده يحمل خيبة أمل فى إعطاء قطعة الأرض .

فظللنا نوالى اجتماعنا كالمعتاد بالمنزل المؤجر بالسجانة إلى أن فوجئنا مرة أخرى بطلب من صاحب الدار بأن نخليها حالا ، وذلك لحاجة فى نفسه .

وأخيراً تجلت النجدة والمروءة وتضحية المؤمن للمؤمن ، تجلت واضحة فى الأخ الحاج محمد أحمد على الذى كان مساعداً قوياً لإنقاذ الجماعة من هذا الموقف فما كان منه إلا أن سلمنا مفتاح منزله الذى كان بجوار الدار ، وخرجنا من هذا المأزق مرفوعى الرأس موفورى الكرامة ، فجزاه الله عن الإسلام أحسن الجزاء وتولى ثوابه .

ورجعنا مرة أخرى نكاتب المفتش ، وأخيراً كان الرد بأنه لا يمكن إعطاؤكم داراً بالمجان ، وفقط يمكنكم أن تشتروا أرضاً بالمزاد العلنى .

وفى يوم ١٩٥٤/٢/٢ أقرت اللجنة شراء قطعة أرض بالمزاد وأن يباشر الشراء جيلانى الشريف وأمين نقدالله وعمر عبد الله ، وعلى هذا دخلنا المزاد مرات ومرات ، وحصل بيننا و بين المأمور مشادة سببها أنه رفض رفضاً باتاً أن يسجل القطعة التى اشتريناها باسم الجماعة، بدعوى أن الجمعية غير مصدق عليها من الحكومة . مع العلم بأننا أطلعناه على تصديق المدير . وأخيراً ذهبنا نحن الثلاثة إلى المدير الانجليزى إذ ذاك وكنا ثائرين ، فما كان منه إلا أن اقتنع بكلامنا ، واستدعى المأمور فى الحال قائلا له : لا بأس من أن يشتروا و يسجلوا

الأرض باسم الجمعية مادمتم لم تبعطوهم بالمجان ، فاقتنع المأمور وسمح لنا فى الأسبوع التالى بدخول المزاد وتم ـ والحمد لله ـ شراء القطعة بمبلغ ١٢٠ جنيها تقريباً . وكان كل ماتملكه الجمعية فى ذلك الوقت هو ٢٠٠ جنيهاً مائتى جنيه جاءت من طريق التبرعات. فاشترينا قطعة الأرض و بقى معنا ٨٠ جنيهاً ، شرعنا بها فى البناء متوكلين على الله .

وفى يوم ٥ـ٨ـ١٩٥٤ عقد اجتماع برئاسة الشيخ عبد الله حمد بصفته رئيس المركز العام بأم درمان ، للنظر فى تكملة بناء الدار ، فجاء فى اقتراحاته : أن يقوم جيلانى الشريف بوصفه السكرتير بتكملة بناء الدار ، و بعد ذلك يتسنى له تسلم مبلغه من أجرتها ، فوافق المجتمعون على هذا القرار . وقبل جيلانى رغبة منه فى تشييدها و إظهار معالم الجمعية ، فقام بالبناء ورأت اللجنة أن يسكن فيها مؤقتاً الشيخ الزبير عبدالمحمود نظير دفع أجر بسيط قدره خمسة جنيهات يكفى لتصليحها ، ولكنه لم يقم فيها أكثر من خمسة شهور ، وما دفعه من أجر لم يتجاوز التصليحات بها . وفى يوم ٣١ـ٣ـ١٩٥٦ اجتمعت اللجنة و بحثت أيضاً موضوع الدار واستعرضت الماضى والمستقبل فجاء فى قراراتها الآتى :

(١) إن الدار بعيدة عن مساكن جميع الأعضاء .

(٢) إن الدار موقعها الجغرافى لايساعد على نشر الدعوة وأهدافها .

(٣) إن أجرتها لا يستفاد منها لعدم لياقتها لسكن كامل .

(٤) المبالغ التى عليها لا سبيل للخلاص منها مادامت على هذه الحال .

(٥) إن مايصرف عليها و يجعلها فى مستوى مناسب يساوى ثمن دار جديدة .

و بعد تقليب وجهات النظر فى هذه النقاط قرروا بالإجماع بيعها وشراء دار أخرى تكون أكثر صلاحية منها وتتوفر فيها كل الرغبات .

ثم بيعت الدار بمبلغ ٨٠٠ جنيه خصم من هذا ، المبلغ المطلوب لجيلانى الشريف وكان قدره ٢١١ جنيهاً فأصبح الباقى ٧٤٠ مليم و ٥٨٣ جنيهاً موجوداً طرف أمين الصندوق .

وفى اجتماع عقد يوم ٩-١٠-١٩٥٦ رأى المجتمعون أن تتقدم اللجنة مرة ثانية قبل الإقدام على شراء دار أخرى بطلب للمجلس البلدى ، ربما يجاب الطلب ، وتكون فى موقع مناسب ، وبوصفى السكرتير كتبت الطلب لجهة الاختصاص وعينت فيه الموقع متوكلاً على الله ، فجاء الرد يحمل البشارة والأمل العظيم . وبعد ذلك ذهبت بنفسى واتصلت بالمسؤولين وتفاهمت معهم بناء على جوابهم الذى يدل على أنهم يحملون الخير الكثير ويعطفون على الجماعة والجمعية ، وهم بالدعوة مؤمنون ، فتركت لهم أمر اختيارها ، فرحبوا بكلامى ووعدونى خيراً ، وطمأنونى بأن اختيارهم سيكون مناسباً جداً ، وفى أحسن موقع إن شاء الله .

وفى يوم ٤-٥-١٩٥٩ اتصلوا بى تليفونياً وطلبوا إلىّ الحضور إلى المكتب وأومأ إلىّ بالنظر فى الخريطة ، وطلب منى أن أحضر حالاً الرئيس والسكرتير وأمين الصندوق . فاتصلت بالأخ ناجى وأمين نقد الله وطلبت إليهما الحضور إلى مكتب الأراضى وبعد ذلك أمضينا العقد ثلاثتنا للقطعة (س١٧ مربع ٣٠ - ٨) وهى هذه التى نحن بها الآن ، وخرجنا فرحين مسرورين قائلين : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

وفى يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٩ الموافق عيد الثورة المجيدة ، وضعنا الأساس مستبشرين متفائلين بهذا العهد الجديد ، عهد الاستقرار والعمل ، عهد رجال الثورة المصلحين . وشرعنا بعون الله وتوفيقه فى البناء بالمبلغ الآنف الذكر ، وقد وصلتنا تبرعات من إخواننا فى جميع الجهات مجموعها ٢٥٨ جنيهاً زايداً على ما بطرفنا وهو ٧٤٠م و ٥٨٣ج فأصبح المبلغ يساوى ٧٤٠م و ٨٤٤ج صرفت جميعها على هذا المسجد الذى ترونه . وهذا فوق المساعدات اليدوية التى وجدناها من جميع الإخوان المخلصين من مختلف الصناعات ، جزاهم الله عن الإسلام والدعوة أحسن الجزاء .

ومع ذلك فلا زال المسجد بحاجة إلى عملية البلاط والتلقيم والبياض الخارجى ،

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يكلل أعمالنا بالنجاح وهو نعم المولى ونعم النصير .

وفى يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٦٠ اتصلت بمكتب فضيلة قاضى القضاة وأخبرته عن المسجد وعن النقصان فيه ، وطلبت منه المساعدة كتابة ، فجاء رده بأن طلب منى الخريطة والتقدير بواسطة مهندس حتى يتمكن من عمل اللازم . وقد أرسلنا له التقدير مع الخريطة ، ونحن فى انتظار العون من الله العلى الكبير .

ومع هذا فقد رأت اللجنة أن توسع المسجد وتزيد فيه من جهة الجنوب ولم يكن لدينا شىء من المال ، فنلفت نظر الإخوان جميعاً وفى كل مكان إلى المبادرة لعمل الخير والفلاح والله لايضيع أجر من أحسن عملا .

وقبل أن أبرح مكانى هذا لايفوتنى أن أتقدم بالشكر الجزيل لأولئك الإخوان الزملاء الذين كان لعونهم ومجهودهم و إخلاصهم أكبر الأثر فى إبراز هذا العمل .

وهؤلاء هم أعضاء اللجنة العاملة الذين ترون أسماؤهم فى اللافتة .

وأخص بالذكر منهم الرئيس الشيخ مصطفى ناجى والأخ أحمد التهامى الذى كانت مهمته جمع الاشتراكات والتبرعات ولو أنه فى الزمن الأخير شغلته مهامه الخاصة ، كان الله فى عونه .

وأخيراً وليس آخراً ، أتمنى للجنة الجديدة التوفيق والعمل الحازم فى سبيل خدمة الدعوة ، والله ولى التوفيق .

جيلانى الشريف بركات
سكرتير الجماعة
بالخرطوم — جنوب

الاجتماع العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

بالخرطوم جنوب — بالسودان

اجتمع أعضاء جماعة أنصار السنة المحمدية بدار مسجدهم فى يوم ٨ / ٩ / ١٩٦١ فى تمام الساعة الخامسة مساء . وقد افتتح الاجتماع بتلاوة القرآن من الشيخ عمر عبد الله . ثم أعقبه الأستاذ جيلانى الشريف بركات سكرتير الجماعة فتكلم عن الدعوة فى الماضى والحاضر والمستقبل.

ثم عرض السيد الرئيس مصطفى ناجى على المجتمعين أعمال اللجنة التنفيذية وطالب بقيام لجنة جديدة . ثم تكلم الأستاذ عبد الصمد وعارض إقامة لجنة جديدة . وأيده الشيخ عبد الدايم فى ذلك . وأخيراً وافق السكرتير على أن تكون اللجنة كما هى . ثم طلبت الهيئة العامة عمل قانون ولائحة داخلية وقاية لنظام الجماعة فوافقت الهيئة بالإجماع كما اقترح الشيخ بشير فتح مكتبة للدار و إصدار مجلة دينية تسمى (هدى الرسول) وأخيرا أعيدت اللجنة على النحو الآتى :

١ — الشيخ مصطفى ناجى — رئيساً
٢ — « الزبير عبد المحمود — مستشاراً دينياً
٣ — « جيلانى الشريف بركات — سكرتيراً
٤ — « أمين نقد الله — أميناً للصندوق
٥ — « محمد الحسن عبد الرحيم — مساعداً للسكرتير
٦ — « صديق الزبير — « أمين صندوق
٧ — « عبد الله موسى — مدير الدار
٨ — « محمد السيد — « مساعداً له
٩ — « عمر عبد الله
١٠ — « أحمد التهامى
١١ — « مهدى خلف الله
١٢ — « جبارة الله أحمد
١٣ — « عبد السلام العوضى

(من ٩ إلى ١٢ : أعضاء)

غزوات الرسول

صلوات الله وسلامه عليه

بعد أحد : انتهت حرب أحد ، وقد ابتلى الله فيها المسلمين بما أراد أن يبتليهم به ومحصهم بذلك الابتلاء ، وجعل من قتلاهم شهداء يرزقون عند ربهم بما يعطيهم من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم . وعاد المسلمون إلى مكة بعد أن دفعوا ثمن العصيان ، وتزودوا بذلك الدرس القاسي فى وجوب التزام النظام واتباع أوامر القائد .

أما أبو سفيان فقد آب إلى مكة مزهواً بالنصر ، فخوراً بالغلبة وشرع فى الوفاء بنذره وذلك بأن أتى زوجه بعد أن كان قد نذر بعد بدر الكبرى ألا يقربها حتى يثأر لقتلاه ، وكذلك بدأت هند بنت عتبة فى قضاء نذرها إذ كانت هى الأخرى قد حرمت الدهن على نفسها وقررت ألا تبكى على قتلى بدر حتى تثأر لهم .

واستقر المسلمون بالمدينة بعد أن استردوا هيبتهم ، واشتد بأسهم عند القبائل الأخرى بعد عودتهم من غزوة حمراء الأسد التى كانوا قد خرجوا إليها عقب أحد ، ومكثوا فيها ثلاثة أيام فى انتظار قريش .

سرية أبى سلمة الأسدى : وبعد شهرين من أحد وحمراء الأسد ولم يكد المسلمون يستقرون بالمدينة حتى علم الرسول أن طلحة الأسدى وسلمة ابنى خويلد قد سارا فى قومهما يحرضان بنى أسد بن خزيمة ويدعوانهما لحرب المسلمين . فبعث الرسول « عليه الصلاة والسلام » أبا سلمة بن عبد الأسد ومعه جيش قوامه مائة وخمسون رجلا من الأنصار والمهاجرين فسار حتى وصل أرض أبى طلحة وقومه فأحاط بهم فى عماية الفجر فلم يستطيعوا الصمود له فطاردهم بجيشه وهزمهم ، ثم عاد مظفراً ومعه الغنائم إلى المدينة .

سرية عبدالله بن أنيس : بعد تلك الغزوة وصل إلى أسماع الرسول « عليه الصلاة والسلام » أن خالد بن أبى سفيان الهذلى يجمع الناس ليغزوه فأرسل إليه عبد الله بن أنيس ليقف على جلية الأمر . فسار عبد الله إلى خالد حتى التقى به . وعرف منه أنه يريد حقاً

غزو المسلمين ، فانتهز عبد الله فرصة بُعد خالد عن الرجال فاستدرجه المسير معه بعيداً وحمل عليه وقتله ، وأتى برأسه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

غزوة الرجيع[١] : جاء[٢] وفد من قبيلتي « عضل والقاره » إلى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وذكروا له أن فيهم إسلاماً وسألوه أن يبعث معهم أحداً يعلمهم الدين ويقرئهم القرآن . فأرسل معهم ستة[٣] نفر برئاسة مرثد بن أبي مرثد الغنوى وفيهم خبيب بن عدى .

وكان من سياسة النبي صلى الله عليه وسلم أن يوفد مثل هذه البعوث إلى البلاد كلما سنحت الفرصة لتعليم الناس أمور الدين وليزيد من عدد المسلمين في كل بلد .

وحينما وصلت بعثة الرسول إلى الرجيع غدر بهم ذلك الوفد ، واستصرخوا عليهم حيا من هذيل فجاءوا وأحاطوا بأصحاب الرسول وقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم . ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة . ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم . فقال مرثد وعاصم بن ثابت : والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً . وهنا تقاتل الفريقان فقتلت هذيل عامة أصحاب الرسول . وأسرت الباقين . وهما خبيب بن عدى . وزيد ابن الدثنة . وذهبوا بهما إلى مكة وباعوهما .

أما خبيب فقد مكث عند من ابتاعوه حتى أجمعوا على قتله إذ كان هو وزيد قد قتلا رؤساء من ابتاعوهما يوم بدر . فخرجوا بخبيب إلى حيث يصلب . فقال لهم : دعوني حتى أصلي ركعتين . فتركوه . فلما صلاهما أنشد وقال :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مضجعي

---

(١) ماء لقبيلة هذيل بناحية الحجاز .

(٢) ذكر الإمام ابن القيم « رحمه الله » في زاد المعاد أن موسى بن عقبة ذكر أن الرسول بعث مرثداً ورفقاءه يتجسسون له أخبار قريش فغدرت بهم هذيل .

(٣) وذكر البخارى في صحيحه أنهم كانوا عشرة .

فقال له أبو سفيان : أيسرك أن محمداً عندنا نضرب عنقه . وأنك فى أهلك ؟ فقال خبيب : والله مايسرنى أنى فى أهلى وأن محمداً فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه .

ثم ذهبوا به إلى جهة بدمشق وصلبوه هنالك . ووكلوا به من يحرس جثته . فجاء عمرو بن أمية الضمرى واحتمل جثته ليلا ودفنه .

ويروى أن خبيباً كان يأكل قطفاً من عنب[١] وهو أسير وما بمكة ثمرة يومئذ .

أما زيد بن الدثنة فقد ابتاعه صفوان بن أمية . وقتله بأبيه .

غزوة بئر معونة : فى شهر صفر من السنة الرابعة الهجرية قدم أبو براء عامر بن مالك على رسول الله « صلوات الله وسلامه عليه » بالمدينة فدعاه الرسول إلى الإسلام فلم يسلم . فقال يارسول الله : لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم . فقال له النبى « إنى أخاف عليهم من أهل نجد » فقال أبو براء : أنا جار لهم[٢] فبعث معه النبى أربعين رجلا[٣] بقيادة محمد المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة . وكانوا من خيار المسلمين وقرائهم . فساروا حتى نزلوا بئر معونة — بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم — ثم بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل . فلم ينظر فى الكتاب وقتله . ثم استصرخ بنى عامر على بقية الوفد ليقتلوهم . فأبوا أن يجيبوه احتراماً لعهد أبى البراء مع النبى بحماية الوفد . فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم هى (عصية ، ورعل ، وذكوان) فأجابوه إلى طلبه وخرجوا إلى الوفد وأحاطوا بأفراده وقتلوهم عن آخرهم . ولم يبق منهم إلا كعب بن زيد بن النجار . فقد تركوه و به رمق .

---

(١) يستدل أحياء الكرامات بحادثة وجود العنب مع خبيب فى إثبات كرامات أوليائهم المزيفة . ولكن شتان بين أمر خبيب وبين مايدعونه لأوليائهم ومشايخهم مما ينصحه الكذب والزيف واختلاق الحوادث . (٢) أى سأحميهم وأنصرهم .

(٣) وفى صحيح البخارى أنهم كانوا سبعين رجلا .

وبينما كان عمرو بن أمية الضمرى والمنذر بن عقبة على مقربة من مكان الوقعة فرأيا الطير تحوم حول موضعها . فقالا : والله إن لهذا الطير شأناً : فأقبلا على الموضع لينظراه . فإذا بهما يشاهدان وفد رسول الله فى دمائه . فنزل المنذر بن عقبة على المعتدين وقاتلهم حتى قتل .

وأما عمرو بن أمية فقد أسروه . ولما أخبرهم أنه من مُضَر أعتقه عامر بن الطفيل عن رقبة زعم أنها كانت على أمه ، وفى الطريق لقى عمرو بن أمية رجلين من بنى عامر . فظن أنهما من القوم الذين فتكوا بالمسلمين فى معونة ، ففكر فى الثأر لهم . فلازمهما وأمهلهما حتى ناما . وقتلهما . ثم اتضح أنهما كانا يحملان عهد أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو إلى رسول الله وأخبره بما فعل حزن رسول الله على قتلى بنى عامر . كما حزن على قتلى بئر معونة أعمق الحزن ، وقال (هذا عمل أبى براء · لقد كنت لهذا كارهاً ومتخوفا) .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعين بهم فى دفع دية الرجلين العامريين اللذين قتلهما الضمرى خطأ . وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عقد حلف . فلما أتاهم رسول الله قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت به علينا . ثم أرادوا أن يأتمروا بالنبى . ووجدوا الفرصة سانحة للفتك به فخلا بعضهم ببعض وقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذا . فمَنْ رَجُلٌ يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟ . فتطوع لذلك عُمَرُ بن جحاش بن كعب . وقال : أنا لذلك . فصعد إلى الجدار الذى كان الرسول يجلس إلى جواره ليلقى الحجر عليه وهو جالس بين نفر من أصحابه ـ أبو بكر وعمر وعلى . فجاءه الخبر من السماء بما أراد بنو النضير أن يفعلوه فقام الرسول متظاهراً بأنه سيقضى أمراً مّا . وخرج عائداً إلى المدينة .

وانتظره أصحابه وقتاً طويلا ، ولما طال انتظارهم قاموا يبحثون عنه . فالتقوا برجل

مقبلا من المدينة فسألوه عن الرسول فقال : رأيته داخل المدينة . فيمّوا وجوههم شطرها. فلما أقبلوا على الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، أخبرهم بتدبير بنى النضير لقتله . ثم أمرهم بالتهيؤ للسير لهم وقتالهم .

غزوة بنى النضير : وتجهز الرسول لقتال يهود بنى النضير : فاستعمل على المدينة « ابن أم مكتوم » ثم سار إليهم . فلما علموا بمقدمه عليه السلام ، تحصنوا وأبوا الخروج إذ كان عبد الله بن أبى بن سلول و بعض المنافقين[1] قد بعثوا إلى بنى النضير بعدم الخروج والثبات فى مكانهم . ووعدوهم بالوقوف إلى جانبهم ونصرتهم والخروج معهم وعندما اقترب الرسول من بنى النضير حاصرهم ست ليـال وأمر بقطع النخيل وحرقها . فنادَوْه : أن يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد[2] وتعيبه على مَنْ صَنعه . فما بال قطع النخيل وحرقها ؟

وقذف[3] الله الرعب فى قلوب بنى النضير ، فسألوا الرسول أن يُجَلِّيهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ماحملت الإبل من الأمتعة إلا السلاح والدروع . فأجابهم الرسول إلى طلبهم ، نخرّبوا[3] بيوتهم وحملوا أمتعتهم وخرجوا . فذهب بعضهم إلى خيبر ، و بعضهم إلى الشام . وتركوا أموالهم لرسول الله . فكانت له يضعها حيث يشاء . فقسمها على

(١) لم يكن ذلك العمل من جانب المنافقين حباً لبنى النضير . بل موجهاً ضد المسلمين لمشاكستهم وإغاظتهم عن طريق بنى النضير . وقد نزل فى أولئـك المنافقين قول الله تعـالى : (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيـكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنـكم والله يشهد إنهم لـكاذبون ٥٩ : ١١) .

(٢) إن قطع النخيل وحرقه لم يكن إفساداً من جانب المسلمين . بل كان ذلك بأمر الله تعالى نقمة على بنى النضير بعدوانهم على رسوله فقال جل ذكره (ما قطعتم من لينة ــ وهى نوع من التمر ــ أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين ٥٩ : ٥) .

(٣) وفيما أصابهم ذلك قال جل شأنه (. . . وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين . . . ٥٩ : ٢) .

المهاجرين[1] الأولين خاصة . غير أنه أعطى أبا دُجَانة وسهل بن حنيف الأنصاريين شيئاً من ذلك الفيء لفقرهما .

ولقد كان تصرف الرسول فى أموال بنى النضير بصفة خاصة أمراً من عند الله فوضعها عليه الصلاة والسلام حيث شاء الله ، وقد نزل فى شأنها قوله تعالى : (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . . . ٥٩ : ٧) ونزل أيضاً قوله سبحانه : (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم[2] عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء . . . ٥٩ : ٦) .

---

(١) ذكر ابن هشام فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم بشأن تقسيم أموال بنى النضير : (قال الزرقانى ج ٢ ص ٩٩ « ذكر البلاذرى أنه صلى الله عليه وسلم قال للأنصار : « ليست لاخوانكم من المهاجرين أموال ، فإن شئتم قسمت هذه الأموال بينهم وبينكم جميعاً وإن شئتم أمسكتم أموالكم . وقسمت هذه خاصة » فقالوا : اقسم هذه فيهم . واقسم لهم من أموالنا ماشئت . فنزلت الآية تثنى على موقف الأنصار تجاه إخوانهم المهاجرين (. . . ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ٥٩ : ٩) سيرة ابن هشام ج ٣ .

(٢) ما أوجفتم : ماعملتم شيئاً يكلفكم مشقة ولا جهداً فى هذه الغزوة حتى تؤول إليكم جميعاً غنائمها . ولكن الله أنزل الرعب فى قلوب أعدائكم فتركوا أموالهم وهربوا . وقد ثبت فى الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قال : كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الخ) البداية والنهاية لابن الأثير ج ٤ .

سعد صادق محمد

من رسائل القراء

لكم فى رسول الله أسوة حسنة

قصيدة رائعة بهذا العنوان للأديب الكبير الأستاذ نجاتى عبد الرحمن ، سننشرها فى العدد القادم إن شاء الله تعالى .

نظرات فى التصوف

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر هذه الأبحاث القيمة التى تدبجها يراعة فضيلة الأستاذ الرئيس العام . وموعدنا الأعداد التالية إن شاء الله .

ومن ممباسه — بشرق أفريقيا

وجاءنا من الأستاذ الفاضل أحمد عبد الله مدير شركة توزيع المطبوعات العربية فى « ممباسه » بشرق أفريقية رسالة قيمة جاء فيها :

المحترم الفاضل : رئيس تحرير مجلة (الهدى النبوى) الغراء

الأستاذ : عبد الرحمن الوكيل .

السلام الجزيل عليكم ورحمة الله و بركاته :

و بعد : إنه ليسرنا أن نتعرف بكم ، لأول مرة بغية الاتصال بمجلة (الهدى النبوى) و إيجاد روابط مثمرة معكم تأتى بأطيب النتائج المرجوة فى تعميم نشر هذه المجلة الغراء المجاهدة بهذه الأصقاع النائية من افريقية الشرقية ، وحمل صوتها القوى النافذ إلى المسلمين فى هذه الأرض ، وما أحوجهم وأشد افتقارهم إلى مثلها من المجلات التى تحمل تعاليم الدين السمحاء خالية من الشوائب والأساليب المنحرفة التى أخذت تجد طريقها سهلة إلى قلوب أبناء الملة الإسلامية بهذه البقاع ، تبعاً للجهالة الضاربة ،

والانحطاط المشين الخطير الذى تدهورت وتتدهور إليه الناشئة الإسلامية البريئة ؛ ولعدم وجود الدعاة الصالحين والمرشدين المتشبعين بالروح القوية والعلم الصالح ؛ حتى فشت بين مسلمى هذه الأرض النائية ، البدع المنكرة ، المتنوعة والشرور والآثام ، والعادات الضالة التى يبرأ منها دين الإسلام الحنيف ، وشريعة محمد العادلة الطاهرة ، وتغلغلت فى صميم حياتهم ، وجوهر عباداتهم ؛ سموم خطرة ، وأحوال بعيدة كل البعد عن آداب دينهم ، وصفات شريعتهم ، هذا كله علاوة عما حل بهم من فرقة وشتات ، وخلافات وأحقاد ؛ قصمت ظهورهم ، وفسخت كيانهم كأمة مجيدة ، عريقة ، تدين بأجل شريعة وأقوم دين ، أراده الله لعباده ، والأنكى والأمر . أن القادة فيهم ، والسراة منهم ، وشيوخهم وكبراءهم ، لا يرضيهم – ولا يثلج صدورهم الجامدة – إلا أن يسهموا بدررهم فى هذا التدهور الفظيع ، هداهم الله وأصلح حالهم .

سيدى : لذلك ، فإنه يسرنا التعرف على إدارة المجلة لقصد خلق تعاون يسهم مهما كانت الظروف فى نشر المجلة فى هذه الأنحاء ، ويسرنا أن تكون المجلة فى طليعة المجلات التى نقوم بتوزيعها ، وبصفتنا كوكلاء لكثير من مكاتب التوزيع فى العالم العربى ، وإلى جانب توزيعنا (التجارى) فإنه يسعدنا أن نبذل جهدنا فى توزيع مثل هذه المجلة الدينية ، غير ملتفتين إلى مايمكن أن تدر علينا المجلة من مصالح مادية ، تعاوناً معكم فى نشرها وإيماناً بواجبنا نحو هذه الاتجاهات المفروضة علينا جميعاً ، والله الموفق .

وأملنا جد عظيم فى أن نتمكن بالقيام بوصياتكم ، وتوزيع كمية تبشر بالخير .

وتفضلوا بقبول أخلص تمنياتنا وتحياتنا ، والسلام عليكم . المخلص

أحمد عبد الله

مدير شركة توزيع المطبوعات العربية

فرع الجماعة بمصر الجديدة

جاءنا والمجلة ماثلة للطبع من فرع الجماعة بمصر الجديدة عن اجتماع جمعيته العمومية السنوية وعن انتخاب مجلس الادارة الجديدة به وسننشر تقرير الفرع ونتائج الانتخابات فى العدد القادم إن شاء الله

من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

عقيدتهم فى الأسماء والصفات

هى توحيد الله تعالى فى أسمائه وصفاته . فله الأسماء الحسنى ، والصفات العليا ، لا يماثله فيها أحد من خلقه . وسمه سبحانه بما سمى به نفسه ، وما سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم . وصفه سبحانه بما وصف به نفسه . وما وصفه به رسوله . واحذر مذاهب أهل الزيغ والتعطيل ، الذين يقولون على الله مالا يعلمون ، وفى أسمائه وصفاته يلحدون ، ويزعمون كذباً أنهم له ينزهون ، ومتى كان تعطيل الأسماء والصفات الواردة فى الكتاب والسنة تنزيها ، وجحدها تعظيماً ؟ .

إنما التنزيه أن تنفى عنه سبحانه ما نفى هو عن نفسه ، من الشريك والند ، والصاحبة والولد ، والمعين والظهير ، والجهل والعجز ، والسِّنة والنوم ، والجور والسفه ، والضلال والنسيان والذل والحاجة . والموت والفناء .

وإنما تعظيمه أن تثبت له سبحانه ما أثبت لنفسه من استوائه على عرشه ، وعلوه على خلقه ، ويديه المبسوطتين بالعطاء ، ووجهه الكريم الباقى بعد فناء خلقه ، ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا ، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده ، وفرحه بتوبة عبده ، وعجبه من قنوط عباده وقرب خيره ، ورضاه من المؤمنين ، ومقته وسخطه على الكافرين . كل ذلك وغيرها من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد) .

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
ص
٣٠ – فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ – فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٨١ المجلد ٢٦

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل ذكره : (وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ ، وَزَهَقَ الْباطِلُ ، إِنَّ الباطِلَ كان زَهُوقاً . وَنُنَزِّلُ من الْقُرآنِ ماهو شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ للمؤمنينَ ولا يَزِيدُ الظالمينَ إلاَّ خَساراً . وإذا أَنْعَمْنا على الإنسانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بجانِبِهِ ، وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ كان يَئُوساً . قُلْ : كُلٌّ يَعْمَلُ على شاكِلَتِهِ ، فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سبيلاً ١٧ : ٨١ : ٨٥) .

« معانى المفردات »

« جاء » : يقول الراغب : يُقال جاء : فى الأَعْيانِ ، وفى المَعانى[1] .

« الحق » : أصل الحق المُطابقة والمُوافقة . ويقال على أربعة أوجه . فيقال لموجِد الشيء بسببٍ ما تقتضيه الحكمة ؛ ولهذا قيل فى الله تعالى : هو الحق .

(١) فكما تقول : جاء محمد تستطيع أن تقول : جاء الحق كما فى الآية ، فليس المجىء مختصاً بالذوات ، وإنما يمكن استعماله مع المعانى والصفات .

ويقال للموجَد بحسب مقتضى الحكمة : ولهذا يقال : فعل الله تعالى كله حق .

ويقال فى الاعتقادُ للشىء يكون مُطابِقاً لما عليه ذلك الشىء فى نفسه . كما يقال عن اعتقاد المؤمن الخالص الإيمان فى البعث : إنه اعتقادٌ حَقٌّ .

ويقال للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب ، و بقدر ما يجب ، وفى الوقت الذى يجب .

« زهق » : يقال : زهقت نفسُه : إذا خرجت من الأسف على الشىء .

« الباطل » : نقيضُ الحق . ويقال فيما لاثبات له عند الفحص عنه .

شفاء : يقال لِحَرْفِ البئر : شفا . ومعنى الشفاء من المرض موافاةُ شفا السلامة منه ، ثم استعمل الشفاء اسما لِلْبُرْءِ من المرض .

« الخسار » الضلال والهلاك ، ويقال عن كل نقص فى رأس المال ، أو الصحة ، أو السلامة ، أو العقل ، أو الإيمان ، أو الثواب .

« نأى بجانبه » : تباعد به .

« يئوسا » : اليأسُ : نقيض الرجاء ، واليئوسُ : الكثير اليأس الذى لا يُراوِحُ نَفْسَهَ رجاء ولا أمل فى الله .

« شاكلته » : أصلُ المشاكلة من الشَّكل أى تقييدُ الدابة . والشِّكال ما يُقيَّدُ به . وشاكلةُ الإنسان طبيعته وسجيتُه سميت كذلك لأنها قَيْدٌ له . وقيل عن الشاكلة : إنها الطريقة والمذهب . وهو قريب مما ذكر .

« المعنى »

كاد المشركون يفتنون خاتم الرسل عن دينه الحق ، ولكن الله ثبته ، فلم يجنح هواه إلى فتنتهم .

وكادوا يسدون مسالكَ الأرضِ ومذاهبها ؛ ليدفعوه إمّا إلى الفرار المُزْرى ، أو اليأسِ المُرْدِى ، ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون .

فضلَّ سعيُهم فى الفتنة .

وانقطع رجاؤهم فى أن يستفزوا محمداً صلى الله عليه وسلم . وكان لا بُدَّ لمحمد صلى الله عليه وسلم من الشكر . فعلمه الله كيف يقيم حمده وشكره وذكره ، بقوله « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل » وعلمه كيف يدعو بدعاء فى إجابته تحققُ السعادة الخالدة ورضوانُ الله الأكبر . وذلك فى قوله جل شأنه : (وقل : ربِّ أدخلنى مُدْخَلَ صِدْقٍ وأخرجنى مُخْرَجَ صِدْقٍ واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً) .

دعاء يسعد المؤمن بترديده ، وترتيله ، وتدبره ، والسعى الجاد فى سبيل أن يستجيب الله له .

وفى هذه القوة الجليلة الرائعة التى تمثَّلتْ إيماناً صَدُوقاً ، وعبوديَّة لله خالصة يقول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمشركين ولِكل الداعين إلى الباطل : « جاء الحق » .

وتَصَوَّر مجىء مَلِكٍ قوى مقتدر فى موكب العدل والهدى والقوة ، وقد سَحَق وراءه كلَّ باطل وضلالة .

ترى هل يَصْمُدُ أمامه متهافتٌ لا يستمد قوته إلا من الضعف ولا نصره إلا من الهزيمة ، ولا يَلُوذ إلا بأكناف الصنم ؟ ! .

لقد جاء الحق فى قوته وقَهْره واقتِدَاره وجلاله وهداه .

جاء به من عند الله محمد صلى الله عليه وسلم . إنه الإسلام الكامل ، أو إنه القرآن المجيد . فلا حَقَّ إلا فى هذا ، أو ذاك . والإسلام هو التعبير الكامل الصادق بالاعتقاد وبالخُلُق وبالعمل ، وبالقَوْلِ عن القرآن .

والقرآنُ كتابُ الإسلام فى إجماله وتفصيله ، وكُلِّيَّاته وجُزْئِيَّاتِه .

جاء الحق بعزته وحَوْلِهِ وطَوْله .

ومِنْ جاء ؟ جاء من الحق ، من الله العلى الكبير (فذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكم الحقُّ ، فماذا بعد الحقِّ إلا الضلال ؟) .

ومن عزة الحقِّ وغلبه وَرَهْبَة جلالِهِ ترتعد فرائص الباطل فيتهاوى صَرِيعاً ملعون الجيفة والمصير .

ولهذا زهق الباطل الذى كان يُعَزِّز به عباد الأوثان ، وعباد الطواغيت وأحبار الضلالة ، وكُهان الزندقة .

زهق باطل الشرك والوثنية . زهق الباطلُ فى شتى صُوَرِه وألوانه ودُعاته حين جاء الحقُّ من عند الله .

وفى ختام الآية تعظنا هذه الحقيقة التى نذهل عنها أحياناً فنرتجف من الباطل ، وهو هَباء .

« إن الباطل كان زهوقاً » هذه هى الحقيقة التى نذهل عنها أحياناً ، فيخيفنا الباطلُ ونحن فى هذا الذهول عنها .

ونحن لو تأملنا فى كلمة « كان » لوجدناها تؤكد ثبوت هذه الحقيقة ، ولو تأملنا فى كلمة « زهوقاً » وهى صيغة مبالغة ، لوجدناها تزيد الحقيقة جلاء ووضوحاً ، وتثبت للباطل أنه دائماً ينهزم أمام صولة الحق ، فلا يبقى له ما يقاوم به كالميت الذى تخرج نفسُه .

وفى الآية بُشرى لأولياء الحق ، ونذيرٌ رهيب لأولياء الباطل ، فيها دعوة لأولياء الحق أن يعتصموا به دائماً ، ونهى لهم عن الخوف من الباطل ؛ لأنه لا يصمد أمام حقٍ أبداً .

ولا ريب فى أن روح محمد صلى الله عليه وسلم قد استشفت من الآية بشراها العظيمة له بالنصر على الباطل وأوليائه ، (ونُنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) .

يقول الإمام الجليل ابن القيم : « مِنْ » هٰهُنا لبيان الجِنْسِ ، لا للتَّبْعيض ، فإن القرآنَ كلَّهُ شفاء . كما قال فى الآية الأخرى (يَا أَيُّها الناسُ قد جاءتكم موعظةٌ من رَبِّكم ، وشِفاء لما فى الصدور ، وهُدًى وَرَحْمَةٌ للمؤمنين ١٠ : ٥٧) فهو شفاء للقلوب من داء الجهل ، والشكِّ ، والرَّيْبِ ، فلم يُنْزِل الله سبحانه من السماء شفاء قَطُّ أعمَّ ، ولا أنفعَ ، ولا أعظمَ ، ولا أسرع فى إزالة الداء من القرآن) .

هذا رأى من يؤمنون بالقرآن ، ويحترمونه ، ويُجلُّونه . أما أولئك الذين يتاجرون به فى المآتم ، وعلى المقابر ، وفى رَدْغاتِ السِّحر والدَّجْل . فلا يرونه شفاء لما فى الصدور ، وإنما يرونه شفاء لشىء آخر . فيجعلون منه تمائم يحملونها تحت آباطهم ، أو على رءوسهم

الخربة . أو تحت وسائدهم الآثمة ، أو يكتبون من آياته بماء وَرْدٍ ، أو زعفران ، ثم يتجرعون ما كتبوا ، وما شربوا لعنة من الله للساخرين بكتابه .

هذا مبلغ فهمهم لشفاء القرآن ، وهو فَهْمٌ تسخر الحقيقة من تفاهته وسخافته وتشير إلى أنهم لم ينعموا بشفاء القرآن ، وإلا لبرئوا من هذه الأساطير الملعونة .

لقد امتهن الناس كتاب الله ، ولجوا فى هجره ، أو الاستخفاف به .

الزاعمون أنهم مشفقون يسدون مسامعهم دونه ، فهو فى نظرهم كتابُ جمودٍ ورجعية ، ولربما أعطوا كتاباً تافهاً حقيراً كلَّ مقالاتهم ، ودفاعهم ، وإجلالهم فى الصحف ، وفى مجالسهم ، لا لشىء إلا لأن مؤلفه « المسيو » فلان أو « المستر » عِلاَّن . كل ماله من قيمة أن مؤلفه ملحد زنديق الخطايا ، عِرْبيد الإلحاد ! ! .

ونظرة واحدة إلى ماتقترفه أقلام الأدباء أو الكتاب توحى إليك بحقيقة هؤلاء العقلية والدينية ! ! فهم إمّا مُمَجِّدون لأغنية خطيئةٍ داعرة .

وإما لقصةٍ تدنس قُدَسَ الفضيلة ! ! .

وإما لكتابٍ يهاجم الحقائق الدينية ! ! .

حتى الذين يتراءون بأنهم يمجدون الدين مُسْتَدِلّينَ بما يَهْرِفون به من هُرَاء فى الصحف يظنونه شرحاً لمفهومات الحقائق الإسلامية .

حتى هؤلاء لايتراءون بهذا إلا دريئةً من نفاق يودون من ورائها القضاء على معالم الإسلام وشعائره .

فهم يزعمون مثلا أن الإسلام يمجد الحرية الفكرية ! ! .

نعم ، ولكن مفهوم الحرية الفكرية عندهم مرادف لمفهوم العدوان الباغى على كل الحقائق العقلية والقيم الإسلامية ! ! !

ويزعمون مثلا أن الإسلام ليس فيه كهنوت ! ! .

بلى ، ليس فى الإسلام كهنوت ! ! .

غير أنهم يرون حقائق الإسلام كهنوتاً ، ويصمون الداعين بحق إلى الإسلام بأنهم رجال كهنوت ! ! .

هذا موقف الكتاب الزاعمين أنهم مثقفون .

أما الشيوخ الكبار سواء منهم الصوفيون ، أم الذين يتمزَّعُون على الناس بأنهم فقهاء الدين ، وجهابذة عِلم كلامِه وأصولِه ! ! .

هؤلاء لا يعرفون من القرآن سوى أنه ألفاظ تُتلى دون فهم ! ! إذ يحرم تَدَبُّرها . فقد انسد باب الاجتهاد ، وأُغلِقَتْ أبواب الفهم . وما ثَمَّ من دين إلا ذلك الدين المبثوث فى كتب القرون المظلمات التى قامت على تمجيد الطاغية ، وشهوات الطاغوت ! ! . فإذا سُئلوا عن دينٍ ، استفتَوْا فيه الرِّمَم الباليات ، ونقبوا فى القبور يبحثون عن الحقيقة ! ! .

فإذا بَدَهتْهُم حقيقة قرآنية تناقض الأباطيل المبثوثة فى كتب شيوخهم ، أبوا إلا أن يَسْفكوا ـ باغين ـ دَمَ الحقيقة على مذبح الباطل وأنصابه ، فهم لا يحبون معرفة الحق من الله ، وإنما يحبون معرفة الباطل ، ففيه شهوتهم ، وفيه مقامهم ، وله حياتهم ! ! .

لهذا كان القرآن للمؤمنين رحمة ، لأنهم يهتدون بهداه ، ويجعلون حياتهم وقفاً عليه وعبادتهم فيضاً من هدايته . أما الظالمون فلا يزيدهم القرآن إلا ضلالاً وخسراناً ، فهم لا يحبون سوى الباطل ، ولا يجنحون إلا إلى الضلالة ، والقرآن حَقٌّ وهدى ، تدبر قول الله عن القرآن : (قُلْ : هو لِلَّذِينَ آمنوا هُدًى وشفاء ، والذين لا يُؤْمِنُونَ فى آذانِهِمْ وَقْرٌ ، وَهُوَ عليهم عَمًى ٤١ : ٤٤) وتدبر قول الله . (وإذا ما أُنزِلَتْ سورةٌ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يقول أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هذه إيماناً ، فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ، وأما الذين فى قُلُوبهم مَرَضٌ ، فزادتهم رِجْساً إلى رِجْسِهِمْ ، وماتوا وهم كافرون ٩ : ١٢٥) .

فالقرآن هُدًى ونور وشفاء ورحمة للمؤمنين ، وهو عَمًى للظالمين . فلا تعجب إذا رأيت تالياً للقرآن ، والقرآن يلعنه .

والإنسان :

إذا أنعم الله عليه بوفير نعمه التى هى من رحمة الله وقدرته فإنه يعرض عن شكر الله وحمده وطاعته .

كان أمس بين يدى الله يضرع إليه فى ذلة ، ولكنه اليوم فى إعراضه الخاسر بقلبه وجسمه تعبيرٌ متجسد عن مقته لله سبحانه .

فالإنسان لا يُعْرِض إلا عمّن يَكْرَهُ ، ولا يَبْعُدُ بجانبه إلا عمن يُؤْذِيه .

كان أمس تعبيراً عن ذلك الحب .

وهو اليوم — بعد أن أنعم الله عليه — تعبيرٌ عن جَفْوَة البغض ، ولِمَنْ ؟ لخالقه ، لرازقه لراحمه ، لهاديه ، بل قل : لربه الكريم ، وإلهه العظيم الذى لا إله إلا هو .

وهكذا تكشف لنا الآية عن طبيعة الإنسان ، لا يعتصم بهدى الله ، لنعتبر ، فلا نغتر بأننا مهتدون ، ونوقن أننا ناجون ، فلنراجع أنفسنا ، لعل فيما نعمل إعراضاً عن الله ونأياً عنه سبحانه بالجوانب ! ! .

وقد وردت آيات كثيرة تكشف عن هذه الطبيعة الكامنة فى أعماق الإنسان .
(وإذا مَسَّ الإنسانَ الضُّرُّ دعانا لِجَنْبِهِ ، أو قاعداً ، أو قائماً ، فلما كَشَفْنَا عنه ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إلى ضُرٍّ مَسَّهُ ١٠ : ١٢) .

وحسبنا هذا ، ونضرع إلى الله أن يُجَنِّبَنَا هذه المهلكة .

الإنسان فى عافيته مارِدٌ عاتٍ ظَلُومٌ .

أما إذا مَسَّه الشر ، فإنك تراه فى ذهوله ، وخموده ، وإغراقه فى التوجع وانحداره إلى هاوية اليأس العميق .

واليأس من روح الله كفر صراح .

لقد تمرد فى عافيته ! ! .

ولاذ بالكفر فى محنته ! ! .

فهو فى السراء جَحُودٌ ، وفى الضراء كَفُورٌ .

(قل كُلٌّ يعمل على شاكلته) إن الطبيعة الإنسانية المهذبة بهدى الوحى الإلهى تنزع دائمًا إلى مايشاكلها ، فهى نور ، فلا تدعو إلا إليه ، ولا تعمل إلا به ، وهى خير ، فلا تعمل إلا الخير ، وهى جَمَالٌ ، فهى تحب دائمًا الجمال جمال الروح الذى يجعل القول جميلا ، والفعل كذلك .

أما تلك الطبيعة الإنسانية التى أبت أن تتجرد للحقيقة ، واستكنت وراء هَوَاهَا وَبَغْيِهَا ، فهى لا تعمل إلا مايشاكلها . إنها شَرٌّ ، فلا تعمل إلا الشَّرَّ ، وإنها فُسوقٌ ، فلا تعمل إلا الفسوقَ ، كُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له ، كُلٌّ يعمل على شاكلته وربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ، إننا لا نعلم السرائر ولا ماوراء الأعمال من نوازع ، ولا مايستهدفه من غايات خفية ، فالله وحده هو العليم بالسرائر ، وبكل شاكلة ، يعلم مايستقر فى القلب ، وما يَسْتَكِنُّ فيه من كفر أو إيمان ، من شرك أو توحيد ، من كراهية أو محبة ، فحكمه على هذا بأنه مؤمن هو الحكم الحق الصادق .

أما نحن فإننا نجهل مُقَدِّمَات القضية ودلائلها وبراهينها ، ومعالمها . فكيف نأتى بحكم صادق فيها ؟ ولهذا غضب الرسول صلى الله عليه وسلم . من الصحابية التى قالت عن صحابى : أشهد أن الله قد أكرمك . وزجرها عن هذا الحكم الذى لا يحكم به إلا الله ثم علمها أن ترجو له الخير ، فربنا وحده هو أعلم بمن هو أهدى سبيلا .

نضرع إلى الله سبحانه أن يجعلنا من المهتدين .　　　　عبد الرحمن الوكيل

« البهـــائية »

ألف رئيس الجماعة عن تاريخ هذه الفرقة الملاحدة وعقيدتها كتابًا يقع فى ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير . وقد رجع فيه المؤلف إلى المصادر الوثيقة التى ألفها زعماء هذه الفرقة كما بين بجلاء صلتها الوثيقة بالصهيونية وأن عقيدتها أخلاط شتى من الصوفية والاسماعيلية والنصرانية ، وقد ربط المؤلف بين حاضر هذه الفرقة وبين ماضيها وعرض لمؤامرات ابن سبأ وأتباعه من بعده فى شرح مستفيض لعقائد هذه الفرق التى أنشأها ابن سبأ اليهودى وأتباعه حتى البهائية . وسيقدم للطبع قريبا بإذن الله .

« توحيد الله عز وجل »

تكلمت فى العدد الماضى عن قاعدتين من القواعد العامة التى تجب مراعاتها فى باب الأسماء والصفات ، وهما أن أسماء الله عز وجل توقيفية لايجوز إطلاق شىء منها على الله ما لم يرد به نص . وأن الله سبحانه يختص بما له من الأسماء والصفات ، لايشاركه فيها أحد .

والآن أستكمل الكلام فى بقية القواعد فأقول :

ثالثاً : أن كل ما ثبت لله من الصفات الوجودية فهو ثابت له على جهة الكمال المطلق الذى هو أقصى ما يمكن من الأكملية ، بحيث لا يكون وراءه كمال آخر ولا يمكن أن يعرض لها النقص بوجه من الوجوه فهو سبحانه له المثل الأعلى فى كل ما ثبت له من الأسماء والصفات ، ولا يمكن أن يكون هذا المثل لأحد سواه . فصفاته وجدت كاملة من الأزل إلى الأبد ، لم تكن ناقصة ثم كملت كما هو الحال فى صفات غيره . ولا يمكن أن يطرأ عليها النقص الذى قد يطرأ على صفات المخلوقين . فحياته سبحانه أكمل حياة لأنها من لوازم ذاته ، فهى أقدم حياة وأدوم حياة وأقوى حياة . ولا يمكن أن تسبق بموت ولا أن يلحقها موت . قال تعالى (وتوكل على الحى الذى لايموت) .

وفى الحديث (أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنى ، أنت الحى الذى لاتموت والجن والإنس يموتون)

وكذلك كل ما تستلزمه هذه الحياة الكاملة من الصفات هو ثابت على أكمل وجه وأتمه . فقدرته أكمل قدرة لا يعجزها شىء ولا يصيبها لغوب أو إعياء ، وعلمه أوسع علم وأشمله ، فهو محيط بجميع المعلومات لا يمكن أن يند عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء .

وإرادته أتم إرادة فلا يقع فى ملكه إلا ما يريد ، وسمعه وسع الأصوات كلها مهما خفتت فهو يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء . قال تعالى (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) وبصره أكمل الأبصار رؤية ، فلا تغيب عنه ذرة مهما

دقت ، ولا يؤثر فيه بُعد ولا يحجبه حيطان ولا أستار . قال تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) وكلامه أتم كلام وأبلغه ، فلا يمكن أن يكون فى كلامه خفاء أو قصور. قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لامبدل لكلماته وهو السميع العليم) وهكذا الحال فى جميع الصفات ، لا يجوز أن تثبت له إلا على هذا الوجه من الكمال ، وأما ما نفاه الله عز وجل عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من من النقائص والعيوب ، فأن هذا النفى بمجرده ليس كمالا ، إذ الكمال لا يكون إلا أمرا موجودا . وأما الأمور السلبية أو العدمية فلا تكون كمالا إلا إذا تضمنت أمرا وجوديا

ولهذا لم يرد فى الكتاب ولا فى السنة نفى نقص عن الله عز وجل إلا ويراد به إثبات ما يضاده ذلك النقص من صفات الكمال . فنفى العجز فى قوله تعالى (وما كان الله ليعجزه من شىء) إنما هو لإثبات كمال قدرته . ونفى السِّنة والنوم فى قوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) إنما يراد به إثبات كمال حياته وقيوميته . ونفىَ الظلم فى قوله (إن الله لايظلم مثقال ذرة) إنما هو لإثبات كمال عدله وحكمته . وهكذا فى بقية الصفات .

ولهذا أيضاً لم يرد النفى فى الكتاب ولا فى السنة إلا مجملا فى أغلب أحواله ، كما فى قوله تعالى (ليس كمثله شىء ــ هل تعلم له سميا) (ولم يكن له كفوا أحد) .

وأما صفات الإثبات فيكثر ورودها على جهة الاستيعاب والتفصيل .

رابعاً : أن صفات الله تعالى نوعان (١) أحدهما صفات ذات وهى التى تكون لازمة لذاته لا تنفك الذات عنها أزلا وأبدا ، ولا يتعلق شىء منها بمشيئته وقدرته . وذلك مثل صفات الحياة والعلم والقدرة والعزة والكبرياء والملك والمجد والعظمة والقوة ونحوها .

(٢) وثانيهما صفات أفعال لا تكون لازمة لذاته بل يجوز خلو الذات عنها ، وتعلق بها مشيئته وقدرته ، فهو يحدثها سبحانه فى ذاته شيئاً بعد شىء حسب اقتضاء حكمته ، ولكن ليس لما يحدث منها فى ذاته ابتداء بل تصدر أفرادها على التعاقب فى الوجود متسلسلة شيئاً بعد شىء دون أن تنتهى السلسلة، لا فى جانب الأزل، إذ لا ابتداء لها، ولا فى

جانب الأبد حيث لا انتهاء لها. قال تعالى (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) ولنضرب لذلك مثلا بصفة الكلام ، فأن الكلام منه صفة ذات وهو : قدرته تعالى على أن يتكلم متى شاء وكيف شاء ، ولكن صدور الكلام منه بالفعل لا يكون إلا حادثاً بمشيئته وقدرته . إذ لايعقل أن يكون كلم موسى فى الأزل وقال له (إنى أنا ربك فاخلع نعليك) بل كلمه حين جاء إلى الميقات كما قال تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) .

وكذلك صفة الإرادة ، لا يعقل أن يكون أراد الأشياء كلها فى الأزل وإلا لوجدت كلها فى الأزل ، بل كل مراد من المرادات إنما يقع بإرادة جزئية خاصة به كما قال تعالى (إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وهكذا فى جميع صفات الأفعال لاتوجد أفرادها مجتمعة فى الأزل بل لا توجد إلا على التعاقب فيما لا يزال . وهذا البحث مبسوط فى كتابى (ابن تيمية السلفى) وفى كثير من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فليرجع إليه من شاء .

أسأل الله أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه ، أنه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم)

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

---

١٢ - نظرات فى التصوف

٢ ـ الذكر الصوفى

آداب الذكر الصوفى وكيفيته : للذكر عند القوم آداب ظاهرة وأخرى باطنة . منها اعتزال الخلائق ، وتخفيف العلائق ، وتطييب المجلس بالرائحة الطيبة . لأن الملائكة والجن يغشون هذه المجالس[١] . ويجب على المريد أن يجلس متربعا مستقبلا القبلة إن كان وحده . أما إن كان جماعة فليجلس حيث انتهى به المجلس . وعليه أن يضع يديه على فخذيه مغمضاً عينيه . كما يجب عليه استحضار صورة شيخه فى قلبه عند الشروع فى الذكر ، جاعلا خياله بين عينيه ، معتقداً أن الاستمداد من همة الشيخ هو عين الاستمداد من خاتم الرسل[٢] قائلاً مددك يا أستاذى ! ! .

ثم عليه بعد هذا التوجه بقلبه إلى النبى صلى الله عليه وسلم مستأذناً إياه فى دخول حضرة الله ، لأن الرسول هو الباب الأعظم ، ثم يقول : مددك يا رسول الله . عليه بعد هذا أن يستأذن أصحاب الطريق والقدم ، وهم أهل السلسلة[٣] قائلا : دستورك يا أصحاب الطريق والقدم .

---

(١) من الأحاديث النبوية يستفاد أن الملائكة تحضر مجالس ذكر المسلمين ، تلك المجالس التى بين آدابها رسول الله صلى الله عليه وسلم . اما مجالس ذكر الصوفية فلا يحضرها سوى الشياطين . فهى إن أحسنا بها الظن ـ مجالس لغو وزور . والمؤمنون لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما .

(٢) يقول الشيخ محمود خطاب السبكى فى كتابه العهد الوثيق : « واستحضار الشيخ إنما هو لتحصل على مقصودك ، لأن الوصول عادة لا يكون إلا بدليل ولذا كان استحضار الشيخ من أهم الآداب ، ثم تذكر فى الاسم الذى أذن لك فيه الشيخ » ص ٣ طبع الحميدية

(٣) أى شيوخ طريقته الذين تعاقبوا عليها ! ! .

ولا يجوز للمريد أن يذكر إلا بما لقنه له الشيخ ، وإذا ذكر بلاإله إلا الله صعدها من فوق السرة على أن يبدأ بكلمة « لا » يميناً ويرجع « بإله » فيتوسط ويختم بإلا الله » يساراً صوب القلب مهتزاً من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، أما إذا ذكر بكلمة « الله » فإنه يضرب بذقنه على صدره ، ماداً ألف « الله » التى قبل الهاء مداً طبيعياً ، وجوز بعضهم حذفها .

ولا يجوز للمريد الخروج من الذكر إلا بعد أن يستأذن الواسطة العظمى ، أى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا خرج من الذكر قرأ الفاتحة للرسول ولأهل السلسلة ، ثم دعا بدعاء السكتة ، أو النومة كما يسميها بعضهم .

كيفية السكتة : يسكت مطرق الرأس ويكتم نفسه ثلاث مرات أو خمساً أو سبعاً كافاً عن شرب الماء ، لأن للذكر حرارة وشرب الماء يطفئ تلك الحرارة [1] . ثم يفك نفسه من هذه السكتة بقوله جهراً : لا إله إلا الله . وهذه السكتة واجبة شرعاً بإجماع شيوخ الطريق .

وشرع كثير منهم لمن يذكر وحده أن يجلس فى مكان مظلم ، وإلا فليخف رأسه فى جيبه ، أو يضع على عينيه مايخفى عنهما النور ، وهكذا تحتم الصوفية على المريد أن يضع فى قلبه أصناماً شتى قبل أن يذكر الله ، وتفرض عليه أن يستأذن هذه الأصنام ليذكر الله .

فهل نصدقها حين تزعم أنها تخلص الإرادة لله ؟ .

الرقص فى الذكر : تبهت الصوفية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه قال « أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا : مجنون » وقد استندوا إلى هذا البهتان فى إباحة الرقص . فيقول أحدهم : « أما الرقص فقد أفتى شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى الشافعى بإباحة[2] رقص الصوفية ، وتبعه الحافظ السيوطى فى فتوى ذكرها » ويقول غيره : « إن انضم إلى

(١) ص ٥ العهد الوثيق للشيخ محمود خطاب السبكى .
(٢) ص ٢٨ وما بعدها من رسالة للحلوانى .

هذا القيام — قيام الذكر — رقص أو نحوه فلا إنكار عليهم فى ذلك ؛ لأنهم يفعلون هذا من لذة الشهود والمواجيد » .

على أنهم يحرمون على الأحداث ديناً وسناً حضور هذه المجالس ، ويقصدون بأحداث الدين المبتدئين فى التصوف ، وقد حرموا عليهم حضور مجالس الذكر الراقصة مخافة أن ينقدوها ، ويقصدون بأحداث السن الصبية الصغار . وقد حرموا عليهم الحضور مخافة أن يفتتن الذاكرون بجمالهم ، فيقترفوا معهم جريرة قوم لوط [(١)] .

وكل مسلم يوقن أن مجالس ذكر الله الإسلامية ليس فيها خطر على حدث ما. وإنما فيها تربية وتهذيب وتقويم ، وتنشئة على استقامة الإيمان بجناحى الحب : الخوف والرجاء .

أما المجالس التى يخشى منها على الأحداث ، فهى مجالس الشيطان ! ! .

وإنا لنقول لهؤلاء الدعاة إلى الدعارة باسم الذكر : اقترفوا ماشئتم من فتاوى ، وأتونا بألوف منها ، عن ألوف الألوف من الشيوخ الذين يبيحون الرقص فى الذكر ! ! فإن هذا الذى تقترفونه لن يغير من الحقيقة شيئاً ، اللهم إلا إذا ظننتم أن فتوى تحول ردغة الخمر إلى مسجد ، أو حمأة الرذيلة إلى معبد ، أو خفايا المرقص إلى فضائل ! .

لقد حرم الله علينا أن نقول عليه مالا نعلم . وأن لا نجادل فيه بغير علم ، ولا هدى ولا كتاب منير (ولا تقولوا لما تصفُ ألسنتُكمُ الكذبَ ، هذا حلالٌ وهذا حرامٌ ، لتفترُوا عَلَى الله الكذبَ ، إن الذينَ يفترونَ على اللهِ الكذبَ لا يفلحون ١٦ : ١١٦)

فمن أين استمد شيوخ الرقص فتواهم ؟ .

ليس فى كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبيح هذه الخطيئة . أما إن جاءوا بأقوال ألوف من الشيوخ ليحلوا بها ماحرم الله ، فليس هذا بمفض إلا إلى افتراء بيوء الكذب على الله رب العالمين .

ـ للحديث بقايا ـ

عبد الرحمن الوكيل

---

(١) ص ٢٧٥ بغية المستفيد.

حول حديث

خذوا شطر دينكم عن الحميراء

يحلو لبعض الكتاب والأدباء تناول المسائل الإسلامية ، والخوض فيها والإكثار منها فى كتاباتهم ، يصدرون فيها أحكاماً من عند أنفسهم وكأنهم أوتوا من العلم والفهم فى هذه المسائل مالم يؤته غيرهم .

أقول هذا بمناسبة ما كتبته أديبة مشهورة فى أسبوعياتها بإحدى الجرائد اليومية ، تذكر السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وما لها من العلم والفضل ، وسعة إدراكها وفهمها لعلوم الدين ، حتى قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذوا شطر دينكم عن الحميراء » ، هكذا تقول الأديبة معتقدة صحة الحديث .

وإن تعجب فعجب أن تذكر هذه الأديبة فى إحدى أسبوعياتها ، أنها درست علوم الحديث والجرح والتعديل ، وهى سبيل الرد على أحد الأدباء فى بيان مالبعض النساء من الفضل ، ومع ادعائها هذا ، فهى لا تدرى أن الحديث مكذوب مختلق ، مفترى على على رسول الله صلى الله عليه وسلم ! .

وقد أكثر العلماء وغير العلماء من إيراد هذا الحديث واعتقاد صحته ، حتى أن ذلك الكاتب الكبير الذى رددنا عليه فى مسألة العزاء فى الموتى ، فى العدد الماضى من (الهدى النبوى) قد استشهد على فضل عائشة رضى الله عنها بهذا الحديث ، فى سياق كلامه على إباحة إقامة السرادقات للعزاء ، ذلك لأنه رآها ترد على عبد الله بن عمر ، رضى الله عنهما ، حديث « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » حين ذكر لها ذلك فقالت : « وهل[1] تعنى ابن عمر — إنما مر النبى صلى الله عليه وسلم على قبر ، فقال « إن صاحب هذا القبر ليعذب ، وإن أهله يبكون عليه » ثم قرأت (ولا تزر وازرة وزر أخرى) .

« من رواية أبى داود »

---

(١) أى وهم وأخطأ .

ولا بأس هنا من إيراد ماقاله الخطابى فى كلامه على حديث ابن عمر هذا من سنن أبى داود قال :

يحتمل الأمر فى هذا على ماذهبت إليه عائشة ، ويحتمل أن يكون مارواه ابن عمر صحيحاً ، من غير أن يكون خلاف الآية ، ذلك أنهم كانوا يوصون أهليهم بالبكاء والنوح عليهم . . . ثم أورد قول طرفة :

إذا مت فانعينى بمـا أنا أهله وشُقى علىّ الجيب ياأم معبد

كما أورد شعراً للبيد فى هذا المعنى :

وقال ابن القيم فى تهذيب سنن أبى داود عند كلامه على حديث ابن عمر المذكور مانصه :

« هذا أحد الأحاديث التى ردتها عائشة واستدركتها ، ووهمت فيه ابن عمر ، والصواب مع ابن عمر ، فإنه حفظه ولم يهم فيه ، وقد رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم أبوه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو فى الصحيحين ، وقد وافقه من حضره من جماعة الصحابة ، كما أخرجاه فى الصحيحين ، ثم أورد الحديث وقال : رواه أبو موسى والمغيرة ابن شعبة وأنس بن مالك وصهيب وغيرهم وقال :

فهؤلاء : عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ، وابنته حفصة ، وصهيب والمغيرة بن شعبة ، كلهم يروى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحال أن يكون هؤلاء كلهم وهموا فى الحديث .

والمعارضة التى ظنتها أم المؤمنين رضى الله عنها بين روايتهم وبين قوله تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) غير لازمة أصلا ، ولو كانت لازمة لزم فى روايتها أيضاً أن الكافر يزيد ببكاء أهله عذاباً . فإن الله سبحانه لايعذب أحداً بذنب غيره الذى لا تسبب له فيه .

« فما تجيب به أم المؤمنين من قصة الكافر ؛ يجيب به أبناؤها عن الحديث الذى استدركته عليهم » اهـ .

وأعود فأقول : إن الغريب فى أمر الكاتب الكبير أن أحد القراء أرسل إليه ينبهه

إلى أن حديث (الحميراء) مكذوب غير صحيح ، وأن جميع رجال الحديث طعنوا فيه ، وهم من الكثرة بحيث لا يمكن استقصاؤهم، فما كان منه إلا أن ازداد تشبثًا بالحديث على أنه صحيح المعنى والسند ، ويقول : « إن تحقيق الإسناد لم يكن حكراً للمشتغلين بالتحديث ، ونقل الروايات عن الحديث ، لأننا جميعًا نستند إلى ثقاة اللغويين فى تحقيق الشواهد اللغوية من قبل الإسلام فى عصور اللغة الأولى ، وقد روى صاحب لسان العرب هذا الحديث بهذه الصيغة (خذوا شطر دينكم من الحميراء) .

وما دام تحقيق الإسناد ليس حكراً على المشتغلين بالتحديث ، وما دام ثقاة اللغويين رووا هذا الحديث فهو صحيح ، وليس كل مايقوله رجال الحديث بمقبول فى هذا الصدد . هكذا يقول الكاتب الكبير ! ! .

* * *

ولا يمارى أحد من أهل السنة فى فضل عائشة أم المؤمنين وعلمها وفقهها ، فإنها كانت أحب أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، كما ثبت ذلك عنه فى البخارى وغيره ، وقد سئل : أى الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة ، قيل فمن الرجال ؟ قال : أبوها » ومن فضائلها : أن الله برأها مما رماها به أهل الإفك ، وأنزل الله فى براءتها قرآنًا يتلى فى محاريب المسلمين إلى يوم القيامة ، وكان يرجع إليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مايشكل عليهم ، ومن فضائلها أن جبريل سلم عليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم . روى البخارى عن أبى سلمة قال : « إن عائشة رضى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا : ياعائشة ، هذا جبريل يقرئك السلام ، فقالت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى مالا أرى » تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا فإن فضائل أم المؤمنين كثيرة فاضت بها كتب السنن والسير .

وقد تكلم على حديث (الحميراء) ابن الديبع الشيبانى فى تمييز الطيب من الخبيث . وقال حديث : خذوا شطر دينكم عن الحميراء . يعنى عائشة ، قال ابن حجر : لا أعرف له إسناداً ، ولا رأيته فى شىء من كتب الحديث إلا فى النهاية لابن الأثير . ولم يذكر من

خرجه ، وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير أنه سأل المزنى والذهبى عنه فلم يعرفاه . و بمثل هذا قال الشوكانى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة .

وأخرج ابن القيم فى مصنفه (المنار) قال : كل حديث فيه ياحميراء ، أو ذكر الحميراء ، فهو كذب مختلق .

* * *

نعم : أنا أخالف كل القائلين بأن هذا الحديث صحيح المعنى و إن كان ضعيف السند ، ـ مع تقديرى لما للسيدة عائشة من الفضل والفقه فى دين الله ـ أخالفهم وأقول : إنه ضعيف المعنى ؛ تمامًا مثل ضعفه فى السند .لأنه من المعقول أن يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى التلقى عن عائشة بعض مايشكل عليهم أو يختلفون فيه . أما أن يحدد ذلك بشطر الدين أو نصفه ، فهو مانجزم بكذبه ورد معناه أيضاً . لأننا نعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لاينطق عن الهوى ، كما أخبر الله عنه فى كتابه الكريم .

ومن المعلوم أيضاً : أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى جوامع الكلم ، و إذن فقد كان فى مقدوره أن يشير إلى التلقى عن عائشة بأوجز عبارة وأبلغ بيان ، دون تحديد ، لأنه إذا قال الشطر أو النصف فإنما يعنى مايقول . أما أن يريد النبى صلى الله عليه وسلم التنويه بغزارة علم عائشة فى الدين أو فهمها لمسائله ، فيعبر عن ذلك بنصف الدين ، فهذا مانستبعد صدوره منه ، لأن فى مقدوره صلى الله عليه وسلم أن يأتى بجملة خبرية تفيد المقصود . أما ان يأمر بأمر ، ثم يؤول هذا الأمر بأنه تنويه بفضل عائشة وعلمها بالدين للرجوع إليها ، فقول مردود على قائليه ، مهما أبدأوا وأعادوا ، ولا يقتضيه ألفاظ الحديث أيضاً .

* * *

قد يكون معقولا أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ـ مثلا ـ إذا اختلفتم فى شيء من أمر الدين بعدى : فلعلكم تجدون علماً فيما اختلفتم فيه عند عائشة . من الجائز ـ فى نظرنا ـ أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم مثل هذا القول . أما أن يجزم بأن نصف

علوم الدين عند عائشة . كما يقول هذا الحديث . وأن المسلمين مأمورون بالأخذ عنها . فهذا يترتب عليه أمور :

الأول : أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد خص عائشة بعلم يخص به غيرها من علوم الدين ، وهو اتهام ننزه عنه الرسول صلى الله عليه وسلم .

الثانى : أن يكون عالماً بعمر عائشة ، وأنها ستعمر بعده إلى أن تعلم المسلمين مالم يعلموه من أمر دينهم . وهذا من علم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله .

الثالث : أنه أهمل شأن صحابته وخلفائه الذين سيتولون الأمر من بعده . وهذا اتهام آخر لكتمانه بعض أمور الدين عنهم .

الرابع : أن كل ماأشهد الرسول عليه الله والناس فى حجة الوداع ليس صحيحاً .

فهل يرضى القائلون بصحة حديث الحميراء أو صحة معناه نسبة هذه النقائص إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ؟.

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) وهذه الآية من أواخر مانزل من القرآن الكريم ، فهل هذا الكمال الذى عناه الله تعالى فى هذه الآية يشمل ماعند عائشة أم هو كمال بدونه ؟ .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ماتركت شيئاً يقربكم من الله إلا وقد أمرتكم به ، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه » وهل ماعند عائشة من شطر الدين يشمل هذا الذى يقول عنه الرسول ، أم هو شىء غير ذلك؟ .

ويقول سلمان الفارسى رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كل شىء حتى الخراءة[1] (أى آدابها) فكيف كان يعلمهم كل شىء وقد أحالهم فى البعض على عائشة كما يقول حديثكم ؟ .

---

(١) رواه مسلم فى باب الاستطابة .

وإذا اعتبرنا ـ كما يقول هؤلاء ـ أن الحديث الصحيح المعنى ، فمعناه مما يؤدى إليه ألفاظه : أن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر المسلمين بأن يعرضوا على عائشة ، رضى الله عنها ، جميع مايشكل عليهم من أمر دينهم ، لا نصفه فقط ، لأنه ليس هناك حد فاصل بين النصف الأول من الدين ونصفه الآخر إن كان الدين مقسما إلى نصفين ! ! .

وما دام الحديث صحيح المعنى — كما يقولون — فإنه من المحتم حينئذ أن الله تعالى أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بمضمونه لا أن النبي قاله من تلقاء نفسه ، لأننا نعلم — كما قدمنا — أن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ، وخاصة فى كل ماله مساس بالدين . وإذن فهو مأمور به من قِبَل الله تعالى بهذا الحديث .

هذه نتيجة منطقية لمدلول حديثكم — أيها الكتاب والأدباء — إذا اعتبرتموه صحيح المعنى ، أو صحيح السند ، فهل هو كذلك ؟ .

* * *

فاتقوا الله أيها الكتاب والأدباء فيما تكتبون ، ولا يغرنكم مانلتموه من سمعة وشهرة بين الناس عن قبول الحق ، فإن الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيثما وجدها فهو أحق بها[1] كما يقول الحديث الشريف .

هدانا الله وإياكم إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

محمد صالح سعدان

محاضرات المركز العام

تلقى المحاضرات بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية ـ ٨ ـ شارع قوله بعابدين مساء السبت والأربعاء من كل أسبوع بعد صلاة العشاء .

---

(١) رواه الترمذى من حديث أبى هريرة .

باب الكتب

(قاموس) الأضرحة والمقابر

والأجداث والصور والتماثيل المقدسة وغيرها من آثار القديسين والأولياء

- ٢ -

فهرس وتعليق ونقد

تأليف - ج . ا . س كولان دى بلانسى
By. J. A. S. Collin de Plancy
الناشر - مكتبة جوبان وشركاه . طبع فى باريس سنة ١٨٢١
ترجمة وتعليق : الدكتور أمين رضا

البـاب الثانى

عبادة آثار الأولياء الصالحين وتصاويرهم

عنـد الشعوب القديمـة

كانت الآلهة الشركية عند عبدة الأثان ، مثل قديسى الكاثوليك ، رجالا أتقياء قدسهم الناس بعد موتهم ، لفضلهم أو لحبهم الخير إبان حياتهم . فقد كان الأثينيون يحفظون بحرص عظام تيزى[١] Thésée كما كان الرومان يعبدون بقايا جسد نوما[٢] Numa

(١) تيزى - بطل إغريقى قديم تغنوا بشجاعته حتى ألهوه ، وادعوا أنه هو الذى خلصهم من الوحش الخرافى المسمى « مينوتور » Minotaure

(٢) نوما - ملك روما وتدعى الأقاصيص أنه كان يتلقى تعاليمه من جنية إسمها « إجيرى » Egérie

كذلك كان عبدة الأوثان يخصون عظام أوليائهم وقبورهم بعبادات خاصة . ويخشعون لها ويخضعون ، فكانوا مثلا يعلقون فى قبة معبد (لاسيديمون) [١] Lacédèmone بيضتى ليدا [٢] Léda . وكان الرومان يحرصون على عصا رومولوس [٣] Romulus كل الحرص ، وكانوا يتبركون به و يعتقدون أنه يصنع المعجزات ، حيث أنه لم تمسه النار خلال الحرائق الثلاث التى اجتاحت مدينة روما ، كذلك كانوا يقدسون تمثال الراهبة كلوديا Claudia الخشبى لأنه لم يصب بسوء فى هذه الحرائق .

إذاً فقد كان لعبدة الأوثان مقاصير مثل مقاصير النصارى ، يحتفظون فيها ببقايا موتاهم، وكانوا يعكفون عليها تقديساً وعبادة . ولكن هناك فرق كبير بين هؤلاء وهؤلاء ، فقد كانت آلهة الوثنيين قليلة ، أما آلهة النصارى فلا حصر لها ولا عدد .

ونحن لانشك فى أن عبادة الأموات سبقت عبادة التماثيل والتصاوير . لأنه كان من السهل على الناس أول الأمر أن يحصلوا على الجثث ، قبل أن يظهر بينهم النحاتون والمصورون والرسامون ، وكان تبجيل الناس لآلهتهم شديداً لدرجة أن رهبانهم لم يجدوا صعوبة فى تعميم التصاوير والتماثيل فى كل مكان . ويا أسفاه ، فإن هذه التصاوير هى نفسها التى كان المسيحيون الأولون يسمونها أوثاناً . والتى لايمكننا الآن أن نجد فرقا بينها و بين ما اتخذ الكاثوليك من تماثيل العذراء وتصاويرها والتى يسمونها نوتردام . وها كم بعض الأمثلة المقارنة . فإن تمثال ديانا التوريدية [٤] Diane Taurique كان منشأه

---

(١) لاسيديمون أو سبارتا Sparte هى مدينة عند اليونانيين القدماء .

(٢) ليدا ـ امرأة خرافية عند الأغرق ، أحبها الإله جوبتير ، وكان يأتيها فى صورة بجعة ليروّق فى نظرها . فلما حملت منه وضعت بيضاً .

(٣) رومولوس ـ ملك رومانى قديم تدعى الأقاصيص أنه أسس مدينة روما .

(٤) ديانا ـ إلهة الغابات والصيد عند الاغرق أما تمثالها التوريدى فهم يدعون أنه نزل من السماء .

يشبه منشأ نوتردام دى جيد Notre-Dame-des Guides حيث أنهما لم تصنعهما يد الانسان . ومع أن الأسطورة لاتذكر إلا نسخة واحدة من كل من هذين التمثالين فإن كلا منهما نزل من السماء حسب ادعائهم . ومع ذلك فقد كانت تدعى مدن عديدة بأنها تحتفظ بالتمثال الأصلى ، وقل مثل ذلك عن الكنائس التسعة عشر التى يدعى لكل منها بأن عظمة الفك الأسفل الموجودة فى مقصورتها إنما هى للقديس يوحنا المعمدان Saint-jean-Baptiste هؤلاء القدماء كانوا يدعون أن تمثال ديانا الأصلى كان موجوداً فى كل من أربع مدن هى مدينتا بونت Pont وكابادوس Cappadoce فى مقاطعة كومانا Comana أما المدينتان الأخريان فهما سبارتا وأثينا .

وكان الأغريق يدعون أن تمثالهم المسمى بلاديوم Palladium قد هبط إليهم من السماء . وهذا يشبه مايحكيه الرهبان عن تمثال نوتردام دى ليس Notre-Dame-de-Liesse. وكان القدماء يدعون أن تماثيلهم تصنع المعجزات . وتلقى الخطب ، كما يدعى ذلك بعض الرهبان الكاثوليك عن تماثيلهم .

وكانت النساء عند القدماء يحملن تماثيل إلهتين وقت الجفاف ويسرن بها فى موكب كبير ، حافيات الأقدام ، شعثاوات الشعور ، ويقول بيترونيوس Petronius أن المطر كان لايلبث أن ينهمر بغزارة . ويشبه ذلك مايقال عن مقصورة القديسة جنفيف Sainte-Genevieve بباريس ، إذ يدعى الناس أنها تجلب المطر حينا ، وتسبب الجو الصحو الجميل حينا آخر .

وقد قال فولتير Voltaire عند كلمة وثن Idole من كتابه « القاموس الفلسفى » Dictionnaire Philosophique » . . وكم من بلد يحمل أهله وهم حفاة تماثيل قديسيهم ليحصلوا على البركة من السماء بشفاعة هذه التماثيل » .

وقد يدعى بعض الرهبان أن القديسين ينزلون عقابهم بأولئك الذين لا يحترمون صورهم ، ولكنهم لا يفسرون كيف لم يصب بسوء « مخربو التصاوير » Iconocastes

فى سنة ١٧٩٣ ميلادية ، بالرغم من أنهم كانوا كثيرين ، وكان هذا هو ظن بعض القدماء فى أوثانهم وانتقامها من الذين يستهزئون بها . فهم يحكون أن أحد المجرمين جرأ على أن ينتهك حرمة معبد سيريس[1] Cérès حيث أنه قتل فيه رجلا .

وكان لامفر لهم بعد ذلك من إقامة الشعائر المبالغ فيها ، وإقامة الصلوات المطولة لاسترضاء تمثال سيريس ، الذى غضب أشد الغضب لانتهاك حرمته . ويقال أيضاً أنه فى مذبحة قرطاجنة جرأ أحد الفسقة على أن يمد يده إلى الثوب الذهبى الذى كان يكسو تمثال الإله أبولو Apollo ليسرقه ، فما كان من هذا الإله إلا أن انتقم منه انتقاماً ذريعاً فتفتتت يد المعتدى وتساقطت إرباً إرباً .

ولا يشك القدماء فى أن برنوس Bronnus قتل نفسه بيده لأنه نهب معبد دلفى[2] Delphe وبناء على هذه الأسطورة القديمة ، سيجىء يوم نسمع فيه من يقول بأن نابليون بونابرت لم يمت منفياإلالأنه نهب كنيسة نوتردام دى لوريت . Netre-DıMe-de-Lorette ليوسع على عساكره .

وقد قال القدماء أن كوينتوس فولفيوس Quintus Fulvius قد احتل جسمه الشيطان لأنه سرق فى بلدة لوكر Locres بعض الحجارة من معبدجونون junon كما ادعى بعض المسيحيين أن حبراً من أحبارهم قد حُمّ ولم يشف من مرضه إلا بعد أن أرجع إلى مكانه حجراً كان قد سرقه من سانتا كازا Santa casa .

وها هو التاريخ يروى لنا أن الملك دنيس الطاغية Denis-le-Tyran نهب معبد بروزر بين proserpine فى مدينة لوكر ، وسرق ثوب جو بتير الذهبى بحجة أنها ثقيلة على على التمثال ، وأنها تزيد من حرارته صيفا ومن برده فى الشتاء ، وسلب كذلك كثيرا من التماثيل الأخرى ، ومع ذلك فلم يصبه أى سوء ، ولاشك فى أن علماء اللاهوت يعتقدون

---

(١) سيرس ـ إلهة الزراعة عند الاغريق .

(٢) دلفى ـ مدينة إغريقية قديمة كانت لعبادة الإله (أبولو) .

فى أن هذا الملك يضرب للناس مثلا خطيراً ، ويجب أن يمنعوا من أن يحتفلوا به .

ويدعى الإغريق أن جنود الاسكندر عندما استولوا على مدينة ميلية Milet اقتحموا معبد سيريس ليسلبوه ، ولـكن هذه الآلهة القديرة غضبت وأعمتهم جميعاً . ويشبه ذلك مايقال عن بعض مقدمى المسيحيين من أنهم أعموا أناساً اجترأوا على سبهم أو سرقة أضرحتهم .

وقد ادعى بعض القدماء أن تماثيل آلهتهم تتكلم ، وادعى الـكاثوليك أن صلبانهم تتـكلم فمثلا ، يقال أن تمثال جونون رفع من مدينة فيس Veies فسأله جندى ممن حملوه عما إذا كان يريد الذهاب إلى روما ، فرحب التمثال بذلك .

وكانوا فى روما يذكرون فى كل موسم من مواسم سيبيل cybéle الـكلمات الآتية التى نطق بها تمثالها عندما نقلت من مدينة برجامى Pergame : « إننى مرتاحة إلى أنـكم تنقلوننى من هنا . إن روما لبلد جدير بجميع الآلهة » وكانوا فى روما أيضا يقولون أن تمثال الحظ Fortune هنأ بأعلى صوته نساء روما عندما تمـكن من تهدئة غضب كوريولانس Coriolanus ويقال أيضاً أن الالهة التى كان الأسير إينى Enée قد نشلها من مدينة لافينوم Lavinum إلى مدينة ألبا Alba قد رجعت بنفسها إلى مقرها الأول عندما لم يطب لها المقام فى مكانها الثـانى ، وتمثال نوتردام فاسيفيير Notre-Dame-de-Vassivière الـكاثوليكى لايقل عن هذه التماثيل مقدرة على الانتقال . فقد قام بعمل مماثل عندما لم يعجبه مقامه الجديد .

ويقال أن تمثال جوبتير كان يطير فى الهواء عندما كان الناس يحملونه .

وكان الناس يدعون هذه التصاوير كما يدعو المسيحيين الآن قديسيهم ، فإذا قرأنا تاريخ قيصر الذى كتبه بلوتارك Plutarque وجدنا أن كاسيوس Cassius توجه بصلاته إلى صورة بومبى pompée قبل أن يقوم بقتل قيصر الطاغية ، وهذا هو مافعله رافياك

Ravaillac عندما قام يصلى أمام تمثال السيدة العذراء قبل أن يقدم على قتل الملك هنرى الرابع ».

إنه ليسهل علينا أن نثبت أن ماصنعه المسيحيون فى تألهيهم موتاهم إنما هو مستقى بحذافيره من عبدة الأوثان الأولين ، فقد كان أرنوب Arnobe يسخر من الزينات التي كان عبدة الأوثان يحملون بها تصاويرهم ، إذ كان لجوبتير[1] ولآمون[2] قرنان ، وكان ساتورن[3] Saturne يحمل منجله ، ولنبتون[4] Neptune شوكة ذات أسنان ثلاثة : أما نحن المسيحيين فإننا لا نختلف عن عبدة هذه الآلهة الأولى فى شىء ، فقد صورنا موسى وعلى رأسه قرنان ، وصورنا بجانب القديس جاك Saint-jacques دبورا ، ورسمنا فى يد القديس جنست Saint-Genest كانا ، وفى يد القديسة جنفيف Saint-Geneviève شمعة وعند قدميها شيطانا ، ورسمنا مع القديس أنطون Saint-Antoine خنزيراً صغيراً ، ومع القديسة جر ترود Saint-Gertrude الفئران ، وها كم عبدة الأوثان كانوا يرسمون صورا إباحية لإلههم بريابpriape وقد وجدالمسيحيون أن الإباحية تدر عليهم الرزق الكثير ؛ فقلدوا الوثنيين بأن ابتدعوا طريقة إباحية لعبادة قديسهم جينيوليه . ويقول امبرواز كاتران Ambroise Catherin وكان عضوا فى مجمع ترنتو الكنسى العالمى concile de Trente أنه كانت تشاهد فى القرن السادس عشر فى الكنائس صور كثيرة ترى فيها عورات القديسين بكل تفاصيلها .

وكان عبدة الأوثان يقبلون التصاوير كما يفعل المسيحيون الآن ، وكانوا مثلنا يقدمون لها الشموع والتذكارات والنذور ، عندما كانت تستجيب لهم ، وكان

---

(١) جوبتير ـ رب جميع الآلهة ووالدها عند الرومان .

(٢) آمون إله المصريين القدماء .

(٣) ساتورن ـ إله الزراعة عند قدماء الرومان .

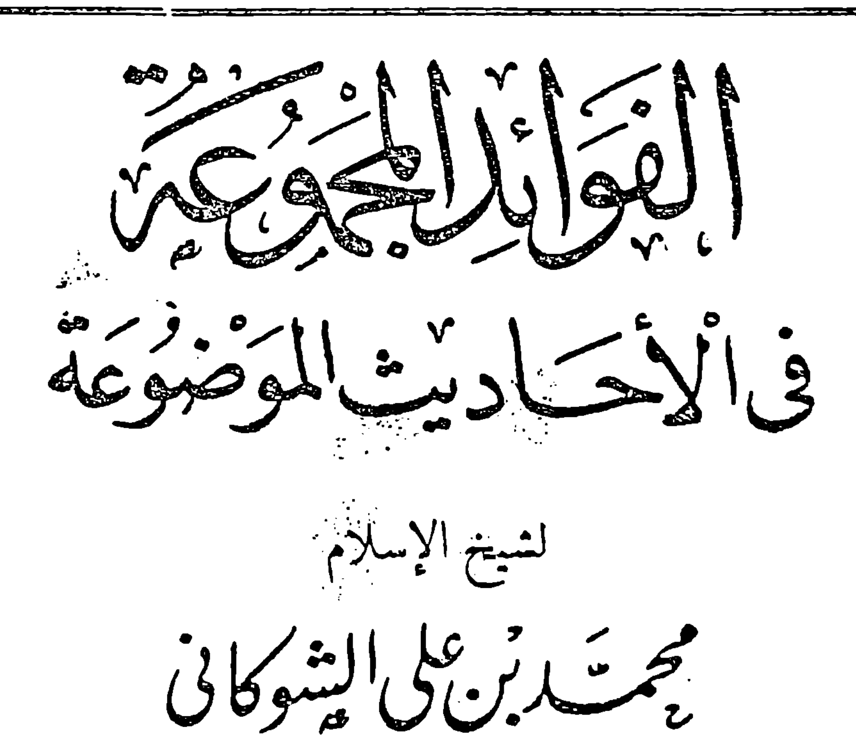
(٤) نبتون ـ إله البحار عند الرومان .

من معجزات تماثيلهم أن كانت الدماء تسيـل منها ، كما تسيل الآن أيضاً من صلبانها ، ويحكى أن (اريسختون) Erysichton طعن شجرة أهلت للالهة سيريس فسالت منها الدماء الغزيرة ، وعوقب الفـاسق الأثيم بأن أصيب بجوع لا يشبعه أكل طول حياته ، وإذا رجعنا إلى معجزات آلهة الـكاثوليك وجدنا منها الـكثير يرجع الأصل فيها إلى شجرة تعبد ، وتصنع المعجزات تشبه معجزة شجرة سيريس .

« يتبع »

ترجمة وتعليق

الدكتور أمين رضا



صلاة المسافر خلف المقيم

كثيراً مايجرى النقاش بين إخواننا أنصار السنة المحمدية حول صلاة المسافر خلف المقيم ، وكثيراً ماتنتهى المناقشة من غير أن تصل بهم إلى رأى قاطع حاسم ترتاح إليه النفوس ، بل وكثيراً مايقال إن هذه المسألة خلافية لم يرد فيها نص ، فهى إذن من المسائل الاجتهادية ، التى يصح أن يؤديها كل واحد حسب اجتهاده وفهمه ، وما تطمئن إليه نفسه ، فهم يؤدونها خلف الإمام المقيم على صور شتى .

فمنهم من لا يدخل فى الصلاة من أولها بل يترك الركعتين الأوليين ، ويدخل مع الجماعة فى الأخريين ويسلم مع الإمام ، فيكون بذلك قد أدى تلك الصلاة قصراً .

ومنهم من يدخل فى أول الصلاة ، ولكنه لا يقوم من جلسة التشهد الأولى ، بل يستمر جالساً حتى يسلم مع الإمام ، ويكون قد صلى ركعتين قصراً أيضاً .

ومنهم من يدخل من أول الصلاة ، ثم يسلم عند قيام الإمام للركعة الثالثة ، ويخرج من الصلاة .

ومنهم من يدخل من أول الصلاة أيضاً ، ثم يسلم عند قيام الإمام للثالثة ، ولكنه لا يخرج بل يعود فيستأنف الصلاة مع الجماعة ، ويجعل الركعتين الأخيرتين نفلا .

ومنهم من يتم خلف الإمام المقيم .

وأنصار السنة المحمدية من أحرص الناس على التحرى والتفتيش عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاتباعه والتأسى به ، ولقد وجدت فى كتب السنة من النصوص مايؤيد رأى من يذهب إلى أن المسافر يتم خلف الإمام المقيم ، ولم أقف على نص واحد يسند رأى من يذهب إلى أن المسافر يقصر خلف الإمام المقيم ، وإليك بعض تلك النصوص :

١ — روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما — قال : « صلى بنا النبى صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين ، وأبو بكر بعده ، وعمر بعد أبى بكر ، وعثمان صدراً

من خلافته ، ثم إن عثمان صلى بعد أربعاً ، فكان ابن عمر إذا صلى مع الإمام صلى أربعاً ، وإذا صلى وحده صلى ركعتين » .

٢ — روى مالك فى الموطأ عن نافع مولى ابن عمر : « إن ابن عمر كان يصلى وراء الإمام أربعاً ، فإذا صلى لنفسه صلى ركعتين » .

٣ — وروى مالك فى الموطأ أيضاً « أن عبد الله بن عمر أقام بمكة عشر ليال يقصر الصلاة ، إلا أن يصليها مع الإمام ، فيصليها بصلاته » .

٤ — وروى أبو داود « أن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه — صلى أربعًا ، فقيل له : عبت على عثمان ثم صليت أربعًا ؟ قال : الخلاف شر » .

٥ — وقال الإمام الشافعى رحمه الله « لو كان فرض المسافر ركعتين لما أتمها عثمان ولا عائشة ، ولا ابن مسعود ، ولم يجز أن يتمها مسافر مع مقيم » ، والشاهد من قوله لموضوعنا هو إتمام المسافر مع المقيم . أما ماذهب إليه من عدم فرضية الركعتين للمسافر فإنه غير مسلم له فيه ، فهو يذهب إلى أن القصر للمسافر رخصة ، وغيره يرى أنه فرض ، وهذا لا يدخل فى موضوع بحثنا هذا .

والذى نخرج به من تلك الآثار الصحيحة ، من فعل الصحابيين الجليلين ، عبد الله ابن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، هو وجوب الإتمام خلف الإمام المقيم . فمن الأصول المقررة أن فعل الصحابى يقدم على الرأى والاجتهاد ، ولقد كان ابن عمر وابن مسعود من أحرص الناس على تحرى السنة النبوية كما هو معروف مشهور عنهما وبالأخص عبد الله بن عمر .

إن القائلين بالقصر خلف المقيم ، ليس معهم دليل واحد من سنة ولا فعل صحابى ، ولا قول أحد من الأئمة ، إلا الأحاديث العامة فى صلاة المسافرين ، ولم يذهب أحد من السلف إلى ذلك ، إلا ماروى عن ابن حزم جريًا على عادته ، واتباعا لمذهبه الظاهرى ، ودليله ظاهر أحاديث صلاة السفر ، وذهابه إلى فرضية القصر فى السفر . ولقد غفل عن الآثار الصحيحة التى روينا آنفا بوجوب الاتمام مع الإمام المقيم .

وفضلا عن ذلك فإن النفس لا تطمئن إلى مفارقة الجماعة ، ومخالفة الإمام الذى لم يجعل إلا ليؤتم به .

سليمان رشاد محمد

حملة على الأغانى الخليعة

قامت صحيفة (الأخبار) بحملة على الأغانى الخليعة فقد كتبت فى هذا الموضوع عدة مرات ، كان أهمها مانشرته يوم ١٩٦١/٩/٢٥

والغريب فى الأمر أن هذه الصحيفة و بعض الصحف الأخرى نشرت من قبل عدة آراء لبعض المطربين الذين يشكون من الرأى العام المتألم من أغانيهم الخليعة . ولا ندرى لماذا تأخذ الصحف فى نشر آرائهم ، هل تريد منهم أن لا يطعن الناس فى أغانيهم ، ولا يقولوا إنها حقاً فاسدة ؟ أم ماذا تريد منهم أن يقولوه فى شأن خلاعتهم فى أغانيهم هذه !؟

و إذا كان فى استطاعة اللص أن يعترف ـ مثلا ـ بأنه لص ، ففى استطاعة هؤلاء المطربين أن يعترفوا بخلاعة أغانيهم ، و إفسادها للمجتمع ، إنهم لايعترفون بميوعة أغانيهم لأن ذلك لايرضى نزعاتهم فى كسب المال وتملق الغرائز ، ونحن لانوجه اللوم لهؤلاء المطربين ؛ بل نوجه اللوم كله للمسئولين فى الإذاعة والتلفزيون . ففى هذين المرفقين توجد (لجنة نصوص) مهمتها فحص الأغانى والقصائد وكل مايراد إذاعته . وفى إمكان هذه اللجنة رفض ماتجد إنه سيجلب الشر للأخلاق والفساد للمجتمع . وفى إمكان اللجنة عمل ذلك قبل أن يقع الفأس فى الرأس ، لتوفر على الناس الشكوى والصراخ من الأغانى الخليعة الهادمة التى تقرع الأسماع فتفسد ولا تصلح ، وتهدم ولا تبنى .

* * *

مجلة لواء الإسلام وستائر قبر الرسول

صلى الله عليه وسلم

تحت عنوان « عائد من الحرم » يكتب فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى مقالات مسلسلة عن رحلته إلى الأقطار الحجازية بمجلة « لواء الإسلام » وفى مقاله الذى نشرته

المجلة بعدد جمادى الأولى سنة ١٣٨١ ، عرج على الكلام فى موضوع ستائر قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فردد ماسبق أن نشرته هذه المجلة لبعض السادة من كتابها حين كتبوا طالبين إلى العاهل السعودى رفع الستائر الموضوعة على قبر الرسول ، ووضع ستائر جديدة مكانها لأن القديمة فيها امتهان لقدر الرسول صلى الله عليه وسلم وأذى لمشاعر المسلمين .

•• وقد سبق لنا أن علقنا على هذا الموضوع بعدد « الهدى النبوى » الصادر فى رمضان سنة ١٣٨٠ وأشرنا إلى إلحاح كتّاب « لواء الإسلام » فى هذا الموضوع عدة مرات ومطالبتهم بتغيير ستر القبر الشريف وإنزال الستر القديم ، وإن المسلم ليدهش حقاً من أمر هؤلاء الناس ، واهتمامهم الشديد بقبر الرسول صلى الله عليه وسلم فإن هذا الاهتمام الزائد يدخل فى روع المسلم أن عقيدة من عقائد الدين الصحيحة قد أصيبت بينما الأمر لا يستأهل كل هذا القلق والفزع والاهتمام الكبير . إن هؤلاء القوم يخطئون حين يتوهمون أن وجود الستائر القديمة على القبر الشريف فيه امتهان لقدر الرسول صلى الله عليه وسلم أو تحقير لشأنه ، وأن وضع ستائر جديدة على قبره دليل التعظيم والحب الصادق له .

ولو فكر هؤلاء الناس قليلا لعرفوا أن حب الرسول المجدى وتعظيمه لا يكونان بوضع الأستار الجديدة أو رش العطور على قبره ، ولا عن طريق الكلام المجود البراق . وإنما يأتيان بمعرفة أدب الرسول صلى الله عليه وسلم وخلقه ، والتفقه فى سنته ، والعمل بها ، ولو كانوا صادقين فى محبة الرسول ، لفعلوا ذلك عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

على أن المسئولين عن الحرم النبوى لو كانوا يعلمون أن وضع ستائر جديدة على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم له قيمة كبيرة فى جانب الرسول ، لما ضنوا بوضع أثمن الستائر وأغلاها على القبر الشريف ، تكريماً لأطهر جسد ثاوٍ فيه ، وتعظيما لأطيب إنسان يحتويه ، ولكنهم يوقنون تماماً أن ذلك ليس من سنته ، ولم يفعله السلف الصالح من الصحابة ، أو التابعين فى قبره صلى الله عليه وسلم ، ولم يقره أحد من العلماء المتقدمين . وما دام الأمر كذلك ؛ فإن مايطالب به هؤلاء فى مجلتهم يدخل ضمن الحديث الشريف

« كل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردّ » .

إن الفرصة لو أتيحت لهؤلاء القوم لجعلوا قبر الرسول كقبور بعض الموتى المنبثة فى بعض البلاد العربية . تلك القبور التى رفعوا فوقها القباب و بنوا عليها المساجد ، ووضعوا عليها الأستار الزاهية ، ورشوا عليها العطور ، ووضعوا بجوارها صناديق النذور ، فأخرجوها بذلك عن دائرة القبور [1] الشرعية ، فصارت مقصداً لطلاب الحاجات ، ومزارات تلتمس منها البركات ، نتيجة لاعتقادات وهمية باطلة . . لو أتيحت الفرصة لهؤلاء لفعلوا ذلك . ولكن المسئولين عن الحرم النبوى منعوا السذج من الناس وغيرهم ممن طغت على عقولهم عقيدة الشرك المتغلغلة فيهم من العصور المظلمة .. منعوا هؤلاء جميعاً من الوصول إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم للتمسح به ، وتقبيل أعتابه كما يفعلون بالقبور الأخرى .

ولا ندرى كيف يطلب هؤلاء من القائمين على أمر الحرم النبوى إتيان محدثة ، وهم يقرأون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .. » وحديثه « ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)!؟ ولكنهم فى الحقيقة لم يطلبوا مايريدون إلا بدافع العاطفة الطاغية التى يلوذون بها دائما وهى محبة الرسول ، وهو منها برىء .

ثم إننا نعلم أن هناك علماء سلفيين إجلاء لو وجدوا أن تغيير ستائر قبر الرسول صلى الله عليه وسلم من السنة لكانوا هم أول من طالب بتجديد الستائر أو إنزالها حباً للرسول . وتعظيما له . ولكنهم مقتنعون بعدم شرعية هذا الطلب .

إننا لواثقون فى أن القائمين على أمر الحرم النبوى لن يستمعوا إلى مثل هذه الصيحات الصادرة عن قلوب لا يعرف أصحابها رسول الله إلا عن طريق المظاهر والاهتمام بالقشور دون اللباب .

---

(١) هى القبور المجردة عن القباب والمقاصير والستائر وصناديق النذور .. هى القبور القابعة فى الخلاء ، حيث يجد زائرها العظة والعبرة والتذكرة بالآخرة كما يقول الرسول فى الحديث (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة) .

وفى ختام هذا التعليق نعود فنقول . لقد كتبنا من قبل فى هذا الموضوع . وسوف نعاود الكتابة فيه كلما أثير حتى تكف تلك الصيحات الجوفاء . وحتى يدع المؤيدون للبدع أقلامهم عن هذا الموضوع ، ويتجهوا للكتابة فيما هو أهم من ذلك . فليتجهوا إلى دعوات الإلحاد والتشكيك والفساد التى ينادى بها فريق من الكتاب الذين يريدون هدم مبادىء الدين فى نفوس أبنائه . ويسبون رجاله علانية باسم التقدم والحرية والمساواة .. وليتجهوا إلى موجات الانحراف والأعوجاج الأجنبية العارمة التى تجتاح أبناءنا فتفسد أخلاقهم وحياتهم . . وليتجهوا إلى الموالد والأضرحة حيث تصول هناك المنكرات والبدع . وحيث يرتفع الشرك والباطل فى ظلال المقاصير والأعتاب . وحيث تمارس الطرق الصوفية أعمال الدجل والشعوذة و إفساد عقائد المسلمين باسم الدين . نقول : فليتجه هؤلاء بأقلامهم إلى هذه الميادين فهناك المعركة الصحيحة لمن يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ساحاتها الجهاد المحمود لإحياء السنة و إماتة البدعة .

* * *

رابعة العـــدوية

ذكرت صحيفة الجمهورية يوم ١٤/١٠/١٩٦١ أن العمل يبدأ بعد أيام فى تصوير مناظر فيلم « رابعة العدوية » . . الإنسان الذى يكون قد أدى لوطنه خدمات جليلة نافعة هو الجدير بتكريم بنى وطنه له ، اعترافا بجهاده وصنيعه . ولكن . . هل يستطيع أحد من المهتمين بأمر رابعة العدوية أن يدلنا على أى عمل جليل نافع قدمته هذه الفتاة لبلادها أو لأمتها ! ؟ إن رابعة العدوية لها تاريخ لا يشرف عالم الصالحين والأتقياء ، بل لها تاريخ وثيق الصلة بالدراويش الخبثاء .

لقد كان سلوك هذه الفتاة التعسة مخالفا لسبيل عباد الله الصالحين . فالله تعالى يقول حاكيا عن زكريا « عليه السلام » وأهله (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ٢١ :٩) أما المفتونة رابعة العدوية فقد كانت تناجى ربها

وتقول : « يا إلهى إذا كنت أعبدك رهبة من النار فاحرقنى بنار جهنم ، وإذا كنت أعبدك رغبة فى الجنة فاحرمنى من الجنة ، وإذا كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمنى يا إلهى من جمالك الأزلى » فتأمل الفرق بين عبادة الأنبياء عليهم السلام لربهم ، وبين عبادة رابعة لربها ؟ ! .

ومن المعلوم أن الله خفف الصلاة على عباده من خمسين إلى خمس ، رحمة بهم ، ومن المعروف أيضاً أن المسلم يأتى الأعمال الصالحة وينتظر ثواب الله الذى لا غنى عنه أبداً ، ولكن اعجب معى أيها القارىء حين تعلم أن رابعة كانت تصلى ألف ركعة فى الليلة الواحدة[1] وعند ماسئلت عما تريده من هذا أجابت « لا أريد ثواباً وإنما أفعله لكى يُسَرَّ به رسول الله يوم القيامة ، فيقول للأنبياء : انظروا إلى امرأة من أمتى هذا عملها » .

وقالت رابعة وهى تطوف بالكعبة (لم يبق مايحول بينى وبينك إلا هذا الصنم المعبود فى الأرض) ! ! .

هذا قليل جداً مما يحكيه تاريخ حياة رابعة المليئة بالشذوذ والانحراف . وفى حياتها أشياء أغرب وأعجب وأطرف ، فلم كل هذا الاهتمام بأمر هذه الفتاة التافهة الضالة ؟ ؟ .

* * *

حول قبور السيد البدوى

نشرت صحيفة المساء يوم ١٧-١٠-١٩٦١ أن المسئولين فى طنطا يستعدون لتنظيم الاحتفال بمولد السيد البدوى الذى يبدأ فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٦١ .

---

(١) من الغريب أن يصدق بعض علماء المسلمين هذا القول - ألف ركعة فى الليلة الواحدة - فإن المسلم إذا صلى نافلة من الليل ، فإنما عليه أن يطيل القراءة ويرتل القرآن ، ويطيل الركوع والسجود . ومناجاة الله تعالى تكون بقراءة القرآن والدعاء حال السجود . فإذا قدرنا أنها صلت العشاء ، وبدأت فى التهجد ، فمن المستحيل أن تصلى - كما أمر الله وكما بين رسول الله أكثر من خمسين ركعة إلى طلوع الفجر ، فكيف يدخل فى معقول بعض الناس صلاة ألف ركعة ؟ . فى ليلة واحدة ؟

. . . وذكرت صحيفة الأخبار يوم ١٥-٩-٩٦١ أن السيد البدوى له قبر آخر فى أسوان . وأن الأهالى هناك يقيمون له مولداً كبيراً كل عام مثل الذى يقام فى طنطا تماماً . وأن المسيطرين على صندوق نذور البدوى يجمعون خلال أيام المولد ثروات ضخمة يحسدون عليها . ثم تساءلت الصحيفة عما إذا كانت وزارة الأوقاف تعلم شيئاً عن هذا القبر .

والحق إن هذا الأمر يثير الدهشة والعجب . فنحن نعلم أن قبر طنطا هو الذى يرقد فيه جثمان البدوى ، حيث كان يعيش ذلك الصوفى فى هذه البلدة . فلما مات دفن بها . فما هو أمر القبر الثانى المنسوب للبدوى فى أسوان ؟

إن ذلك القبر يؤكد لنا بصورة واضحة كذب مئات الأضرحة المنسوبة إلى بعض الموتى المجهولى التاريخ فى مصر . وهو فى الوقت نفسه يعيد إلى أذهاننا قصة مهزلة ضريح « الشيخة سعادة » الذى كان مقاماً فى أحد أركان المبنى القديم لمحافظة مصر ثم تبين بعد نبشه أنه ليس ثمة أثر لميت فى ذلك المكان . بل وجد فيه بعض المواسير والأسلاك الكهربائية والمبانى الأثرية . . إننا نطالب المسئولين بالكشف عن أمر أولئك النصابين من العاطلين الذين صنعوا قبراً للبدوى فى أسوان لابتزاز أموال الناس عن طريق الكرامات والبركات وباسم الدين .

على أن مطالبتنا بالكشف عن أمر قبر أسوان المزيف لا يعنى اعترافنا بقبر طنطا الحقيقى . فنحن لا نؤمن بتعظيم القبور ، مهما يقام لهذا الصنم الكبير فى طنطا من احتفالات وثنية ، ولا بموالد الأولياء التى تقام فى هذه الأيام فى كل مكان .

* * *

التائب عند حضور الموت

نشرت صحيفة المساء يوم ١٧-١٠-١٩٦١ أنه عند تنفيذ حكم الإعدام فى الجواسيس الثلاثة تقدم واعظ السجن من أحدهم وأخذ يقول له قل : اللهم اغفرلى وسامحنى وارحمنى . واجعلنى من أهل الجنة ونجنى من عذاب النار .. الخ . وأنه قال مثل ذلك لبقية الجواسيس .

وقد نشرنا من قبل فتوى[1] رسمية لدار الإفتاء تتضمن عدم جدوى عبارات التوبة والاستغفار التى ينطق بها المحكوم عليه بالإعدام عند الموت . لأن هذه التوبة لفظية ، وغير مقرونة بعمل جدى مكفر للسيئات ، وقد قال الله تعالى فى مثل هـذه التوبة المجردة : (.. وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحـدهم الموت قال : إنى تبت الآن ٤ : ١٨) .

والتوبة النصوح : هى العزم والندم الصادقان على ترك المعصية وعدم العودة إليها خوفا من الله وذلاً له . ومثل هذه التوبة يجب أن يلازمها عمل يمحو سيئات صاحبها . أما إذا جاءت التوبة مجردة وفى آخر لحظة فهى لاتنفعه أبداً .

* * *

العادات السيئة فى مولد الدسوقى

ذكرت صحيفة الجمهورية يوم ١٧-١٠-١٩٦١ أن مولد الدسوقى الذى بدأ فى ٩ـ١٠ سنة ١٩٦١ سيكون مركزاً لمحاربة العادات السيئة ، وأن السيد محافظ كفر الشيخ كون لجنة لهذا الغرض .

•• ربما لايعلم السيد المحافظ أن وجود قبر الدسوقى نفسه بهذه الصورة عادة جاهلية سيئة ، وأن الاحتفال بمولد هذا الوثن بدعة منكرة مخالفة للدين .

وإذا كانت النية صادقة فى محاربة العادات التى أساءت إلى الدين ، فإننا نطالب بإبطال مولد الدسوقى وغيره من الموالد التى أصبحت بؤرة للفساد ، ومراتع خصبة لانتشار الدجل والأباطيل باسم الدين . . إننا نطالب بإبطال هذه الموالد لأنها فى حد ذاتها عادات سيئة ، حاربها الرسول صلى الله عليه وسلم وقضى عليها ، وأمر كل مسلم بمحاربتها . فقال فى الحديث « لاتتخذوا قبرى عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً » .

---

(١) نشرنا نص هذه الفتوى بعدد « الهدى النبوى » الصادر فى غرة صفر سنة ١٣٨٠

النشء .. ورقص الباليه

فى باب فى « خدمتك » نشرت مجلة الإذاعة يوم ٢٨-١٠-١٩٦١ كلمة لرجل يريد أن يلحق ابنته الصغيرة بمعهد رقص الباليه لأنها تجيد الرقص فى المدرسة . ويسأل المجلة أن تدله على معهد رقص لابنته .

.. ونحن نسأل هذا الأحمق . ما الذى سيعود على ابنته من رقص الباليه وما فيه من حركات منافية للحياء والأدب ؟ لقد كان حرياً بهذا الرجل أن يتجه بابنته الصغيرة وجهة أخرى لتتربى فى حقل صالح ، وفى بيئة خيرة ، فتنشأ نشأة طيبة تنفع بها نفسها ، وتكون عضواً صالحاً فى المجتمع .

ولو كان هذا الرجل على علم بدينه لاختار لابنته عملا آخر يتفق مع مبادىء الدين الطيبة ، ولكنه حين عاش بعيداً عن دينه - كما يعيش أكثرهم - أراد أن ينشىء ابنته على التهتك والفجور والخلاعة .

بقيت كلمة نوجهها إلى المسئولين فى مدارسنا . فالمفروض إن دور العلم هذه جعلت للتثقيف والتهذيب والتعليم . ونعتقد أن الرقص الذى تتعلمه بناتنا فى المدارس ليس فيه تثقيف أو إصلاح أو فائدة تذكر .

سعد صادق محمد

لكم في رسول الله أسوة حسنة

ولّى الشّباب وعهده البسّام ... إن الشباب وعهده أحلام .

فدعوت قلبي أن يثوب وحسبه ... ماجمّاته من الضنى الآلام

لم يكفه صفو الحياة مع المها ... بين الخمائل والوشاة نيام

فانساق ماكبح المشيبُ جماحه ... يوماً ولو قعدت به الأعوام

كالطير من غصنٍ إلى غصنٍ إلى ... روضٍ به تتجاوب الأنغام

لحن ينمُّ عن الصبابة والهوى ... واللحن فيه - وإن حلا - إيلام

قلبي نصحتك ماارعويت فلا تلم ... إن كان ينفع أو يفيد ملام

قد هِمْتَ بالغيد الحسان وإنني ... ليَ « بالرسول » صبابَةٌ وهيام

ظهر الهدى وتحققت آياته ... وانجاب من أفق السماء غمام

نورٌ تفجّر من حياة « محمد » ... لم تدر سرّ جلاله الأفهام

شبَّ « النبيُّ » على الفضائل ملهماً ... بخصاله وفعاله إلهام

كان الأمينَ وكان رائد قومه ... إن قام بين مواطنيه خصام

أنّى استقر بحوطهم إجلالُه ... أو أين سار يحفّه الإعظام

جلّت صفات المصطفى لم تَحْوِه ... صورٌ لها سجدوا ولا أصنام

* * *

رُحماك ياربّ العباد تضاعفت ... منا الذنوب وعمّت الآثام

وعدا القويُّ على الضعيف ومارعوى ... وتقطّعت بين الورى الأرحام

يطغى الغنيُّ ويستبدُّ بماله ... بين الخلائق والفقير يضام

ران الفجور على القلوب فأصبحت ... عمياء أورثها العمى الإجرام

يارب أنزلت الشريعة آيُها ماشابها شكٌ ولا إبهام
بُنيتْ على التقوى نخوف الله فى بنيانهـا أسٌ لهـا ودعام
وهدَتْ صراطاً مستقيماً مابه عِوجٌ ولا زلتْ به أقـدام
لـكنها بُليت بطائفـةٍ لها بالمحدثات وبالمجون غرام
دسُّوا على الدين الحنيف وهَدْيه بدعاً بوحْىِ الجهل وهى حرام
يُرىء الرسول من الخرافات التى وضعتْ قواعد نشرها الأوهام
وتبرّأ الإسلام من أنصـارها فهموا لسلطان الهوى خـدام

* * *

اللهَ فى الدين القويم فإنه باقٍ على سَنَن الهدى قوام
وكنى فإن السكون أصبح شعلةً كجهنمٍ لم تخب فيه ضرام
لعبت به الأطماع فى جـبروتها وعلى الدمار تحالف الأقوام
ظلموا الضعيف وأسرفوا فى ظلمه فـكأنهم خُلقوا وهم ظُلام
دول تقلّبها المطامـــع كيفما شاءت وتصغر عندها الآثام
جشعٌ تغلغـل فى النفوس كأنه نارٌ فليس يُبَلّ منه أوام
والحق يأخذه القوىُّ ببأسه وتجفُّ دون بلوغه الأقلام
صار الضعيف مشرداً فى أرضه وعدا عليه وأسرف المقدام
وقفوا « لتونس » وقفة مجنونة وتشوّفوا للمهلكات وهاموا
قلبوا لها ظِهر المجنّ فراعها بعد الهدوء من الصواعق جام
وكأنما كانت ألذّ مواردٍ للظامئين وللجياع طعام
ساموا فلسطين العذاب وسلطوا من ليس يُرعى فى حماه زمام
وعدوا على العزلاء وهى أمينةٌ واستبسلوا وتحفّز الضرغام

رام رمى قرحين، قرح سكينة يَدْمَى ، وقرحاً آله أيتام
« جرحان تمضى الناءبات عليهما هذا يسيل وذاك لايلتام »

* * *

الله فى الضعفاء يامن أسرفوا ظلماً فقد تتداول الأيام
فَلَكٌ يدور فلا قرار لحاله ولخالق الدنيا بها أحكام
قد أدرك الإسلام غاية مجده وبما نُسيء يُضعضع الإسلام
دين السماحة والهداية والتقى أوحى به لرسوله العلام
فتح البلاد ولم يَفُلّ سلاحَه بأسٌ ولم يُخضع قواه حسام
رفع الكماةُ الأولون لواءه وتنكّست لجلاله الأعلام
واليوم قد جعلوه سِتْر حبائلٍ ومكائد حارت لها الأفهام
وعدا البغاثُ على النسور جهالة ضأَت وطاشت منهمو الأحلام

* * *

يامن يسير بلا هدًى ورويةٍ رفقاً بدينك ، حسبنا إيلام
فى كل « ذكر » راقصٌ وملقّنٌ وبكل وكر « برزخ » ومقام
وترى القباب « لشيخهم » وإمامهم فى كل أنحاء البلاد تقام
والله يغضب حين يترك دينه للمحدثات خرافة وكلام
والدين أجدر أن تصان عهوده فله عليكم حرمة وذمام
فتنبهوا فالشرق طال رقاده والغرب يقظانٌ ونحن نيام
وتتبّعوا نهج النبى فإنما شرع النبى بداية وختام

« الجيزة » نجاتى عبد الرحمن

ذلك الكتاب لا ريب فيه :

بقلم أستاذنا الجليل الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله

إن هذا القرآن الذى يتلوه محمد صلى الله عليه وسلم : لايتطرق الريب إليه من أية ناحية ، ولا يخطر الشك فى نفس سامعه منصفاً ، فى ذلك الأسلوب المعجز ، وفى تلك المعانى ، والأحكام والشرائع ، والقصص ، والأخبار الغابرة والآتية التى لن يستطيع البشر مثله مجتمعين فضلا عن : أن يقولها محمد من نفسه ، أو ينطق بها لسانه .

من سمع القرآن كذلك منصفا ، لا يشك لحظة أنه من عند الله العليم الحكيم ، اللطيف الخبير . ويعلم أيضاً : أنه ليس للشك إلى حقائقه من سبيل ، ولا للريب إلى أخباره ومقاصده من طريق .

ونستفيد من قوله تعالى (لاريب فيه) معنيين : الأول : أن القرآن من عند الله لاشك فيه . الثانى : أنه منزه فى جملته وتفصيله ، وألفاظه ومعانيه ، وغايته ومقاصده عن الباطل . فصفات الله التى وصف بها نفسه فيه : حق لاشك فيه . وما وصف به الأمم السابقة : حق لا شك فيه . وما وصف به الدار الآخرة : حق لاشك فيه . وما وصف به خلق السموات والأرض ، وخلق الإنسان والجان : حق لاشك فيه ، وما وصف به المؤمنين وما أعد لهم : حق لاشك فيه ، وما وصف به أنواع الكفر والشرك والكافرين والمشركين وما أعد لهم : حق لاشك فيه . وما فصل فيه من آداب وأخلاق ، ضمن لمن تأدب بها وتخلق سعادة الدنيا والآخرة : حق لاشك فيه . وما فصل فيه من أسباب رقى الأمم وعزتهم وأسباب انحلالهم وضعفهم وذلتهم : حق لا شك فيه .

(هدى للمتقين) التقوى هى اتخاذ الوقاية التى تقيك وتحفظك من كل ما يضرك فى نفسك وروحك وجسمك . ودنياك وآخرتك . ومن الناس من يكون عنده استعداد فطرى ، وتهيؤ طبيعى ؛ وتوجه باطنى ، يدفعه دائماً إلى تعرف أسباب الخير والفلاح ،

فيتخذها سبيلا لوقاية نفسه ، وتعرف جالبات الشقاء فيتجنبها جهد استطاعته ، فصاحب هذا الاستعداد ينتفع بهداية القرآن فى تحديد أسباب الخير والفلاح تحديداً دقيقاً ، والكشف عن أسباب الشقاء كشفاً يجلوها عن كل لبس وزخرف ، فيكون القرآن له سراجاً منيراً ؛ ويكون القرآن له هادياً وإماماً يقوده إلى كل خير ؛ ويباعده عن كل شر ، فى نفسه وعقله وروحه وجسمه ؛ ودنياه وآخرته .

ومن الناس من هو جامد الطبع ؛ خامل النفس ، ميت الفكر ، لايعنى بتعرف أسباب الهدى بنفسه ، ويرى أنه أصغر وأقل من أن يصل إلى ذلك بنفسه ، فهو « إمعة » يقلد غيره تقليداً أعمى ، ويضع نفسه موضع البهائم التى تقاد من أعناقها ، هم أولئك الذين يقولون (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وأولئك الذين قال الله فيهم (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) وأولئك هم الذين يجمدون بالتقليد الأعمى على ما ورثوا عن الآباء ، وعلى ما وجدوا الشيوخ والجمهور وأكثر الناس ؛ وأولئك هم الذين يقولون الآن وغير الآن « حطها فى رقبة عالم وأطلع سالم » وهم الذين يقولون « كن بين يدى شيخك كالميت بين يدى المغسل » والذين يقولون « شيخك جاسوس قلبك » وهم الذين يطعنون فى صدر القرآن بمذاهبهم ، ويردون صريح الحديث الصحيح بأقوال متبوعيهم ، ويردون قول المعصوم الصادق لقول غير المعصوم ، وأولئك هم الذين تدل أحوالهم هذه وأقوالهم على أنهم فى ريب من الكتاب ؛ وأنهم فى شك من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم مريب ، وأولئك هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ؛ وأولئك هم البلاء الناصب ، والشر المستطير على أنفسهم وعلى ما ينتسبون إليه من دين ، وأولئك الذين (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) وهم الذين يقولون يوم القيامة (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) وهم الذين ذكر الله من خزيهم (إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتَّبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا ؛ كذلك يريهم الله أعمالهم

حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) وحذرهم الله عاقبة تقليدهم الأعمى وما ينالون من عذاب وحسرة (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلا * لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا) وما ذلك الشيطان الذى خذلهم وأغواهم وأضلهم عن سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم إلا ذلك الشيخ الذى زعموه وزعم نفسه الفاجرة لهم جاسوس قلوبهم ودعاهم وأخذ عليهم عهداً وثيقا أن يذكروه قبل أن يذكروا الله ؛ وأن يستحضروه فى قلوبهم قبل أن يستحضروا عظمة الله وجلال الله . وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولوا إلا كذباً . وأكبر الطوام ، وأنكى المصائب أن يزعم أولئك المفسدون أنهم أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم بل إنهم ليتبجحون أنه ليس على السنة أحد سواهم مع هذا الضلال والفجور ، فكيف يهتدى أولئك بالقرآن وهم حرب على القرآن ؟ وكيف تنتفع قلوبهم بالقرآن وفيها ذلك الشيخ الشيطان يصدهم عن القرآن ، وعما وصف الله به نفسه فى القرآن ؟ وكيف يستنيرون بنور القرآن وقلوبهم صدئة رجسة بأولئك الأنداد المعبودة مع الله ؟ وكيف يهتدون به وهم يعتقدون أن صريح لفظه وواضح معناه ضلال ؛ وغير لائق بالله ، فهم يظنون أنفسهم أعرف بالله من الله ، فهل يمكن لهم بعد هذا أن ينتفعوا بهدايته ؟ بل إن فى قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرو هو عليهم عمى .

نسأل الله العافية ونحمد الله أن أنقذ قلوبنا من تلك الظلمات ، وطهرها من هذه القذارات ، من تلك الشركيات ، وجعل القرآن لها هدى ونوراً ، والهدى هدى الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : « ما خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين ، إلا أختار أيسرهما مالم يكن إثما ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط ، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله . وما ضرب شيئا بيده ، لا إمرأة ، ولا خادماً ، إلا أن يكون يجاهد فى سبيل الله » رواه البخارى ومسلم

من رسائل القراء

جاءتنا أسئلة من الأخ عبد الرحمن حسن ببنك مصر ـ الفيوم ـ سنجيب عليها في العدد القادم إن شاء الله .

« أولياء الرحمن »

وزار دار المركز العام للجماعة فضيلة الأستاذ الشيخ علي حسن محمد بقوق إمام المسجد العمرى بأرمنت الحيط ، وعرض علينا أن ننشر له فصولا من كتابه الذى تحت الطابع بالعنوان المتقدم ، ونحن نقتبس هنا بعض ماقدم به كتابه للقراء ، على أن ننشر له في الأعداد القادمة إن شاء الله قال :

وأولياء الرحمن : هم الذين سمت نفوسهم وصفت أرواحهم وطهرت قلوبهم ، وعلموا من علوم الشريعة مايؤهلهم لمعرفة الله معرفة تقوم على صحة الدليل ، ويعملون على مقتضى ظواهر النصوص الشرعية . والبعد عما ينافى المروءة والخلق والتجافى عن المنهيات والعمل بالمأمورات ، من فرائض فرضها الله على عباده . بإن الله سبحانه فرض فرائض وسن سنناً ، ولا يقبل الله فريضة النهار بالليل ، ولا فريضة الليل بالنهار ، ولا يقبل الله نافلة حتى تؤدى الفريضة .

وأولياء الرحمن المتقون : هم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي صلى الله عليه وسلم . فما جاء به من أوامر ونواهٍ : ترفع الإنسان من التراب إلى السحاب وتجعل منه إنساناً ملائكى الطبع والخلق ، لايغضب إلا لله ولا يرضى إلا لله . ولا لذة ولا سعادة إلا فى العبودية لله سبحانه ، ونبذ ماسواه .

والحديث عن الأولياء : يتشعب وله طرق ومسالك يهتدى فيها المحقون ، ويضل فيها المبتدعون الضالون . . الخ .

« حق غفل عنه الناس »

وكلمة تحت هذا العنوان من الأخ على أحمد إبراهيم ، أمين عهدة مدرسة « آمون » ببورسعيد نكتفى منها بالقدر الآتى لضيق المقام .

روى البخارى فى صحيحه قال : حدثنا إسماعيل قال حدثنى مالك بن أنس عن عمه أبى سهل بن مالك عن أبيه ، أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس ، نسمع دوى صوته ولا نفقه مايقول ، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس صلوات كتبهن الله فى اليوم والليلة . فقال : هل علىّ غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطّوع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وصيام رمضان . قال هل علىّ غيره ؟ قال لا ، إلا أن تطوع . قال وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم : الزكاة . قال : هل علىّ غيرها ؟ قال لا ، إلا أن تطوع . قال : فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح إن صدق » .

كم فى هذا الحديث من فقه غفل عنه الناس . ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمن الفوز والفلاح لرجل أقسم بالله لايزيد على الفرائض ولا ينقص ، إن كان صادقاً فيما يقول . وما الفوز والفلاح إلا استحقاق الخلود فى دار المقامة ، وما أعد الله دار المقامة إلا للمتقين ، والمتقون هم أولياؤه ، بشهادة القرآن الكريم . إذاً لقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولاية لهذا الأعرابى الثائر الرأس إن صدق فيما عاهد الله عليه ، فلو أنك اقتصرت على أداء الفرائض حق أدائها ، وعنيت بها ورفعتها إلى ربك كاملة غير منقوصة ، فأنت الولى حقاً مادمت مجتنباً لكبائر الإثم والفواحش . . الخ

« أحوال متصوفة هذا العصر »

وأرسل إلينا الأستاذ السيد عبد الحليم محمد حسين ملاقى بمعهد الزقازيق الدينى الثانوى كلمة بهذا العنوان يقول فيها :

الحقيقة إن التصوف فى ماضيه وحاضره داء وبيل ، وسم زعاف على لب الإسلام وجوهر .... ثم يقول : ومتصوفو اليوم مازالوا سائرين على سنن من قبلهم ، متخبطين فى دياجير الظلام ، متابعين للبدعة والخرافة الشركية ، وهى اتخاذ الوسائط والشفعاء والشركاء بينهم وبين الله .... حتى لقد جروا على أنفسهم ازدراء الناس لهم وجعلوا الإسلام سخرية أمام أعدائه .... ثم أورد هذه الأبيات :

ألا إنما الزلفى إلى الله طاعة ... وإيمان قلب لا حسين وزينب

وليس دعاء الأولياء وسيلة ... كما زعم الضلال جهلا وشغبوا

ولكنه الكفر الصراح الذى به ... أبيح دم الكفار قتلا وعوقبوا

فياداعياً غير الإله وعاكفاً ... على القبر تدعو ماعداك وتندب

أليس إله العرش للعبد كافياً ... كفيلا بما يرجوه منه ويرغب ؟

أليس هو الرب اللطيف بخلقه ... فمن غيره للخلق أدنى وأقرب ؟

ثم يقول فى ختام كلمته :

خير لنا أن نطهر البلاد والعباد من ضلالات الصوفية التى فشت بين العوام من الناس وسرت فى أوساطنا . حتى تعود إلى المسلمين عزتهم الأولى ، وفخارهم ومجدهم القديم . وحتى نتفرغ للعمل المرضى الذى نلقى الله عليه وهو عنا راض .

كن مستقل الرأى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يكن أحدكم إمَّعَةً يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساؤوا أسأت . ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤا أن تجتنبوا إساءتهم » رواه الترمذى .

« القول فى الجهة »

يقول ابن رشد فى كتابه « مناهج الأدلة فى عقائد الملة » :

« وأما هذه الصفة ، فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه ، حتى نفتها للمعتزلة ، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية كأبى المعالى . ومن اقتدى بقوله . وظواهر الشرع كلها تقتضى إثبات الجهة مثل قوله تعالى : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ٦٩ : ١٧) ومثل قوله : (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) ومثل قوله تعالى : (تعرج الملائكة والروح إليه ٧٠ : ٤) ومثل قوله تعالى : (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ، فإذا هى تمور ٦٧ : ١٦) إلى غير ذلك من الآيات التى إن سلط عليها التأويل عاد الشرع كله مؤولا وإن قيل فيها : إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابها ؛ لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله فى السماء ، وأن منه تنزل الملائكة بالوحى إلى النبيين ، وأن من السماء نزلت الكتب(١) » .

ثم يقول بعد عرض أدلة عقلية متينة : « فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل ، وأنه الذى جاء به الشرع وانبنى عليه ، وأن إبطال هذه القاعدة إبطال للشرائع(٢) » .

كلمة حق نطق بها فيلسوف يظاهر بها الحق من دين الله . فهل يعتبر الذين يقولون عن الله إنه فى كل مكان ، فيبهتونه بالحلول فى الكائنات ، وفى المراقص والحانات ! !

أو يقولون : ليس له مكان . فيبهتونه بأنه عدم ! !

---

(١) ص١٧٦ تحقيق وتقديم الدكتور محمود قاسم .

(٢) ص ١٧٨ المصدر المذكور .

الفتنـــة

يقول الإمام الجليل ابن القيم فى كتابه « إغاثة اللفهان » ص ١٦٢ ج ٢ .

« ليس لمن قد فتن بفتنة دواء مثل الصبر ، فإن صبر كانت الفتنة ممحصة له ، ومخلصة من الذنوب ، كما يخلص الكير خبث الذهب والفضة فالفتنة كير القلوب ، ومحك الإيمان وبها يتبين الصادق من الكاذب قال تعالى (ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين ٢٩ : ٣) فالفتنة قسمت الناس إلى صادق وكاذب ومؤمن ومنافق ، وطيب وخبيث ، فمن صبر عليها كانت رحمة فى حقه ، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها ، ومن لم يصبر عليها وقع فى فتنة أشد منها . فالفتنة لابد منها فى الدنيا والآخرة » .

« المسلمون »

فى مقال اسمها « اليمامتان » للأديب الكبير مصطفى صادق الرافعى ، أجرى الأديب هذا الكلام على لسان إرمانوسة بنت المقوقس عظيم القبط فى مصر يوم فتح عمرو لها .

« إن هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد الذى سيضع فى العالم تميز الحق من الباطل ، وأن نبيهم أطهر من السحابة فى سمائها ، وأنهم جميعاً ينبعثون من حدود دينهم وفضائله لا من حدود أنفسهم وشهواتها ، وإذا سلوا السيف سلوه بقانون ، وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون ، ولأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبى ، فإنهم جميعاً فى واجبات القلب ، وواجبات العقل ، ويكاد الضمير الإسلامى فى الرجل منهم يكون حاملا سلاحاً يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته » .

العدد ٧
المجلد ٢٦
رجب
سنة ١٣٨١

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
الهدى النبوي
مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٣٠ — في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ — في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٧ | رجب سنة ١٣٨١ | المجلد ٢٦

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جلّ ذكره : (وَيَسْئَلُونَكَ عن الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قليلا . ولَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بالذى أَوْحَيْنَا إليكَ ثم لاَ تَجِدُ لكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاَ . إلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، إنَّ فَضْلَه كَانَ عَلَيْكَ كبيراً ١٧ : ٨٥ — ٨٧)

معانى المفردات

« الروح » اسم النَّفس ، لكونه بعضها . وهو اسم للجزء الذى به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع ، واسْتِدْفَاع المَضَارّ وهو المذكور فى قوله تعالى : ويسئلونك عن الروح) .

وسُمِّى أشرافُ الملائكة أرواحاً نحو : (يوم يقوم الروحُ والملائكةُ صَفًّا) .

وسمِي القرآن روحاً فى قوله سبحانه[1] . وكذلك أَوْحَيْنا إليك رُوحاً من أمرِنا)

---

(١) بل يقال الروح على الوحى الإلهى فى عمومه، تدبر قول الله سبحانه : (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ١٦ . ٢ يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده ، لينذر يوم التلاق ٤٠ : ١٥) فالوحى الإلهى حياة للبشرية فى دنياها وأخراها .

وذلك لكون القرآن سبباً للحياة الأخروية . والروح التَّنفُّسُ « عن مفردات الراغب » .

« أمر » الأمرُ الشأنُ . ومصدرُ أمرْتَه إذا كلفْتَه أنْ يفعل شيئاً ، وهو لفظ عامٌ للأفعالِ والأقوالِ كلها . ويُقال للإبْدَاعِ : أمْرٌ نحو : (ألاَ لهُ الخَلْقُ والأَمْرُ) .

المعنى (١)

تَتَشَوَّف النفسُ الإنسانية إلى معرفة الغيبِ وإدراكه . وتتطلع دائماً بأشواقها إلى المجهول ؛ لتدرك شيئاً من أسراره ، أو تصل بفكرِها إلى أغواره ' والنفس التى خشع إيمانُها ، وفاضت تقواها ، وسلك بها حبُّ الله السبيلَ إلى رضاه ، تُذْعِن طيِّعة لأمر الله ونهيه ، وتؤمن – فى صدق و إخلاص – بكل غيب أخبرها الله عنه .

فلا تمضى مع المُسْرفين فى عشقِ الغيب إلى أن تعبده ، ولا تمضى مع الجاحدين بالغيب إلى جحدِه والكفرِ به .

إن نفس المؤمن لا تؤمن من الغيب إلا بما أخبرها الله عنه ، فلا تزيد على صفات ذلك الغيب ، أو تنقص منه شيئاً .

إنها لا تحب أن تقضى حياتها فى تصوير الغيب تصويراً فيه جنون التخيُّل . وتهويلات الشاعرِيّة . حَسْبُها ما أخبرها الله به أنه يرضيها ، و يسعدها ، و يمضى بحياتها

---

(١) روى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرة المدينة . وهو متوكىء على عسيب « جريدة نخل » فمر بقوم من اليهود . فقال بعضهم لبعض لا تسألوه ، قال : فسألوه عن الروح ، فقالوا : يا محمد ما الروح ؟ فما زال متوكئا على العسيب . قال فظننت أنه يوحى إليه ، فقال : ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . قال فقال بعضهم لبعض . قد قلنا لكم لا تسألوه « رواه أحمد و البخارى ومسلم » ولا يدل الحديث على سبب النزول ، فالآية مكية ، وسؤال اليهود كان وهو بالمدينة .

مع السكينة . ثم هى لا يمكن أن تجحد بهذا الغيب كما يفعل الجاحدون الماديون عبيد الحسّ الأصم ، والمادّية الحمقاء .

لقد أخبر الله مثلا عن الجن ، وأن منهم صالحين ، ومنهم غير ذلك ، وأنهم استمعوا إلى القرآن ، فولوا إلى قومهم منذرين .

وأخبر أنه خلقهم من نار السَّمُوم ، وأنهم سُخِّروا لأمر سليمان يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابى ، وقدور راسيات[١] وأنه ـ جل شأنه ـ لما قضى على سليمان الموتَ ، ما دَلَّ الجنّ على موته إلاّ دابّةُ الأرضِ تأكل مِنْسَأَتَه[٢] ، فلما سقط ميتاً تَبَيَّنَتْ الجن أنْ لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المُهين .

هذا بعض ما جاء فى القرآن عن الجن ، وهم غيب لا يقعون تحت الحس .

والمؤمن يُذْعِن ، ويطمئن قلبه إلى قول الله ، ويؤمن أنه الصدق والحق ، ويغمر نفسه اليقين أن هناك جنا ، وأنهم كما وصف الله سبحانه ، دون أن توسوس نفسه بإنكار هذا ، أو تأويله تأويلا هو شرٌّ من الكفر بالحقيقة وجحودها[٣] ، دون أن يزيد شيئا

---

(١) المحراب : صدر المجلس ، وهو حيث يجلس الملوك والسادات ، أو هو قصر حصين له درج . جفان : جمع جفنة آنية كبيرة متسعة من أوانى الطعام .

الجوابى : جمع جابية ، وهى حوض كبير . وهو تمثيل لسعة الجفان قدور راسيات أى قدور ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها . وكل هذا يدل على كثرة الذين كانوا يأكلون عند سليمان ، وعلى كرم سليمان ، وعلى فضل الله الكبير على سليمان ، وعلى سعة غنى سليمان .   (٢) عصاه

(٣) الذين يقومون بمثل هذا التأويل هم شر على الدين من ذوى الكفر الصريح ، لأنهم يخدعون الناس عن باطنهم بما تلوكه ألسنتهم من ألفاظ الإيمان ، ويفتنونهم بدعوى الإيمان عن حقيقتهم الكافرة وبعضهم يؤول بغية القضاء على الحقيقة ، وبعضهم يؤول زعما أنه يقرب الفكر الإسلامى من الفكر الغربى . أليس هذا معناه انه يؤمن بالفكر الغربى وقداسته وسمو قيمه ، وأنه هو القاعدة ، والأصل ؟ ولم يبتل المؤمنون والإيمان بشر من هؤلاء . فهم أخس وأقدم طوائف للنافقين .

من عنده على ما قال الله ، فيزعم أنها تعرف الغيب ، ويزعم أنها تتلبس أجسام البشر ، وتتحدث عنهم أو أنها تقع تحت سلطان دجال مُشَعْبِذٍ يزعم أنه أوتى من الله كما أوتى سليمان ! ! .

هذه مقدمة كان لابد لى أن أقولها ؛ لأُبَيِّن موقف المؤمن من الغيب ، ولأميز بهدى الله - بين حق يبغى المبطلون عليه ، وباطل ينتصر الباغون له . (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيَرَةُ من أمرهم)

ولقد جعل الله الإيمان بالغيب هو الصفة الأولى من صفات المتقين ، فقال : (الذين يُؤْمِنون بالغيبِ ، ويُقيمون الصلاة ، ومِمّا رزقناهم ينفقون ٢ : ٣) .

فلتؤمن بكل غيب ، الإيمان الصادق الذى لا يَنزعُ به هوًى إلى تعطيلٍ جاحد ، أو تأويلٍ فاسد ، أو إلى خليطِ الباطلِ بالحق أو افتراء الخرافاتِ والأساطير ، بُغْيَة الترائى بالإحاطة العالمية ، والشمول الثقافى أو بغية سلْب المال من الناس ، والثناء والإعجاب . و بعد هذا نعود إلى الآية مُسْتَلْهِمِين الله الهدى فى تفسيرها:

« يسئلونك عن الروح » مَنْ هُمُ الذين سألوا ؟ إن السؤال يدل على السائل . والسؤال عن الروح لا يقترفه إلا قوم سلك بهم الجدلُ حول الروحِ من قبلُ مسالكه . وما حدث شىء من هذا بين العرب فى مكة . ولهذا نميل إلى رأى القائلين بأن السائلين هم طائفة من اليهود الذين أخذوا بطرف من الثقافة الإغريقية التى كثر فيها الجدل عن الروح وحقيقتها وخلودها ، وإن بعض الأحاديث المروية[1] ، لتدلنا فعلا على أن اليهود سألوا ، و بعضها الآخر يدلنا على أنهم هم الذين أوحوا بهذا السؤال .

(١) روى الإمام أحمد عن ابن عباس أنه قال : قالت قريش ليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل - يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم - فقالوا : سلوه عن الروح ، فنزلت : =

« الروح » قال المفسرون عند هذه الأقوال : إنه الروح الذى فى الحيوان ، أو هو خَلْقٌ رُوحانى عظيم ، أعظم من المَلَك ، أو هو جبريل ، أو هو مَلَك له سبعون ألف وجه ، لكل وجه سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة ، أو هو القرآن ، أما هذه الأسطورة الأخيرة التى يتحدث عن ملك له سبعون ألف وجه ، فلم يرد بها إلا أثر غريب عجيب ، ومثلها الحديث عن خلق روحانى عظيم ، أما بقية معانى الروح ، فيجوز أن يكون السؤال عن حقيقة الروح الذى به يحيا الإنسان ، أو عن الروح الذى هو جبريل ، أو عن الروح الذى هو الوحى الإلهى ، أو عن الروح الذى هو القرآن . والجواب الذى فى القرآن عن السؤال يصلح للجميع « قل : الروح من أمرِ ربى » فالروح الإنسانى من إبداع الله سبحانه ، وأمره ، وكذلك قل عن الروح إذا قصد به جبريل . أما إذا كان المقصود به القرآن ، فيكون المعنى . قل : الروح — أى القرآن — من وحى الله وكلامه ، لا من كلام البشر .

وسياق الآية يقوى الرأى القائل بأن المقصود بالروح هو القرآن ، فقوله سبحانه : « وما أُوتِيتُمْ من الْعِلمِ إلا قليلا » وقوله : « وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بالذى أَوْحَيْنَا إليك » وقو : « قُلْ : لَئِنِ اجتمعتِ الإنسُ والجِنُّ عَلَى أن يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ » وقوله سبحانه : « ولقد صرّفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل » .

هذه الآيات توجد فى مكان واحد من السورة ، وترد عقب آية « ويسألونك عن الروح » .

كل هذا يُقوِّى الفهم الذى يقول : إن الروح هو القرآن .

غير أننا لا نتعصب لهذا ، ونزعم أنه هو وحده المقصود ؛ لأن الآية تعطى هذا وذاك .

وفى الجواب بيان شاف جليل تطمئن إليه النفس المؤمنة ، أما غيرها ، فلا يزيدها

= (ويسألونك عن الروح ، قل : الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) قالوا أى اليهود — : أوتينا علماً كثيراً ، أوتينا التوراة ، ومن أوتى التوراة ، فقد أوتى خيراً كثيراً ، قال : وأنزل الله (قل : لوكان البحر مداداً لكلمات ربى لَنَفِدَ البحر) .

الجواب إلا حيرة وضلالة ، وتمرداً على الإيمان بالغيب ، ثم هو يبين لنا كيف نجيب ، أو يبين لنا ما يجب علينا اتباعه حين نُسْأل عن أمر من أمور الغيب ، ثم هو جواب يقول للعقل الذى يزعم أنه يستطيع الإحاطة بكل شىء : قِفْ ، وإلاَّ هلكت . ثم هو جواب يدعونا إلى أن نتعرف إلى مايتوقف عليه صلاح الدنيا ، وسعادة الآخرة ، فلا نبحث عن حقيقة أمور قد يكون العلم بها أَضَرّ من الجهل بها ، أو قد يكلفنا العلم بها العمر كله دون أن نحصل على نتيجة نافعة لنا فى ديننا ودنيانا ، أو تستحق المغامرة بالحياة فى سبيل الحصول عليها .

إن الإسلام يستحث على العمل ، ويستحث على التفكير فيما يعود علينا بالخير ، وفيما ينفع العلم بحقيقته . أما هذا التَّرَفُ العقلى المهلكُ الذى أفسد عقولَ الفلاسفة ودنياهم وآخرتهم ، فذلك ماينهى الإسلامُ عنه ، ويحرمه ؛ لأنه دين الفطرة ، ودين القوة ، ودين العمل ، ودين الخلق القويم ، ودين الفكر الرشيد ، لادين الجدل المحموم بشهوة الغلَب بالباطل ، ولا دين اللَّغْوِ ، ولا دين الفلسفة التى لا تزعم أنها فلسفة إلا حين تعارض الوحى ، « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » هذه حقيقة يؤمن بها اليقين ، إذ ليس البشر إلا خلقاً ، ولن يكون علم المخلوق كفرد ، وكجماعة إلا قليلا بالنسبة إلى علم الخالق . ونحن البشر جميعاً — لا طائفة خاصة — تصدق علينا هذه الحقيقة : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » فليس المخاطَب بالآية جماعة بعينها ، وإنما المخاطب بها البشر جميعاً .

ومن أوتى من العلم هذا القليلَ لا يَتَأَتَّى له علمُ الغيب ، فما بالك بالإحاطة به . (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ والأرض ، وإليه يُرْجَعُ الأمر كُلُّه ١١ : ١٢٣) (وما كان اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغيبِ ، ولكنَّ الله يَجْتَبِى من رُسُلِهِ مَنْ يشاء ، فآمِنُوا بالله وَرُسُلِه ٣ : ١٧٩) (قُلْ : لا يعلم مَنْ فى السمٰواتِ والأرضِ الغَيْبَ إلا اللهُ ٢٧ : ٦٥) .

(ولئن شئنا لنذهبَنَّ بالذى أوحينا إليك) آية القدرة القاهرة ، والربوبية المهيمنة على كل شىء ، والمشيئة الغلابة ، والفصل القويم المحكَم بين الربوبية والعبودية ، آية تبين فضل الله العظيم على محمد صلى الله عليه وسلم وأمة محمد ، وتحذره تحذير الرب القوى القادر لعبده من أن يقف من هذا الفضل موقفاً لا يحبه الله سبحانه .

لئن شئنا ماتضمنته الآية لحدث ، فما يمنع من ذلك سلطان ، لأنه جل شأنه ربُّ كل سلطان .

لئن شئنا أن نمحو القرآن من صدرك ، ومن صدور الذين وعوه ، ومن المصاحف التى كُتب فيها لحدث ماشئنا ؛ إذ ليس فوق مشيئة الله مشيئة . ولا ريب فى أن توجيهَ مثل هذا لمحمد صلى الله عليه وسلم يُشْعِر بما فيه من معنى قوى يؤكد لنا فوق المؤكدات الأخرى بشريةَ محمد صلى الله عليه وسلم وفقره إلى الله ، وحاجته الدائمة إلى عون الله سبحانه ، وإمدادَه له بالنصر والتأييد والرعاية ، فهل تفقه الصوفية ؟ .

هل يفقه الزاعمون أن محمداً كان يعرف القرآن قبل نزوله[1] وختام الآية يؤكد أولها ، ويملأ القلب بالخوف والخشية من الله والتوكل عليه وحده (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) لا تجد لك وكيلا عندنا يسترده لك بعد أن ذهبنا به عنك ، وإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم لا يجد الوكيل إذا تركه الله ، فهل نجد نحن هذا الوكيل ؟ .

ليتدبر من يريدون الهدى لا الضلالة .

(إلا رحمة من ربك) إن وكيلك الذى يمكن أن يرده عليك ، ويحفظه عليك هو رحمة الله سبحانه ، فما لك من وكيل سوى الله سبحانه ، فلا تجد من يرد عليك القرآن سوى رحمة ربك ، فهل يملك غير الله مثل هذه الرحمة ؟ .

(إن فضله كان عليك كبيراً) نعم . وقد آمن محمد بهذا أخلص الإيمان ، وأعظمه وأزكاه ، وأتقاه . إنزال القرآن فضل وحفظ القرآن فضل ، وبقاؤه فى الصدور ، وفى المصاحف كما هو فضل . بل فضل كبير .

فلتذكر أمة محمد صلى الله عليه وسلم هذا الفضل الكبير الذى من الله به على نبيها الأعظم ، وعليها ، ولتحمد الله به ، ولتشكره عليه .

اللهم ألهمنا شكرك وحمدك ، والثناء عليك بما تحب ، والعمل لك حتى ترضى .

عبد الرحمن الوكيل

---

(١) زعم هذا محيي الدين بن عربي والشعراني وغيرهما .

« توحيد الله عز وجل »

الآن وقد فرغت من ذكر القواعد العامة التى يجب مراعاتها فى توحيد الأسماء والصفات ، أرى من المفيد أن أقدم لإخوانى فى قراء مجلة (الهدى النبوى) شرحا بسيطا موجزاً لبعض الأسماء الحسنى التى تدور كثيرا على الألسنة والتى قد تخفى معانيها على بعضهم ، أو قد يحملها المعطلة النفاة فى معانى أخرى غير المعانى الظاهرة منها ، لأنهم يتوهمون أن فى حملها على ظواهرها تشبيها لله عز وجل بخلقه .

وقد تضمن كتابى (الثمار الشهية . فى شرح العقيدة الواسطية) لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، شرح كثير من هذه الأسماء الحسنى . ولكنى مع ذلك لاأرى بأسا بأعادة القول فيها على صفحات هذه المجلة تعميما للفائدة وزياة فى التذكرة . فإن الأمر من الأهمية والخطر بحيث لايستكثر فيه كلام . إذ أصل العلوم كلها ومحورها الذى تدور عليه هو العلم بالله وأسمائه وصفاته، فمن لاعلم له بذلك أو نقص حظه منه . لم ينتفع بشىء من علمه : فأقول وبالله أستعين :

(الله) علم على الذات الواجب الوجود المستجمع لسائر صفات الكمال التى لاتنبغى لأحد سواه ، والتى يستحق عليها غاية الحمد والثناء . واختلف فى لفظ الجلالة هل هو اسم جامد أومشتق ، فقيل أنه جامد غير مشتق من قبيل الاعلام المحضة التى لاتتضمن صفات تقوم بمسمياتها . واحتج أصحاب هذا القول بأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها ، واسمه تعالى قديم بقدمه والقديم لايجوز أن يكون لهمادة و إلا كان مسبوقا بمادته ، والمسبوق بغيره حادث

والصحيح أنه مشتق كغيره من الأسماء الحسنى التى وضعت للدلالة على معان قائمة بذاته تعالى ، ولكن اختلف فى مبدأ اشتقاقه . فقيل من : يَأْلهُ أُلوهَة وألوهيَّة بمعنى عبادة . وقد قرأ ابن عباس رضى الله عنهما (ويذرك وإلاهتك) أى عبادتك . ويقال ألَّه بتشديداللام يؤلِّهه تأليها . أذا عبده أو اعتقد ألوهيته . وعلى هذا الرأى فهو إله بمعنى مألوه أى معبود كما قال ابن عباس رضى الله عنهما (الله ذو الإلهية والعبودية على خلقه أجمعين

وقيل هو مشتق من أَلِهَ بكسر اللام يأْلَهُ بفتحها أَلَهاً ، كولِهَ يَوْلَه وَلَهاً إذا تحير . وذلك لأن العقول تحار فى اكتناه سر جلاله وعظمته . ولا تستطيع الإحاطة بكل أسمائه وصفاته كما قال صلوات الله وسلامه عليه (سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وعلى القول بأنه مشتق يكون وصفا فى الأصل ، ولكن غلبت العَلَمية فتجرى عليه بقية الأسماء الحسنى إخباراً كقوله تعالى (الله لا إلٰه إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سِنَة ولا نوم الآية) .

وكقوله (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد) .

ونجرى عليه أوصافا كقوله تعالى (هو الله الذى لا إلٰه إلا هو عالم الغيب والشهادة) الآيات من آخر سورة الحشر . والفرق بين (الله) و(إلٰه) أن الأول مختص به سبحانه لا يطلق على غيره لأنه عَلَم عليه . وكان المشركون فى جاهليتهم يعرفون ذلك . قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) وقال سبحانه (قل لمن الأرض ومن فيها أن كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون) إلى قوله (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلٰه إذاً لذهب كل إلٰه بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحانه الله عما يصفون) وأما الثانى وهو إلٰه فيطلق على كل ما عبد بحق أو بباطل ، ولهذا كانت كلمة التوحيد (لا إلٰه إلا الله) تدل بصدرها على نفى كل معبود باطل والبراءة منه ، وتدل بِعَجُزِها على إثبات وصف الألٰهية لله عز وجل وحده . فهى مركبة من نفى وإثبات. ولهذا كانت هى كلمة الإخلاص ومحور الإسلام التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقاتل الناس حتى يقولوها . فمن قالها فقد عصم دمه وماله بحقها . ولهذا أيضا كانت أساس كل دعوة بعث بها رسول من عند الله كما قال تعالى (يُنَزِّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) وكما قال سبحانه فى هذه السورة نفسها (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فهاتان الكلمتان هما بمعنى لا إلٰه إلا الله .

وقال تعالى من سورة الأنبياء (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إلٰه إلا أنا فاعبدون) ومادام لفظ الجلالة كما قلنا عَلَماً على الذات المتصفة بسائر صفات الكمال المختصة بها ، يكون مشتملا على جميع الأسماء الحسنى إجمالا ، وتكون هى بمنزلة التفصيل لذلك

الإجمال . فمن قال (الله) فقد دخل فيه كل اسم سمى به نفسه أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم . وهذا هو السر فى أن الأسماء الحسنى كلها تجرى أوصافا عايه لأنه متضمن لها مشتمل عليها . وبعض من يزعمون لأنفسهم أو يزعم لهم الناس التحقيق والمعرفة من الصوفية يؤثرون الذكر بلفظ الجلالة (الله) على الذكر (بلا إله إلا الله) مع أنه لم يرد فى الكتاب ولافى السنة ولاأثر عن أحد من السلف الذكر بلفظ مفرد . بل جميع الأذكار الواردة فى الكتاب الكريم والسنة المطهرة هى جمل وعبارات تامة كسبحان الله والحمد لله ، ولاإله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله الخ .

وأما يحتجون به من قوله تعالى (قُلِ الله ، ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) فهذا مما يدل على فرط جهلهم بمعانى كتاب الله عز وجل . فإن لفظ (الله) الذى أمر أن يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم ليس لفظا مفردا ، بل هو جزء من جملة وقعت جوابا عن الاستفهام السابق فى قوله تعالى (من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ؟) فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم (الله) يعنى أن الله هو الذى أنزل الكتاب فهو بمنزلة قولك (زيد) لمن قال لك (من عندك ؟) أى عندى زيد .

ومن تلبس الشيطان عليهم فى هذا : أن من قال (الله) لم يخطر بباله الشريك فيسلم توحيده من المنازعة . وأما من قال (لاإله ألا الله) فقد خطر بباله غير الله وهو يشوش عليه توحيده ! ونسى هؤلاء أن تمام التوحيد وكماله لايكون إلا بقطع العلائق عن جميع الأغيار ووصلها بالله وحده ، فإنك إذا قلت لأحد من الناس (إنى أحبك) كان هذا إخبارا بحبك له . وهو لاينفى حبك لغيره ، بخلاف مالوقلت له (لاأحب إلا أنت) فإن فيه إخبارا عن إخلاصك الحب له ، بحيث لايتسع قلبك لسواه . ففرق بين هذا وهذا . ولهذا كانت (لاإله إلا الله) أبلغ فى إخلاص التوحيد من قولنا مثلا (الله واحد) لأن الأولى لاتحتمل الاثنينية بوجه ، بخلاف الثانية فأن فيها شائبة احتمال. والله أعلم .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

المال والبنون

قال الله تعالى : (واضرب لهم مَثَلَ الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرا . المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) .

بين الله تعالى للناس فى الآية الأولى أن هذه الحياة الدنيا تافهة فانية ، إذ مثَّلها بنبات الأرض ارتوى بماء السماء ، فنما وترعرع ولكنه سرعان ماذبل وجف وأصبح هشيما تذروه الرياح ، لا قيمة له ولا بقاء . ثم وصف فى الآية التالية المال والبنين ـ وهما أعز وأحب شيء إلى الإنسان فى الوجود ـ بزينة هذه الحياة التافهة الفانية . (فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل) وأخبر بأن الصالحات لبقائها عند الله خير منها ثوابا وخير أملا . (ماعندكم يَنفَدَ وما عند الله باقٍ) فالباقيات الصالحات لحسن ثوابها فى الآخرة أعظم أملا وخيراً من زينة الدنيا الزائلة من مال و بنين وغيرها والتى لن تنفع المرء بشيء إذا هو لم يستخدمها فى عمل الصالحات الباقيات . كما أخبر تعالى فى قوله (يوم لاينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم) وفى قوله (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زُلفى . إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضِّعف بما عملوا وهم فى الغُرُفات آمنون) .

فإن المال والولد نعمة للعاقل التقى يفلح بهما و يسعد فى الدنيا والآخرة . إذ يمهدان له عمل الباقيات الصالحات ، كما أنهما محنة للجاهل الفاجر يشقى بهما و يخسر فى الدارين . إذ يمهدان له اقتراف السيئات . ولذا قال الله تعالى فى وصف الفجرة الخاسرين : (واتَّبعُوا من لم يزده مالُهُ وولده إلا خسارا) .

فكم كان حب المال نكبة على صاحبه ، أغراه بالبخل والجشع وللتهالك على الربح ، فقضى حياته أسيراً لماله يستثمره و يخدمه ، بدل أن يستخدم المال ، فحول السعادة به إلى شقاء، وفقد صحته وشبابه فى سبيل جمعه . ولم ينتفع به فى الدنيا ولا فى الآخرة ، بل عوقب على

منعه . وكم أغراه بالفسق والانغماس فى الشهوات و إشباع نزوات هوى نفسه الشرهة الأمارة فـكان من الخاسرين الهالـكين .

فالمـال يدفع الفاسق إلى الإسراف الذى يفضى به إلى المرض والإفلاس ، كما يدفعه إلى البخل الذى يفضى به إلى حرمان نفسه وغيره . فيغضب ربه بإحدى الرذيلتين ، و يخسر بماله نعيم الدارين .

أما حب الجاهل للولد فإنه كعبادة الوثنى لصنمه . حب يعميه عن عيبه وذنبه . و يغريه بالجرأة على ربه ، فلا يبالى بغضب الله كما يبالى بغضب ولده . فهو إنما يعبده من دون الله بالإفراط فى حبه و بحصر كل أمله فيه ، وتكريسه له كل قلبه . فهذا المفتون المشغوف يغض الطرف عن أعمال أولاده مهما كانت ضلالا ، و يرى قبحهم جمالا ونقصهم كمالا ، وطيشهم دلالاً ، وفسوقهم حلالا . فلا يغضب عليهم مهما جنَوْا ، ولا يحتقرهم مهما عصَوْا ، ولا يجرؤ على عقابهم مهما طغوا و بغوا . بل يبتسم لهم حيث يجب التقطيب ، ويثنى عليهم حيث يجب التأنيب . أوثق أيمانه أن يحلف بحياتهم ، وأحب شىء إليه أن يسارع إلى شهواتهم ، فأمرهم له لازم ، وحكمهم عليه جازم ، وكلامهم قرآنه ، ورغبـاتهم صلاته ، وملء جيوبهم بما ييسر لهم اللهو والفسوق زكاته . فهو وربك جدير بأن يكون ممن عناه الله تعالى بقوله (ومن الناس مَنْ يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حباً لله) .

فإن عظم المحبة والاهتمام الداعى إلى المسارعة فى طاعة المحبوب وطلب رضاه بلا تردد ولا تبصر ولا تدبر ، هو نوع من العبادة التى لاتنبغى إلا لله وحده ، واعطاء شىء منها لغير الله نوع من الشرك لايغفره الله .

والمؤمن التقى يغلب حب الله فى قلبه كل حب سواه ، لأنه تعالى هو الجدير وحده بذلك الحب ، إذ هو واهب كل النعم ، وهو الذى تفضل علينا بكل مانحب وكل من نحب . فـكيف نشتغل بالنعمة عن المنعم ونساوى الهبة بالواهب ؟؟

وإن الله لَغَيُور أشد الغَيْرة من أن يكون له فى قلب عبده ند . فإن كان القلب موضع نظره وعنايته كقلوب أنبيائه وأصفيائه : بادر بتخليصه وتطهيره من كدر هـذا النوع من الحب . فهذا إبراهيم خليله حين شغل قلبه بكثرة التفكير فى ابنه إسماعيل ، أمره الله بأن يبادر إلى ذبحه ؛ ثم لما فهم إبراهيم سر ذلك سارع إلى تنفيذ الأمر وأخرج حظ الابن من القلب ، نجا الله له ولده وفداه بذبح عظيم . وكذلك يعقوب حفيد إبراهيم لما شغف بحب يوسف ـ عليهم السلام ـ ابتلاه الله بفقده عشر سنين ، ولما تبين ليعقوب سر هذا الامتحان وسببه وطال بكاؤه وحزنه وعظمت حسرته وصدقت توبته . رد الله عايه ولده على خير مايحب من الدنيا والدين . وكذلك يجزى المحسنين .

فإذا كان التمادى فى حب الولد البار مكروهاً عند الله ، فكيف بالتمادى فى حب الولد الفاجر ؟ إن الله تعالى أكد فى كتابه الكريم أن من المحال أن يحب المؤمن من خرج عن حدود الله ولو كان أقرب الناس إليه ، فقال سبحانه : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادُّون من حادّ الله ورسولهُ ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه)

فالقلب الذى كتب فيه تعالى الإيمان وأيده بروح منه ، طهره من رجس هذا الحب الممقوت ، فأصبح لايحب إلا من يُرضى الله ، ويبغض من يُغضِب الله . لأن العاقل لايحب بغريزته ، بل يحب ببصيرته . ولذا يمحو احتقاره حبّه لأقرب النـاس إليه . فهو لايحب ولا يحترم إلا من هو جدير بالحب والاحترام ولو كان غريبه . ويحتقر الحقير ، ويبغض البغيض ، ولو كان قريبه .

وآية الإيمان الصحيح أن يتمنى المؤمن الزوج والولد الصالحين ، ويطلب من الله أن تقر عينه بصلاحهم ، وأن يهديه إلى حسن العمل والقول ، ليكون قدوة للمتقين ، وأول من يقتدى به طبعاً ولده وأهله الصالحون . قال الله تعالى فى وصف المؤمنين (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) إنهم لم يطلبوا من الله أن

يهب لهم أزواجاً وأولاداً وحسب . بل طلبوا منه أن يهب لهم الأزواج والأولاد الصالحين ، ليكونوا قرة عين لهم ، إذ من المحال أن يسعد مؤمن وتقر عينه بزوج أو ولد فاسق . بل إنه يشقى به ويمقته كما أكد الله تعالى فى كتابه الكريم .

وما حب البنين إلا غريزة قد تشتد فى قلب الكافر والفاجر ، كما تشتد فى قلب الحيوان، ولا يعتبر هذا الحب الغريزى فضيلة ، بل هو رذيلة إذا أعمى البصيرة ودعا إلى التغافل عن الحق والخروج على حدود الدين والعقل . فكما يخلب حب المال عقل الجاهل الفاسق ، فيرتكب فى سبيل جمعه كل معصية ، ولا يبالى من أجله بغضب الله وعقابه ، كذلك يخلب حب الولد عقله فيرتكب فى سبيل ترفه ومتعه كل معصية ، ويخشى فقره وحرمانه زينة الحياة الدنيا أكثر مما يخشى عذاب جهنم . ويسمى هذه الحال حباً وحنانا ، وما هى إلا غريزة حيوانية وشهوة جنونية كشهوة المال ، كما أخبر الله تعالى فى قوله (زُيِّنَ للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة) ولا فضل ولا احترام لشهوة جارفة فى نفس جاهلة ، وحب أعمى فى قلب أعمى لايمتاز عن حب الهرة لصغارها . ولم يدل على القلب السليم والخلق الكريم .

إن الحب جميل وعظيم ولكنه لايشرف قلب الأم لأنه غريزة فى قلب كل أم من الإنسان والحيوان ، ولا تمتاز الأم الإنسانية عن الأم الحيوانية إلا بحكمتها ومثلها ودينها . لا بشدة حبها وعظيم حنانها . والأم التى لاتعنى إلا بأبدان أولادها لاتمتاز عن البهيمة فى شدة حبها لصغارها والحرص على حياتها ومحاولة تنظيف أبدانها . كما أن الأم التى تظلل ولدها وتحوطه بحنانها القاسى وجهلها الفاتك مما تقوده إلى الهلاك . أما الأم التى تظلل ولدها بحكمتها وتحوطه بإرشادها ورعايتها وتقوده إلى خيره بحزمها ، فهى الأم المؤمنة المثالية ، وهى كالفنان البارع الذى يتقن عمله فيقدم للناس تحفة تبرهن على فطنته وعقله، وعلى محاولته إحسان عمله . فبالأولاد تعرف الأم مَنْ هى وكيف كانت أمومتها وعقليتها ، بما أخرجته للمجتمع كما يعرف الفنان بما صنعت يداه .

ومن الناس من لم تعمه سفاهته وحبه لولده عن عيوبه وذنوبه فحسب فلم يشعر بجوره وفسوقه ، بل أسكره هذا الحب الممقوت حتى رضى عن جفاء ولده وعقوقه ، فلم يغضب لاستخفافه به وتقصيره نحوه وزعم أنه لا يريد منه جزاء ولا شكورا . وهذا دليل البغض لا الحب وآية البهيمية لا الإنسانية . لأن البهيمة لاتعرف ولدها بعد الفطام . ومن لا يشعر بالألم لعدم اكتراث ولده به فقد تجرد قلبه من حبه ، لأنه من المحال ألا يتألم المحب من جفاء حبيبه ، إلا إذا كان ميت الحس ضعيف العقل . ثم إن رضا هذا المفتون بالولد وعدم غضبه لعقوقه وجحوده بإحسانه ينشأ عن استخفافه بأخلاقه ودينه وآخرته . وهذا آية الجهل والتجرد من الأخلاق الكريمة والتقوى . فلا يتغاضى عن حقوقه إلا من لايؤدى واجباته فيبيح التقصير كما قصر . ولا يرضى عن المنكر إلا من يأتى المنكر فلا يستنكره . فهذا الحنون الذى يتنازل عن حقه المادى والأدبى زاعما الرأفة بولده . يعلمه العقوق والكنود والقسوة بحنانه . أمامن يحرص على طلب حقه من ولده فإنه يعلمه القيام بواجباته . وإن تضحية تفسد ، شر من أنانية تصلح ، وقسوة تنفع خير من شفقة تضر . وهل تستوى اليد التى صفعت فأصلحت ، واليد التى ربتت فأفسدت ؟ وهل تستوى اليد التى قذفت بولدها إلى الجحيم ، واليد التى قادته إلى النعيم ؟ . إن من القسوة لرحمة ، وإن من الرحمة لقسوة . فكم من جاهل حنون أفسد أولاده بتدليله وتغاضيه عن سيئاتهم فكان قاسيا برحمته . عدواً بحبه وعطفه ، مجرما بحنانه وضعفه . وكم من عاقل صارم أصلح أولاده بشدته وحكمته . فكان رحيما بقسوته . وكان حبيبا بعداوته . منقذا بقوته وغلظته . فالحبيب الجاهل أشد ضررا من العدو . فهذا الحبيب اللدود لايطيق أن يؤلم ولده ويضايقه وقتا قصيرا ، ليصلحه وينفعه نفعا كبيرا . فهو يترك ولده يفترسه الداء . ليرحمه وينقذه من مرارة الدواء . فهل بعد ذلك غباء وكره وعداء ؟؟ فقبحاً لك أيها الحب الفتاك ، وما أجلك أيتها العداوة بجانب هذا الحب الذى يصد عن الصراط المستقيم ؛ ويسوق المحب والمحبوب معا إلى الجحيم . وويل لمن يقود بحبه ولده إلى العذاب الأليم . وياليته كان يكرهه إذ لو كان يكرهه وسعى

ما استطاع إلى أذاه ، لما توصل إلى ذلك كما توصل بسم حبه الأثيم . إن الشيطان تقمص فى قلبه ليصل إلى غرضه . لأنه لايستطيع عمل ما عمله إلا عن طريقه ، فاستخدمه ليهلكه ويهلك به أهله . فشاركه الغبى فيما يريد وملكه زمامه وعقله . فما أحقره وأعظم غباءه وجهله . لقد قدم للشيطان فلذة كبده ، وترك سيئاته تتضاعف من بعده . إذ أفسده وأفسد به غيره فنشر الفساد فى بلده . إن أكبر ظالم لأقل منه ظلما . وأعظم مجرم لأخف منه جرما . لأن القاتل يقضى على الحياة الدنيوية . أما هو فقضى على الحياة الأبدية . فلو تأمل الابن وكان له قلب يعى لاحتقر هذا الحبيب الذى أهلكه . ولعلم أنه ألد أعدائه إذ قتل قلبه وهو أهم وأعز من جسده .

ولكن الولد الحقير لايحتقر الحقير ولا يحب من هو جدير بالحب لجميل صفاته ، أوشكرا على إحسانه . بل يحب السفيه مثله الذى يدلله ويطريه . ويتعامى عن عيوبه ، ومعاصيه . ويسعى جاهداً لكل ما يشتهيه . ويتزلف إليه ويحنو عليه ويعطيه . ولا يدرى أنه أضله وكان ينبغى له أن يهديه . وأنه أهلكه وكان ينبغى له أن ينجيه . إذ لم يبال إلا بأن يرضى هواه ويرضيه . فيقابل التزلف بتزلف ، لاحبا فى إرضائه ، بل تملقا وطمعا فى جزيل عطائه .

ومن العجب أن نرى من يزعم الإيمان ويؤدى فرائض الإسلام ، لايبالى بفجور ولده وسقوطه فى حمأة الرذائل . بل يأمره بالمنكر وينهاه عن المعروف ، فإذا تصدق فى سبيل الله نهاه . واذا بخل وادخر شجعه وأطراه . وإذا طلب ما يشبع نفسه الأمارة أعطاه . يلوم ابنته إذا هى لم تصبغ شفتيها وأظافرها ولم تحاول إبراز كل مفاتنها . ويمدحها ويتغزل فى جمالها إذا هى تزينت وتبرجت . يعاملها معاملة العاشق المتيم ، لامعاملة الأب المحترم . فيداعبها ويعانقها ولا يعارض لها شهوة . ولا يردعها نزوة . ولا يوبخها على هفوة . ولا يوقظها من غفوة . بل يعتبر إصلاحها قسوة . لينال فى قلبها حظوة . يمنعها الصيام خوفا على صحتها . ويمنعها الصلاة طلبا لراحتها . ويمنعها الزكاة حرصا على ثروتها . ويمنعها الاحتشام طمعا فى خطوبتها أوحبا فى متعتها . ويجاهد بماله ونفسه فى سبيل ترفها وإناقتها . ويبخل

فى سبيل الله من أجل ثرائها و بذخها لامن أجل ضرورتها . فيالهذا الأب أو الأم من جرثومة معدية . وحشرة مؤذية . تترك بعدها حشرات من جنسها تتناسل وتتكاثر فتنشر وباء الفساد بين الناس ، لأنها تقدم للمجتمع أمهات فاسقات خليعات ، وآباء فاسقين يتركون بعدهم خلفا فاسقا . فهذا الصنف من المخلوقات يترك بعده معصية جارية وولداً فاسقا يسىء إليه لا ولداً صالحا يدعو له .

والأنكى من ذلك أن نرى هؤلاء الآباء الجاهلين وهؤلاء الأمهات الجاهلات ، يقبلون عن طيب خاطر تمرغ أبنائهم فى حمأة الفواحش والرذائل ، بل يمدونهم بالمال وييسرون لهم سبل الفساد ، ولا يخشون الله ولا يخجلون من شناعة مايفعلون . زاعمين أن كبت الرجل لشهوته مضر لصحته وفوق طاقته . ولبعد الناس عن الإيمان والتقوى ترى الفتى يجهر بلاحياء بل يباهى باقتراف أقذر فاحشة كما لو كان ذلك شيئا عاديا وأمرا ضروريا للحياة لا عيب فيه ولاحياء منه . وترى الأم أو الأب يباهى بأنه يغدق العطاء على أبنائه لينيلهم شهواتهم ولايخجل من أنه يدفع بابنه إلى التمرغ فى المزابل والقاذورات . وأنه يعطيه ثمن مايدنسه من جيف منتنة وفضلات ، ولا يستحى من أنه يرضى عن قذارة ولده ولا يستنكر الدعارة . وذلك لأنه قذر مثله فلا يعاف القذارة . فالقذر المتمرغ فى الوحل لايخشى الزلل . كما أن الغريق لا يخشى البلل . فالويل له من عقاب الله على ضلاله وإضلاله ، وعلى الاستخفاف بتربية ولده وإهماله .

فإذا ضعف الإيمان فى قلب المرء لم يرد إلا الحياة الدنيا ، وتعلق بزينتها وهى المال والولد . وبخل فى سبيل الله واجترأ على معصيته ، ونسى بنعيم التمتع بأمواله وأولاده وأحفاده . كما نسى عذاب جهنم بعذاب همومهم والسعى لمصالحهم الدنيوية ورغائبهم . وألهته نشوة هذه المتعة وسكرة هذا العذاب عن ذكر ربه وعن طاعته ، حتى أتاه اليقين فباء بغضب الله والخسران . ولذا حذر تعالى المؤمنين من إغراء حب المال والولد فقال (ياأيها الذين آمنوا

لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) كما حذر تعالى من عداوة الأولاد والأزواج التى تنشأ عن الجهل بالدين وسوء التربية فقال (إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) ولاينقذ الآباء والأزواج والأبناء من هذه العداوة ويقيهم شرها إلا التربية الصحيحة وتهذيب خلقهم ، بتعليمهم آداب القرآن وتعويدهم طاعة أوامره . فالجاهل الفاسق قد يعادى أبويه ويتمنى لهما الموت العاجل بل هناك من يسعى لقتلهما ليرث أموالهما ويحظى بحرية التصرف فى كل أموره وشؤونه . وهناك من يعادى أبويه ويتمنى لهما الموت ليتخلص من الإنفاق عليهما أو التعب فى خدمتهما . فالولد الفاسق عدو أبويه فى الغنى وفى الفقر . وما أصدق قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) .

جعل الله تعالى من أموالهم وأولادهم عذابا لهم فى الدنيا قبل عذاب الآخرة ، ونغص بهما عيشهم وأزهق نفوسهم ، فكانا نكالا ووبالا عليهم فى الدارين عقابا عادلا على فسوقهم وإهمالهم ، وعلى ما قدموه لأولادهم من قدوة سيئة .

فالطفل يقلد كل ما يسمعه ويراه . والحسن عنده ما صنع والداه . والقبيح عنده ما تركاه ، فالقدوة تفعل فى النفس مالا تستطيعه سائر وسائل التعليم والإرشاد . ومن المحال أن يجتنب الولد المعاصى وهو يعاشر من يقارفها . وأن يأتمر بأوامر دينه وهو يلازم من يخالفها . فالأبوان هما النبع الذى يرتوى منه الأولاد ، فإما السم الزؤام ، وإما الماء الزلال .

قال تعالى (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) وما مكن أحدا على وجه الأرض كما مكن الوالدين من تربية أولادهما . فالطفل قطعة لينة طيعة فى يد والديه ، يستطيعان أن يطبعا فيها كل ما يريدان ، وأن يكوناها كما يشاءان قبلما تجف وتجمد . كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) .

ثم إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على كل مسلم نحو غيره ، فكيف لا يكون أوجب نحو الولد الذى كلفه الله بتربيته فكان مسؤلا عن خُلقُه ودينه ودنياه وآخرته ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته) .

فإن مستقبل الطفل ملقى على عاتق الوالدين ، إذ هما اللذان يقبضان على أعنته . فيجب عليهما أن يصوغا هذا المستقبل ، وأن يتخيرا أهدى السبل إلى تكوينه إنسانا كاملا تقيا . وأن يحباه حب التعقل والحكمة الذى لا يخفى عن عينيهما نقائصه وهفواته . يجب أن يكون الوالدان لابنهما منهلا زاخرا ، يلتمس منهما دائما موارد الإلهام والإرشاد الصحيح . لا أن يكونا له نزلا يؤويه ويطعمه ، وخزانة ثياب تكسوه وتهندمه . ويجب أن يغرسا فى قلبه اللين جذور التقوى والإيمان ، فتصبح قوة إيمانه واستقامة نفسه ديدناً له وعقيدة راسخة . ولا يخفى أن أرسخ الفضائل قاعدة فى قلب الإنسان هى التى تصبح له خلقاً متسلطا عليه من دون أن يشعر بسلطانه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) .

إن فترة الطفولة هى وقت بناء الأساس . فإذا بنى الأساس فى قوة ومتانة حمل فوقه بناء عالياً قوى الأركان متين الجدران . أما إذا بنى البناء على أساس واه ضعيف ، تداعى وظهرت فيه العيوب والفطور .

والطفل كالأرض إذا خدمت وعنى بها و بذر فيها بذور طيبة . صلحت وأنبتت نباتا طيبا . أما اذا أهملت فإنها تجدب وتنبت فيها النباتات الخبيثة والأشواك ، وتصبح مأوى الهوام والحشرات . وهو كالغصن اللدن يجب العناية به أثناء نموه ، ويجب أن تدعمه دعائم شديدة . ولا يلبث النبت الصغير أن يصبح دوحة فتستغنى عن الدعامة .

فإنّ الله تعالى لم يخلق الطفل آلة صماء عاجزة لا تقبل إصلاحا ولا تهذيبا ، بل خلقه معرضا لكل تغيير وتحويل ورقى . فنى استطاعة الأبوين أن يجعلاه ملكا أو عبدا . ملكا ظافرا يسحق قصوره وعيوبه ويتغلب على أهوائه ويقهر سلطان نفسه . أو عبداً

ذليلا يتخاذل أمام الصعوبات ويخضع صاغرا لاستبداد الشهوات . ولذلك قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) .

فإن المؤمن الذى يقى نفسه وأهله عذاب النار بأن ينشىء ولده على الايمان والتقوى ، يسعد به فى الدنيا والآخرة ، ويكتسب من حسناته ودعواته حسن الجزاء كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية وعلم يُنْتَفَعُ به وولد صالح يدعو له) . وذلك لأن صلاح الولد من عمله وسعيه بعون الله ، كالصدقة الجارية والعلم . فمن ترك بعده ولداً صالحا يصلح غيره وينجب أولاداً صالحين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون إلى الله ، نفع الناس ، كمن ترك صدقة جارية أو علما ينتفع به . فمن أحسن تربية ولده فلنفسه ، ومن أساء تربيته فعلى نفسه . وقد أمر تعالى الولد الصالح بطاعة والديه ، وبأن يدعو لهما بالرحمة شكرا على إحسانهما تربيته ، فقال (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربِّ ارحمهما كما ربَّيانى صغيرا) .

ألا فليجتنب العاقل الغفلة عن واجبه نحو ولده وأهله ، وليحذر أن يظلم نفسه بأن يظلم من يحب بتغاضيه عن ذنبه فيشاركه الإثم ويقاسمه العذاب . وليجاهد ما استطاع ويحاول أن ينقذ ويسعد من يحب بنهيه عن المنكر وحضه على الخير فيشاركه الأجر ويقاسمه النعيم . كما وعد تعالى المؤمنين فى قوله (والذين آمنوا واتَّبَعَتْهُم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين) .

وقد ابتلى الله تعالى المؤمن بالولد وجعله من أسباب جهاده فى سبيله وصبره ابتغاء وجهه . فالولد أشد فتنة وأعم ابتلاء للوالدين ، لأنه أعز ما لديهما وأكثر من جاهدا من أجله ليسعدا به فى الدنيا والآخرة . ولذا كان سبب آلامهما وصبرهما لفقره أو لمرضه أو لشقائه فى الحياة الدنيا . أو لعقوقه وتقصيره نحوهما .

فكم من ولد قدم مصلحته الشخصية على واجباته البنوية ، وغلب فى قلبه شعور الحب للمال والولد والزوج شعور الشكر للأم والأب . وألهاه وأنساه هواه ما فعلاه من أجله وما احتملاه . فأهمل فى ضعف الشيخوخة من لم يهمله فى ضعف الطفولة . ولم يخدم

من خدمه ولم يعطف إلا قليلا على من غمره بعطفه . وضن عليهما بالفضل القليل من وقته وقضاه فى لهوه . فهو يؤخر الواجب نحو من طوق عنقه بفضله وحدبه . ليقدم الواجب نحو من طوق قلبه بحبه . فما أصدق قوله تعالى (زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة) بل كم من ولد نسى وصية ربه . فأغضب والديه ساعة غضبه . وعبس و بسر وانتهر ، فعصى قوله تعالى (ولا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) . فهو لا يجد الوقت ليقول لهم قولا كريما . ولـكنه يجده ليرضى هواه فى لهو أو عمل وكسب ، زاعما أنه يرضى ربه بخدمة الإنسانية ، كأن الأبوين ليسا من بنى الإنسان وكأنهما ليسا أحوج إليه من الإنسانية وأحق وأولى من كل إنسان (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) .

فما أقسى الشبيبة على الشيخوخة وما أقبح مقابلة التضحية بالأنانية والتفانى بالتوانى . وما أبشع القسوة حيث يجب الرحمة (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً) وماأمر أن يزرع المرء ويتعب طوال حياته ليجنى من لا يقدِّر نتيجة كل جهوده . وأن يقتصد ويقتر على نفسه طوال شبابه ، لينعم من لا يشـكر ، بكل نقوده . وأن يرى بعد كل ذلك أنه شىء غير مرغوب فيه ولا قيمة لوجوده . وما آلم للقلب أن يرى من لم يقدم عليه شيئاً فى الوجود يقدم كل شىء عليه . وأن ينصرف عنه إلى غيره من كان طوع أمره وملك يديه . وألا يستطيع أن يهمل من أهمله ، وأن يقتص ممن أساء إليه . بل لا يستطيع أن يمنع خيره عمن منع عنه اهتمامه وقسا عليه . فيقابل بالإحسان من قابل إحسانه بالإساءة ، ويقابل بالاهتمام من قابل اهتمامه بالاستخفاف ، بل و يمنحه كل ما لديه . فهل فوق ذلك صبر وكظم غيظ يستحق حسن الجزاء ، وأن يكون المرء من المحسنين الذين وصفهم تعالى بقوله (والـكاظمين الغيظ والعافين عن النـاس والله يحب المحسنين) ؟ .

إن الإنسان لا يغضب لهفوة كبيرة ممن لا يهتم به كما يغضب لهفوة صغيرة ممن يحب ويعز . فعلى قدر الحب والمعزة يكون الشعور بالهفوة . وليس للضربة عن بُعْد قوة الضربة

عن كثب . إذ كلما كان الضارب قريباً ، كلما كانت الصدمة أشد وأقوى . وكلما كان بعيداً عنه كانت أخف وأوهى . وكذلك كلما كان الإحسان عظيما كلما كان الكفر به أمرّ وأدهى . فما أحكم قوله (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) بعد قوله (إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) فإنه تعالى يعزى الوالدين ويشجعهما على الصبر والمغفرة بوعده ، بالمغفرة لهما جزاء الصبر العظيم على هذا الشعور الأليم . وهو ينبه المؤمن من غمرة هذا الحب الفريزى بصدمة العقوق والكنود ، ليثوب إلى رشده وينيب إلى ربه ، ويعرف أن الإنسان ظلوم كفار لا يستحق منه كل هذا الاهتمام والحب . وأن المال والولد ماهما إلا سبيل ووسيلة للسعى إلى الله والجهاد فى مرضاته . وأن الله شاكر عليم بجهاده لا يضيع أجر المحسنين كما يضيع العبد الإحسان ويكفر به . فيكرس له كل قلبه ولا يبالى إلا برضاه ويحصر كل أمله وكل همه فى الحياة . فهو حسبه وحبه يغنيه عن كل حب سواه . (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حباً لله) .

وقد أخبر تعالى بأن الأموال والأولاد فتنة يختبر بها عباده ، وشدد التحذير من إغراء هذه الفتنة الذى يسوق المرء إلى كل شر ، من عقوق وفسوق وبخل وترف فقال : (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم . فاتقوا الله مااستطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

ينصحك الله تعالى أيها العاقل بأن تراعى مصلحتك وتبتعد عن ضررك . بألا تقصر فى نفعك وخيرك . من أجل مصلحة ونفع غيرك . فتركك الميراث الكبير لن يعلى من قدرك . ولن يرضى عنك ربك ويزيد فى أجرك . ولن ينفعك ولن ينجيك من عذاب الله الأليم (يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم) فانتصح بنصيحة الحكيم العليم . وبادر إلى حجز مكانك فى جنة النعيم . وانتفع بمالك قبل ماتتركه رغم أنفك . ولا تبحث عن حتفك بظلفك . وأنفق فى الحقوق ولا تكن خازناً لِخَلَفِك . فإنك لن تأخذ منه قبضة فى كفك .

قال الشاعر :

وفى قبض كف الطفل عند ولادة   دليل على الحرص المركب فى الحىّ
وفى بسطها عند الممات إشـــارة   ألا فاشهدوا أنى خرجت بلا شىء

فاحذروا أيها الناس إغراء حب المال والولد ، ولا تحوّلوا النعمة إلى محنة . ولا تحسبوا أن أموالكم وأولادكم جُنة . واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة . إذ يدفعان إلى اقتراف السيئة أو الحسنة . فيسوقان المرء إلى الجحيم أو الجنة . ولا تنسوا قوله تعالى :

(المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) .

صدق الله العظيم .

حرم الدكتور محمد رضا
رحمه الله

« قاموس » الأضرحة والمقابر

والأجداث والصور والتماثيل المقدسة وغيرها من آثار القديسين والأولياء

فهرس وتعليق ونقد

— ٣ —

تأليف — ج . ا . س كولان دى بلانسى
By. J. A. S. Collin de Plancy
الناشر — مكتبة جوبان وشركاه .

طبع فى باريس سنة ١٨٢١

ترجمة وتعليق : الدكتور أمين رضا

الباب الثالث

المقدسات عند اليهود والمسيحيين الأوائل

لقد ضل جمهور الناس فى اتباع الآلهة والقديسين ، فبدلا من أن يتخذوا أولياءهم أسوةً حسنة لهم ، لم يجدوا فيهم شيئاً يعتزون به إلا عظامهم وصورهم ، مما يوهم أن العظام والحجارة قد كمنت فيها القوة والجبروت ، أو كما قال كالفان Calvin فى رسالته عن الآثار المقدسة Traitè Des Reliques « كما لو كانت روح الله قد كمنت فيها » .

لقدقال القديس[1] جريجوار Saint-Grègoire إن التصاوير لها فائدة كبيرة للعباد . لأنها ترتسم فى مخيلتهم وتؤثر على عقولهم تأثيرا عميقا يثبت فيها الخشوع والإيمان ، ولكننا نقول إنها تؤدى إلى النقيض مما يرجى منها ، فإن لها خطورة شديدة على الجمهور الذى يتحول بعد قليل إلى عبادة القديس — الذى يرى صورته — عن عبادة الإله القوى العزيز الذى لا يراه رأى العين .

ومن جهة أخرى فإن الأمر الإلهي واضح لاغموض فيه ؛ فقد قال الله تعالى فى التوراة (سفر التيه ٢٠ الفصل — لا تصنع أبدا التصاوير لتعبدها أو لتعكف عليها[2]) وإن الله كما قال فى كتابه المنزل (التوراة) لا يريد أن يشترك معه أحد فى مجده وعظمته . (سفر يشوع الفصل ٤٦) وهو يغار على سلطانه وجبروته كل الغيرة .

(التيه جزء ٣٤) ويغضب إن أشرك فى عبادته إله آخر (Deutéronome جزء ٤) ، ولذلك فقد أخفى جثمان موسى بعد موته ؛ حتى لايضل بنوا إسرائيل ، فيعبدوا نبيهم بعد موته (Deutéronome جزء ٣٤) .

هذه الآيات من التوراة واضحة كل الوضوح ، وكان يعرفها كل اليهود والنصارى تمام المعرفة ، ومع ذلك فقد اتخذ اليهود بعض الآثار المقدسة ؛ إذ أنهم كانوا يعبدون عظام يوسف ، مع أن يوسف نفسه كان قد أوصى بأن يحمل رماد جسده بعد حرقه إلى أرض الميعاد كما ذكر ذلك فى التوراة (سفر التكوين جزء ٥٠ وسفر يشوع جزء ٢٤) . وبعد ذلك كان اليهود يحجون إلى قبور أنبيائهم ، وكانوا يصلون لديها

لقد كان اليهود يعرفون بعبادة التطوير قبل ذلك بكثير ؛ فقد عبدوا قبل ذلك العجل

---

(١) لم نشأ أن نغير من لفظ المؤلف شيئا ، ليظل الكتاب كما ألفه صاحبه ، ونحن طبعا لانعترف بقداسة جريجوار .

(٢) جاء فى الإصحاح العشرين من سفر الخروج : « لاتصنع لك تمثالا منحوتا ولاصورة ما مما فى السماء من فوق » :

الذهبي ، وأصنام لبان Laban وكانوا يحملون معهم تماثيل مولوخ Moloch الصغيرة على أنها آلهة حافظة من الشر ، وقد عبدوا كذلك فى الصحراء ثعبانا من النحاس ، وسجدوا أمام تصاوير الملائكة التى كانت تحمل صندوق اللوح المقدس ، وكانوا يؤمنون بالتعاويذ وكانت لهم نزعة شديدة إلى عبادة الأوثان .

وكان قبرا داود وسليمان عندهم يتمتعان بنفس الدور من الاحترام والتقديس الذى كان يخصون به مقصورة اللوح المقدس التى كانت تحتوى حسب زعمهم على لوح الوصايا العشر .

وإلى جانب ذلك كانت لهم مقدسات أخرى . فقد كان فقد كان معطف إيليا Elie الذى كان تلميذه إليشيا Elisèe يحتفظ به بكل احترام وتبجيل[1] — كان هذا المعطف يصنع المعجزات التى لا نهاية لها ، كما هو مذكور فى سفر الملوك (الكتاب الرابع ، الفصل الثانى) ومن العجيب حقا أن هذا المعطف نفسه لم يفقد ، حيث أن بعض الرهبان الكرميليين Carmelites يعرضونه فى إحدى كنائسهم فى ألمانيا .

وكانت رفات إليشيا Elisèe تحظى من اليهود بحظ وافر من العبادة والتقديس ، يشبه ما يعامل به المسيحيون قديسيهم ، والكتاب المقدس نفسه يقول : إن هذا الجسد كان ينبيء بالغيب وأنه كان يصنع المعجزات (سفر الكنيسيات Ecclésiastiques جزء ٤٨ . الآيات ١٤ ، ١٥) فمثلا كانوا فى يوم يدفنون أحد موتاهم ، فلمس خطأ عظام إليشيا Elisèe فما كان منه إلا أن بعث حيا (سفر الملوك . الكتاب الرابع الجزء ٢١) . ولم يأت أعظم قديسى المسيحيين بأكثر من ذلك .

وكان اليهود يبجلون بعض الأشجار : منها شجرة البلوط التى أقام إبراهيم تحتها وليمة للملائكة الثلاثة ، وكانوا يبجلون الأرض التى سار عليها الأنبياء وهم بذلك لا فرق

---

(١) كما ينسب بعض الجهلة إلى بعض الأردية الحريرية المحفوظة فى ضريح الحسين أنها كانت من أردية الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتلمسون منها البركة والخيرات «الهدى النبوى» .

بينهم و بين المسيحيين ، الذين يقدسون تراب قبور القديسين ، ولما شفى نعمان Naaman من الجذام بمعجزة من إليشيا استأذنه فى أن يحمل معه حمولة بغلين من تراب الكهف الذى كان يعيش فيه إليشيا (سفر الملوك الكتاب الرابع الجزء ٥) . وكان يقصد بذلك أن يبنى بهذا التراب مذبحا ، ولذلك استحق أن يسمى « رجلا جديرا بالإعجاب والتقدير »

قالها تيودورى Théodoret وذكرها راهب كورديموى L'abbè de Cordemoy فى كتابه عن الآثار المقدسة Traitè Des Saintes reliques فى الفصل الثانى .

ولا نشك فى أن اليهود كانوا يبجلون الآثار المقدسة عموما ، فإن يسوع « عيسى » نفسه قد لامهم على ذلك فى الفصل ٢٣ من إنجيل متى فقال . « الويل لكم أيها الخبثاء إنكم تشيدون الأضرحة لأنبيائكم ، وتزينون قبور الأولياء وتتشبهون بالذين عذبوهم واضطهدوهم »

ولنلق الآن نظرة على الإنجيل ؛ فسنقرأ فيه (إنجيل لوقا الجزء ٨) أن امرأة أصيبت، بنزيف ، فلم تجد ما يشفيها إلا أن تلمس ثوب يسوع : ولما أراد سكان بلدة جنيزاريت Génèsareth شفاء مرضاهم ، أرسلوهم إلى ربهم الذى نزل إلى أرضهم ولم يطلبوا منه أن يشفيهم ، بل رجوه أن يتركهم ؛ ليلمسوا طرف ثوبه (إنجيل مرقص الباب السادس). وكانوا بذلك يعتقدون أن ثوبه هو مكمن سر معجزاته ، ولم يكونوا يعتقدون أن يسوع الاله كان يمكنه أن يسعفهم بكلمة واحدة منه . وقد ذكر هذه الملاحظة كالفان فى كتابه عن اختلاف كتاب الأناجيل .

Calvin. Commentaires sur
l' harmonie Des èvangèlistes.

بعد ذلك نرى أن ظل القديس بطرس كان كافياً لشفاء المرضى (أعمال الحواريين الفصل ٥) . وكان بولس يصنع المعجزات بسهولة كبيرة[١] ، وكانت الثياب أو المناديل التى تلمسه تظل إلى الأبد محتفظة بقوة خارقة تشفى من كل مرض ، عند ملامستها للمريض

---

(١) لاحظ أن المؤلف يقص عقيدة من يدينون بهذه الأباطيل ، ولا نسب بين ما يقص وبين الحقيقة .

المؤمن (الفصل ١٩) . هذه القوة الشافية تشبه ما كان لحذاء القديس فرنسوا Saint-François ومشط القديسة مرغريت من القدرة على شفاء أى نوع من الأمراض (ذكر هذه الملاحظات كالفان فى رسالته عن أعمال الحواريين) .

Calvin : Commentaires Sur les Actes des Apôtres

ولما مات الحواريون زاد انتشار عبادة آثارهم ومخلفاتهم ، فأصبحنا نسمع ونقرأ أن عظام الحواريين اكتسبت قوة خارقة لصنع المعجزات ، ثم زاد استعمال الناس لمخلفات الموتى عندما انتشر التعذيب والتقتيل فى المسيحيين ، وحينما بدأ المسيحيون يستشهدون ، لقد راح الأحياء من مؤمنى المسيحيين يتهافتون على عظامهم وثيابهم ، والرمل المبلل بدمائهم ، والفحم الذى حرقوا عليه ، وكان الناس يعتقدون أن أكثر الأعمال دليلا على التقوى والإخلاص هى أن ينفقوا أموالهم ، ليستخلصوا رفات شهيد من شهدائهم. وكان أرقى أنواع الجهاد هى اقتحام المخاطر لسرقة جثة أحد الشهداء من حراسها ، وكان المسيحيون يعظمون بقايا شهدائهم تعظيما كبيراً حتى إن الناس كانوا يتهمونهم عادة بعبادتها ، وكانوا يحملون معهم فى كل مكان قطعاً صغيرة من عظام القديسين بحجة أنها كانت تعاويذ قوية ، وتمائم فعالة ، وكانوا يغبطون من يحتفظ فى بيته بشىء كان فى يوم ما ملكا لأحد القديسين[1] . وكانوا فى القرون الأولى لا يبنون كنيسة إلا فى مكان دفن فيه جسد أحد المسيحيين الذى دخل الجنة بعد موته . حسب زعمهم ، وكان القديس « أمبروز » يرفض أن يقيم أية كنيسة فى مكان لا يوجد فيه أثر محترم ، من الآثار المقدسة ، وفى عام ٦٩٢ م اجتمع مجمع عالمى لكهان الكنيسة فى قسطنطينية وقرر هدم كل مذبح فى كنيسة لم يكن مقاماً على شىء يستحق التقديس .

---

(١) كما يفعل العوام ببقايا عمائم الأضرحة . ولاسيما عمامة الوثن الأكبر فى طنطا ولقد حدثت فى مصر أزمة كبيرة بين والد الطاغية فاروق وبين أحد كبار الشيوخ من أجل قطعة من عمامة صنم البدوى « الهدى ... ى » .

ويعتبرا كتشاف الامبراطورة هيلانة لصليب يسوع الإله[1] من أهم الأحداث فى تاريخ عبادة الظاهرية فى المسيحية ، وقد قال القديس سيريل Saint-cyrille الذى كان يقطن بيت المقدس أن الدنيا بأثرها امتلأت فى سنين قليلة بقطع « أصلية » من هذا الصليب. ومن العجيب حقا أن الصليب الأصلى لم ينقص منه شىء . ومن العجيب أيضاً ماقاله ميسون misson فى كتابه « رحلة فى ألمانيا Voyage d' Allemagne » لقد رأيت على أحد مذابح كنيسة القديس بولس فى مدينة ورمز صورة زيتية للعذراء تتلقى يسوع الإله وهو ينزل من على الصليب ، وفى الصورة نفسها حمل بعض الملائكة إلى السماء الصليب والآلات التى استعملها اليهود فى عملية الصلب[2] ، ولايمكن تفسير هذه الصورة إلا بالسهو من الرسام وهو يرسمها ، أو بأن الملائكة أرجعت بعد ذلك كل ما أخذته ، ووزعت على الكنائس المختلفة » .

ولقد كثر ماقيل عن كرامات هذا الصليب حتى إن قسطنطين وضع قطعة عند قدمى تمثاله الذى كان قد أقيم له فى أهم ميادين قسطنطينية ، وهو يقصد بذلك أن تحمى هذه الباروكة المدينة من كل الأعداء .

ومهما يكن من شىء فقد كان كل واحد مقتنعاً بأن هذا الصليب الأصلى ، وكذلك آلات تعذيب المسيح كانت تقوم بالمعجزات ، كما كان تراب قبر يسوع الإله له قوة طرد الشياطين .

وكان الزيت المستعمل فى إيقاد المسارج أمام جثث الشهداء يتصف بمقدرة فائقة على

---

(٢) نقرأ هنا ونتدبر قول ربنا (لقد كفر الذين قالو : إن الله هو المسيح ابن مريم ٥ : ١٥٧) .

(٢) نقرأ ونؤمن بقول الله سبحانه : (وماقتلوه ، وماصلبوه ، ولكن شبه لهم ٤ : ١٥٧) .

شفاء المرضى[١] ، وكانوا يعتقدون أن المريض الذى لا يشفى به لا بد وأن يكون كافراً . هذه القوة نفسها كانت تتصف بها الزهور التى كانت تزين مقاصير الشهداء وكل متعلقات القديسين فى حياتهم . بل إن كل شىء يمس عظامهم بعد موتهم كان يكتسب هذه القوة الشافية .

وكان المسيحيون بادىء ذى بدء يقومون بعبادة التصاوير سراً خشية ألا يقدر الناس على التفريق بينهم وبين الوثنيين ؛ ولذلك لم نسمع أن المسيحيين فى القرون الأولى قد اتخذوا تصاوير يعبدونها أو على الأقل فإنهم قد اجتنبوا فعل ذلك فى بلاد المشركين . حتى لا يختلط أمرهم على الناس إلا أن بعض رواة الأقاصيص يقول إن « نوتردام دى ايديس » Notre-Dame d' Edesse بالعراق (ويقولون إنها من صنع ربهم) عبدها المسيحيون من القرن الثانى الميلادى .

ويقولون أيضاً : إنهم كانوا فى هذه الآونة يعبدون صوراً مختلفة للسيدة العذراء رسمها لها القديس لوقا .

إن عبادة الأوثان فى المسيحية لم تبدأ إلا من عهد الأمبراطور قسطنطين عند ما ادعى أنه حامى المسيحية ، فبدأ بأن دعى الناس إلى عبادة تمثاله — وكانت هذه عادة الأباطرة — ثم سمح لهم أن يعبدوا التماثيل الأخرى . وهكذا حلت تصاوير الأولياء المسيحيين محل أصنام المشركين من غير أن يشعر بذلك أحد .

ولم يكن لهذا المذهب الجديد أن يحظى بموافقة تامة عامة ، فقد عارضه الأحبار المستنيرون الذين كانوا يرون فيه مذهباً لا يتفق مع ديانتهم وبساطتها ، فهذا سيرينوس Serenus راعى كنيسة مرسيليا بفرنسا كسر تصاوير كنيسته ، واستبعدها عند ما وجد

---

(١) كذلك كان يعتقد العوام فى زيت القناديل المعلقة فى ضريح السيدة زينب ومئذنتها ، وقد صور هذه الأسطورة الأستاذ يحيي حقى فى قصته « قنديل أم هاشم » « الهدى النبوى »

أن شعب كنيسته كان لا يعبد إلا إياها ، وأنها كانت تحول الناس تحويلا كلياً عن الخشوع لله . كذلك قام القدبس ابيفان Epiphane بتحطيم التصاوير فى سوريا عام ٣٩٣ م . وقد قام بمثل هذا العمل غيرهما من أشراف الأمة المسيحية . وإننا لنقرأ فى مخطوط قديم نشره جان تيليه Jean du Tilles أن شرلمان كان قد أعد العدة لتحريم عبادة التصاوير فى جميع أنحاء أمبراطوريته . وسنفصل تاريخ محطمى الصور والأضرحة فى الباب التالى .

ومن الوقت الذى أحس فيه الرهبان بالفائدة العائدة عليهم من عبادة معلقات القديسين بدأت صناعة تزييف الآثار تظهر[1] . فها نحن نرى أنه كان للسيدة العذراء جسدان كاملان ابتداء من القرن الخامس الميلادى . أحدهما فى مدينة ايفيز Ephèse والآخر فى مدينة القدس . وتلا ذلك استيلاء المسيحيين على مقدسات وأولياء اليهود . وكان لكل من هؤلاء الأولياء جسدان أو ثلاثة أو أربعة من أول الأمر . وازداد عددها بعد استيلاء المسيحيين عليها .

ثم ظهر عنصر جديد فى هذه العبادة الممقوتة ، فقد بدأ الناس يعبدون أناساً مشهورين بالفسق ، وكان الأحبار يقدمون إلى الناس أى نوع من العظام مدعين أنها مقدسة لعلمهم بأن الناس كانوا مستعدين للبذل بدراهمهم لأية بركة يكتسبونها من لثم الجثث أياً كانت. وبعد ذلك رأينا المجمع الكنسى بايكس لا شابيل « Aix-la-Chapelle » . يلوم بعض الأحبار فى سنة ٨١٦ لأنهم كانوا يقومون باصطناع المعجزات للحصول على الأموال من الناس .

ويقول جريجوار دى تور Grégoire de Tours أن راجيمودوس Raguemodus راعى

---

(١) هذا يؤكد لك أن كيد الشيطان لدين الله كيد واحد فى كل أمة . فكما زيفت الآثار فى المسيحية زيفت بيننا فظهرت أحجار يزعم جارموها أنها موضع قدم الرسول صلى الله عليه وسلم وغير ذلك « الهدى » .

كنيسة باريس أمر بحبس القسيس ديدييه Didier لأنه كان يطوف القرى حاملا أسنان القنافذ وعظام الفئران ومخالب الدببة ودهونها مدعياً أنها بقايا جثمان القديس فنسان وجثمان القديس فيليكى . وكان يدعو الناس إلى لثمها والتبرك بها (Histor. lib, 9 cap. 6)

أما القديس مارتين Saint-martin فقد اكتشف يوماً أن رعيته يعبدون عظام قاطع طريق من الخطرين بعد موته[1] ، وكانوا يدعون أنها عظام أحد الشهداء ، فما كان منه إلا أن أمر بها فألقيت فى « مقلب عمومى » (Sulpice Sevère : Vie de Saint martin, ch .8.).

وفى عهد شارل الأصلع Charles-le-Chauve نزح بعض القساوسة الجوالين من روما إلى مدينة ديجون Dijon بفرنسا ، وكانوا يحملون جثة كانوا يدعون أنها لقديس من قديسيهم ، ولكنهم كانوا لا يعرفون اسمه . وكانت هذه الجثة تقوم بأعمال خارقة للعادة . إذ أنها كانت تتقلص وتتشنج ، كما يحدث ذلك الآن فى مدافن القديس ميدار . (Saint-medard عند ذلك أمر راعى كنيسة مدينة ليون Lyon أن تدفن هذه الجثة فى مكان سرى بدعوى أنها جثة جهنمية (Epist. Amulon. ad.The obold. ling.).

ونذكر حادثة تشبه حادثة القديس ميدار هذا . فقد شرب أحد السفهاء الخمر يوماً حتى ثمل وسقط فى بئر عميق ومات فيها غريقاً . وقد التف الناس حول هذه البئر وظلوا يعبدون القديس السفيه وسموه القديس بيزون Saint-pison واشتهر بينهم باسم القديس التائب ، ولما عرف الحبر « جيبير Guibert » بهذا الأمر منع الناس من غشيان البئر .

وقد انتشرت هذه الأنواع من الدجل حتى اضطر المسئولون فى بعض الأحيان إلى استعمال طرق عجيبة للتفريق بين الآثار الحقيقية والمزيفة ، وقد مرت حقبة من الزمن كان

---

(١) مثله الشيخ أبو الحديد فى القاهرة ، فقد كان سفا كا [illegible] « الهدى » .

الاختبار بالماء والنار فيها هو الطريقة المتبعة لإثبات الجريمة على المتهم أو نفيها عنه . ومثل ذلك ما صنعته القديسة كونجند Sainte-Cunégonde عندما حملت فى يدها قضيباً من الحديد المصهور لنفى تهمة الزنا عن نفسها ، وقد خيل إلى النـاس أنه يمكنهم بطرق مماثلة أن يتعرفوا على الآثار المقدسة ، الحقيقى منها والزائف ، وأول من فعل ذلك هم القساوسة القدماء الذين كانوا يقذفون من فوق النيران المؤججة ؛ ليثبتوا أن ما يحتفلون به هو الصورة الأصلية لتمثال ديانا التوريدية ، الذى كانوا يدعون أنه نزل من السماء .

وقد كان الأريون[1] والأورثوذكس وغيرهم من المذاهب المسيحية التى لعنتها الـكنيسة الـكاثوليكية ، كان اتباع هذه المذاهب يعبدون قديسين أصليين وقديسين زائفين ، ومن القرون الأولى كان الرهبان الـكاثوليك يعلقون أهمية كبرى على التفرقة بين هؤلاء القديسين الأريين وأشـباههم . و بين القديسين الـكاثوليك ، ولـكن رهبان القرون المتأخرة لم يهتموا بالتفرقة كثيراً ، حيث أن الاختبار بالنار كان كثيراً ما ينتهى إلى غير ما كانوا يشتهون ، وقد حدث فى عام ١٢٩٣ م . أن اختبروا مفعول النار فى مقصورة القديسة جنفيف ـ وكانت مقصورة أصلية لا نزاع فى ذلك ـ فأكلتها النيران .

وفى سنة ٥٩٢م اجتمع المجمع الـكنسى العالمى فى سراجوزا بأسبانيا ، وقرر ألا يؤدى المسيحيون واجب الولاء والعبادة إلا للآثار المقدسة التى تمر سـالمة من اختبار الحريق. وقد حدث فى سنة ١٠٩٨ م . أن القسيس بيير برتلمى Pierre Barthèlemy رأى فى الرؤيا المـكان الذى كان الرمح المقدس مخبأ فيه ، هذا الرمح الذى طُعِن به يسوع الإله عندما كان مصلوبا[2] ، ولما بحث هذا القسيس عن هذا الرمح فى مدينة انطاكية بتركيا وجده ، ولـكن كان لامفر له من أن يحمل الرمح ويمر به وسط النيران وليس عليه إلا قميص

---

(١) الأريون ـ هم أتباع أريوس (٢٥٦ ـ ٣٣٦ م .) ـ الاسكندرية ، وهو صاحب مذهب فى العقيدة المسيحية لعنه البابا بسبب إنكاره ألوهية المسيح .

(٢) معاذ الله أن يكذب مسلم القرآن ، فقد أكد لنا أن عيسى عليه السلام لم يصلب .

خفيف ، وقد مر بسلام على حد قولهم ، ولكنه توفى متأثراً بحروقه بعد ذلك باثنى عشر يوما . والغريب فى الأمر أنهم كانوا يدعون أن الرمح المقدس الأصلى كان موجوداً فعلا قبل ذلك فى مدينة قسطنطينية .

لقد كانوا فى هذه الأزمنة الهمجية يثبتون كل شيء أنه حق أو باطل بالتعرض للنار أو بالقيام بمبارزات من نوع شاذ ومثل ذلك البدعة التى أراد الملك الفونس السادس ملك كاستيل وليون Lèon, Castille بأن أمر باستعمال مجموعة الصلوات الرومانية بدلا من المجموعة الجوثيكية . وقد أثار هذا قتالا بين الناس دام ماشاء الله أن يدوم . ولما أراد الناس أن يوقفوا هذا القتال لم يجدوا طريقا للحق إلا ماسموه حكم الله زوراً وعدوانا . فانتدبوا منهم اثنين من مهرة الفرسان كل دافع عن مبدأ . فانهزم فارس المجموعة الرومانية واعتقد الجمهور إذ ذاك أن المجموعة الجوثيكية هى الجديرة بالاتباع حقاً ، ولكن هذا لم يمنع الملك من التمادى فى القضاء عليها .

ولقد كانت هذه المبارزات الخيالية قاعدة اتخذها الناس سنة فى حياتهم ، حتى إن أحد الشعراء الإنجليز الذين عاشوا فى القرن الرابع عشر الميلادى قد ذكر فى إحدى قصائده عن تعذيب المسيح وصلبه حكاية عجيبة عن بلاتوس Pilatus — الملك اليهودى الذى حكم على المسيح بالصلب — قد دعاه إلى مبارزة فردية

أما عن الحلف بالأشياء المقدسة فحدث ما شئت ، ويكفى أن أقول : إن الناس كانوا يهابون هذا الحلف أكثر من هيبتهم من الحلف بالله جل جلاله .

وسننتقل الآن إلى الكلام عن النزاع الذى نشب فى الشرق بسبب التصاوير .

(يتبع) ترجمة وتعليق

الدكتور أمين رضا

تعقيب : كان فى عزمى أن أقدم لترجمة الكتاب ، وأعرّف بالمترجم الشاب النابه الدكتور النابغ « أمين رضا » غير أنى تركت لعمله الكريم أ[illegible] يقدمه [illegible] القراء ، ولعل

الذين قرأوا ما ترجمه الدكتور أمين يتبينون تماما مدى تمكن الدكتور من الترجمة الدقيقة ، والبيان القوى الرصين المعبر ، والأسلوب المشرق الذى تضيء معانيه ، ولعلهم أيضا فهموا القصد النبيل الذى حدا بالدكتور إلى ترجمة هذا الكتاب . لقد أراد أن يبين أن الشرك يتخذ صورة واحدة فى كل أمة ، لقد عبد اليهود أولياءهم وقبورهم ، وكذلك فعل النصارى ، وكذلك فعل الذين ينتسبون إلى الأمة الإسلامية ، والإسلام براء منهم . فكيد الشيطان هنا وهناك واحد ، تدبر قول الله (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) وقوله جل شأنه (أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون) ولقد حرص الدكتور فى أمانة بالغة على أن يقدم الكتاب كما كتبه صاحبه حتى يعطينا صورة صادقة لفكره ، ونعلم عن بينة رأى هؤلاء ، فجزى الله الدكتور العزيز عن عمله أحسن الجزاء .

عبد الرحمن الوكيل

حديث مع أحمق

لا أعجب من شيء عجبي لرجل يلقانى عابساً غاضباً لغير ماذنب ولا جريرة ، ثم يوسعنى لوماً وعتباً ، ثم يبدأ بالنقاش الحاد فى موضوع سبق له فناقشنى فيه ، وفرغنا منه بعد أن ألزمته الحجة وأقنعته إقناعاً تاما حتى اعترف هو بصحة ماقلت ، وندم على ما فرط منه فى جنب الله عز وجل ، وقال هو: لقد قلت ياصاحبي صواباً وكنت أنا على خطأ مبين ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؛

لقينى صدفة فى مكان يقرب من مسجد أنتظر صلاة المغرب فابتدرنى أول ما وقع نظره على قائلا بصوت غليظ أجش : الفاتحة أولا لأهل التصريف ! !

— قلت ومن هم أهل التصريف ياهذا ؟ !

— قال الأحمق ، أسيادنا يا أستاذ .

— قلت ومن هم « أسيادكم » .

— قال الأولياء ، ألا تؤمن بهم ولا تزال فى ضلالك القديم .

— قلت ويحك ، أنا أومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهذا هو الإيمان الحق الذى أنزله الله على عباده ـ وصدق رسول الله الكريم فقد باعدنا عن الشرك كله ، وحذرنا من محدثات الأمور ، فهل أنا على ضلال ؟

— قال ، يعنى ليس للأولياء شيء ، وقد قال الله فيهم « ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون » .

قلت هذا حق وصدق ، ولكنهم ميتون ، وإذا مات ابن آدم انقطع عمله كما أخبرنا بذلك الرسول الصادق الأمين ؛

— قال ـ يعنى انت لا تعترف بكراماتهم ولا بمعجزاتهم وقد أجمع شيوخنا كلهم على حقيقة هذه الكرامات الباتعة الظاهرة كالشمس الساطعة ، وأنت ياصاح تكاد تتنكر حتى لما ورد بشأنهم فى القرآن ؛

قلت معاذ الله أن أنحرف هذا الإنحراف فأتنكر ـ أو أكاد ـ لما جاء به القرآن ، ولكنك ياصاح تضع الشيء فى غير موضعه وتفسره تبعاً لهواك أنت ، وهذا التفسير من لدنك هو الذى أنكره فى إصرار بالغ ولا أومن به أبداً ، ولو أنك تبعت كتاب الله وسنة رسوله لما دخل فى صدرك زيغ ولا حرج ولاعلقت بذهنك بدعة ، فهل أنت مجيب؟

— قال الأحمق إذن لا حديث لى معك بعد هذا الإصرار ومادام أسيادنا الأولياء وشيوخنا الأجلاء ليس لهم نصيب ولا كيل لهم عندك ولا وزن ، سواء أكانوا أحياء أو أمواتاً وحسبى أن أقول لك أنت ممن يخشى عليهم ! ! ونصيحتى لك أن تبادر بالتوبة قبل فوات الأوان ؛

— قلت لا تخش شيئا فإنى لاأعبد سواه ، ولم أتعد حدود الله وهو جل شأنه القائل (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال (تلك حدود الله فلا تقربوها)

— قال ، كفى ، كفى ، ألك حديث غير حديثك هذا ؟

— قلت نعم ، لى قصيدة نظمتها فى أحمق ، فهل إلى سماعها من سبيل ؟

— قال ، قل واتركنا مما أنت فيه من ضلال ! !

— قلت إسمع ، وأخذت أتلو الأبيات وما كدت أفرغ من تلاوتها حتى رأيت صاحبنا قد أطلق لساقيه العنان ، وأخذ يسبق الريح بغير إبطاء ، وكان قدحان وقت صلاة المغرب ، وسمعت المؤذن يقول الله أكبر ، الله أكبر وظل يردد بعد الآذان الشرعى ما عنده من تسليمات حتى وصل إلى قوله : يامليح الوجه :

فقلت والله لا أصلى فى مسجد فيه بدعة ، وأديتها فى مكان آخر حتى لا أسمع هذه المحدثات من الأمور والترنيمات التى ما أنزل الله بها من سلطان

وهذه هى القصيدة :

خذ الحماقة بالحسنى وباللين   فاللين يثمر فى بعض الأحايين

وسُس به جاهلاً زاغت بصيرته   فانساق يخبط فى دنيا وفى دين

والجهل والحمق فى نفس إذا اجتمعا ألفيت صاحبها مثل المجانين
يرى الخلائق أدنى منه منزلة وهو الجدير بتيجان السلاطين
فما يطاوله عقلاً ومعرفة فى ذلك الكون اعلام الأساطين
ولا يرى خطلا فى رأيه أبداً وإن يخطئه آلاف الملايين
تبدى له الرأى براقاً كجوهرة لكنه يتخطاها إلى الطين
ولا يكف عن الأخطاء مندفعاً فيها كما شاء من وهم وتخمين
ولا يروق له من غيره جدل ولو تؤيده أقوى البراهين
فهو الحمق ولو أدى الجدال به إلى التشاجر أو ضرب السكاكين
ففى السياسة أو فى غيرها عَلَمٌ وفى الحروب خبير بالميادين
يصور الجهل أمريكا له التصقت حدودها بحدود الترك والصين
وأن لندن قد صارت شوارعها على اتصال ببغداد وبرلين
وإن تكلم فى علم وفى أدب فأين منه ابن رشد وابن سيرين
وإن تحدث فى التشريع تسمع من فيه خواطر تزرى بالقوانين
إذا اعترضت عليه ثار فى غضب وصار فوه كأفواه البراكين
وربما ساقه الحمق الكمين به إلى التقلص فى شكل الشياطين
فلا يبالى بنقاد ومعترض ولو يساق إلى مأوى المساجين
سبحان من خلق الدنيا ونظمها وخص بالعقل من أنشاه من طين
لولا التفاضل فى الألباب ما عمرت مما لك الكون بالغر الميامين

« جيزة » نجانى عبد الرحمن

الإذاعة .. والدعوة إلى الوثنية

منذ شهر تقريبا أسمعتنا الإذاعة قبل أذان المغرب ـ هذا البيت من قصيدة البوصيرى فى مديح الرسول « صلوات الله وسلامه عليه » : —

يا أكرم الخلق من لى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

ولا ندرى لماذا تسمعنا الإذاعة مثل هذه القصائد ؟ هل مازالت تعيش مع عقلية الجاهلية الأولى . وهل تساوت مع من يؤمنون بالخرافة . ويدينون بتعظيم الموتى من دون الله تعالى ؟.

لقد أخبرنا القرآن أنه لا ينبغى لإنسان أوتى العقل والرشد أن يفزع إلى أى مخلوق مثله عندما تضيق عليه حلقات الكرب والشدة ولو كان ذلك المخلوق رسول الله صلى الله عليه وسلم بل دعانا أن نفزع إلى رحاب المولى وحده ، كما يقول جل شأنه (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ؟ ..) ويقول جلت قدرته (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رادَّ لفضله . .)

والرسول « صلوات الله عليه) الذى يمدحه البوصيرى فى قصيدته نهانا عن اللوذ بغير الله لأن ذلك يخالف عقيدة التوحيد مخالفة صريحة : فقال فى حديثه مع الصحابى الجليل ابن عباس.. رضى الله عنهما » : يا غلام إحفظ الله يحفظك . إحفظ الله تجده تجاهك . تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة . إذا سألت فاسأل الله وإذا ستعنت فاستعن بالله . .) هكذا أوصانا رسول الله أن نلجأ إلى الخالق وحده فى ساعة الشدة .

وتحكى لنا كتب السيرة أن المؤمنين استغاثوا برسول الله ذات يوم من منافق يؤذيهم فقال « إنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله) فإذا كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد نهى صحابته عن الاستغاثة به وهو حى ـ ومع أنه سيد هذا الوجود وأمرهم بالاستغاثة بالله وحده، فكيف نفترى على الله وندعو الرسول فى حال الممات من دون الله ! ؟ والإسلام حث الإنسان على أن يكون عمله هو وسيلته إلى الله ليتقرب إليه ويكشف مابه من ضر .

وقصة الثلاثة الذين كانوا بالغار فانطبقت الصخرة على بابه وحبستهم فتذكروا أعمالهم الصالحة . فانزاحت الصخرة عن باب الغار وخرجوا من الضيق الذى كانوا فيه . . هذه القصة جديرة بأن تحثنا على وجوب اللوذ بالله عن طريق الأعمال الصالحة .

إننا فى وقت بدأنا نتخلص فيه من خرافات العصور المظلمة . وأن نطهر عقائدنا من الباطل . ونروض أنفسنا على العمل الصالح الذى يوصلنا إلى رحاب الله الكريم جالب الخير ودافع الشر .

إننا نرجو من إذاعتنا أن تعيش مع هذا الواقع . وأن تعرف أنها عامل مهم من عوامل التثقيف والإرشاد وتنوير الأذهان . وتدرك أن لها دورا هاماً فى بناء المجتمع الواعى الرشيد .

* * *

بنات المدارس . . والملابس القصيرة

عندما رأيتهن فى بداية العام الدراسى بالملابس القصيرة ظننت أن الأمر يتصل بالحرية والتقليد اللذين ألفنه ، ولكن ظهر أن الأمر على عكس ذلك . فقد تبين أن المدارس هى التى أمرت طالباتها بارتداء الملابس المدرسية إلى ما فوق الركبة .

ولا ندرى أية مصلحة تربوية أوحت للمدارس باصدار الأمر بارتداء طالباتها هذه الملابس المثيرة . إن هذه الملابس القصيرة ليس فيها أية مصلحة تعود على الطالبات.ولكن فيها تحريض لهن على خدش الحياء وانتهاك الفضيلة . وفيها أيضاً إثارة للغرائز . وتحريك للنفوس المريضة بداء (زنا النظر) والتطلع إلى العورات . وإذا كان هناك بعض الأسر المحافظة تريد التمسك بدينها فى رداء بناتها ، فلماذا تجبر المدارس البنات على مخالفة أمور الدين ؟ أليس جديراً بهذه المدارس أن تساعد المتدين على التمسك بدينه والمحافظة على اسلامه ؟ . والأدهى من ذلك أننا نشاهد بعض بنات المدارس قد قلدن الكبار . فلبست الواحدة منهن الضيق . وفعلت فى نفسها ما يجعلها تبدو فى شكل فاضح مثير لتتجه إليها الأنظار وترمقها بنظرات الاعجاب والثناء . وهى لم تبلغ بعد مرحلة النضوج .

ولقد أعجبت ايما اعجاب وأنا أقرأ فى صحيفة المساء منذ أيام أن ناظرة إحدى المدارس فى الخارج أرسلت خطابا دوريا لأولياء أمور الطالبات تحذرهم فيه أنها لن تقبل أية طالبة تصبغ شعرها أو تصففه ، أو تلمع أظافرها أو ترتدى الملابس المثيرة . . قرأت هذا الخبر ثم تعجبت من حال بناتنا فى المدارس وما هن عليه من إباحية واستهتار . إن الناظرة التى طلبت من بنات مدرستها بالتزام الحشمة والأدب فى المدرسة ، لاشك أنها تريد أن تنشىء طالباتها على تربية سليمة مقومة . فهل تنهج مدارسنا هذا النهج التربوى السليم . . وهل يعرف المسئولون فى مدارسنا مسئولياتهم أمام الله فى تربية أبناء المستقبل ؟ .

* * *

اعلانات السينما

لاتكاد عيوننا تقع على اعلانات السينما تعلق على جدران المنازل أو فى لوحات الدعاية الخشبية حتى نرى من المناظر الفاضحة مايؤلم الفكر . ويؤذى النظر . ويبعث على الحسرة . نجد فى إعلان ممثلاً يحتضن ممثلة ويقبلها فى وضع شائن قبيح . وفى اعلان آخر نجد ممثلة تقف عارية ، أو مستلقية على سرير فى وضع يخجل منه جبين الحياء والأدب والفضيلة

اننا نتساءل : إذا كانت السينما تعرض هذه المناظر وما هو أقبح منها وأبشع على مشاهدى الأفلام فى دورها ، فلماذا تفرض على عابرى الطريق العام رؤية هذه المناظر المثيرة للغرائز ، المؤذية للنفوس ؟ .

وإذا كانت السينما عندنا تصر على الاستمرار فى انتاج مادرجت على انتاجه من الأفلام ذات المواضيع التافهة الرخيصة فماذا عليها لو أنها اقتصرت على عرض المناظر غير المثيرة فى لوحات الدعاية واعلانات الترويج ؟ .

اننا نطالب المسؤلين أن يفرضوا الحظر على لصق هذه المناظر والصور الفاضحة فى اعلانات السينما ، حرصا على شعور من يتألمون من رؤيتها . ومحافظة على الآداب والتقاليد .

سعد صادق محمد

١ - آداب إسلامية

إن كثيراً من الآداب الإسلامية الشرعية فى العبادات وغيرها مما بينها النبى صلى الله عليه وسلم ، أو عمل بها الصحابة والتابعون ، رضوان الله عليهم - وهم خير قرون الإسلام - أصبحت منسية أو مهملة عند الكثير من المسلمين .

وقد رأيت أن أدرج هنا طائفة من هذه الآداب ، لتكون تبصرة وذكرى(والذكرى تنفع المؤمنين) كما يقول الله تعالى فى كتابه الكريم .

* * *

يقول النبى صلى الله عليه وسلم لمن أجهد نفسه فى العبادة فوق طاقتها : « إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق » وضرب له المثل فقال : « إن المنبتّ لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى[1] » .

أى إن الذى يجهد مطيته و يسرع بها ، منقطعاً عن رفاقه ليصل قبلهم ، تسقط به راحلته إعياءاً ، فلا هو وصل إلى الأرض التى يريدها ، ولا هو ترك مطيته على سجيتها فى السير دون إجهاد . وكذلك شأن من يجهد نفسه فى العبادة فوق طاقتها .

ويقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه « إن الدين يسر ، ولن يُشادّ الدين أحد إلا غلبه . فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشىء من الدُّلجة » وفى رواية « القصد ، القصد ، تبلغوا[2] » .

أى إن دين الإسلام يسر بالنسبة لغيره من الأديان السابقة . ولن يقاوم أحد الدين ويكلف نفسه فى العبادة فوق طاقتها ، إلا غلبه ، وانقطع عن العبادة كلها أو جلها دون

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى .

بلوغ المراد . و « أبشروا » أى بهذا اليسر . وأما قوله « القصد ، القصد ، تبلغوا » فمعناه : التزموا أوسط الأمور فى عبادتكم فإنكم بذلك تبلغون مقصودكم .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة ، قال : « من هذه ؟ » قالت : هذه فلانة ، تذكر من صلاتها[1] . قال : « مه ، عليكم بما تطيقون ، فو الله لا يمل الله حتى تملوا ، وكان أحب الدين إليه ، ماداوم صاحبه عليه[2] » .
« مه » كلمة زجر ونهى .

أى إذا مللتم العبادة بتكليفكم أنفسكم فوق ماتطيقون ، فقد انقطع ثوابها عنكم بذلك الملل . وهو معنى قوله « حتى تملوا » فينبغى الأخذ بما تطيقون وتداومون عليه ، ليدوم الثواب من الله تعالى لكم .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هلك المتنطعون . هلك المتنطعون . هلك المتنطعون[3] » .

أى هلك المتشددون المبالغون فى الأمور ، المتعمقون فيها المغالون غلواً كبيراً « وما خيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما » كما تقول عائشة رضى الله عنها وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يسِّروا ولا تعسروا ، و بشروا ، ولا تنفروا » وفى رواية « وسددوا وقاربوا[4] » وعن أنس أيضاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا تشددوا يشدد الله عليكم ، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فتلك بقاياهم فى الصوامع والديار ، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » . وعنه أيضاً قال : دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد ، فإذا حبل ممدود بين الساريتين . فقال : « ماهذا الحبل ؟ » قالوا : هذا الحبل لزينب ، فإذا فترت

---

(١) أى إن عائشة زكتها بأنها تصلى كثيراً . (٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه مسلم . (٤) رواه البخارى ومسلم .

تعلقت به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « حلوه ، ليصلِّ أحدكم نشـاطه ، فإذا فتر فليرقد[1] » .

كانت زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها تعتكف فى رمضان بالمسجد ، وكانت ربطت ذلك الحبل بين عمودين من المسجد ، ليشدها الحبل إذا ماتـكاسلت أو فترت ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك العمل وقال : « ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليرقد » .

ويؤيد ذلك ماروته عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه[2] » .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه كان يذكِّر كل خميس[3] . فقال له رجل : ياأبا عبد الرحمن : إنا نحب حديثك ونشتهيه ، ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم ، فقـال رضى الله عنه : مايمنعنى أن أحدثـكم إلا كراهية أن أملـكم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا . وقد قال حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : حدث الناس كل جمعة مرة ، فإن أكثرت فمرتين ، فإن أكثرت فثلاثاً ، ولا تمل النـاس من هذا القرآن . ولا تأت القوم وهم فى حديثهم ، فتقطع عليهم حديثهم وهم يشتهونه ، وإياك والسجع فى الدعاء ، فإنى عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلونه . وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول على المنبر : «لا يبغِّضوا الله على عباده . فقيل : وكيف ذاك أصلحك الله ؟ قال : يجلس أحدكم قاصاً فيطول علىّ الناس حتى يبغض إليهم ماهم فيه . ويقوم أحدكم إماماً فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ماهم فيه .

---

(١) رواه البخارى ومسلم (٢) رواه البخارى ومسلم . (٣) أى يجلس لتعليم الناس .

وقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها لعبيد الله بن عمر : إياك وإملال الناس وتقنيطهم . (أى بالتطويل عليهم) .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان يقول : إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة .

وكان الإمام الزهرى — وهو من كبار التابعين — يقول : إخلطوا الحديث بغيره حتى تنفتح النفس .

أى لابد من إدخال شىء من الطرائف أو الحكم خلال الحديث ، ترويحا للنفس ، وحتى لا يحصل شىء من السآمة أو الملل للسامع المنتفع بما يسمع .

جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

محمد صالح سعدان

أسئلة وأجوبة

السيد المحترم رئيس تحرير مجلة الهدى النبوى الغراء .

أرجو الإجابة عن الأسئلة الآتية بالمجلة :

١ — هل يجوز هجر الأهل والأوطان والسياحة فى الأرض للدعوة إلى الله والتعرف على المسلمين ولو مرة كل عام ، كما تدعو إلى ذلك إحدى الطوائف الإسلامية ، وماذا يفعل الموظف مثلى وله أربعة من الأولاد ، هل يتركهم ويترك عمله ويقوم بمثل هذه المهمة ؟ .

٢ — يلبس أحد الاخوان فى يده ساعة صفراء تشبه الذهب ، فنهيته عن ذلك لأنها تشبه الذهب ، ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الأصفر من النحاس أو الذهب . فلم ينته ، فما الحكم ؟

٣ — يربط على معصمه فتلة من الصوف ، ويعتقد أنه إذا حل هذه الفتلة من يده يشعر بالألم ، وأنا أعتقد أن مثل هذه الفتلة من التمائم ، فهل هى كذلك . أفتونا مأجورين والسلام عليكم .

عبد البصير حسن

بنك مصر — الفيوم

الأجـــــــوبة

١ — لقد انقطعت الهجرة بالفتح ، فلم يبق إلا أن يخرج المسلم إما غازيا فى سبيل الله ، وإما حاجا لبيت الله . وأما ما تدعو إليـه تلك الطائفة فلا سند له من كتاب ولا سنة ولا غيرهما ، وإذا أتيحت فرصة لأحد المسلمين أن يزور إخوانا له فى أية بلدة من البلدان ، أو قطر من الأقطار لتوثيق روابط الاخوة الإسلامية ، أو استفادة علم ، أو إفادته . فذلك خير ويندب إلى مثله الإسلام .

٢ — ورد النهى الصريح الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التختم بخاتم الذهب كما ورد النهى فى بعض كتب السنن عن استعمال الذهب للرجال مطلقاً ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه وصف التحلى بالنحاس والحديد بأنهما حلية أهل النار، ورخص البعض فى استعمال الذهب فيما لا يطلع عليه الناس عادة ، وقالوا إن الساعات منها ، وإنما يقصد بطلائها بالذهب منع الصدأ والتلف عنها ، والذى نراه عدم استعمال مثل تلك الساعات ، لأنها تشبه الذهب فعلا ، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه .

٣ — لا يكون الحكم على الفتلة بظنك واعتقادك ، إنما يكون الحكم باعتقاده هو ، فإذا كان هو يعتقد أن لتلك الفتلة تأثيراً لأنه تناولها من شيخ قرأ عليها (عزيمة) ، فهى تميمة ، وعليه وزر من تعلق تميمة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « من تعلق تميمة فلا أتم الله له » وقال « التولة شرك » وهى نوع من التمائم .

أما إذا كان يقصد أن تلك الفتلة من الصوف تولد حرارة موضعية تذهب الألم ، وأن حلها يؤلمه لذلك السبب ، فلا بأس فى عمله . وإنما الأعمال بالنيات .

سليمان رشاد محمد

تنبيه هام

نشرنا بعدد جمادى الآخرة الماضى كلمة بعنوان « حق غفل عنه الناس » للسيد / علي أحمد إبراهيم أمين عهدة مدرسة آمون ببور سعيد ، فى باب (من رسائل القراء) بالمجلة . ثم أرسل إلينا فضيلة أستاذنا الجليل الشيخ أبى الوفاء محمد درويش خطاباً لفت نظرنا فيه إلى أن تلك الكلمة منقولة من كتاب (صيحة الحق) .

وللأسف وجدنا أن السيد الكاتب نقل كلمته بالحرف الواحد من كتاب (صيحة الحق) حتى العنوان ، وكان الأجدر به أن يعزو الكلام إلى قائله ، والفضل إلى صاحبه ولن يضيره ذلك شيئاً ، بل سيدل على اطلاعه ، وذلك شأن العلماء والكتاب الفضلاء .

ونحن نعتذر لأستاذنا الشيخ أبى الوفاء ، لأننا ننشر ما ننشر اعتماداً على أمانة الكاتب وصدقه

(إدارة المجلة)

فى مصر الجديدة

اجتمعت الجمعية العمومية لفرع الجماعة بمصر الجديدة مساء يوم الأحد ١٧ صفر سنة ١٣٨١ هـ الموافق ٣٠ يوليو سنة ١٩٦١ م . وقد افتتح الاجتماع فضيلة الرئيس العام للجماعة الشيخ عبد الرحمن الوكيل ، فألقى محاضرة قيمة عن دعوة الجماعة وأهدافها ، وما يجب أن يتصف به الداعية إلى الله ، من حسن الخلق ، والتسلح بالحجج القوية من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ثم تلاه السيد عبد الحافظ فرغلى سكرتير الفرع ، فألقى كلمة عرض فيها حالة الفرع ونشاطه ، مستحثاً الأعضاء على النهوض بالدعوة إلى المستوى اللائق بها .

ثم أجريت الانتخابات لعضوية مجلس الإدارة ، ففاز كل من السادة .

على حفنى رئيساً
عبد الله بدر الدين وكيلا
عبد الحافظ فرغلى سكرتيراً
محمد رمضان عبده أميناً للصندوق
عبد المعبود محمد سلام مراقباً إداريا
حسن محمد سلام مساعداً للسكرتير

والسادة :
لطفى محمد نجم
وحسن محمد على
وعبد الرازق محمد حسب الله
أعضاء

الفقه من غير الفقيه

روى أن أعرابياً حضر مجلس ابن عباس رضى الله عنهما فسمع قارئاً يقرأ (وكنتم على على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) .

فقال : والله ما أنقذكم منها وهو يريد أن يرجعكم إليها . فقال ابن عباس : خذوا الفقه من غير فقيه .

كفى بالقرآن واعظاً

دخل أعرابى على هشام بن عبد الملك . فقال له : عظنى يا أعرابى . فقال : كفى بالقرآن واعظاً : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم : (ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين) .

ثم قال : يا أمير المؤمنين : هذا جزاء من يطفف فى الكيل ، فما ظنك من أخذه كله ؟ .

من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

— ١ —

الأولياء – الصوفية

الناس فريقان : ولى للرحمن ، أو ولى للشيطان ولى ثالث لهما .

فأوليــاء الرحمن ، هم المؤمنون المتقون ، الذين وثقوا بالله فوضعوا شئونهم كلها بين يديه يقضى فيها بما يشــاء ، ويقبلون قضاءه بالرضاء التام ، فهو وليهم ، وهم أولياؤه وأحباؤه المجاهدون فى سبيله ، الناصرون لدينه ، الداعون إليه ، الباذلون كل شىء فى مرضاته .

وأولياء الشيطان ، هم أعداء الله ، المتمردون عليه وعلى سننه وآياته وحكمه وقضائه ، هم أعداء رســوله العاملون لإماتة سنته لإحياء بدعهم وجهلهم وخرافاتهم .

فليست الولاية وقفاً على مزيق معين من النــاس هم أولياء إذا أطاعوا الله أو عصوه . اتبعوا رسوله أو حاربوه . اللهم هذا بهتان عظيم روجه الصوفية ليأكلوا أموال السذج بالباطل ، بل الولاية لكل مؤمن تقى ، (الذين أمنوا وكانوا يتقون) فالصوفية وهى غريبة عن الاســلام وفدت عليه من الهندوكية والبوذية والزرادشتية وغيرها من الديانات الوثنية قد عملت جاهدة على طمس معالم الاسلام بتجهيل المسلمين . فكان لها أرادت ولن يستطع المسلمون العودة إلى الاسلام الحق إلا بالعلم والخروج من ظلمات الجهل .

العدد ٨ شعبان
المجلد ٢٦ سنة ١٣٨١

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
الهدى النبوى
مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٣٠ – في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ – فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٨ | شعبان سنة ١٣٨١ | المجلد ٢٦

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جلّ ذكره : (قُلْ : لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ على أن يأتوا بِمِثْلِ هذا القرآن لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، ولو كان بعضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا . ولقد صَرَّفْنَا للناس فى هذا القرآنِ من كُلِّ مَثَلٍ ، فأَبَى أكثَرُ الناسِ إلاّ كُفُورا . ١٧ : ٨٨ ، ٨٩) .

« معانى المفردات »

« الإنس » : قال ابن فارس عن مادة أنس : الهمزة والنون والسين أَصْلٌ واحد وهو ظهور الشىء . وكلّ شىء خالف طريقة التوحش . وقال الراغب عن الإنسان : قيل : سُمِّى بذلك لأنه خلق خلقة لاقوام له إلا بأُنس بعضهم ببعض . ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه . وقيل سمى بذلك ؛ لأنه يأنس بكل ما يألفه . أو لأنه عهد إليه فَنسى والإنسُ : البَشَر مفرده إنسِىّ وأَنَسِىّ

« الجن » : قال ابن فارس : الجيم والنون أصل واحد ، وهو السَّتْر والتَّسَتُّر . والجِنُّ سموا بذلك ؛ لأنهم متسترون عن أعين الخلق . وقال الراغب : والجن يقال على وجهين

أحدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس ، فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين ، فكل ملائكة جنٌّ ، وليس كل جِنٍّ ملائكة . وعلى هذا قال أبو صالح : الملائكة كلها جنٌّ .

مِثْل : قال صاحب اللسان : مِثْل كلمة تسوية ، يقال : هذا مِثْلُه ، ومَثَلُه كما يقال : شِبْهُه وشَبَهُه بمعنى . فإذا قيل : هو مِثْلُه على الإطلاق فمعناه أنه يسد مسده ، وإذا قيل : هو مثله فى كذا ، فهو مُسَاوٍ له فى جهة دون جهة .

« ظهيرا » قال ابن فارس : الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز . والأصل فيه ظَهْرُ الإنسان ، وهو يجمع البروز والقوة . والظهير : البعيرُ والقوىُّ . والظهيرُ المعين كأنه أسند ظهرَه إلى ظهرِك .

« صَرَّفنا » قال الراغب فى مفرداته . الصرف : رَدُّ الشيءِ من حالة إلى حالة أو إبدالُه بغيره والتصريفُ كالصرف إلا فى التكثير ، وأكثر ما يقال فى صرف الشىء من حالة إلى حالة ، ومن أمر إلى أمر . وعن الليث : تصريفُ الرياح صرْفُها من جهة إلى جهة وكذلك تصريف الأمور والآيات .

« مَثَل » : هو الحديث نفسه . أو الشىء الذى يُضْرَبُ لشىء مَثَلاً يجعل مثله أو هو صفة الشىء ، وقد يكون المثل بمعنى الْعِبْرَة ، وبمعنى الآية . وقد عرَّف الراغب المثل بقوله : المثلُ عبارة عن قول فى شىء يشبه قولا فى شىء آخر بينهما مشابهة : ليبين أحدهما الآخر أو يصوره .

« كفورا » قال الراغب : الكفر فى اللغة ستر الشىء وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداءِ شكرها . وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة ، أو النبوة . والكفرانُ فى جحود النعمة أكثر استعمالا ، والكفر فى الدينِ أكثرُ ، والْكُفُورُ فيهما جميعا . أى يستعمل فى جحود النعمة مع جحود الدين .

« المعنى »

لا يرتاب مسلم فى أن أعظم مِنّة مَنّ الله بها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم هى هذا القرآن العظيم المجيد الكريم . وبهذا القرآن خُتمت الكتب الإلٰهية وبه قامت أمة لم يشهد تاريخ البشرية لها مثلا فى قوة إيمانها ، وسمو أخلاقها ، ومتانة وحدتها فى محبة الله .

ولقد أجهد أعداء الله أنفسهم من قبل ، ومن بعد فى سبيل القضاء عليه ، ليقضوا على هذه الأمة التى سحقت البغى ، ودمرت الظلم ، وقضت على طواغيت الباطل ، ولكن ضاع جهدهم هباء ؛ إذ بقى القرآن ، وسيبقى إلى ما شاء الله ؛ لأن الله وعد بحفظه ، ووعد الله لن يتخلف (إنَّا نحنُ نزَّلنَا الذِّكرَ ، وإنَّا له لَحَافِظُون ١٥ : ٩) .

ولقد قال الكفار من قبل : (وقال الذين كَفَرُوا : إنْ هذَا إلاّ إفكٌ افتَرَاهُ ، وأعانه عليه قوم آخَرُون ، فقد جاءوا ظُلْماً وزورا ، وقالوا : أساطيرُ الأوَّلِين اكتَتَبَها فهى تُملى عليه بُكْرَةً وأصِيلا . قُلْ : أنزَلَهُ الذى يعلم السِّرَّ فى السَّمَاواتِ والأرضِ إنه كان غَفُورًا رحيما ٢٥ : ٤ ـ ٦) .

وما زال الكفار يقولونها . فبعضهم يقولونها علانية ، وهم أولئك الذين يجهرون بكفرهم ، وبعضهم يقولها سِرًّا فى قلبه ، ويقولها بموقفه من القرآن ، ويقولها فى نظرته إلى القرآن . وهم أولئك الذين يجافون القرآن ويهجرونه ، ويتخذون لهم كتاباً معيناً على مذهب معين تكون به الفتوى ، ويكون إليه المرجع ـ لا إلى القرآن ـ عند التنازع .

وهم أولئك الذين يزعمون أن هذا القرآن لا يصلح لهداية البشرية فى القرن العشرين ، فيستوردون إمّا من الغرب . وإما من الشرق نظما يحادُّون بها الله ورسولَه .

وهم أولئك الذين يعتقدون فى القرآن أنه لم يبين عقيدة الحق بياناً شافياً هادياً ، فيستوردون عقيدتهم إمّا من الأشاعرة ، وإمّا من الصوفية ، وإما من رَدْغَةٍ أخرى لها اسم آخر ، ولكنها هى هى الصوفية ، أو الأشعرية أو الخلفية .

ولقد وصف الله كتابه بأوصاف نحب أن نتدبر بعضها معاً لعل الذين يحسنون الظن بكتاب آخر يُنيبون إلى الله ؛ ليتدبروا آيات كتابه :

(وأُوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لأُنذِرَكُم به ، وَمَنْ بَلَغَ ٦ : ١٩) لأنذركم به لا بغيره لينذر العرب والعجم ، وكل باد وحاضر ، وكل من يبلغه هذا القرآن ، فهل ثَمَّ كتاب آخر يصدق عليه هذا ؟ .

(وإنَّكَ لَتُلَقَّى القرآنَ من لَدُنْ حكيم عليم ٢٧ : ٦) (كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياته ثم فُصِّلَتْ من لَدُنْ حكيم خبير ١١ : ١) (وكَذَلِكَ أنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا ، وصَرَّفْنَا فيه من الوعيدِ لَعَلَّهُمْ يتقُونَ ، أوْ يُحْدِثُ لهم ذِكْرا ٢٠ : ١١٣) .

فهل كتب الحنفية والشافعية والحنابلة والمالكية كذلك ؟ أهى من لدن حكيم عليم ؟ أهى محكمة الآيات ؟ أهى مُفَصَّلة من عند الحكيم الخبير ؟ أهى فى بلاغة القرآن العربية وفصاحته ؟ أقد صَرَّف فيها أصحابها الوعد والوعيد كما فعل الله فى كتابه ؟ .

وهل فى كتب العقائد التى افتراها الْخَلَفُ شىء من هذا ؟ .

وهل فى الكتب التى زعم أربابها أنهم أرباب الاقتصاد والسلوك والقانون شىء مما فى القرآن ؟ .

لقد أوجب الله على كل مسلم أن يتجنب كُلَّ هؤلاء ، ويتجنب كل ما يدينون به ، وذلك فى قوله جل شأنه : (إن الذين فَرَّقوا دينهم ، وكانوا شِيَعاً لستَ منهم فى شىء ٦ : ١٥٩) .

وإنى لأقول لكل من يتصدى لإصلاح حال هذه الأمة ما قاله إمام دار الهجرة مالك : لايصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح به أولها . ولديكم الدليل من واقع التجارب الحية الملموسة الْمُحَسَّة ، فقد أقام القرآن أمة لا ينكر أحد أنها كانت أعظم أمة ، وخير أمة ، فماذا أقامت الثقافات الأخرى ؟ .

لقد تركناه ، وجئنا بثقافات الغرب والشرق ، فماذا أنشأت لنا هذه الثقافات ؟ كل منكم يعرف الجواب .

ولقد وقف ذات مرة « غلادستون » رئيس وزراء انجلترا ، وكان من غلاة المستعمرين . وقف يخطب فى بعض الجمعيات الماسونية ، فأخرج من تحت إبطه القرآن الكريم ، وأشار إليه قائلا : « مادام هذا الكتاب بين المسلمين . فلا يمكن استئصالهم بوجه من الوجوه . فعلينا أن نعمل لافساد مافى هذا الكتاب . لنفسد العالم بأجمعه » .

ولم يُفْسِدوا القرآن . ولكنهم أفسدوا قلوب المسلمين على القرآن ! ! .

ولقد تحدّى الله أولئك الذين يكفرون بوحيه سبحانه . ويزعمون أن هذا القرآن من صنع بشر مثلهم ، فلا يلزمهم الإيمان به ، لأنهم بشر مثله . تحداهم الله بقوله : (قل : لئن اجتمعت الإنس والجن . . الآية » .

لئن اجتمعت هذه القُوَى كلها متآزرةً متعاونةً قُوى الإنس ، وقوى الجن شياطين كانوا أو ملائكة . فإن هذه القوى كلها لن تعبر فى تعاونها وتكافلها إلا عن قوة الخلق ، وشتَّان ما بين قوة الخلق وقوة الخالق . وما دام شأنها كذلك ، فإنها لن تستطيع أن تأتى بشىء من القرآن ؛ لأنه كلام خالق ليس هنالك من خالقٍ غيره .

والله ينفى عن هذه القوى كلها مجتمعة متعاونةً متساندةً الإتيانَ بمثل القرآن فى إعجاز بلاغته وإعجاز فصاحته ، وإعجاز كماله ، وإعجاز جلالِ هذه الوَحْدة التى يلحظها المسلم مشرقة متجلية فى كل آية من آياته ، وفى كل سورة ، وفى سُوَره مجتمعة أو متفرقة . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً[1] . وينفى عنهم الإتيان بمثله فى إعجاز كمال

---

(١) بهذا استدل أحد القساوسة الذين أسلموا على أن الأناجيل التى بأيدى أربابها ليست إلا كلام بشر لما فى كل واحد منها من اختلاف وتناقض .

هذه العقيدة السَّوِيَّة التى جاء بها ، وإعجاز كمال هذه الشريعة التى بين سبيلها السوى ، وصراطها المستقيم ، وإعجاز كمال هذه الأخلاق التى فرض على المؤمنين التخلق بها .

معجز فى أسلوبه فصاحةً وبلاغةً ، معجز فيما بيَّن من عقيدة[١] ، معجز فيما وضَّح من شريعة ، معجز فيما رسم من طريق للسلوك الإنسانى وأنص على إعجازه فى العقيدة والشريعة والأخلاق ؛ لأن بعض الناس يصورون إعجازه فصاحة وبلاغة ، على حين يتجلى إعجازه فى العقيدة والشريعة والأخلاق للأمى ، وللفيلسوف ! ! .

فكيف يصرفنا صارفٌ ما عن عقيدة القرآن ، وشريعة القرآن ، وخُلق القرآن ؟ أيمكن أن يأتى الخلق بمثله ، حتى يمكن الانصراف إلى ما بأيدى الناس من ثقافات أخرى ؟ لقد غرَّ بعضَ الناسِ أنه نجح فى أن يكون كافراً يقرأ النـاس كفره ، فمضى يجدِّف على القرآن ويلح فى أن نجعل القرآن بمعزل عن حياتنا ! ! لأن المبادىء التى صار يُؤْمِن بها كفره لا يمكن أن تصل إلى القلوب ، وكتابُ الله يهيمن على مقاليد القلوب .

إن من يبحث عن دينه ونظام دنياه فى غير القرآن إنما يبحث عن الهلاك الأبدى ، وإنما يزعم أن الله لم يستطع أن يشرع لخلقه فى القرن العشرين ، وأن كثيراً من الذين يحاربون الله ورسوله يستطيعون الإتيـان بمثل القرآن فى شريعته وعقيدته وأخلاقه ونُظُمه ! ! .

ولكن الله ينفى هذا عن خلقه جميعاً سواءاً كانوا بشراً أم كانوا شياطين أم كانوا ملائكة ، وعاون كل منهم الآخر ، فإنهم لن يأتوا بمثل هذا القرآن لماذا ؟ لأنهم خَلْقٌ ، ولن يستطيع الخلقُ الإتيان بمثل مايأتى به الخلاّق . ولقد قال الله عن كتابه : (إن هذا

---

(١) حاولت الفلسفة وحاول التصوف بما حشد لهما إبليس من أبالسة ، أن يضعا عقيدة للناس ، فجاءت الفلسفة بمتناقضات ، وجاء التصوف بنفايات من زندقة ! ! .

القرآن يهدى للتى هِىَ أقْوَمُ ١٧ : ٩) وترك كلمة أقوم فى إطلاقها وشمولها وعمومها . فهى أقوم فى الأخلاق ، أقوم فى الشريعة ، أقوم في العقيدة ، أقوم فى السلوك ، أقوم فى كل نظام يقيم بناء الحياة على الحق والخير والقوة . فهل من كتاب سواه يمكن أن يهدى للتى هى أقوم ؟ لئن قالها مُفتَرٍ ، فإنه سيكون من الذين يزعمون أن قدرة المخلوق وحكمته وعلمه أعظم وأكمل من قدرة الخلاق وحكمته وعلمه ، وأن كتاب العبد الفقير أعظم من كتاب ربه الغنى .

وإذا كان الله يمن على الإنسان بأنه خلقه ، وعلمه البيان ، فهل يطيق العقل زعم زاعم أن الله لم يستطع البيان عما يصلح شئون خلقه فى القرآن ؟ .

ليتدبر الذين يزيفون الكفر ، ويحتفلون بالكتب الكافرة ، ويصغون إلى الصوت الكافر . فهؤلاء إنما يريدون منا أن نعبد اليهودى « كارل ماركس » من دون الله ! ! .

كما أن الله وصف كتابه بقوله : (ولقد يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ . فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ٥٤ : ١٧) وكررت أربع مرات فى سورة القمر . فهل كتب خلقه كذلك ؟

وهل يجوز لنا أن نزعم أن القرآن صعب شاق عسير ؟ .

ووصفه بقوله : (وإنكَ لَتُلَقَّى القرآن من لَدُنْ حكيم عليم ٢٧ : ٦) .

أفهذه الكتب التى تنادى بعزل الدين عن الحياة من لدن حكيم عليم ؟ :

إن أرباب هذه الكتب لتعرفهم خطايا الليل ، وتحتفى بهم عربدة الشياطين ! ! .

ولقد قالت الجن كما بين الله (إنَّا سَمِعْنَا قرآنًا عَجَبًا . يَهْدِى إلى الرشد فَآمَنَّا به ، ولن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أحدًا ٧٢ : ١ ، ٢) هذا قولُ الجن . أما قول بعض كتاب الصحف وبعض الذين يلقبون أنفسهم بأنهم علماء ، فيجدُّون فى سبيل عزل القرآن ، والبعد عن الرحمن ! ! .

ولقد تحدى البشرية فى قرون فحول بلغائها ، ويتحدَّى قرون الفحول اليوم من

المفكرين تفكيرًا فلسفيًا مجردًا ، أو تفكيرًا يهدف إلى إقامة بناء الخُلُق وللسلوك ، يتحدى هؤلاء جميعًا أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، بل يتحداهم كما تُبَيِّن هذه الآية : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ؟ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ، وادْعُوا من اسْتَطَعْتُمْ من دون الله إِنْ كُنْتُمْ صادقين ١١ : ١٣) . بل يتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة ، (وإِنْ كُنْتُمْ فى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ٢ : ٢٣) وَدَوَّى التحدى وعَبَرَ دَوِيُّه القوى الحقب الطِوال ، والقرون الطوال . عبر أربعة عشر قرنا ، ووصل إلى ملايين الأسماع ، وما زال — وسيظل التحدى قائمًا . لقد تحالفت قوى البغى والعدوان ضد القرآن : الصهيونية ، المجوسية ، الصليبية فى حروبها الدامية ، التتار فى قوتهم الساحقة ، الباطنيون فى مؤامراتهم المخرِّبة ، الصوفية فى نعومتها الخاتلة ، الاستعمار فى كيده اللئيم الدنىء ، الكُتَّابُ الذين اشتراهم إما الاستعمار وإما الصهيونيةُ عن طريق دينارٍ أو امرأةٍ ، أو كأسٍ أو ليلةٍ خاطئة ! ! كل هذه القوى لم تستطع أن تنال من القرآن شيئًا ، ولا أن تأتى بشىء مثله ! ! ألا فليعلم أمثال هؤلاء أن الله القوى القهار قد وعد بحفظ كتابه ، والخلاق قادر على أن يحقق وعده ، والخلاق لا يخلف وعده .

ثم يبين الله فضله على خلقه وتوكيده لهم أنه كرر الأمثلة فى القرآن بوجوهٍ مُخْتَلِفَة زيادة فى التقرير والبيان ، وهى أمثلة تخاطب الحس والعقل ، أمثلة تؤيدها التجربة الحية النابضة بالواقعية الملموسة ، ويذعن لها العقل إذعانه للبَدَهِىِّ من الحقائق ، وبهذا أبطل الله عذر الذين يزعمون أنهم لم يحاولوا قراءة القرآن ! لأنهم يوقنون أنهم لن يفهموه ، مع أن الله يقول فى غير هذه السورة (ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كُلِّ مَثَلٍ ، وكان الإنسانُ أكثَرَ شىءٍ جدلا ١٨ : ٥٤) رغم وضوح الحجة ، وقوة دلالتها ، وصدمتها القوية الشديدة لعربدة الباطل ، فإن الإنسان يجادل فيها مرة بعد مرة ! ! كأولئك الذين مازالوا حتى اليوم يجادلون فى توحيد الله ! ! .

وَيقول أيضًا : (ولقد ضَرَبْنَا للناسِ فى هذا القرآن من كل مَثَلٍ لعلهم يتذكرون . قرآنًا عربيًا غير ذى عِوَجٍ لعلهم يتقون ٣٩ : ٢٧، ٢٨)فالإتيان بأمثلة متعددة بعضها يؤيد بعضًا ، ويزيد الحقيقة وضوحا وجلاء . إنما الغاية منه أن يتعظ الناس ، وأن يتقوا الله . أفبعد هذا يزعم الزاعمون أن الله ليس رحيما كبعض الموتى من خلقه ؟ وهو جل شأنه يضرب المثل تلو المثل ، ولا يستحيي أن يضربَ مثلاً مابعوضةً فما فوقها ، لأنه الرحمٰن الرحيم الذى يحب الهداية لعبيده ولا يرضى لهم الكفر . يفعل سبحانه ذلك رحمة ورأفة بعباده لعلهم يتقون أو يُحْدِثُ لهم ذكرا . وإليك طائفة من أمثلة القرآن الجليلة لتعيننا على أن نتبين أى كتاب هو ، وأية هداية جاء بها ، وأية رحمة جليلة يرحمنا بها الله :

(إن اللهَ لا يَسْتَحيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلا مَا بَعُوضَةً فما فَوْقَهَا ، فَأَمَّا الذينَ آمنوا فَيَعْلَمُونَ أنه الحقُّ من رَبِّهِمْ ، وأما الذين كفروا فيقولونَ ماذَا أرادَ اللهُ بهذا مَثَلا ، يُضِلُّ به كثيرًا وَيَهْدِى به كثيرًا ، وما يُضِلُّ بهِ إلاَّ الفاسِقين ٢ : ٢٦) .

هذا مثل المنافقين الذين جاءهم الهدى ، فباعوه ، واشتروا بثمنه الضلالة ، مثل الذين معهم الكتاب ، ويتراءون بأنهم يؤمنون به ، ويستفتونه فى دينهم ، ولكنهم يكذبون فيما يزعمون (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذى اسْتَوْقَدَ نَاراً ، فلما أضاءت ماحَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بنورِهِم وتركهم فى ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ . صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فهم لاَيَرْجِعُونَ . أو كَصَيِّبٍ من السماء فيه ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ، يَجْعَلُونَ أصابِعَهُمْ فى آذانهم من الصواعِقِ حَذَرَ الموتِ ، واللهُ مُحِيطٌ بالكافرين ٢ : ١٧ — ١٩)[١] .

---

(١) بكم ولدوا لا يتكلمون . الصيب ــ المطر الشديد ــ الصواعق = جمع صاعقة ، وهى نار لا تمر بشىء إلا دمرته وأهلكته ، فهى كهرباء قوية شديدة تتولد من السحب .

وهذا مثل عبيد التقليد الذين يعيشون أنضاء الضلالة ، وأحلاس البدعة ، ويظلون حفاظًا على تراث الخرافات والأساطير التى ورثوها عن الآباء والأجداد .

(وَمَثَلُ الذين كَفَرُوا كَمَثَلِ الذى يَنْعِقُ بما لا يَسْمَعُ إلا دُعَاءً ونِدَاءً ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُون[1] ٢ : ١٧١) .

وهذا مثل الرجل يَمُنُّ الله عليه بفهم آياته ، ولكنه يأبى أن يعمل بما توجبه ، فهو يضرب فى ضلالته الحمقاء شأنه حين فَهِمَ الآيات كشأنه حين كذب بها ، كالكلب فى أخس وأدنأ صفاته ، فهو اللاهث حين تحمله على مطاردة صيد ، أو حين تتركه ، دون أن تحمله على شىء .

(واتْلُ عليهم نَبَأَ الذى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فانْسَلَخَ منها ، فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ ، فكان مِنَ الْغَاوِينَ ، ولو شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بها ، ولَكِنَّهُ أَخْلَدَ إلى الأَرْضِ ، واتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أو تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ، ذَلك مَثَلُ القومِ الذينَ كَذَّبُوا بِآيَاتنا ، فاقْصصِ الْقَصَصَ لعلهم يَتَفَكَّرُون[2] ٧ : ١٧٥ ، ١٧٦) .

وهذا مثل لما يفعله الكفر بعمل الإنسانِ ، فإنه لا يبقى له عند الله شيئًا .

(مثل الذين كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الريحُ فى يومٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَىْء ذلك هو الضلالُ البعيدُ ١٤ : ١٨) .

وهذا مثل يشهد به الحس والعقل شهادة الصدق والحق واليقين ، ولا يرتاب فيها إلا مَنْ به خَبَلٌ أو دَخَل . إن من يصنع الشىء وحده أول مرة يجد صنعه فى المرة الثانية

(١) ينعق : يصيح على الأغنام (٢) انسلخ : كذب وأعرض عنها . الغاوين . الضالين ضلالا بعيداً . أخلد إلى الأرض = مال إليها ، أى [illegible] نفسه ومال إلى السفالة .

أهون عليه من المرة الأولى . فكيف نظن أن إعادة الخلق ليست هينة ، والله هو الذى خلقهم أول مرة .

(وهو الذى يَبْدَأُ الخَلْقَ ثم يُعِيدُهُ ، وهو أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وله المَثَلُ الأَعْلَى فى السَّمٰوَاتِ والأرضِ وهو العزيزُ الحكيم ٣٠ : ٢٧) .

أما هذا المثل فقصته قصيرة ، ولكن فيها عظة الدنيا والآخرة ، وفى العمل بما تقتضيه سعادة الدنيا والآخرة . قصة اللات والعزى ومناة والبدوى والدسوقى والرفاعى . وكل مَدْعُوٍّ من دون الله مع ذبابة من خلق الله . إن هذه الذبابة تستطيع أن تقهر كل هؤلاء فكيف يُعْبَدُ من تغلبه ذبابة ؟ ! .

(ياأيها الناسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا لَهُ ، إنَّ الذين تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ والمَطْلُوبُ ٢٢ : ٧٣) .

وهذا مثل لقوة الأولياء الذين يُعْبَدُون من دون الله ! ! إن هؤلاء الذين يعتمدون عليهم لا يعتمدون إلا على ضعف وخَور شديدين . فكيف يدعون القوى الذى يهب كل قوة وقدرة ، ويلوذون ببيت العنكبوت .

(مَثَلُ الذين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً ، وإنَّ أَوْهَنَ[1] البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٢٩ : ٤١) .

مَثَل لما يأتى به الإنفاق فى سبيل الله من بَرَكَةٍ وفيرة وخير عميم عظيم .

(مثل الذين يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فى سبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مائَةُ حَبَّةٍ ، واللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيم ٢ : ٢٦١) .

---

(١) أوهن = أضعف .

مَثَل لما يصنعه الرياء والمن فى النفقة إنهما لا يبقيان منها إلا خسرة وندامة :

(يأيها الذين آمنوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى كالّذِى يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ ولا يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخرِ فمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عليه تُرَابٌ فأَصَابَهُ وابِلٌ فتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ على شَيْءٍ مما كَسَبُوا والله لا يَهْدِى القومَ الكافرين ٢ : ٢٦٤) .

مثل الكلمة الطيبة يقولها الإنسان ، فتعود عليه بالخير العميم ، وتبقى له عند الله بثوابها العظيم ، وخذ الكلمة الطيبة على إطلاقها ، وأطيب كلمة لا إله إلا الله .

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ الله مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثَابِتٌ وفَرْعُهَا فى السماء ، تُؤْتى أُكُلَهَا كُلَّ حينٍ بإِذْنِ رَبِّهَا ويضربُ الله الأمثالَ للناسِ لعلهم يتذكرون ١٤ : ٢٤ ، ٢٥) .

مثل الكلمة الخبيثة تأتى على كل ماادخر الإنسان من خير فلا تبقى منه شيئًا ، وخذ الكلمة الخبيثة بعمومها ، وأخبث كلمة ، كلمة تومىء إلى الشرك تحيةً له ! ! .

(وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مالَهَا مِنْ قَرَارٍ ١٤ : ٢٦) .

مَثَلٌ لعلماءِ السوء وشيوخ الدين المحترفين ، وقُرّاء كتاب الله كُلٌّ يحفظ الكتاب ويرتل آياته ولكن لا يتدبر ولا يعمل :

(مثل الذين حُمِّلُوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً . بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين ٦٢ : ٥) .

مَثَل من واقع الحياة ، وواقع الشعور ، ويقين التجربة التى تمر بالإنسان ، وتبرز صفة من صفاته ، وهى أنه لا يقبل أن يشركه أحد فى ماله ، ويرفض الشريك ، ولا سيما إذا كان مملوكاً له . هذا يقين تبثه التجربة وصدق الشعور ، فلماذا نبهت الله — وله المثل الأعلى — بأنه يرضى بالشركاء ؟ :

(ضَرَبَ لَكُم مَثَلاً من أنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيما رَزَقْنَاكُمْ ، فَأَنتُمْ فيه سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُم أنفُسَكُمْ ، كذلك نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٣٠ : ٢٨) .

مثل يَبْدَه العقل ، فيخر له ساجداً و بعض هذا المثل يعترف به الخصمُ المعاند ، وهو أن آدم خلق من تراب ، هذا الاعترافُ يلزمه بأن يعترف أيضًا بما يجحد به . وهو أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم :

(إنَّ مَثَلَ عِيسى عند الله كمثل آدمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثم قال له كُنْ فيَكُون ٣ : ٥٩) .

(وتلك الأمثالُ نضربها للناس لعلهم يَتَفَكَّرُون ٥٦ : ٢١) .

نعم ، و إنها لتشرق هداية ونورا . وكما يفرح بالنور من أجنه الظلام ، فَضَلَّلَه ، فظل يرقب الفجر ، كذلك يغضب من النور و يسخط منه من يبحث عن الخطيئة فى الظلام ، ولهذا يقول الله عن هذا النور الجليل بالنسبة للكفار (والذين لا يُؤْمِنُونَ فى آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ٤ : ٤٤) .

ولقد كرر فى هذه الأمثال الهادية فى القرآن ، مثل للعقيدة الحسنة ، مثل للخلق الحسن ، مثل للسلوك الحسن ، مثل للمؤمن ، مثل للكافر ، مثل للمنافق ، مثل المشرك ، مثل للدنيا ، مثل الآخرة ، مثل للجنة . وهكذا تجد فى القرآن من كل مثل يهدى إلى الحقيقة التى لابد للعلم بها للنجاة . ومع هذا كله أبى أكثر الناس إلا كفورًا بنعم الله ، وكفورًا بشريعته ، فشكروا غير الله وحمدوا سواه ، وتوكلوا على غيره ، وكانوا سُجَّدًا حول قِبَابِ الجِيَف . وأضرحة الرمم . وَرَفَعُوا فى وَجْهِ القرآنِ كُتُب علم الكلام ، وكتب التصوف ، وكتب المذاهب الفقهية ، وكتب الفلسفة ، وكتب الماركسية أو الشيوعية .

ربنا لاَتُزِغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وَهَبْ لنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، إنك أنت الوهاب .

عبد الرحمن الوكيل

٢ ـ آداب إسلامية

عن سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك ، قال : « قل آمنت بالله ثم استقم » رواه البخارى .

جمع هـذا الحديث الشريف ـ على وجازة ألفاظه ـ خلاصة مايدعو إليه الإسلام ، فهو من جوامع الـكلم التى اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن من المعلوم أنه لا غَنَاء بالقول مالم يقترن بالعمل ، لأن الإيمان قول باللسان ، وعمل بالجوارح ، واعتقاد بالقلب . ولا يكون المؤمن تام الإيمان إلا إذا كان جامعاً لهذه الأمور الثلاثة فى نفسه .

ومقتضى الإيمان بالله أن تؤمن أيضاً بملائـكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقَدَرِ خيره وشره . كما فى حديث جبريل المروى فى الصحيحين ، حين سأل عن الإسلام والإيمان والإحسان ، والذى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى آخره : « هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم »

فالإيمان أن تؤمن بكل ماجاء فى هذا الحديث . لأن الإيمان كلٌّ لايتجزأ ، فلا يصح الإيمان بالبعض دون البعض الآخر ، وإلا فإن الذى يردّ شيئاً من شرائط الإيمان ، فقد ردّ الجميع ، وكفر بالجميع . وهو المراد بقولنا (الإيمان كل لايتجزأ) .

ومقتضى الإيمان أيضاً : أن يأتى المؤمن أعمال أهل الإيمان ، متصفاً بصفاتهم ، وإلافدعوى الإيمان دعوى كاذبة : يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس الإيمان بالتمنى ، ولـكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل » . ويقول الله تعالى : (ليس البِرَّ أن تولوا وجوهكم قِبَلَ المشرق والمغرب ، ولـكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، والسائلين وفى الرقاب ،

وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون) .

وقد جمعت هذه الآية الكريمة أهم شرائط الإيمان ، كما اشتملت على أهم الأعمال التى يقتضى إيمان المؤمن إتيانها . ولذا قال تعالى فى ختامها (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) أى هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات هم الصادقون فى إيمانهم . لأنهم حققوا ماوقر فى قلوبهم من الإيمان بفعل الطاعات وهم المتقون لأنهم اتقوا المحرمات وسائر المنهيات ، مع قيامهم بفعل الطاعات ولذا استحقوا وصف الله لهم بالصادقين المتقين .

وأما الاستقامة فى قوله صلى الله عليه وسلم : « ثم استقم » فأن تقوم على طاعة الله تعالى ومراقبته ، ولزوم أوامره واجتناب نواهيه ، وأن تستقيم على الصراط السوى . وقد بشر الله الذين آمنوا ثم استقاموا على هدى الله الذى جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ، بشرهم بالجنة التى وعدهم إياها . فقال تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون[1]) كما فى قوله تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون[2]) .

والاستقامة أن تقوم على الطريقة المثلى التى أرشد إليها القرآن الكريم و بينتها السنة النبوية ، لتفوز بالحسنيين ، حسنى الدنيا وحسنى الآخرة . يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه (فاستقم كما أُمرت ومن تاب معك[3]) . فالاستقامة على أمر الله ، كما أمر الله ، هى طريقة الإسلام كما فى قوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقًا)[4] . أى لو أنهم ساروا على الجادة والطريقة المثلى للإسلام ولم ينحرفوا عنها . لكفاهم الله مؤونة مايحتاجون إليه فى حياتهم ، ولأغدق عليهم الأرزاق فى الدنيا ، فضلا عن الجزاء الأوفى يوم القيامة . وفى الآية معنى آخر ذكره المفسرون وهو : لو أنهم استقاموا على طريقة الضلال التى يتبعونها لأغدق عليهم الأرزاق ، ابتلاء وفتنة . ولذا قال (لأسقيناهم ماء غدقًا) اه .

---

(١) سورة فصلت . (٢) سورة الأحقاف .

(٣) سورة هود . (٤) سورة الجن .

ولكنى أذهب إلى المعنى الأول ، لأن ذكر الطريقة (بالتعريف) يفيد أن (الطريقة) هى التى دعا إليها الإسلام ، وأرشد إليها أتباعه للسير عليها ، لا طريقة المنحرفين الضالين . كما تفيدها الآية قبلها : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً . وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقًا) .

والاستقامة أيضا لزوم أوسط الأمور فى العبادات وغيرها ، دون غلو أو تفريط . فإن دين الله بين الغالى فيه والجافى عنه يقول الله تعالى (وعلى الله قَصْدُ السبيل ، ومنها جائر[1]) . والمعنى أن السبيل القصد هو أوسط السبل . وهو ما نصح به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته فقال « القَصْدَ ، القَصْدَ ، تبلغوا »[2] أى انهجوا فى أموركم النهج الوسط فتبلغون بذلك ما تريدون ، كما قدمنا فى كلمتنا بالعدد الماضى .

والخلاصة : أن الصحابى الجليل سفيان بن عبد الله رضى الله عنه ، وقد كان حريصا كل الحرص على أن يفهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يحتاج إليه فى دينه — فهم من هذا الحديث « قل آمنت بالله ثم استقم » على إيجازه ، أنه متضمن كل أمور الإيمان ، وشرائط الإسلام . لأنه اكتفى بهذه الإجابة دون أن يعقب بسؤال آخر مستفهماً ، أو مستزيداً فى الشرح والبيان .

* * *

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : صنع النبى صلى الله عليه وسلم شيئا ترخّص فيه ، وتنزّه عنه قوم . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ثم قال : « ما بال أقوام يتنزهون عن الشىء أصنعه ؟ فوالله إنى أعلمهم بالله ، وأشدهم خشية له » رواه البخارى.

هذا الحديث أدب عظيم من أدب الإسلام ، بل هو دليل واضح على يسر الإسلام وسهولته ، وأنه دين سمح ، هين لين فيما يأمر به أتباعه ومعتنقيه ، وأن الرسول الذى أرسل بهذا الدين القائل : « بُعِثت بالحنيفية السمحة » يعز عليه عنت المسلمين ومشقتهم ، ويريد

---

(١) سورة النحل . (٢) رواه البخارى .

رفع الحرج عنهم ، كما قال تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعَنِتُّم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤف رحيم[١]) .

فقد أُخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن بعض المسلمين يَدَعون السهل اليسير من الأمور ـ مما عمله هو أو دعا إليه ـ ويتكلفون أو يكلفون أنفسهم الشاق العسير من العبادات ، وكأنهم يريدون أن يكونوا أكثر نشاطا من الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو أكثر عملا منه ، بزعمهم .

فلما بلغه ما كان من أمرهم ، غضب لذلك غضبا شديداً . ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخذ يلوم ويعتب على هؤلاء الذين يستنكفون و يترفعون عن الأخذ بما أخذ به هو من أمر دينه ، ويتقالون[٢] ماهو عليه من ذلك . ثم أقسم بالله تعالى أنه صلى الله عليه وسلم ، مع مايرونه عليه من قلة العبادة فى نظرهم ، أعلم الناس بالله ، وأكثرهم خوفا منه وخشية له .

وكأنه يقول : ياهؤلاء (إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم[٣]) . ودعوكم من هذا الغلو والتنطع ، فإن الله سبحانه يريد اليسر بالمسلمين دون العسر ، كما قال تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر[٤]) . وكما قال (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج[٥]) .

فمن الغلو والتنطع الممقوت ؛ أن يرى بعض الناس الزيادة عما كان عليه النبى صلوات الله وسلامه عليه فى العبادات وسائر القربات التى كان يتقرب بها إلى الله تعالى .

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً) .

محمد صالح سعدالله

---

(١) سورة التوبة . (٢) يرونه قليلا . (٣) سورة آل عمران .
(٤) سورة البقرة . (٥) سورة المائدة .

«رمضان» بين أباطيل المرجفين

وحقائق المؤمنـــين

لاحت فى الأفق تباشير شهر الصوم ، وأصبح بزوغ هلاله قاب قوسين أو أدنى . وكلما لاحت للحق أنوار ، تكاثفت للباطل ظلمة ، وكلما علا له صرح تهاوت من بناء الباطل لبنات . ذلك بأن الله قد قدر أن يبقى الحق والباطل فى صراع مستعر الأوار ، محتدم اللظى ماتعاقب الملوان . سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

قال لى صاحب قد فتن بثقافة الغرب فتونا أى فتون ، فند منه العقل ونآى عنه اللب . قال لى مجادلا يبغى للباطل نصرة ، وللزيغ ملجأً وظفراً : رمضـان قد أتى ! فقلت : الخير أقبل .

قال : فأى خير فى شهر يغرى بالكسل ويحض على البطالة ويدفع الناس إلى العجز والتثاقل ، واستطرد ـ وقد ورم منه الأنف وانتفخت منه الأوداج . وقد ظن أنه بهر طقته الشنعاء وسفسطته النكراء أنه قال فأفحم ، ورمى فأصمى ، وما حسب أنه أبعد النجعة عن الحق وأن ماقال جعجعة بلاطحن ، وأنه علج منكر ، وقرين هوى ـ فقال وأنتم معشر المؤمنين تأتون الأعمال بلا فهم ولا تدبر ، وإلا نخبرنى لماذا اختار الله رمضان شهراً للصوم ولم يختر شعبان أو شوال ؟

قلت : لو أن الله اختـار شعبان أو المحرم أو غيرهما من الأشهر للصوم ، لسألت أنت نفس السؤال . إن الله ياصاحبي يخلق مايشاء ويختار ، وما كان لأحد من عباده الخيرة ، ولقد اختار رمضان واصطفاه وطهره وأعلاه، وبالقرآن الكريم زكاه ، وأعود أنا لأوجه إليك شبيهاً لسؤالك هذا . لمـاذا سماك أهلك باسمك الذى أنت به مسوم ، و بين الناس به معروف ومعلم ، ولم يختاروا لك اسماً غيره من بين آلاف الأسماء الأخرى ؟ ولماذا ولدت فى شهر كذا ، ولم تولد فى شهر كذا ؟ إنه أمر الله القادر وقدره الغالب .

عاد بعد ماطاش منه السهم فى الجولة الأولى ليعاود الكرة ولكنه رمى بأفوق ناصل .
فقال : سمعتك غير مرة تقول فى خطبك ومحاضراتك أن الإسلام دعوة عالمية للبشر أجمعين ، وقرأت لك فيما كتبت مثل هذا القول فى غير مقال ، وفى أكثر من رسالة وكتاب . فإذا كان الأمر كذلك فلماذا كان الصوم فى الشهور العربية القمرية ولم يكن فى الشهور الشمسية الإفرنجية . أليس فى هذا شبح من أشباح التعصب العربى ودليل على أنه دين إقليمى .

قلت : وأنا أرمى بسهم الله الذى لايخطىء أفئدة الغاوين ، كلا ثم كلا ثم كلا .
بل هذا هو الدليل المبين على عالمية هذا الدين وعلى أنه من عند رب العالمين ، فالإسلام حين جعل الشهور القمرية ميقاتاً للصوم والحج وسائر الشعائر الأخر، إنما كان ذلك من القدر الحكيم ، والتصريف الرائع للأمور . ففصول السنة تتعاقب على هذه الشهور ، فأحياناً نصوم فى وقدة الهجير ولفح الحرور ، فندرك ألم ذلك النوع من الصيام . وأحيانا نذوق طعم الصوم فى الزمهرير فيكون هذا نوعاً آخرمن التجربة . وآناً يكون ذلك بين نسائم الربيع أو فى هبات رياح الخريف ، وهذا من لطف الله بعباده ومن كرمه بهم وحدبه عليهم ، وليس الأمر كذلك مع الشهور الشمسية .
قال : وقد أحاطت به الحجة من أفكاره ، وأفحم من كل صوب . هل بقى من الخطبة شىء أيها الخطيب . قلت : إنه القول الفصل وما هو بالهزل . نعم . بقيت ثالثة الأثافى ، تصف دعواك تلك الزنيمة المزعومة التى تدعى بها : أن الصوم منقصة للقوى موهنة للعزائم مجلبة للعجز والفتور والألم . إسمع ياصاح ، إن العبادات الإسلامية ليست غايات مطلقة ، إنها فى حد ذاتها غاية تعبدية ، ذلك أن الله يتعبد عباده بما يشاء من العبادات ولكن العبادات قبل ذلك كله : وسائل إلى غايات أخرى أكبر وأعظم ، فليست الغاية من الصوم أن يشعر الإنسان بألم المخمصة ولذعة الظمأ ، بل ذلك وسيلة إلى غاية : إستمع معى إلى هذا القرآن الرائع الخالد المحكم المعجز :
« يا أيها لذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم

تتقون » لم يقل لعلكم تظمأون . ولم يقل لعلكم تجوعون . ولم يقل لعلكم تتألمون . وإنما قال لعلكم تتقون . ولو أردنا بيان المعنى الرائع من وراء هذه اللفظة المحكمة ، لاحتجنا إلى سفر كامل . ولقد مكثنا نحاضر الناس طيلة شهر رمضان الماضي حول هـذه المعانى الرائعة لهذه الكلمة فانصرم الشهر ولم تنفد المعانى . فالنفوس هى الدعامة الأولى وإن شئت فقل الوحيدة لبناء المجتمع الإنسانى كله ، ولإشاعة الحق بين أرجائه ولإذاعة الخير بين جنباته ، ولبث الهدى والنور بين ربوعه وربواته . وانظر إلى الصلاة إن الأمر ليس بمجرد حركات تؤدى فحسب ، ولكن « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » تلك غاية الصلاة أو من غاياتها .

إن العبادات ياصاحبي ذات شقين : حسى وهو الأدنى ، ومعنوى وهو الأرب والغاية . نعم . ذات شقين : مادى وهو الظاهر المحسوس ، وروحى وهو الجوهر النفيس . تأمل معى قوله صلوات الله وسلامه عليه : « لاينال المرء من صلاته إلا ماعقل » أليس هذا هو مصداق قولنا .

فالجانب المادى من الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب ، وحبس شهوة الفرج و إيقاف ضرمها و إخماد وقدتها ، والجانب الروحى : أنك وقد صمت عما أحل فأولى لك ثم أولى أن تمسك عن كل ماحرم. إن صيام اليد عن الأذى وصيام القلب عن الزيغ والهوى، وصيام اللسان عن اللغو والرفث ، وصيام النظر عن الطيش والعبث ، وصيام الفرج عن الزنا والخبث . وصيام النفس عن الدنايا والترهات والرذائل ، وصيام القدم عن السعى إلا فى بر أو خير ، هو بعض مايراد من الصوم .

.. وليتنا نستطيع أن نسطر كل ماوعاه العقل من روائع حكمة الصوم ، فذلك مايضيق به الصحائف . وليس كل ماوعاه العقل إلا قطرة من غيث منهمر .

عبد الفتاح ابراهيم سلامة

وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية بطنطا

باب الكتب

« قاموس » الأضرحة والمقابر

والأجداث والصور والتماثيل المقدسة وغيرها من آثار القديسين والأولياء

فهرس وتعليق ونقــد

— ٤ —

تأليف ـ ج . ا . س كولان دى بلانسى

By. J. A. S. Collin de Plancy

الناشر ـ مكتبة جوبان وشركاه .

طبع فى باريس سنة ١٨٢١

ترجمة وتعليق : الدكتور أمين رضا

الباب الرابع ـ هادمو التصاوير والمقاصير

قلنا : إن المسيحيين هدموا أصنام الشعوب الوثنية لــكى يحل الدين المسيحى محل الوثنيّة . وما كادوا يسيطرون على الشعوب حتى أحلوا رفات القديسين وتماثيلهم محل أصنام الوثنيين . وقد رأى بعض المؤمنين من المسيحين أن ذلك لم يغير من الأمر من شىء . فقد حلت الوثنية المسيحية محل الوثنية الجاهلية . فرفضوا الخضوع للبدعة الجديدة وابتعدوا عن عبادة الصور والآثار المقدسة .

وقد كان أباطرة الشرق — ابتداء من قسطنطين — يتدخلون فى جميع المشادات الدينية ، وكانوا يهتمون باللاهوت أكثر مما كانوا مهتمين بالسياسة . وكان الدين لا يرقى إلا بين الاضطرابات والاضطهادات . وكانت المذاهب المختلفة تتناحر . ولم يكن للمذهب القوى هدف إلا أن يهدم المذاهب الأخرى كلها . وكان لا بد للعامل أن يعتنق مذهباً دينياً ما . وكان فى ذلك يظهر تطرفا مبالغاً فيه واعتقاداً غاية فى الحماسة . ولم يكن تحمسه حبا فى المذهب نفسه ولكنه كان يرمى من وراء ذلك إلى أن يحظى من رهبان هذا المذهب بقسط وافر من التبريك والثناء والمدح .

كان من المألوف إذا بدأ الشعب يكره أميراً — أن يظهر أحد الثقاة الورعين الذين كانوا إذ ذاك يعيشون فى الكهوف الموحشة ، فيذهب إلى أحد القواد المعروفين بالغواية ، وينبئه أن السماء تدعوه إلى عرش الأمبراطورية ، فما يكون من هذا القائد إلا أن يقوم بثورة يقتل فيها الملك ، ويستولى بعده على الحكم ، وبعد أن يصير الأمر كله فى يده كان يرى من واجبه أن يقرب نبيه الذى بشره بالمجد . ويضعه فى مكانه اللائق من التبجيل والاحترام .

هذه المناوشات وهذه الاغتيالات التى لا حصر لها وهذه الانقلابات المتتابعة ، وهذه الممالك المليئة بالزوابع ، وهذا النزاع المستمر بين المبادئ المتضاربة . كل هذه عوامل تجعل الامبراطوريات مليئة بالقلاقل . ولكن أكبر منها جميعا فى زعزعة الملوك . كان هذا السلطان الواسع النطاق الذى كان الرهبان يتمتعون به . فقد كان الرهبان هم الذين يقودون كل شىء . فإن تاريخ الغرب فى القرن الثامن الميلادى لم يكن إلا سلسلة مرعبة من الفظائع . وكان الدين — بل الخرافة — أساس هذه البشاعات .

لقد كان الملك السعيد هو الذى كان يجد فى عهده فرصة لمحاربة المرتدين عن المسيحية أو منكريها ، أو الذى كان يجد سببا ليدعو به المجامع الدينية العالمية إلى الاجتماع . وكانت الروح المشبعة « بالمماكسات اللاهوتية » هى الروح التى سيطرت على جميع أباطرة قسطنطينية حتى فتحها محمد الثانى . فقد شغل الامبراطور Justinien جوستنيان نفسه بمحاربة

مذهب أريجين[١] Origène أكثر من شغله نفسه بتوفير الرفاهية لرعيته[٢] . كذلك شغل الامبراطور فيليبيكوس Philippicus نفسه بالدفاع عن مذهب المونوتيلست[٣] Monothélistes بينما كان البلغار ينهبون مملكته من حدودها الغربية .

وكان الملوك يعتنقون مذهب التصاوير أو المذهب المضاد له حسب مايجدون فيه من القوة وكثرة الأتباع ، ولكنهم لم يحاربوا عبادة التصاوير محاربة فعالة حتى عهد ليون الايزورى[٤] Lèon L' Isaurien ولم يكن هذا الملك على قسط وافر من الثقافة ، ولذلك لم يتمكن من فهم تفاهات علماء اللاهوت . ولم يتمكن من إدراك مبادىء الخارجين على الكنيسة ، فلم يحاربهم ولكنه أراد أن يعمل شيئاً للدين — كما كانت هى عادة الأمراء فى ذاك الوقت — فلم يجد أحسن من أن يرجعه إلى بساطته الأولى . ولذلك فقد كان عدو التماويذ . وكان القديس جيرمان Saint cermain إذ ذاك ـ بطريك القسطنطينية ـ فثار ضد الملك ورفض أن ينفذ قراراته بهدم التصاوير والأضرحة ، وبث روح الثورة فى الشعب فى جميع المقاطعات . ولكن الملك حارب الثوار وهزمهم وهدم التصاوير والتماثيل وأقال البطريك الثائر ، وقد أثارت هذه الفتنة سيلاً من الأقاصيص عن معجزات يقال أنها حدثت .

منها : أن القديس يوحنا الدمشقى أمر الخليفة بقطع يده لاتهامه بالخيانة ، فتوجه إلى صورة العذراء طالباً منها أن ترد إليه يده ، فأرجعتها له سليمة كما كانت . ويقال أن الخليفة لما رأى بعينى رأسه هذه المعجزة كاد يتنصر .

بعد ذلك أرسل ليون بقراره إلى إيطاليا آمراً بتنفيذه هناك . ولكن البابا رفضه

---

(١) أريجين عالم فى اللاهوت وفى تفسير التوراة ولد : بالاسكندرية (١٨٥ - ٢٥٣ م) له مذهب خاص أساء فيه استعمال الطريقة التورية فى تفسير التوراة وأدانته الكنيسة لذلك

(٢) وهذا أصل المثل القائل بالمناقشات البزنطية دلالة على تفاهتها وعدم جدواها .

(٣) مونوتيلست مذهب يوحد إرادة يسوع الإله ويعترف بأن به طبيعتان ـ الرب والإنسان

(٤) ليون الايزورى ـ هو ليون الثالث « ٧١٧ - ٧٤١م » .

رفضاً باتاً ، ورد على الملك قائلا : بأن الدين خاص بالأحبار لا بالملوك . وقد ثارت إيطاليا بأسرها ضد هذا الملك ورفضت أن تدفع له الأتاوات التي كان يفرضها عليها ، فأرسل إليها بجيوشه ليخضعها إلا أنه توفى قبل أن ينفذ قراراته فيها .

وقد اقتفى أثره ابنه قسطنطين كوبرونيم[1] Constantin - copronyme ورغبة فى الدعاية لمبدئه دعا إلى مؤتمر عام للبطاركة فى قسطنطينية اجتمع فيه مالا يقل عن ثلاثمائة من كبار أحبار المسيحيين . وقرروا فيه أن كل مسيحى يعبد صورة أو رفاتاً إنما هو وثنى لا فرق بينه وبين عبدة الأصنام ، كما قرروا منع عبادة الأشياء المقدسة فى الكنائس وفى البيوت . وأن كل من يقترف ذلك الجرم يطرد من الدين المسيحى ، وقرروا إقالة كل القساوسة الذين يعبدون الصور والتماثيل والأموات .

إلا أن البابا لعن هذا المؤتمر الكنسى ، الذى سمى بمؤتمر مدمرى التصاوير . ومع ذلك فإن الأمبراطور نفذ قراراته فى جميع أنحاء أمبراطوريته الشرقية فهدم جميع التصاوير والمقاصير ، ورمى جميع الرفات والأجداث فى اليم ، أما معجزات هذه المقدسات فلم تحمهم من الهدم والغرق .

ومما يدعو إلى الأسف حقاً أن عدداً كبيراً من المسيحين قاوم أوامر الأمبراطور بشدة بالغة وبتهور جنونى ، فانتشرت المذابح الدامية ، ونفى الأمبراطور كل الذين تحدوه ، وتعرضت الأمبراطورية كلها للقلاقل والسلب والنهب .

ولقد ذهب هذا الأمبراطور إلى أبعد من ذلك ، فحرم الرهبنة فى ملكه لأن فئة الرهبان كانت الفئة الوحيدة التى تستفيد من المذهب الوثنى ، وقد أجبر أغلب الرهبان إلى الزواج ، وأقفل الأديرة .

وتلاه فى الملك الأمبراطور ليون الرابع (٧٧٥ — ٧٨٠ م .) الذى كره هو أيضاً

---

(١) هو قسطنطين الخامس (٧١٨ - ٥٧٧ م) وقد تولى الحكم فى سنة ٧٤١ م .

التصاوير والأضرحة كرهاً لا مثيل له . فقد رفض أن يرى زوجه الأمبراطورة ايرين نهائياً لأنه وجد فى محرابها بعض التصاوير . وعم غضبه كل عبدة الأوثان من المسيحيين .

ولما توفى ليون الرابع كان ولى عهده لا يزال طفلا . فتولت الوصاية على الحكم الأمبراطورة ايرين والدته ، وما لبث أن قتلت ابنها واستأثرت بالحكم وشجعت عبادة الأضرحة بكل جوارحها . وبذلك تصالح الرومان واليونانيون مع الأمبراطورة الشرقية .

وتولى الحكم بعدها الأمبراطور ليون الخامس الأرمنى (٨١٣ — ٨٣٠ م .) وكان عدواً لدوداً للتصاوير والأضرحة ، وقد حاربها بشدة وأمر بهدمها وتدميرها . إلا أنه قتل فى قداس عيد الميلاد وهو قائم يصلى . وكان قتلته يحسبون أنهم صنعوا خيرًا بقتله . لاعتقادهم أنه كان كافرًا فاسقًا .

وقد اختار قتلته من بعده ميشيل لى بيج Michèle le Bègue وكان ضابطاً محكومًا عليه بالإعدام . وكان عهده مليئاً بالقلاقل فلم يتمكن من الالتفات إلى الأمور الدينية .

وولى الحكم بعده الأمبراطور تيوفيل Theophile الذى حارب عبدة التصاوير محاربة شديدة وانتشرت فى عهده المذابح وثار القساوسة . وحار الشعب ، لا يدرى أى مذهب يعتنق . أيعبد الأوثان أم لا ، حيث أن المذهب الذى كان يفرض عليهم بالقوة كان يتغير بسرعة .

وقد رقت الأمبراطورة تيودورا Theodora العرش بعد موت زوجها . وكانت سنداً قوياً لعبدة التصاوير والأضرحة . فحاربت مدمريها ونفتهم ، وطردت البطريك يوحنا . وجمعت رجال الدين لإصدار قرار يأمر الناس أن يعبدوا التصاوير والمقاصير والرفات المقدسة ونفذت قراراته بقوة السلاح .

وتمكنت هذه الأميرة من تشتيت شمل مدمرى المقاصير ، والتصاوير نهائياً . فانتشرت الوثنية فى المسيحية بشكل ظاهر ، وتفشت فى جميع الكنائس الشرقية والإيطالية .

ولكن الدول الأوربية الغربية لم تكن تقدسهم كثيرًا فى ذلك الوقت ، حيث أن دعاة الكنيسة فى فرنسا رفضوا قرارات المجامع الدينية التى كانت تأمر بعبادة الصور ، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أنهم لا يجب أن يقدسوا المادة . ومع ذلك فإنهم كانوا يعبدون رفات قديسيهم لا صورهم .

وقد اجتمع أحبار الكنيسة فى اليونان على هيئة مؤتمر وأصدروا قراراً يقول « كل من يرفض أن يعبد صور القديسين عبادته للثالوث المؤله ، فهو ملعون فاسق خارج على الكنيسة » وفى فرانكفورت بألمانيا اجتمع القساوسة وأصدروا قراراً بلعن هذا القرار اليونانى .

ولكن قساوسة الغرب اعتنقوا معتقدات الشرق واليونان تدريجيًا ، ففى باريس اجتمعت جمعية من البطارقة فى سنة ٨٢٤م . وقررت أن عبادة التصاوير غير واجبة ولكنها جائزة ، وفى القرن العاشر الميلادى عبدت التصاوير فى فرنسا كغيرها من البلاد .

وقد قوى مذهب التصاوير بسرعة وأصبح هو الدين المعترف به ولم تقم الحرب بعد ذلك ضد شعب فود Vaud فى سويسرة وضد البوجونت Buguen; إلا لأنهم كانوا يهدمون التصاوير ويدمرون الأضرحة ويخربون المقاصير .

(يتبع) الدكتور أمين رضا

هاؤم اقرأوا كتابيه

جىء بأعرابى إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته ، وهو يقول : هاؤم اقرأوا كتابيه . فقيل له : يقال هذا يوم القيامة . قال : والله هذا شر من يوم القيامة . فقيل وكيف ذلك . فقال : إن يوم القيامة يؤتى فيه بحسناتى وسيئاتى ، وأنتم جئتم بسيئاتى وتركتم حسناتى .

ياقومنا أجيبوا داعى الله

« آن الأوان »

« لكى نسلك السبيل القويم الذى سلكه سلفنا الصالح فى الدعوة إلى الله ، »
« فهدوا بالقرآن العرب والعجم ، ووجدوا له من الفرس والروم ومن ذوى »
« الأديان المختلفة والثقافات المتباينة آلاف الأنصار المؤمنين به ، الذائدين عنه ، »
« المقاتلين فى سبيله ، فما نجح سلفنا فى الدعوة إلى الله بين العرب فحسب ، و إنما »
« نجحوا كذلك بين الأمم الأخرى نجاحاً لايزال هو المثل الأعلى لكل نجاح »
« ولكل انتصار » .

بهذا النداء الحار ، الشائق الفعال ، نادى رئيسنا العالم العامل الأستاذ الموفق الشيخ عبد الرحمن الوكيل الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية فى كتابه الجديد : « الصفات الإلهية ص ١٦٥ »وعلى هذا الحديث القيم ، صغت هذه الأبيات اقتداء بما قدمه لنا فى مؤلفه هذا من عظات بالغات ، وآيات بينات متبعاً هذا البيان الشافى الصادر من الأعماق ، عسى أن يكون فى ذلك عظات وعبر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وللحديث بقية إن شاء الله .

« القصيدة »

اللهَ فى الخلق كم هيَّجتِ أشجانا	وكم فتكت بسيف اللحظ شجعانا
وكم عاشقٍ راح مأسور الهوى شغفاً	موله القلب يشكو منكِ هجرانا
ملكتِ بالحسن ألباباً وأفئدة	رُحماك من مدنف لم يلق سلوانا
أنا الأسير ومالى فيكِ مصطبرٌ	أبيت ليلى حليف الشجو حيرانا
و... الحلِيُّ الذى تسمو جوارحه	على معانيه ، هل تلفيه إنسانا ؟

ولست تلقى الهوى فى الناس متحداً   وإنما كان أنواعاً وألوانا
فمن ثرىّ يحب المال مرتهن   يسير نحو حماه أينما كانا
ومن محبّ بعشق الغيد مفتتن   يقبّل الأرض، والراحات أحيانا
ومن شجاع كمىّ جلّ بغيته   حفظ الذمار وإلاّ مات وجدانا
ومن طروب بأنغام ترددها   قيثارة الحب تذكى فيه نيرانا
وخير أهل الهوى فى الناس منزلة   من كان بالشرعة الغراء، ولهانا
هي الوفية ما كلّتْ عزيمتها   يوماً ولا غدرت ظلماً وعدوانا
ولا أرادت به سوءاً ومنقصة   ولا أقامت له للحرب ميدانا
من مدّ كفاً لها كيما يصافحها   مدت له كفها بالخير ملآنا
ومن جفاها جفته وهى ما خسرت   وعاد ممتلئاً خسراً وكفرانا

* * *

دين السلام له فى القلب منزلة   علياء إن كان يحوى القلب إيمانا
ونحن إمّا تدبرنا أوامره   فقنا الثريا علاً والبحر طوفانا
وإن نصرناه فالرحمن ينصرنا   وإن نسيناه فالجبار ينسانا
وإن تعلقت الألباب مخلصة،   به أفاض عليها النصر هتانا
فأيدوه بأعمال مطهّرة   لا تجعلوا صُنعكم إثماً وبهتانا
أنتم بنوه فما نؤتم بتضحية   وكان من خيرة الآباء إحسانا
فاقضوا على البدع الشنعاء واتبعوا   نهج الذين اتقوا سراً وإعلانا
سقوا ثراه بما قد عزّ من دمهم   إذ أبصروه غداة الرّوع ظمآنا
إن زاد أعداؤهم فى ظلمهم عنتاً   زادوا ثباتاً وإخلاصاً وإيمانا

* * *

يا قوم سنّةُ شرع الله تنشدكم   فناصروها زرافات ووحدانا

هبّوا جميعاً وذودوا عن قداستها وابنوا لها فوق هام النجم إيوانا
وحاسبوا النفس فى قولٍ وفى عمل لا تجعلوا لهوى الشيطان سلطانا
ذودوا عن الدين أوزاراً وفاحشة لا يأمر الله بالفحشاء إنسانا
وآزروا بعضكم بعضاً لترتفعوا شأناً ؛ وكونوا عباد الله إخوانا
وسدّدوا السهم بالآراء صائبة وشيدا بقلوب الشعب عرفانا
وقلدوا الناس سيف الحق منتصراً وأقرئوا ضعفاء الدين قرآنا
لا تملأوا الدين آراء معقدةً لا يقبل الدين تعقيداً وطغيانا
لا تلصقوا برسول الله محدثة عن الفسوق كتاب الله ينهانا
إن البناء إذا قامت دعائمه على الفساد ؛ وهى أسّا وبنيانا
إن التنازع بين المسلمين فشا ولم يقيموا لعدل الله ميزانا
إن الجهالة بين الناس شائعة وزائف القول ترجو منه إحسانا
تفرّقوا شيعاً فى الدين واختصموا من غير حق ولم يرعوا له شانا
ذو الجهل يعمل فى تضليل أمته ما يفعل الجن والشيطان أحيانا
يلقى على الناس أقوالاً ملفقة يدس فيها أباطيلاً وعصيانا
إنّا اتخذنا كتاب الله حجّتنا وسنّة المصطفى المختار برهانا

« يتلى »

نجانى عبد الرحمن
الجيزة

٣ - فرق المعـتزلة

قال الرازى : « الفرقة الخامسة : النظامية :

أتباع إبراهيم بن سيار النظام[١] : ومن مذهبهم : أن العبد قادر على أشياء لا يقدر الله تعالى على خلقها ، والإجماع وخبر الواحد والقياس ليس بحجة عند هؤلاء .

ولا يذكرون الصحابة ولا علياً رضى الله عنه بسوء .

الفرقة : السادسة : الثمامية :

أتباع ثمامة بن أشرس[٢] — وكان فى زمن المأمون — ومن مذهبهم أن الفعل يصح من غير الفاعل .

---

(١) يقول المعتزلة إنه لقب بالنظام لأنه كان حسن الكلام فى النظم والنثر ، أما غيرهم فيقولون إنه سمى بذلك لأنه كان ينظم الخرز فى سوق البصرة ويبيعها . ويعتبر النظام ثانى قائد عسكرى المعتزلة بعد أبى الهذيل العلاف ، وقد توفى سنة ٢٣١ هـ = ٨٤٥ م » صحب فى شبابه الثنوية ـ أى القائلين بإلهين : الخير والشر أو النور والظلام ـ ثم خالط الفلاسفة وهشام بن الحكم الرافضى . ومن دينه القول بانقسام كل جزء لا إلى نهاية .

فقال أبو الهذيل . لو كان كل جزء من الجسم لا نهاية له ، لكانت النملة إذا دبت على البقلة لا تنتهى إلى طرفها . فقال النظام . إنها تطفر بعضاً ، وتقطع بعضاً . ومن دينه أيضاً القول بأن الله يجب عليه أن يفعل بالعبد مافيه صلاح العبد ، والطعن فى فتاوى الصحابة ، وفى أصحاب الحديث ، وكثيراً ما كان يقع فى أبى هريرة ، ويرميه بالكذب الفاحش ، وقد طعن أيضا فى عمر وغيره من أعلام الصحابة ، وأنكر إعجاز القرآن فى نظمه وقد كفره بعض المعتزلة كالعلاف والإسكافى والجبائى ، وصنف الأشعرى فى تكفيره ثلاثة كتب .

(٢) كنيته : أبو معن ونسبته « النميرى » وهو من مواليهم ، لا من نسبهم . وقد توفى سنة ٢١٣ هـ . وكان زعيم المعتزلة فى أيام المأمون والمعتصم والواثق . ومن دينه أن للمعارف

الفرق السابعة : البِشرِية .

أتباع بشر بن معمر بن عباد السلمى[١] ، وهم يثبتون النفس الناطقة كما هو مذهب الفلاسفة . و يثبتون فى الجسم معانى غير متناهية[٢] .

الفرقة التاسعة : المزدارية .

= ضرورية ، وأن من لا يعرف الله معرفة ضرورية فليس عليه أمر ، ولا نهى ، وأن عوام الدهرية والزنادقة فى الآخرة ليسوا فى جنة ولا نار ، وإنما سيجعلهم الله تراباً ، وكذلك من مات طفلا . ومن دينه أيضاً أن الأفعال المتولدة لافاعل لها ، وأنه لا يجوز سبى النساء من بلد الكفر ، وأن العالم الإسلامى فى عصره كان عالم شرك لغلبة المخالفين لدينه . وروى عنه ابن قتيبة والجاحظ فضائح شنيعة .

(١) خلط الرازى بين زعيمى فرقتين فصلت بينهما أكثر كتب الفرق . أما الأولى فهى البشرية أتباع بشر بن المعتمر . ويقول عنه الشهرستانى . إنه أفضل علماء المعتزلة ، من دينه أن الإنسان يخلق اللون والطعم والرائحة والسمع والبصر ، وجميع الإدراكات على سبيل التولد . وهكذا الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . لهذا يتهم بالإفراط فى القول بالتولد عن المعتزلة ، فهم لا يقولون إلا بالتولد فى الحركات والاعتمادات . ومن دينه أن الله قد يغفر للانسان ذنوبه ثم يعود فيما غفر له فيعذبه إذا عاد إلى معصية ، وقد كفره المعتزلة بسبب بعض الأقوال التى وافق فيها السلف . أما الفرقة الأخرى فهى فرقة المعمرية أتباع معمر بن عباد السلمى يقول عنه الشهرستانى أنه أعظم القدرية فى تدقيق القول بنفى الصفات ونفى القدر خيره وشره من الله . والتكفير والتضليل على ذلك ، وقد انفرد عن المعتزلة بأمور منها قوله : أن الله لم يخلق سوى الأجسام . أما الأعراض فمن اختراعات الأجسام . إما طبعاً كالنار التى تحدث الإحراق ، وإما اختياراً كالحيوان يحدث الحركة . وقوله أن الأعراض لا تتناهى فى كل نوع ، وغير ذلك . وهنا نسخ خطية لكتاب الرازى فصلت بين الفرقتين وقد أشار إليهما محقق الكتاب . ولا ندرى لماذا لم يثبت مافيهما ؟ ! .

(٢) هكذا فى النسخة المطبوعة مما يدل على أنه يوجد خلط بين فرقتين كما قلنا ، وقد جعله فى النسخة المطبوعة فرقة واحدة ، فحدث خطأ فى العدد .

أتباع أبى موسى بن عيسى بن مسيح المزدار[(١)] ، وهو تلميذ بشر ، وأستاذ جعفر ابن الحرث وجعفر بن المبشر .

(١) ترجم له البغدادى صاحب الفرق بين الفرق بقوله : « عيسى بن صبيح المعروف بأبى موسى المزدار . وكذلك ذكره صاحب التبصير بالراء لا بالزاى ، وترجم له الشهرستانى هكذا « عيسى بن صبيح المكنى بأبى موسى ، الملقب بالمردار » وقد توفى سنة ٢٢٦ هـ . وله المكانة السامية بين معتزلة بغداد . وكان يقال له راهب المعتزلة ، إذ كان يشتغل بالترهب . ومن دينه أن الله تعالى يقدر على أن يكذب ويظلم . ولو كذب وظلم لكان إلهاً كاذباً ظالماً ، والغلو فى القول بخلق القرآن ، وتكفير من قال بقدمه ، والقول بأن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة ، وكان يكفر من يجالس السلاطين .. ويقول عنه أنه لا يرث ولا يورث ، ويكفر من يقول إن أعمال العباد مخلوقة لله ، ومن يقول بأن الله يرى بالأبصار يوم القيامة ، بل كفر كل من فى الأرض إلا الذين يدينون بدينه .

عبد الرحمن الوكيل

حسن تخلص

خرج الحجاج يوماً للصيد ، فوقف على أعرابى يرعى إبلا ، فقال له ياأعرابى : كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج ؟ فقال له الأعرابى : غشوم ظلوم : لا حياه الله ، فقال فلم لا شكوتموه إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : فأظلم وأغشم ، فبينما هو كذلك إذ أحاطت به الخيل فأومأ الحجاج إلى الأعرابى ، فأخذ وحمل ، فلما صار معهم قال : من هذا ؟ قالوا له : الحجاج ، فحرك دابته حتى صار محاذيًا للحجاج ، ثم ناداه ياحجاج : قال ماتشاء ياأعرابى ؟ قال : السر الذى بينى و بينك أحب أن يكون مكتومًا .

فضحك الحجاج وأمر بتخلية سبيله .

توحيد الله عز وجل

« الربُّ » قال الراغب فى المفردات « الرب فى الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام ، يقال ربَّه ورباه وربَّبَه . وقيل : لأن يربنى رجل من قريش خير من أن يربنى رجل من هوازن . فالرب مصدر مستعار مستعمل للفاعل ، ولا يقال الرب مطلقاً إلا لله تعالى ، المتكفل بمصلحة الموجودات .

وفى النهاية لابن الأثير : « الرب مطلق فى اللغة على المالك والسيد والمدبِّر والمربى والقيِّم والمنعم . ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى ، وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال : ربُّ كذا » .

من هذا وغيره يتبين إن للفظ الرب عدة معان ، فهو يطلق ويراد منه المربى للشيء الذى ينميه بالتغذية ، وينقله من طور إلى طور حتى يبلغ غاية كماله . ويطلق ويراد به المالك للشيء المدبر له وصاحب السيادة عليه .

ولا شك أن هذه المعانى كلها مما يصح أن تراد بلفظ الرب إذا أطلق على الله تعالى ، فهو المربى عباده بنعمه تربية مادية بالأغذية والأقوات ، وتربية روحية بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب والشرائع . وهو أيضاً : المالك للأشياء والقيِّم عليها ، والمدبر لشئونها ، والمتكفل بمصالحها وحفظها .

واسمه تعالى (الرب) من أصول الأسماء الحسنى التى تعتبر مدار الكثير من هذه الأسماء . فهو متضمن لصفات الخلق والرزق والملك والتدبير والحفظ ، ونفوذ المشيئة والحكم وغيرها من شئون الربوبية المختصة به سبحانه . والإقرار بربوبيته تعالى لكل شيء أمر مركوز فى الفطر لايكاد ينازع فيه إلا مكابر أو مغالط . كما حكى الله عز وجل

عن فرعون أنه قال لموسى (وما رب العالمين) وقد أجابه موسى عليه السلام بما يقر به فى نفسه ، وإن جحده لسانه ، فقال له (ربُّ السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين)

وكذلك أخبر الله سبحانه عن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنهم مع إشراكهم فى إلهيته واتخاذهم الأنداد التى ساووها بالله تعالى فى استحقاق العبادة والتعظيم . كانوا يقرون لله بالربوبية المطلقة لجميع الأشياء ، قال تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت يخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر ؟ ؛ فسيقولون الله) .

وقال (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولون الله)

« الرحمن الرحيم » إسمان كريمان من الأسماء الحسنى ، يدلان على اتصافه تعالى بصفة الرحمة ، وهى صفة حقيقية لله عز وجل على مايليق به . فلا يجوز القول بأن المراد بها لازمها ، كإرادة الإحسان ونحوه ، كما تزعم المعطلة . واختلف فى سر الجمع بين هذين الاسمين الكريمين بعد الاتفاق على أن أولهما (الرحمن) أكثر مبالغة من الرحيم ، فقيل المراد بالرحمن : الذى وسعت رحمته جميع خلقه فى الدنيا . وبالرحيم : الذى تخص رحمته المؤمنين فى الآخرة ، كما قال تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) .

وقد ذهب العلامة ابن القيم رحمه الله إلى أن الرحمن دال على الصفة القائمة بالذات ، وأما الرحيم فدال على تعلقها بالمرحوم ، فهو الرحمن فى ذاته ، الرحيم لعباده بالفعل بتلك الرحمة . ولعل مما يشهد لهذا ، أن اسمه تعالى الرحمن لم يستعمل فى القرآن متعدياً بخلاف الرحيم . قال تعالى : (وكان بالمؤمنين رحيما) وقال (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) .

وفى الحديث الصحيح : « أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته » .

واسمه تعالى (الرحمن) من الأسماء المختصة به ، فلا يطلق على غيره . ولهذا يقع في ابتداء الكلام وتجرى عليه النعوت ، كاسم الجلالة تماماً .

قال تعالى : (الرحمن على العرش استوى) وقال (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ، قالوا وما الرحمن ، أنسجد لما تأمرنا ؟ وزادهم نفوراً) .

وقال : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) .

قيل : كانت العرب لاتعرف اسمه تعالى (الرحمن) حتى رد الله عليهم بهذه الآية . ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية ، لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ : اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) : لانعرف الرحمن ولا الرحيم . وفى بعض الروايات : لا نعرف الرحمن ، إلا رحمن اليمامة .

وروى عن الحسن قال : (الرحمن اسم لاتستطيع الناس أن ينتحلوه ، تسمى به تبارك وتعالى) والله تعالى أعلم .

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

حول القول فى الجهة !!

نشرنا بعدد جمادى الآخرة من هذه السنة كلمة العلامة ابن رشد عن القول فى الجهة ..
وقد أرسل إلينا الأستاذ الفاضل أحمد على جاد الله — بنهطاى غربية — كلمة يرد فيها على مانشرناه لابن رشد فى هذا الصدد .

ولئلا يطول بنا الكلام فى الرد على الأستاذ المعترض ، فإننا نحيله على بعض كتب الأئمة من علماء السلف ، فى الجهة وغيرها من صفات الله ، ليرجع إليها إن شاء . فنحن إنما نأخذ عقيدتنا بل عقائدنا كلها عن السلف الصالح لهذه الأمة ، ونعنى بهم الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين فى القرون الفاضلة .

فقد ألف الإمام أبو بكر بن خزيمة ، وهو الملقب بإمام الأئمة ، كتابه (التوحيد) جمع فيه كل الصفات الإلهية الواردة فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، ودعا إلى اعتقادها ، وأن من لايعتقد حقيقة تلك الصفات دون تأويل أو تعطيل ، فقد خالف ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأكرمون .

وألف الإمام ابن قيم الجوزية كتابه (الصواعق المرسلة فى الرد على الجهمية والمعطلة) ولعل فى هذه التسمية مايغنى عن شرح مايحويه الكتاب . وله كتاب آخر هو (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) أورد فيه جميع ما قيل من النصوص فى الصفات ، من عهد الصحابة إلى زمنه ـ القرن السابع الهجرى .

وناهيك بكتاب (العلو للعلى الغفار) للامام الذهبى المحدث ، وهو ركن من أركان الجرح والتعديل فى رجال الحديث ، وكتابه هذا من أهم الكتب فى إثبات العلو والفوقية لله تعالىٰ . جمع فيه ماورد فى القرآن والسنة من آيات وأحاديث الصفات التى تثبت الجهة لله تعالى . ثم أورد ما أثر عن الصحابة ومن بعدهم من الأئمة بأسانيد صحيحة لاتقبل الجدل .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه ، كتب ورسائل فى إثبات العلو والجهة

لله تعالى ، أهمها كتابه (العقيدة الحموية الكبرى) ثم كتابه (العقيدة الواسطية) . ورسالة (الإكليل فى المتشابه والتأويل) وغيرها من الرسائل والكتب .

ولسنا بسبيل إحصاء كتب أئمة السلف فى الصفات الإلهية واعتقاد حقيقتها ، وإنما المقصود بيان أن من يعتقد غير عقيدة السلف الصالح فى صفات الله تعالى هو الحائد عن منهج الكتاب والسنة فى هذه الصفات .

وقد ألف أخيراً فضيلة الأستاذ الرئيس العام للجماعة كتابه الجديد (الصفات الإلهية) استوعب فيه ماجاء فى الصفات مع التحقيق الكامل فى هذا الاستيعاب . وكذلك فإن لفضيلة الأستاذ محمد خليل هراس نائب رئيس الجماعة شرحاً على كتاب (العقيدة الواسطية) سماه (الثمار الشهية فى شرح العقيدة الواسطية) فصل فيه ما أجمله شيخ الإسلام بن تيمية فى تلك العقيدة ، وأفاض فى تفصيلها . جزى الله الجميع خيراً .

فليرجع إلى هذه الكتب والرسائل من شاء التثبت فى فهم العقيدة الصحيحة ، فإن (على صلاح العقيدة ينبنى صلاح الدنيا والآخرة) كما يقول الأستاذ الفاضل صاحب الاعتراض . والله الموفق للصواب .

من رسائل القراء

إلى الشباب المسلم

جاءتنا من فضيلة الأستاذ الشيخ عمرو محمد حسن التندى إمام وخطيب المسجد المجيدى ببندر ملوى ، قصيدة عامرة الأبيات ـ قرابة سبعين بيتاً ـ يدعو فيها الشباب المسلم إلى التزام حدود الدين ، ونبذ الإباحية والإلحاد .

نقتبس منها الآتى :

شبيبةَ الدين ، والإسلام سربال ... نسيجه من رفيع العز أشكال
تسربلت بثياب العز أمته ... فعز بالدين أجيال وأجيال
والمسلمون من القرآن قد قبسوا ... نوراً من الوحى ، والإيمان أعمال
تمسكوا بكتاب الله واحتملوا ... عبء الرسالة ما ملوا وما مالوا
باعوا لدين الهدى والحق أنفسهم ... أعظِمْ ببيع ونعم الأجر ما نالوا

شبيبةَ الدين والإسلام يطلبكم ... لنصرة الحق ، إن الدين أعمال
تسلحوا بسلاح العلم واحتملوا ... مشاعل النور ، ضل اليوم جُهَّال
أضر بالدين من للجهل متبع ... والملحدون ، لهم فى الناس إضلال

ما بالكم وحياة اللهو تشغلكم ... عن الجهاد ؟! وعيش اللهو أوحال
قالوا هو الرقص فن بئس ما عرفوا ... من الفنون ، و بئس القول ماقالوا
هذى الشيوعية النكراء رائدها ... ظلم و بغى و إذلال وأغلال

الناس من (آدم) والكل منشؤه ... طين وماء ، وأصل المرء صلصال
وأكرم الخلق عند الله من سلمت ... نفوسهم ، ولهم فى البر إقبال

لا تيأسوا فحياة اليأس قاتلة — لا تكسلوا ، لن ينال الخير مكسال
وحاربوا الجهل بالتوحيد واتبعوا — نوراً من الوحى ، والجهال ضُلاَّل
ظنوا الولاية جهلا ثم شعوذة — وكيف يحظى بقرب الله دجّال
إن الولي بتقوى الله متصف — مجاهد مؤمن ، فى البر مفضال
هذى القباب وأستار مزركشة — على القبور بها عن دينهم حالوا
أنسأل القبر ، والأجساد هامدة ؟ — ونترك الحىّ ، والرحمن نوال ؟
ماغاب عن ملكه ، والكون قبضته — أو غاب عنه من الذرات مثقال
من استعان به فالنصر يصحبه — والعز يلزمه ، والسعد ينهال
وسيلة القرب ، أعمال مقربة — والعبد بالبر للرحمن وصّال

تزيّنوا بثياب العز لا سرفٌ — كلا ، ولا صلف يطغى ، وأسمال
الدين فى القلب لا فى الثوب مظهره — والقلب بالدين تصفو منه أحوال

يارب بارك شباب الجيل منتصراً — بالحق تعلو به فى الأرض آمال
يارب واملأ نفوس المسلمين هدى — حتى يعود لهم فى الأرض إجلال
يارب صل على المختار فى غسق — أو مرّ بالنـاس إصباح وآصال

ملوى — عمرو محمد حسن التنندى

أقيموا الدين ولا تتفرقوا

ومن السيد عبد الحليم حسين ملاقى كلمة بهذا العنوان جاء فيها :

لم يشرع الله الدين الذى وصى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ، ومن بينهم من الأنبياء ، ووصى به خاتمهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، إلا ليجمع به شتات بنى الإنسان ويربط بين قلوبهم برباط لاينفصم . ولكن الناس مالبثوا أن أعرضوا عن كتاب الله

بما استبدلوا من آراء الرؤساء وأقوال السادة والزعماء .

يفهم أولئك بعض الفهم فى آيات الله ونصوص الكتاب ، ويرى كل واحد منهم رأيا فيتعصب له أتباعه ويجمدون على تقليده ، وينتصرون له بكل ما سولت لهم أنفسهم من حق أو من غير حق ، ثم تتسع الدائرة ويقوى الجمود ، ثم يضرب الشيطان القلوب بسوط الشهوة للانتصار وهوى النفس فى الغلبة ، فلا يلبث أن ينقلبوا إلى حرب ، بعد أن كانوا رحماء بينهم ، وتشتعل بينهم نار العداوة . وقد حذر الله من هذا إذ قال : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء ، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبؤهم بما كانوا يفعلون) . ثم يقول فى ختامها :

وبعد ، فأقيموا الدين ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم كانوا شيعاً . وارجعوا إلى حظيرة الإسلام فقد مضى السابقون بما لهم وبما عليهم ، وخوضوا غمار الحياة تحت ضوء الكتاب والسنة تفلحوا وتعزوا وتنتصروا .

ووردت إلينا رسالة من الأستاذ محمد على الفقى بكلية الدراسات العربية ، يثنى فيها على صدور المجلة فى مواعيدها فى مستهل كل شهر عربى (فضلا عن ارتياحنا لقيمتها الدينية ، التى أكسبتها ثقلا لا يستهان به فى مجال الدعوة إلى الله) كما يقول ، ثم أرفق بالرسالة قصيدة شعرية رائعة بعنوان (نصف ثوب) نرجو أن نتمكن من نشرها فى عدد قادم إن شاء الله .

المرء على دين خليله

ويقول صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .

صدرت حديثا رسالة

شعبان و نصف شعبان

بين الحقائق الإسلامية ، والأباطيل الإسرائيلية

أصدر هذه الرسالة القيمة الأستاذ عبد الفتاح إبراهيم سلامة وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية بطنطا ، وقدم لها فضيلة الإستاذ العلامة الشيخ محمد خليل هراس الأستاذ بكلية أصول الدين ، ونائب الرئيس العام للجماعة .

والرسالة تجلى للقارىء كيف تنشأ الأسطورة ، وتنتشر الخرافة ، وكيف أن جذور مافى ليلة النصف موجودة فى ديانة البابليين ، وأنها عيد (الفوريم) و يوم (الكبوريم) عند اليهود ، وكيف تسربت هذه الأفكار إلى المسلمين ، وتتكلم عن الأحاديث المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حول هذه الليلة ، وحقيقة المحو والاثبات ، وتحويل القبلة ، وبالجملة ، فالرسالة حاوية لأبحاث قيمة ، ومسائل مفيدة .

وتطلب من مكتبة الجماعة بالمركز العام بالقاهرة ، ومن فرع الجماعة بطنطا — والثمن ثلاثة قروش ـ بخلاف رسم البريد .

الجليس الصالح

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك ، إن لم يصبك منه شيء ، أصابك من ريحه . ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ، إن لم يصبك من سواده ، أصابك من دخانه » .

مقتطفات أدبية

إن البــــلاء موكّل بالمنطق

من الأقوال التى تجرى على الألسنة مجرى الأمثال السائرة ، قول الصديق أبى بكر رضى الله عنه « إن البلاء موكل بالمنطق » .

ولهذا المثل قصة طريفة ، لا بأس من إيرادها هنا :

عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب ، خرج وأنا معه ، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر : وكان نسابة ، فسلم ، فردوا عليه السلام . فقال : ممن القوم ؟ قالوا من ربيعة . فقال أمن هامتها أم من لهازمها[١] ؟ قالوا من هامتها العظمى . قال : فأى هامتها العظمى أنتم ؟ قالوا : ذُهل الأكبر . قال أفمنكم عوف الذى يقال له (لا حُرّ بوادى عوف) ؟ قالوا : لا .

قال : أفمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا لا . قال أفمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار ؟ قالوا : لا . قال : أفمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا : لا . قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم إخوان الملوك من كندة ؟ قالوا لا . قال : فلستم ذهلا الأكبر . أنتم ذهل الأصغر .

فقام إليه غلام يقال له دغفل فقال :

إن على سائلنا أن نسأله : ياهذا إنك سألتنا فلم نكتمك شيئاً ، فمن الرجل أنت ؟ قال رجل من قريش . قال : بخ بخ[٢] أهل الشرف والرئاسة . فمن أى قريش أنت ؟ قال : من تميم بن مرة . قال : أمكنت والله الرامى من ضفا الثغرة .

---

(١) هامتها رأسها ولهازمها : مادون الرأس . واللهازم لقب بنى تيم الله بن ثعلبة . قاله فى القاموس المحيط

(٢) كلمة تقال عند المدح .

أفمنكم قصى بن كلاب الذى جمع القبائل من فهر وكان يدعى مجمعاً ؟ قال : لا .
قال : أفمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف ؟ قال :لا .
قال : أفمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء ، الذى كان وجهه قمراً يضىء ليل الظلام الداجى ؟
قال : لا .

قال : أفمن المفيضين بالناس أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل الرفادة أنت ؟ قال : لا. قال :أفمن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا . قال: أفمن أهل السقاية أنت ؟ قال : لا .

قال : واجتذب أبو بكر زمام ناقته ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فقال دغفل : (صادف درء السيل درءاً يصدعه[١]) أما والله لو ثبتّ لأخبرتك أنك من زمعات[٢] قريش ، أوما أنا بدغفل .

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال على : قلت لأبى بكر : لقد وقعت على باقعة[٣] . قال أبو بكر : أجل إن لكل طامة طامة (وإن البلاء موكل بالمنطق[٤]) .

عن (أدبيات اللغة العربية)

---

(١) صارت مثلاء (٢) الزمعة : مايكون فى ظلف الشاة من خلفها . أى أنت من مؤخرة قريش . (٣) أى داهية ؛ وكذلك الطامة . (٤) صارت مثلا .

حول فتوى

قضاء الفوائت من الصلاة

أهدى إلينا الأخ الأستاذ جيلانى بركات نسخة من المجلة السنوية لمعهد أم درمان الدينى ، فوجدناها حافلة بموضوعات جيدة ، مثل موضوع (الإسراء والمعراج) ، وموضوع (الحيل) فى إسقاط بعض الفرائض أو الأحكام الشرعية وغيرها ، وموضوعات تدور حول شئون المعهد ، وأخرى فى موضوعات أدبية .

وقرأنا فيها فتوى حول قضاء الفوائت من الصلوات ، ووجدنا أن فضيلة مفتى المجلة أجازها بل أوجبها ، ودليله على ماذهب إليه هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر النائم والناسى أن يقضيا إذا استيقظ أو تذكر ، فالتارك عمداً أولى بالأمر . وأنه عليه الصلاة والسلام أمر ولىّ من مات وعليه صوم أوحج أن يقضى عنه ، لأن دَيْن الله أحق أن يقضى ، فقاس الصلاة على الصوم والحج .

أما النائم والناسى فقد ورد فى حقهما الحديث المتفق عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « من نسى صلاة أو نام عنها ، فكفارته أن يصليها إذا ذكرها » وفى رواية «لا كفارة لها إلا ذلك» . ويفسره حديث مسلم الذى يقول « ليس فى النوم تفريط ، إنما التفريط فى اليقظة ، فإذا نسى أحدكم صلاة أو نام عنها ، فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله تعالى يقول (وأقم الصلاة لذكرى) » . ويستفاد من الحديثين أن وقت الصلاة فى حق النائم حين يستيقظ ، ووقتها فى حق الناسى حين يتذكر ، فكأنهما أدياها فى وقتها ، فكيف يقاس عليهما المستيقظ المتذكر المفرّط ؟ إن ذلك من أفسد القياس ، والذى يحمل الناس على ذلك ، أنهم يظنون أن الصلاة دَيْن وتكليف ، ولكنها فى الحقيقة تكريم وتشريف للعبد ، للمثول بين يدى ربه الكبير المتعال ، لمناجاته والعروج بروحه [illegible] ، ليفيض عليه من رحمته وفضله وكرمه وهدايته وتوفيقه وتثبيته . وليس [illegible] وقت الذى

يناجى فيه ربه ، وإنما ذلك لله وحده ، وقد حدد سبحانه لكل صلاة وقتها ، فمن ضيعها فقد كتب عليه وزرها و إثمها ، فليبادر بالتوبة النصوح ، وليستمر على الطاعات والقربات والنوافل والحسنات الماحيات لعل الله أن يتوب عليه ، فإنه البر الرحيم ، التواب الكريم .
ولنمسك عن المجادلة عمن يختانون أنفسهم فقد نهانا الله عن ذلك .

ولو كان قضاء الفوائت من الصلوات ممكنا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحائض والنفساء أن تقضيها إذا تطهرت ، كما أمرهن بقضاء الفوائت من الصوم ، فشأن الصلاة غير شأن الصيام ، وشأنهما غير شأن غيرهما من باقى العبادات ، وقد فطن إلى هذا الفرق سلفنا الصالح فتوقفوا فى كل عبادة على ماجاء من الشارع عليه الصلاة والسلام ، ولم يقيسوا هذه على تلك ، فسلموا من الابتداع فى دين الله بالرأى والهوى ، وسلكوا المحجة البيضاء ، ففازوا بخيرى الدنيا والآخرة ، ورضوان الله الأكبر .

أما أن يقضى ولىّ الميت عن وليه ما كان عليه من الصوم أو الحج ، فذلك لأنه بأمر من الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يرد مثل ذلك فى الصلاة ، فليس لنا أن نقيس ونفتى بالرأى كما ذكرنا . فقد أبيح لنا أن نفطر إذا مرضنا أو سافرنا ، ثم نقضى أياماً أخر ، كما شرطت الاستطاعة لأداء فريضة الحج . أما الصلاة فإنها واجبة على المقيم والمسافر والمريض والصحيح ، وفى السلم والحرب ، وفى وقتها الذى أمر الله . فكيف يستبيح إنسان ـ كائناً من كان ـ أن يجعل شأنها كشأن باقى العبادات !

ثم ننقل إليكم بعض الأحاديث النبوية فى تعظيم أمر الصلاة . روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » . وروى مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال : « بين العبد والكفر ترك الصلاة » وروى أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العهد الذى بيننا و بينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » . وروى الترمذى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « كانوا لايرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة » .

ذلك حكم الرسول على تارك الصلاة ، نرويها ونؤمن بها كما قال عليه الصلاة والسلام ، ولا نقول : من تركها جحوداً ، ولا نقول كفر نعمة ، ولا نقول مسلم عاص ، ولا نقول غير ذلك مما يقول به من يتعلقون بخيوط العنكبوت . ولكننا ــ مع ذلك ــ لا نقنط من رحمة الله ، بل ندعو ذلك العبد الآبق أن يعود إلى سيده ومولاه ، فإنه سبحانه يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات إذا صدق العبد فى توبته ، وأخلص فى أوبته ، وطهّر علانيته مع سريرته ، وأقام الصلاة خاشياً مخبتاً حافظاً لأوقاتها وأركانها ، مقبلا على ربه بقلبه ووجدانه ، وروحه وكله . لا يقلد أحداً فيها ، بل متبعاً لرسوله فى كل حركاتها وسكناتها . فإنه بذلك ، وبذلك فقط يعود إلى حظيرة الإسلام ، ويحظى بحلاوة الإيمان ، والإسلام يَجُب ما قبله .

نسأله سبحانه أن يوفقنا جميعاً لذلك ، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه .

سليمان رشاد محمد

أنصار السنة المحمدية بالسودان

بعث إلينا الأستاذ جيلانى الشريف بركات سكرتير جماعة أنصار السنة المحمدية بالخرطوم ـ جنوب ـ بما يأتى :

(١)

بدأ موسم الدروس الدينية بمسجد الجماعة بالخرطوم جنوب كل أسبوع حسب الجدول الآتى:

السبت	الأستاذ	عبد الحليم حمودة	فى صحيح البخارى
الأحد	»	عبد الصمد محمد	» » »
الاثنين	»	عمر عبد الله	» القرآن
الثلاثاء	»	بشير نور الدائم	وعظ وإرشاد عام
الأربعاء	»	مصطفى ناجى (الرئيس)	» » »
الخميس	»	عبد الحليم حمودة	فى القرآن
الجمعة	»	الزبير عبد المحمود (المستشار الدينى)	» »

ثم ذكر أن المسجد أصبح لا يسع المصلين ، وأنهم شرعوا فى توسيعه ، ويرجون من إخوانهم أن يمدوا إليهم يد المساعدة حتى يتيسر لهم إتمام هذا المشروع الذى سيكون سبباً فى نشر دعوة التوحيد والعقيدة السلفية والثقافة الإسلامية الصحيحة .

(٢)

كلمة من الأستاذ جيلانى الشريف بركات عن العيد القومى لثورة ١٧ نوفمبر بالسودان ، وما حققته تلك الثورة من الاستقرار والتقدم فى مضمار القومية العربية الرشيدة ، وإماتة الحزبية الطائفية البغيضة ، وما نالت دعوة أنصار السنة المحمدية فى الذيوع والانتشار فى عهدها المبارك .

ومع الكلمة صورة البرقية التى أرسلتها الجماعة إلى معالى الفريق إبراهيم عبود وصحبه البواسل بالتهنئة بالعيد الثالث للثورة ، والتنويه بما نالوه من الحرية فى عهدهم المجيد .

(٣)

كلمة شكر وتقدير للسيد السفير محمود سيف اليزل خليفة سفير الجمهورية العربية المتحدة لدى جمهورية السودان ، لتفضيله مشكوراً بإهداء ساعة حائط من النوع الكبير لمسجد الجماعة بالخرطوم جنوب، لحفظ مواقيت الصلوات ، سائلين الله أن يجزيه خير الجزاء ، ويثيبه أجزل المثوبة .

(٤)

قصيدة من نظم الأستاذ محمد الأمين الشريف بركات بوزارة المعارف السودانية بمناسبة عيد الثورة السودانية إستهلها بقوله :

هذا اليراع يراع شادٍ لك الذى ألف النضال
هو فى يدى كالسيف فى يد فارس طلب النزال

إلى أن قال :

وبمصر هبت نخبة للمجد قائدهم جمال
طرد العدو ودوخ استعمارهم حول القنال

إلى أن قال :

وهناك فى أرض الجزائر للعدا جيش عضال
خاض المعارك سبع أعوام وما عرف الكلال

إلى أن قال :

وهنا بموطننا الحبيب أرى بقادته رجال
ساسوا البلاد بحكمة ومشوا بها نحو الكمال
عبود منهم رائد جم الحجى نعم المثال
وتوحد الوطن الحبيب فلا خلاف ولا انفصال

والقصيدة تقع فى ثلاث وثلاثين بيتاً كلها على هذا المنوال من النظم الجيد تشيد بالثورة العربية من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، ولولا ضيق المجال لنشرناها كلها

حسن الخلق

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ، قال : « تقوى الله وحسن الخلق » .

الهين اللين

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم . مَن يَحرم على النار ، أو بمن تحرم عليه النار ؟ تحرم على كل هين لين سهل » .

من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

التوحيد هو الغاية التى من أجلها خلق الله الخلق ، قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وهو الأساس الذى بنيت عليها الديانات السماوية كلها ، قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)

التوحيد هو الرباط الذى يجمع الوجود كله فى وحدة متناسقة تتجه كلها إلى إله واحد ، لا مفزع لها غيره ، ولا ملجأ لها سواه ، فهو موجدها ، ومفيض الخير عليها ؛ وإليه منتهاها ومرجعها .

التوحيد تصحيح لإنسانية الإنسان ، وتكريم لها من الذلة والإمتهان فلا وسائط ولا شفعاء بينه وبين ربه . ولا سلطان لأحد عليه يغل عقله عن التفكير ، وإرادته عن العمل . قال الله تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) .

التوحيد انطلاق حر فى التماس أسباب القرب الصحيحة إلى الله ، من العمل الصالح ، والإيمان الصادق ، واتباع الصراط المستقيم الذى بينه وهدى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

التوحيد حبل النجاة . ومفتاح السعادة . وبدونه لا يرفع لك عمل ، ولا تستقيم لك حياة .

العدد ٩ رمضان
المجلد ٢٦ سنة ١٣٨١

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

الفهرس

صفحة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
ـــص
٣٠ - فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ - فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٩ رمضان سنة ١٣٨١ المجلد ٢٦

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جلّ ذِكْرُه : (وَقَالُوا : لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ ، فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً ، أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ ، قُلْ : سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً ١٧ : ٩٠ — ٩٣)

« معانى المفردات »

تَفْجُر : قال ابن فارس : الفاء والجيم والراء : التَّفَتُّح فى الشىء ، من ذلك انفجار الظُّلمة عن الصبح ومنه انفجر الماء .

ينبوعا : الينبوع ، المعين الذى يخرج منه الماء وقيل : عين لا ينضب ماؤُها .

جنة : الجنة البستان : لأن الشجر بورقه يستر . وناسٌ يقولون : الجنة عند العرب النَّخلُ الطِّوالُ أو الأشجار الساترة .

نخيل : قال ابن فارس : النون والخاء واللام كلمة تدل على انتقاء الشيء واختياره . وعندنا أن النخل سمى به لأنه أشرف كل شجر ذى ساق .

عنب : العنب يقال لثمرة الكرم وللكرم نفسه ، الواحدة عنبة ، وجمعه أعناب .

الأنهار : النهر مجرى الماء الفائض ، والمادة تدل على تَفَتُّح شيء أو فتحه ، فسمى النهر نهراً لأنه يَنْهَرُ الأرض أى يشقها .

تُسْقِط : السقوط : طرح الشيء من مكان عالٍ إلى مكان منخفض ، وفسره ابن فارس بالوقوع .

كسفا : الكِسْفَةُ قِطعة من السحاب والقطن ونحو ذلك من الأجسام المُتَخَلْخِلَة . والقطعة من الثوب تسمى كِسْفَة .

قبيلا : قال ابن فارس : القاف والباء واللام أصل صحيح يدل كَلِمُه كلها على مُوَاجَهَةِ الشيء للشيء ، والقبيلُ : الكفيل . والقبيلُ جماعةٌ من قبائل شَتَّى . وقال الراغب : القبيل جمع قبيلة ، وهى الجماعة المجتمعة التى يُقْبِلُ بعضها على بعض .

بيت : أصل البيت مَأْوَى الإنسان بالليل ، ثم قد يقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه ، و يقع على المُتَّخَذِ من حجر وَقَدَر[1] وصُوفٍ ووَبَر ، وقال عنه ابن فارس : هو المأوى والمآب وَمَجْمَعُ الشمل ، ومنه يقال لبيت الشِّعْر : بيت على التشبيه لأنه مجمع الألفاظ والحروف والمعانى . والبيت : عيالُ الرجل والذين يبيت عندهم .

زُخْرُف : قال الراغب : الزينةُ المزوّقة ، ومنه قيل للذهب : زخرف . و بيت من زخرفٍ أى ذهب مزوق ترقى . فى السماء : الرُّقِيُّ الصُّعود يقال : رقيت فى السُّلَّم أرقى رُقِيًّا .

« المعـــنى »

طبيعة الكفر حِقْدٌ وجحود يدفعان بصاحبهما إلى الثورة على الحق والخير ، ومحاولة

(١) قطع الطين .

النيل منهما . ووضع العقبات فى سبيلهما . قد يشتعل نورُ الحق ، ويتوهّج ، ولـكن جحود الـكفر يأبى إلا أن يقول عن وَهَج النور إنه رُكَامٌ من ظلمات ! ! ولقد بين الله لنا طبيعة الـكفر بيانا هاديا شافيا تؤيده التجربةُ الحِسِّية التى تُلزم الحسَّ والعقلَ بنتائجها الحقة الصادقة ، فقال سبحانه : (إن الذين حَقَّت عَلَيهم كلمةُ رَبِّك لا يؤمنون . ولوجاءتهم كلُّ آيةٍ حتى يَرَوُا العذابَ الأليمَ ١٠ : ٩٦ ، ٩٧) والذى يقول « كلُّ آيةٍ » هو الله الذى خَلَقَ ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وما يقول إلا الحقَّ . فلا مبالغة ، ولا غُلُوَّ فى التعبير . ولقد مضت أمم وقف الـكافرون فيها من آيات الله هذا الموقف الحاقد الجاحد الباغى الظالم . ألَمْ تر إلى موسى عليه السلام ، وقد آتاه الله تسع آياتٍ بيِّنَاتٍ ما يُنزِلُهنَّ إلا رَبُّ السمواتِ والأرض ؟ ! ! وآية واحدة منهن تغمر قلب من يريد الهدى إيمانا ويقينا ، أما فرعون . فما كان جوابه سوى أن قال : (إنِّى لأَظُنُّك ياموسَى مَسْحُورا ١٧ : ١٠١) ويقول الله فى نفس سورة الإسراء (وما مَنَعَنَا أنْ نُرْسلَ بالآياتِ إلاَّ أنْ كذَّبَ بها الأوَّلُونَ وآتَينا ثَمُودَ الناقةَ مُبْصِرَةً ، فَظَلَمُوا بها ، وما نُرْسِلُ بالآيات إلاَّ تخوِيفا ١٧ : ٥٩) .

ولقد شهدت البشرية قهر القدرة الإلهية وهيمنتها فى إنتاج الأشياء غير نتائجها ، أو فى حدوث العِلَّة ، و بقاء المعلول عَدَماً مع أنه لازم لتلك العلة لزوما واجبا . وذلك حينما جعل الله النار بَرْداً وسلاما على إبراهيم . وطبيعة النار الإحراق . ولـكن الخالق الذى خلق النار وجعل من طبيعتها الإحراق . فصل بين النار و بين طبيعتها وجعل ما تأتى به شيئا آخر هو البَرْدُ والسلامُ لا الإحراق . فهل فى مقدور البشر هذا ؟ ومع ذلك أبى الـكافرونِ إلا عنادا وجحودا .

ولقد وقف الـكافرون فى عُتُوِّ جحودهم وضَرَاوَةِ أحقادِهم من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم هذا الموقف نفسه . فلقد نزل الله القرآن على محمد ، وما كان قبل نزول القرآن عليه يدرى كتابا أو إيمانا ! ! و بشَّر محمدٌ الأمىُّ قومه وأنذرهم ومعه معجزته الـكبرى ، بل

المعجزة الأولى بين كل المعجزات ، وهى القرآن الذى وصفه الله بقوله : (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القرآنِ لا يأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، ولو كانَ بَعْضُهُمْ لبعضٍ ظَهِيرا ١٧ : ٨٨) إنه معجز فى بلاغته ، فى فصاحته ، فى أسلوبه ، فيما جاء به من عقيدة ، فيما جاء به من نظم للعبادة والمعاملات والسلوك والأخلاق . فلا تناقض بين مادعا إلى الإيمان به أو الاعتقاد فيه ، وبين مادعا إليه من عبادات . ولا تناقض بين عباداته وبين معاملاته ، أو بين الأخلاق التى حثنا على أن نتخلق بها . وما من نظام فى الوجود يرسم للناس طريق حياة متكاملة إلا وجدت فيه خَلَلاً وتناقضا . وما من كتاب أُعِدَّ لمثل هذا إلا وجدت فيه كذلك تَضَادًّا مُتَوَتِّرا ، وتباينا حادًّا . ومن هنا يتبين لنا فى وضوح وجلاء معنى إعجاز القرآن فى دعوته فوق إعجازه فى بلاغته وفصاحته[1] . ولهذا جعله الله من دلائل كتابه ، ومن الآيات التى تبرهن على أنه من عنده : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غير الله لَوَجَدُوا فيه اختلافاً كثيراً ٤ : ٨٢) .

وألزمهم الكتابُ الحجة ، وتبينوا بوضوح أنه شاهد حق وعدل ، وصدق على عجزهم عن الإتيان بمثله ، أو مطاولته ومصاولته فى أى ميدان . وشعروا أنهم ينداحون ، ويتهاوَوْن فى ذلة وعجز مسكين مهين أمام روعة الإعجاز من القرآن . كما شعروا بأن هنالك فى أعماقهم شيئاً مَايُغْرِيهم بالاستسلام والإذعانِ ، ولكنهم لو فعلوا ، لضاعت أصنامُهم . وأصنامُهم أعز لديهم من الله رب العالمين ، فهبوا — وهم يغالبون فى أنفسهم هذا التمرُّدَ على الكفر — يقولون[2] لرسول الله عليه والسلام كما روى الله عنهم (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) . وطلبهُم هذا يَدل على تفاهة وسفاهَة . بل يدل على مدى تخبطهم فى عماية ضلالتهم ، وعلى ما يعانون من أحقادهم . فإن الله الذى فجر خير ينابيع الهدى بالقرآن لا يعجزه أن ينشىء فى الأرض الجرداء الصَّمَّاء ينابيع لا تنفد ماؤها ،

---

(١) أنص على هذا ، لأن كثيرامن تكلموا فى إعجاز القرآن أفاضوا فى الحديث عن إعجازه فى البلاغة والفصاحة فى كلامه ، ولم يتحدثوا عن روعة إعجازه فيما جاء به من شريعة وعقيدة لايستطيع محمد ولا الجن والإنس جميعا الإتيان بمثلهما

(٢) روى ابن كثير عن ابن جرير قصة طويلة قيل إنها سبب نزول الآية ، والله أعلم بصحته

ولا تغيض ، والله الذى شق البحار والأنهار — وهم يشاهدون البحر والنهر فى أسفارهم — لا يعجزه ما طلبوا ولـكنها العماية النـكدة .

إن قلوب هؤلاء لم يتفجر فيها ينبوع واحد من الهدى ، فظنوا أن أرضهم القاحلة الماحلة كقلوبهم ، لا يستطيع الله أن يفجر فيها الينابيع .

ولـكن الأرض بجبالها وأحجارها لا تعصى الله كقلوبهم . (وإنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ منه الأنهارُ ، وإنّ منها لَمَا يَشَّقَّقُ فيخرجُ منه الماء ، وإنَّ منها لما يهبط من خشية الله . ٢ : ٧٤) فهل تعصى اللهَ أرضٌ ما ، أو تخرج عن أمره ؟

ولقد ظنوا أن التَّرَفَ لابد أن يكون من دلائل النبوة ، وأن الفقر النبيل لا يمكن أن يكون من سِمَاتِ الرُّسل . ولهذا قالوا (لَوْلَا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رُجَلٍ من القريتين عظيم ٤٣ : ٣١) (وقالوا : مَالِهٰذا الرسولِ يأ كل الطعامُ ، ويَمْشِى فى الأسواقِ لَوْلَا أُنْزِل إليه مَلَكٌ ، فيكونَ معه نذيرا . أو يُلْقَى إليه كَنْزٌ أو تـكونُ له جَنَّةٌ يأ كل منها ٢٥ : ٨) ونفسُ الـكفر تَلَطَّخَ به فرْعَونُ حينما قال عن موسى كما يقص الله سبحانه : (فَلَولاَ أُلْقِيَ عليه أَسْوِرَةٌ من ذَهَبٍ ، أو جاء معه الملائـكة مُقْتَرِنين ٤٣ : ٥٣) ولـكن الترف فى غوايته لا يُقَوِّم معانى النبوة ، ولا معانى الرجولة ، والفقر لايهبط بقيم الرجال فضلا عن قيم النبوة .

ولـكن هؤلاء المشركين طلبوا آية أخرى غير آية الينبوع ، فقالوا كما قص الله عنهم : (أو تـكون لك جَنَّةٌ من نخيل وعِنَب ، فتفجر الأنهارَ خِلاَلَها تفجيرا) والطلب يدل على العبودية الذليلة للمال . وعلى أن هؤلاء القوم لم يكونوا يعرفون قيما سامية ، ولا يؤمنون بها !! أية صلة بين بستان من نخيل وعنب وأنهار تجرى تحته و بين النبوة ؟! ومتى كان البستان وسيلة نتوسل بها إلى بلوغ رضوان الله ؟

الحقيقة إن نفس شبهة هؤلاء المشركين هى عين شبهة خلفائهم ومخانيثهم من الذين يزعمون اليوم أنهم مسلمون . فـكما طلب أولئك بستانا من نخيل وعنب : ليصدقوا محمدا

فى رسالته يطلب هؤلاء شيئا كالبستان : ليؤمنوا بما يدعوهم إليه كل داعٍ يدعوهم إلى الـكتاب الذى يزعمون أنهم يؤمنون به . قد يطلب بعضهم شهادة يحملها الداعى ، أو عمامة ضخمة ، أو مسبحة ضخمة رعناء الحبات والطول ! ! أو سيارة فعلا . أو بستانا أيضا ! ! فما من إنسان يطلب اليوم من الذين يزعمون أنهم مسلمون العودة إلى كتاب ربهم ، إلا سألوا عنه : فى أى جامعة تعلم ؟ ما الشهادة التى يحملها ؟ لماذا لا يلبس عمامة ؟

لماذا هو فقير ؟ ولهذا نجد أشد شيوخ التصوف بَطْشاً بعقول أتباعهم وقلوبهم هم أولئك الذين يملـكون سيارةً فارهة ، وسرادقا كبيرا فى المولد ، وعمامة ضخمة ! !

ثم يضل الحقد بهؤلاء فى كل مفاوزه وشعابه ، فيتحدَّوْنَ قدرة الله ووعيده سبحانه ، فيطلبون دليلا آخر ذكره الله فى قوله : (أو تُسْقِطَ السَّماء كما زَعَمْتَ علينا كِسَفًا) إنهم يسخرون كما سخر المجرمون من قبل بما توعدهم به رسل الله من عذاب وعقاب ! ! فلقد قال الله سبحانه : (إن نَشَأْ نَخْسِفْ بهم الأرضَ، أو نُسْقِطْ عليهم كِسَفًا من السماء، إن فى ذلك لآيةً لـكل عبد منيب ٣٤ : ٩) .

وظن المشركون أن محمداً صلى الله عليه وسلم هازل ، أو عابث ، أو خَيَّلَ إليهم حقدُهم المرير هذا فتحدوه أن يُنْزل الله بهم هذا العذاب الذى توعدهم به . يدلل هؤلاء المشركون على أن جحودَهم لا يقف عند حَدّ ، فقد يتحدى الإنسان بشرا مثله ! ! أمّا أن يتحدّى الخلاّق القوىّ المقتدر ! ! إنه بهذا يدلل على أن به ـ مع لوثة الـكفر ـ لوثة الخبال ! !

ولقد توعد الله من قبل قوم هود ، و بلغ النبى الـكريم قومه وعبد الله ، فسخروا منه ، وتحدوه قائلين كما يقص الله سبحانه (قالوا أجِئْتَنا ؛ لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهَ وَنَذَرَ ما كان يَعْبُدُ آباؤُنا. فَأْتِنا بِمَا تَعِدُنَا إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقين ٧ : ٧٠[1]) وفى نفس السورة وردت قصة

---

(١) كذلك ورد مثلها فى سورة الأحقاف (قالوا : أجئتنا : لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ٢٢ : ٤٦)

صالح مع قومه الذين قص الله من قصتهم بقوله : (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ، وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِم ، وقالوا : يا صَالِحُ ائْتِنِا بما تَعِدُنا إن كُنْتَ مِن الصَّادِقين ٧ : ٧٧) وفى سورة هود يقص الله قصة قوم نوح : (قالوا : يا نُوحُ قد جادَلْتَنا فأَكْثَرْتَ جِدالَنَا ، فَأْتِنا بما تَعِدنا إن كُنْتَ من الصادقين ١١ : ٣٢) ونلحظ أن القولَ واحدٌ . لا أستطيع أن أقول أنه قول الكفار لكل رسول . ولكنى أستطيع أن أقول كما هو واضح بين من القرآن أنه قول الكفار لأول رسولٍ ، وقول الكفار لآخر رسول وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم . وهكذا يعبر الكفر عن وحدته فى كل أمة ، أو يعبر الشيطان عن ضعف كَيْدِه . فما قاله قوم نوح عين ما قاله قوم هود ، عين ما قاله قوم صالح ، عين ما قاله قوم محمد ، فهو لم يُجَدِّد حتى فى ألفاظ الكفر ولافى مناطه ! ! وسبحان ربنا القائل (كَذَلِكَ ما أَتى الذين من قَبْلِهِمْ من رسولٍ إلا قالوا : ساحِرٌ أَوْ مَجْنونٌ . أَتَوَاصَوْا به ، بل هُمْ قَوْمٌ طاغون ٥١ : ٥٢ ، ٥٣) والقائل : (فَقَاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كان ضَعِيفاً ٤ : ٧٦) .

ولقد حَلَّ بأولئك المجرمين من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح ما توعدهم الله به فى الدنيا فاستأصلهم الله بعذابه ، أما المجرمون الذين تَحَدَّوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، فلم يستأصلهم الله ، وأَجَّل لهم العذابَ فى الآخرة . وهو فضل مَنَّ الله به على محمد صلى الله عليه وسلم ألاَّ يستأصل اللهُ أمته بعذابٍ . فجاء من صناديد الكفر بصناديد الإيمان كما جاء من أبى جهل بعكرمة ! !

ولَجَّ هؤلاءِ فى جحود الكفر ، واستبدَّ بهم سُعارُه فطلبوا من محمد آية أخرى هي أن يأتى بالله شاهدا له ، ويأتى بالملائكة أيضا يشهدون له مع الله أنه صادق فى دعواه ، وأنه يستطيع أن يحقق لهم ما يوعدون به . هذا إذا فهمنا فى « قبيل » أنها « الكفيل » أو امامهم طلبوا من محمد أن يأتيهم بالله و بالملائكة معه جماعة كما أخبرهم عن حدوث ذلك فى يوم القيامة (وجاء رَبُّك والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يومئذٍ يتذكَّر

الإنسانُ وأنَّيَ له الذِّكْرَى ٨٩ : ٢٢ ، ٢٣) ولعله الأصْوَبُ ، فالكفر فى كل مِلّة كان يَسْخَر من يوم القيامة ومما توعدهم به الله فيه .

ثم عادوا يتخطَّبهم الشيطان من مَسِّه إلى غَوَايَة الترف يحسبونها من دلائل النبوة فيقولون كما قص الله عنهم : (أو يكون لك بيت من زخرف) وطلبهم هذا دليل يتكرر على عبادتهم للمادة ، وعبوديتهم لترف الأغنياء الذين يحادُّون الله ورسوله . وإلا فهم يوقنون فى طوايا نفوسهم أن الذى خلق الأرض وأودع فيها هذا الذهبَ كله لا يعجزه أن يعطى محمدا صلى الله عليه وسلم بيتا من ذَهَبٍ . إن بعض البشر عبدوا رجلا وألهوه ؛ لأنه كان يملك بساتين تجرى من تحتها الأنهار ، ويلبس أساور من ذهب وهو فرعون لعنه الله . وفى هؤلاء المشركين بقية من كفر قوم فرعون : الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار ، البيت الذهبى ! !

فهل يظل العقل فى غلوائه يزعم أننا نحن البشر فى غنى عن وحى الله ! !

ولقد خشى المجرمون أن يتحقق كل ما طلبوا . فيلجأوا إلى طلب آية ظنوا أنها مستحيلة تلك هى أن يصعد محمد عليه الصلاة والسلام إلى السماء أمام أعينهم . ومع هذا خافوا أن يحدث هذا ، وأبوا إلاَّ إقامة الدليل تلو الدليل على أنهم عُمْى صُمٌّ بُكْمٌ يستعبدهم طغيان الجحود وجَوْرُه ، وأنهم على جهالة جَهْلاء . وضلالة عمياء ، وصَغَارٍ حقير فى جَهْلِهم ، وتشبث بالحسية والمادية ، إذ قالوا إنهم لن يؤمنوا برقى محمد إلى السماء رغم رؤيتهم له بعيونهم إلا بعد أن يأتيهم بكتاب من السماء يستطيعون قراءته ؛ لأنهم يعلمون أن محمدا أمىّ لا يقرأ ولا يكتب ، ولهذا طلبوا أن يأتيهم معه من السماء بعد صعوده إليها بكتاب يقرأونه ، إذ سيكون دليلا قوياً على أنه ليس من صنع محمد ، لأنه لا يكتب ! !

وما كان الله ليعجزه من شىء أبداً ، فكل شىء مسخر بأمره ، ولأمره . غير أن هؤلاء

القوم قد بلغوا من الجحود مبلغا جعلهم يسدون قلوبهم فى حقدٍ وتصميم دون النور . فصاروا بحيث لا تنفع فيهم حجة ، ولا آية ! !

تدبر قول ربنا سبحانه : (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِى قِرْطَاسٍ ، فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِم لقالَ الذين كفرُوا إنْ هَذا إلاَّ سِحْرٌ مُبين ٦ : ٧[1]) .

وقوله سبحانه : (ولو أَنَّنَا نَزَّلْنَا إليهم الملائكةَ وكَلَّمَهُمُ المَوْتى وحَشَرْنَا عليهم كُلَّ شَىْءٍ قُبُلاً ما كانوا لِيُؤْمِنُوا إلاَّ أن يَشاءَ اللهُ ، ولكنَّ أكثرهم يجهلون ٦ : ١١١) لاعقل ، ولا حِسَّ تأخذه آثارة من هدى ، فقد طبع اللهُ على قلوبهم . لأنهم استحبوا العَمَى على الْهُدى ! !

ولقد طلب الله من نبيه أن يقول لهم كلمة الإيمان العظيم الذى ليس فوقها من كلمة فى مثل هذا الموقف . (قل : سُبْحَان ربى هل كنتُ إلا بشرا رَسُولا) لقد كانوا يطلبون منه حتى لقد أسندوا إليه الفعل فى طلبهم « تأتى بالله » وفى قولهم (تنزل علينا كتابا نقرؤه) فعلمه الله سبحانه أن يقول كلمة الإيمان الجليل : سبحان ربى أن أتقدم بين يديه فى أمر هو من أمور ملكه وملكوته وقهره وسلطانه . فما أنا إلا بشر يبلغكم عن الله ما أرسل به . أما ماطلبتم ، فلن أستطيع تحقيقه لكم . لأنى بشر مثلكم . ولا أستطيع أن أطلب من ربى هذا ، لأنى إن طلبت منه هذا ، فكأنما أقترح عليه تعديلا فى نظام الرسالة ! !

فهل يعقل المسلمون عن ربهم ؟ تفجير ينبوع واحد من الأرض نفاه محمد بأمر الله عن قدرته هو ، فما بالكم بمن ينسبون إلى جيف موتاهم أنها تحيي الموتى ، وتحمل الأسرى من بلاد الروم وتصلى كل لحظة فى الكعبة وفى جزائر واق الواق ، وجبل قاف !!

أين من هدى الله هذيان المخابيل المفاليك رواد خطايا الموالد ! !

ربنا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا . وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهّاب ؟

عبد الرحمن الوكيل

---

(١) قرطاس = أى كتاب مكتوب فى ورق .

توحيد الله عز وجل

لعلك أيها القارىء الكريم لا تزال على ذُكْر مما بينته لك من معانى الأسماء الأربعة الكريمة التى هى مدار الأسماء الحسنى جميعها وهي (الله . الرب . الرحمن . الرحيم) . ولعلك تحس من نفسك شوقا الآن إلى معرفة معانى بقية الأسماء ، لتملأ منها قلبك وتشرح بها صدرك ، وتأخذ منها لأيمانك قوتاً ولوجدانك غذاء ، وإنى إن شاء الله ، وبمعونة منه وتوفيق ، مُلَبٍّ رغبتك ومحقق سؤلك فيما يلى :

(المَلِكُ) قال الراغب : (المُلْكُ) هو التصرف بالأمر والنهى فى الجمهور وذلك يختص بسياسة العقلاء ، ولهذا يقال مَلِك الناس ولا يقال مَلِك الأشياء . وقوله (مَلِكِ يوم الدين) فتقديره المَلِكِ فى يوم الدين ، وذلك لقوله (لمن المُلْك اليوم) والمُلْكُ الحق الدائم لله . فلذلك قال (له المُلْكُ وله الحمد) قال (مَالِكَ المُلْك) والمُلْكُ ضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم .

وقال الحافظ ابن كثير (والمَلِكُ) فى الحقيقة هو الله عز وجل . قال الله تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام)

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً : « أخنع اسم عند الله رجل تسمى بِمَلِك الأملاك ولا مالك إلا الله » .

وفيهما عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك . أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » .

وفى القرآن العظيم (لمن المُلْكُ اليوم ؟ لله الواحد القهار) .

فأما تسمية غيره فى الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز كما قال تعالى (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) اهـ .

واسمه تعالى (الملك) من الأسماء الأصول التى تدور فى فلكها كثير من الأسماء الحسنى كالعزيز الجبار المتكبر الحَكَم العَدْل الخافض الرافع المعز المذل العظيم الجليل الكبير الحسيب المجيد الوالى المتعالى مالك الملك المُقْسِط الجامع إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى المُلك .

والخلاصة : أن الملك هو الآمر الناهى صاحب السلطان القاهر والمشيئة النافذة الذى يصرف أمور عباده كما يحب ويقلبهم كما يشاء سبحانه .

(القدُّوس) هو المُقَدَّس المُعَظَّم المُنَزَّه عن كل نقص وعيب .

فيدخل فى ذلك تنزيهه سبحانه عن كل مايضاد صفات كماله التى وصف بها نفسه أو ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، من الجهل والعجز والموت والفقر والأعياء والتعب والضلال والنسيان والسفه والجور والسِّنة والنوم ، إلى غير ذلك من صفات النقص التى يتنزه الله عن الاتصاف بها .

ويدخل فى ذلك أيضاً تنزيهه عن الشريك له فى ربوبيته أو ألوهيته ، وعن الظهير الذى يعاونه فى خلق شىء من المخلوقات أو تدبيرها ، وعن الشفيع الذى يشفع عنده بغير إذنه ، وعن الزوجة والولد ، وعن أن يكون له ولىٌّ من الذل والحاجة . تعالى الله عن ذلك كله .

ويدخل فيه أيضاً تنزيهه عن مشاركة أحد من الخلق له فى صفاته الخاصة به ، بل يجب حفظ صفات كماله ونعوت جلاله عن تشبيهها بصفات المخلوقين . فلا يقال مثلا : علم الله أو قدرة الله كعلم الخلق أو قدرتهم ، ولا رحمته كرحمة خلقه ، فإنه كما أن ذاته لا يشبهها ذوات المخلوقين فصفاته لايشبهها صفاتهم ، ومن قال بهذا فإنه إنما يمثل بفكره صنما ووثناً يعبده .

وكما يجب تنزيهه عن المماثلة لخلقه فى شىء من صفاته ، يجب تنزيهه عن التعطيل والجحد لصفاته التى ثبتت بالكتاب والسنة . فاسمه القدوس يتضمن لتنزيهه عن كل مالا

يليق به من النقص، متصلا كان أو منفصلا وهو متضمن أيضاً لتعظيمه، فإن من برىء من صفات السوء والعيب، لابد أن يكون حائزاً لصفات الكمال والعظمة. بل إن إثبات الكمال والعظمة هو المقصود الأصلى من سائر التنزيهات، فإن التنزيه لايراد لذاته بل يقصد به حفظ كماله سبحانه عن الظنون السيئة كظن الجاهل. وعلى الجملة فإذا قال العبد مثنياً على ربه (سبحان الله) أو (تقدس الله) أو (تعالى الله) ونحو ذلك كان جامعا بين الأمرين السلامة من كل نقص وإثبات كل كمال.

(السلام) ورد اسمه تعالى (السلام) عقيب اسم (القدوس) فى أواخر سورة الحشر قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام). وفى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم قال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام».

وفيه أيضاً: أنهم كانوا يقولون فى التشهد «السلام على ربنا» فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لهم «إن الله هو السلام».

ومعنى اسمه تعالى «السلام» قريب من معنى اسمه القدوس، فإن معناه السلام من كل شائبة نقص، فيتناول سلامته سبحانه من الشريك والند والكفء والسمى والظهير والولى والشفيع والشبيه والنظير الخ ما ذكرناه آنفا عند شرح اسم «القدوس». والسلام على هذا التفسير يكون صفة ذات.

وقيل معناه الذى يسلم على عباده المؤمنين فى الجنة كما قال سبحانه (تحيتهم يوم يلقونه سلام) وكما قال (سلام قولا من رب رحيم) وقيل معناه الذى يسلم عباده المؤمنين من المعاطب ويحفظهم مما يشوءهم. وقيل معناه الذى يسلم عباده من حيفه وظلمه. والسلام على هذه التفسيرات كلها يكون صفة فعل. والله تعالى أعلم.

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

باب الكتب

قاموس الأضرحة والمقابر

والأجداث والصور والتماثيل المقدسة وغيرها من آثار القديسين والأولياء

فهرس وتعليق ونقد

— ٥ —

تأليف – ج . ا . س كولان دى بلانسى
By. J. A. S. Collin de Plancy
الناشر – مكتبة چوبان وشركاه
طبع فى باريس سنة ١٨٢١
ترجمة وتعليق : الدكتور أمين رضا

الباب الخامس

المخالفات والصور المقدسة

عند اليونانيين منذ تشفيت شمل مدمرى التصاوير والأضرحة – وعند غير المسيحيين للرهبان والقسس – ولا شك – مصلحة كبرى فى استمرار مذهب عبادة رفات الأموات وصورهم ، فإن هذا المذهب يدر التبرعات السخية عليهم حتى أصبح رجال الكنيسة يملكون ثلث أموال الدنيا . وإن ديننا لا يقوم إلا على عبادة الله وعلى اتباع تعاليم الإنجيل ، لابد وأن يكون أحباره فقراء ولكن لابد وأن يكونوا فضلاء ! ! .

إن الناس لا يحبون من غير أن يغمروا قديسيهم بالهدايا ، وهم فى ذلك سواء لا فرق بين ملوكهم وعامتهم . ولا بين أغنيائهم وفقرائهم . وكان رهبان القديس جاك فى مدينة

كامبو ستلا بأسبانيا يجمعون من هذه العطايا فى يوم أكثر مما جمع الحواريون فى كل حياتهم . ولا شك فى أن هذه المكاسب تحفز القسس إلى الإكثار من الأضرحة والدعاية لها وإلى المبالغة فى الكرامات المنسوبة إليها .

وما أن عطف الحكام على قضية التصاوير حتى كانت هناك مصلحة متبادلة بينهم وبين رجال الكنيسة ، فلم يعد هناك تهديم ولا تحريق ، بل إن بعض الصور الشهيرة والرفات المقدسة التى كانت قد اختفت ، عادت فظهرت من جديد ، وزيد عليها مالا يحصى من أشياء أخرى متعددة الأنواع والألوان ، عكف الناس على عبادتها ، واصطلح اليونانيون مع البابا . إلا أن هذا الصلح لم يكن ليدوم طويلا ، حيث أن بطريك اليونان كان يصر على أن يلقب نفسه بطريك العالم ولم يكن البابا ليسمح له بذلك ، فانقسمت الكنيسة ذلك الانقسام التاريخى الذى بدأ فى عهد فوتيوس Photius وتم فى عهد ميشيل سيرولاريوس Michel cerularius وأساس هذا الانقسام بسيط جداً . فإن اليونانيين يعتقدون أن روح القدس تنزل من الأب عن طريق الابن ، فى حين أن بقية المسيحيين يعتقدون أنه يتنزل من الأب ومن الابن فى وقت واحد . ويعتقدون أيضاً أن الصلاة على الأموات غير واجبة ، وأن الطلاق لابد من إباحته عند الحاجة ، وأن أكل الجبن حرام ، وأنه من الواجب أن يصوم المسيحى أربع مرات فى السنة .

وبالرغم من هذه المبادىء التقدمية لم يكن اليونانيون أقل خرافة من الكاثوليك . فإنهم مثلنا[1] يعبدون الرفات والتصاوير ، وعبادتهم لها مبالغ فيها . فهم لا يحلفون إلا بقديسيهم ، ويندر أن تجدوا شخصية مشهورة فى الأساطير من غير أن تجدوا جثتها بالرغم من وجودها فى مكان آخر . وصورة العذراء التى رسمها القديس لوقا (صورة واحدة فى الأصل) توجد عندهم بكثرة ومن عدة نسخ ، وتوجد لديهم صور أخرى كثيرة يدعون

---

(١) هذا يدل على أن مؤلف الكتاب كولان دى بلانسى كان كاثوليكيا .

أنها نزلت لهم من السماء وكلّ هذه الصور تصنع المعجزات المدهشة ، والخيال الشرقى يضفى عليها روعة خاصة .

وبالرغم من تبجيلهم لهذه الأوثان فإنهم لا يظهرون الاحترام الكافى لأقدس الأشياء . فإنهم مثلاً يبيعون الغفران ويساومون فيه ،ويشترون العيش ويدفعون ثمنه فوراً . ويبيعه لهم القسيس بأخس الأثمان ، وهم يدفعون بالدراهم إلى الرجل التقى المتدين لكى يدعو على أعدائهم ويلعنهم ، وأما اللعنة فتزيد قوتها على قدر ما دفع لها من النقود ، كل هذا يسمحون به لأنه يرضى القساوسة والرهبان ، ومع ذلك فقد لعنوا قسطنطين الحادى عشر ،لأنه أخذ بعض أموال الكنيسة ليمول حلفاءه ، وليدافع عن مدينته ضد محمد الثانى ، وفى هذا الحصار الشنيع كان قسطنطين هو وحده الرجل الفاضل حقاً ، أما كل ما أصاب الشعب اليونانى من بؤس وآلام فكان السبب فيه يرجع إلى رهبانهم، لأنهم رفضوا النجدة من الكاثوليك لا لشىء إلا أنها من الكاثوليك ، ولأنهم أفسدوا عقول الناس الذين كانوا يذهبون إلى الحانات يشربون نخب السيدة العذراء ، ثم يصلون أمام صورتها طالبين منها أن تمنع محمدا الثانى من أن يحاصر المدينة فى أثناء الأسبوع المقدس فقط ، وكان هذا إيمانهم ، وكان هذا هو جهادهم الوحيد .

ومن اليوم الذى أحنى اليونانيون فيه رءوسهم للأتراك ، لم يفقدوا شيئاً من خرافاتهم القديمة ، بل بالرغم من فقرهم فإن معابدهم لا تزال مغطاة بالصور ، ولا تزال مليئة بالمقاصير المكدسة بالمقدسات ، وهم يعبدونها بكل جوارحهم وبكل مظاهر الخشوع والاحترام . ويوجد عندهم أيضاً قديسون معاصرون ، لهم معجزات . ولكل الشعوب أشياء يعبدونها من دون الله فالروس وخاصة الأرمينيون قديسون كثيرون يعبدونهم ويحجون إليهم .

... ... ـرب غير المسيحية فأنها قلدت الخرافات المسيحية فى الغالب ، إلا أنهم كانوا

الأصل فى اختراع بعضها ، فمثلا نحن نعرف أن المسلمين أعداء للتصوير بطبيعة دينهم[١] . إلا أنهم يبجلون بعض التعاويذ ، ولهم أشياء مقدسة ، وعندهم أماكن مقدسة ، وهم يختلفون مثلنا برفع الأم العذراء إلى السماء ، وقبر فاطمة عند الفرس مكان مقدس هو عندهم فى منزلة بيت « نوتردام » فى لوريت المدينة الإيطالية الوثنية المشهورة .

وفاطمة هى بنت محمد ، وزوج على ، ولها ضريح فى قم[٢] Com يخص بعبادة شهيرة ومسجدها ضخم ، وقبرها مغطى بالهدايا الثمينة ، ويرقى إليه ببضع درجات من الفضة الخالصة. وارتفاع الضريح هو اثنا عشر قدما ، وتكسوه حلة من القطيفة البيضاء : هذه القديسة فاطمة إن هى إلا « نوتردام » البلدة ، أو سيدة البلدة Notre-Dame du Pays وهم يدعونها فى صلاتهم ويسمونها « البنت التى لم تشبها شائبة » وهم يبرأون أمامها من خطاياهم ، ويقولون لها : أيتها العذراء المقدسة ، امنحى شفاعتك فى اليوم الذى يفصل فيه بين المؤمنين والفاسقين . أرجو لك السعادة فى الآخرة أيتها العذراء النقية العادلة التى لا تشوبها شائبة ، يا فاطمة المجيدة يا بنت محمد المختار ، يا زوج على المحبوب ، يا أم الأئمة الاثنى عشر[٣]

---

(١) أصاب المؤلف فى كلمته هذه إلا أنه ضل فى الفقرات التالية بسبب المعلومات المشوهة التى وصلت إليه عن طريق المستشرقين ، الذين استقوا معلوماتهم من غير الموحدين والمذاهب المنحرفة .

(٢) يقوم بتقديس ضريحها طائفة الشيعة الاثنى عشرية ويقول الشيعة إن فاطمة هذه هى ابنة إمامهم موسى الكاظم وأخت إمامهم على الرضا ، وليست فاطمة الزهراء بنت محمد عليه الصلاة والسلام ، وقد افتروا فى زيارتها أحاديث مثل : « من زارها فله الجنة » ويلقبونها بالمعصومة « الهدى النبوى » .

(٣) يزعم الشيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصى من بعده بالخلافة لعلى رضى الله عنه فغصبها أبو بكر ، ثم وصى بها على إلى الحسن ، وهذا إلى الحسين ، وهذا إلى على زين العابدين ، وهذا إلى محمد الباقر ، وهذا إلى جعفر الصادق ، فموسى الكاظم ، فعلى =

وهم خلفاء الله الحقيقيون ذوو المولد الشريف ، ويعتقد الشعب أن الله رفع فاطمة إلى السماء وأن قبرها لايحتوى على شيء إلا أنه تذكرة . وهكذا فإن الكنيسة الرومانية ليست وحدها التي تؤمن برفع العذراء ، وبحمل غير مشوب ، وبأم عذراء . وعلى كل حال فإن المسلمين وخاصة الفرس يضمون احتراما كبيراً للسيدة العذراء أم يسوع (أنظر بايل Bayle عند كلمة فاطمة Fatime)

وكلنا نعرف كيف يبجل المسلمون قبر نبيهم ، والكسوة السوداء التي تغطى الكعبة بمكة تقطع كل سنة ويأخذ كل حاج منها قطعة صغيرة يجعلها أثراً مقدساً . وهم يبجلون الجمل الذى يحمل المحمل . ويبجلون الحمام لاحتمال كونه من نسل الحمام الذى كان يكلم نبيهم فى أذنه وبذلك يشبهون المسيحيين الذين كانوا قديما يحترمون الفراخ التي نسلت من ديك القديس بطرس .

ولا توجد تصاوير عند المسلمين ، ولكن مساجدهم مملوءة ببقايا وتذكارات القديسين وبالنذور[1] ويحكى أن أحد سكان مدينة جنوا الايطالية كان يشتاق شوقا إلى معرفة ماذا

= الرضا فمحمد فعلى ، فالحسن العسكرى . وهؤلاء أحد عشر إماماً ، ثم زعموا أن الحسن العسكرى أنجب محمداً ، وأن محمدا غاب فى سن الخامسة أو التاسعة ولا يزال حتى الآن غائبا فى مدينة مجهولة اسمها الجابلقا ، وسيعود إلى الظهور مرة أخرى . والاثنا عشرية يقدسون بل يؤلهون أئمتهم ، وإليك ما قاله عنهم « الكليني » فى كتابه الكافى الذى يقوم عندهم مقام البخارى عند أهل السنة : الأئمة يعلمون علم ما كان ، وما يكون . لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة . الأرض كلها للامام . يعلمون جميع العلوم التى خرجت إلى الملائكة والرسل » . « الهدى النبوى » .

(١) لا شك فى أن كل ما قاله المؤلف كولان دى بلانسى يحدث ونراه بأعيننا حتى الآن مع أنه ألف كتابه من مائة وأربعين سنة ، إلا أن هذا يبين مقدار التشويه الذى يحدث فى ، الرأى الذى يكتسبه الغريب عن الإسلام . دين التوحيد والإخلاص فى عبادة الله . هذه الصورة الكريهة مرجعها إلى المظاهر الوثنية التى يتخذها الكثير ممن يسمون مسلمين .

يفعل المسلمون فى مساجدهم ، فدخل مسجداً يوماً مع علمه بالخطر المحدق به حيث أنه كان يعرض نفسه لموت محقق لارتداده عن المسيحية ، ولما دخل ، انحشر بين الناس حشرا حتى أنه لما شعر بالميل الملح لقضاء حاجة ، لم يستطع منع نفسه من التبرز ، وأحس بنفسه لابد هالك بسبب الرائحة الكريهة التى انتشرت حوله ، ولكن سرعة خاطره أنقذته ، إذ أنه صرخ قائلا أنه مصاب من بضع أسابيع بامساك شديد لم يشف منه إلا عندما جاء يدعو محمداً وأنه استجاب لدعائه وخفف من بلواه . فصرخ الناس يا للمعجزة . وأخذوا سرواله عنوة بما فيه وعلقوه على جدار المسجد تذكارا لهذه المعجزة[1] ، ويا له من تذكار (أنظر بايل عند كلمة محمد ») .

وكل الأمم الأخرى لها صور تعبدها ، والشعوب الوثنية لاتزال أكثر شعوب العالم عددا ، وهم يعبدون تذكارات آلهتهم وقديسيهم ، ولا يزالون يؤدون لهم فرائض النذر والحج ويعلقون تعاويذهم .

وآخر شىء نشير إليه فى هذا الباب هو نوع عجيب من المقدسات ، ذلك هو براز اللاما الكبير الزعيم الدينى فى التبت ، حيث يعيش أربعة آلاف من الرهبان من دخلهم من هذه التجارة الممقوتة .

ولكننا لا يجب أن نعجب من هؤلاء المغول ، فإن تونشلين Tonchelin كان يعبد بنفس الطريقة فى فرنسا الشمالية فى القرن الثانى عشر . فقد كانت تساق إليه أجمل النساء ، وكان برازه يباع ويعلقه الأتقياء المتدينون من الناس على أنه تعويذات ، وكان بوله قادراً على شفاء جميع الأمراض . هذا القديس المفترى قتله قسيس كاثوليكى آخر الأمر .

حتى فى القرن الثامن عشر كانت الخرافة تتحكم فى الشعوب المستنيرة المتقدمة ، فهذا هو البطريك ألديبرت Aldebert فتن الفرنسيين بمعجزاته حتى عبدوه ، وحتى أقنع الناس بأنه كان يحتفظ بخطاب نزل له خصيصاً من يسوع الإله وأنه حمله إليه الملاك ميكال ، وكان الناس يتناحرون على شراء أظافره وقصاصات من شعره ليقدموها ويعبدوها .

إلا أن الخرافة لاحد لها . (يتبع) الدكتور أمين رضا

(١) لاشك أن هذا مما لا يصدقه أى مسلم ولو كان خرا فى العقيدة « الهدى النبوى » .

٣ – آداب إسلامية

الليالى العشر

عن عائشة – أم المؤمنين – رضى الله عنها قالت كان : رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر . رواه البخارى ومسلم . وفى رواية « كان يجتهد فى العشر الأواخر مالا يجتهد فى غيرها » .

* * *

أظلنا شهر رمضان ، شهر الخيرات والبركات والطاعات والقربات . هذا الشهر المبارك أنزل الله فى أفضل لياليه القرآن الكريم – هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان – شهر تصفد فيه الشياطين وتغل ، وتتنزل الملائكة بالرحمات والبركات من رب العباد . فهو شهر ميمون الطالع ، مبارك الليالى والأيام .

وقد فضلت العشر الأواخر من لياليه على سائرها بالليلة المباركة ، ليلة القدر . (وما أدراك ما ليلة القدر ؟ ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر) .

هكذا يبين الله تبارك وتعالى ما لهذه الليلة المباركة من الفضل والبركة ، وأن الملائكة والروح تتنزل فيها بأمر الله تعالى ، بالأمن والإيمان .

وهذا البيان من الله تعالى عن فضيلة هذه الليلة ، بمثابة دعوة للمؤمنين للاحتفاء بها ، و إحيائها فى طاعته ، لينالوا من خيراتها ، ومن الرحمات والبركات التى تتنزل فيها من قبل الله تعالى .

فإذا أحياها المؤمن بذكر الله وعبادته ، وقامها ابتغاء رضوانه ، واحتساب أجرها عنده ، كانت خيراً له من ألف شهر ، وأعطاه الله ثواب عبادة ألف شهر . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وتقع هذه الليلة المباركة فى ليالى الوتر من العشر الأواخر من هذا الشهر الكريم ، لقوله صلى الله عليه وسلم « تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان » وفى رواية : « فى الوتر من العشر الأواخر » رواه البخارى مسلم .

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم فى ليالى رمضان إحياؤها بصلاة التراويح وتقول عائشة ، رضى الله عنها ، أنه خرج إلى المسجد فى جوف الليل ، وأنه صلى بصلاته رجال وأنهم تحدثوا بصلاتهم مع رسول الله ـ حين أصبحوا ، فاجتمع الناس فى الليلة القابلة أكثر من المرة الأولى ، فلما كانت الليلة الثالثة اجتمعوا أكثر ، فلما كانت الليلة الرابعة ضاق المسجد بالمصلين ، فلم يخرج إليهم . حتى خرج لصلاة الصبح . فلما انتهى من صلاة الصبح ، أخبر الناس بأنه لم يخف عليه ما كان من انتظارهم له لصلاة التراويح ، قال : « ولكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها » رواه البخارى .

وصلاة التراويح من السنن التى تستحب المداومة عليها فى رمضان ، لأنها بمثابة قيام الليل ، ولا بأس بصلاتها أول الليل ، كعادة المسلمين فى المساجد العامة لعصرنا هذا . وإن كان التى ينامون عنها أفضل من التى يقومون ، كما يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أى إن صلاة التراويح فى جوف الليل أفضل منها فى أوله ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حكته عنه عائشة رضى الله عنها ، آنفاً . وقد داوم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولولا خوفه من أن تفرض على أمته لاستمر على صلاتها بالمسلمين طيلة شهر رمضان .

* * *

ومما لا شك فيه عندى أن الليالى العشر التى أقسم الله بها فى قوله تعالى (وليال عشر) من سورة (الفجر) هى ليالى العشر الأواخر من شهر رمضان ، لا أيام العشر من شهر ذى الحجة .

فقد ذهب كثير من المفسرين ، ومنهم العلامة ابن القيم ، على أن الليالى المقسم بها فى سورة (الفجر) هى الأيام العشر من ذى الحجة . ثم أورد الجميع حديث فضل عشر

ذى الحجة : « ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام - يعنى عشر ذى الحجة - قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد فى سبيل الله . إلا رجل خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشىء » رواه البخارى .

وهذا الحديث الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما ، إنما رواه بياناً لفضل الأيام العشر من ذى الحجة . ولم يروه تفسيراً لقوله تعالى (وليال عشر) بل قد أوردا بن كثير فى تفسيره قولا لابن عباس عن الليالى العشر ، أنها العشر الأول من رمضان . فكيف تفسر بأنها العشر من ذى الحجة ؟ .

على أن بعض المفسرين قد ذهب إلى أن معنى قوله تعالى (وليال عشر) المراد بها العشر الأواخر من رمضان . ذهب إلى ذلك الصفوى فى تفسيره ، والبيضاوى والنسفى . مع قول بعضهم باحتمال أن يكون غير ذلك مقصوداً .

* * *

ويؤكد عندى ما ذهبت إليه ، أن الله تعالى أقسم بليال عشر ، ولم يقسم بأيام عشر . وفرق بين الليالى والأيام . ثم إن الفارق بين الأيام والليالى ، أن الأيام العشرة ورد فى شأنها حديث يفيد أن أكثر ما يؤتى فيها من العبادات تؤدى نهاراً ، كالحج والعمرة ، والتكبير بصوت جهورى .

روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (واذكروا الله أيام معلومات) - أيام العشر - والأيام المعدودات ، أيام التشريق . قال : وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق فى أيام العشر يكبران ، ويكبر الناس بتكبيرهما[1] » .

وفرق بين هذا وبين ما ترويه عائشة رضى الله عنها من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان « أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر » وشد المئزر هنا كناية عن التشمير للعبادة ، أو عدم إتيان النساء .

إن القائلين بأن المقصود بقول الله تعالى (وليال عشر) أنه العشر من ذى الحجة

---

(١) ويروى أن ابن عمر كان يبدأ بالتكبيرات من أول هلال ذى الحجه إلى عصر اليوم الرابع لأيام التشريق .

قد أبعدوا النجعة ـ فيما أرى ـ هذا وإلى القارىء الكريم بعض أحكام الصيام وآدابه ، مقتبسة من السنة النبوية الغراء ، وفقنا الله وإخواننا المسلمين للعمل بها .

* * *

الصوم : هو الإمساك عن شهوة الطعام والشراب ، وشهوة الفرج ، من طلوع الفجر الصادق ، إلى تحقق غروب الشمس مع النية . ويبطل بالأكل والشرب والجماع ، والقيء عمداً . وعلى من أفطر عمداً كفارة ككفارة الظهار .

أما بطلان الصوم بالأكل والشرب عمداً فلا خلاف فى ذلك ، وأما مع النسيان فلما فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نَسى وهو صائم فأكل وشرب فليتم صومه ، فالله أطعمه وسقاه » وفى رواية « فإنما هو رزق ساقه الله إليه » ولا قضاء عليه .

والجماع يبطل الصيام إذا وقع عمداً ، وأما إذا وقع مع النسيان ، فحكمه حكم من أكل أو شرب ناسياً . لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من أفطر يوماً من رمضان ناسياً فلا قضاء عليه » لأنه يتم صومه بعد أن تذكر . وأما القيء عمداً ، فعليه القضاء ، لحديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من ذرعه القيء فليس عليه قضاء ، ومن استقاء فليقض » .

وأما وجوب الكفارة على من أفطر عمداً ، فلحديث المجامع فى رمضان ، وهو فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة وعائشة رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للذى جامع امرأته فى نهار رمضان : « هل تجد ماتعتق رقبة ؟ قال : لا . قال : « هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا . قال : فهل تجد ماتطعم ستين مسكيناً ؟ قال : لا . ثم أُتى النبى صلى الله عليه وسلم بعَرَقٍ[1] فيه تمر فقال : تصدق بهذا ، قال الرجل : فهل على أفقر منا ، فما بين لابتيها أهل بيت أفقر منا . فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، وقال : اذهب فأطعمه أهلك »[2] .

ويجب القضاء على من أفطر لعذر شرعى كالمسافر والمريض . وقد صرح بذلك القرآن

---

(١) أى زنبيل . (٢) رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن .

الـكريم (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أُخر) . وقد ورد فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كنا نسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم ، وروى مسلم عن حمزة بن عمرو الأسلمى رضى الله عنه أنه قال : يارسول الله إنى أجد منى قوة على الصوم ، فهل علىّ جناح ؟ فقال : هى رخصة من الله ، فمن أخذها فهى حسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » .

وفى الصحيحين من حديث جابر رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة فرأى زحاماً ، ورجلا قد ظُلل عليه ، فقـال « ماهذا ؟ » فقالوا : صائم . فقال صلى الله عليه وسلم « ليس من البر الصيام فى السفر » وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، ونحن صيام ، قال فنزلنا منزلا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم مصبحون عدوكم والفطر أقوى لـكم ـ فـكانت رخصة . فمنا من صام ومنا من أفطر ـ ثم نزلنـا منزلا آخر ، فقال صلى الله عليه وسلم لا : « إنكم مصبحون عدوكم والفطر أقوى لـكم ، فأفطروا ـ فـكانت عزيمة ، ثم رأيتنا نصوم بعد ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر » وهـذا دليل على جواز الأمرين فى السفر .

وقد ذهب الجمهور إلى أن الصوم رخصة فى السفر . وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الفطر واجب فى السفر ، وأن الصـوم لايجزىء ، وكذلك المسافر والمرضع والحبلى . لمـا رواه الإمام أحمد وأهل السنن عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة ، وعن الحبلى والمرضع الصوم » .

وأما الـكبير العاجز عن الأداء والقضاء ؛ فليـكفّر بإطعام مسكين كل يوم ، للحديث الذى رواه سلمة بن الأكوع رضى الله عنه فى الصحيحين وغيرهما قال : أنزلت هذه الآية (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) كان لمن أراد أن يفطر و يفتدى ، حتى نزلت

الآية التى بعدها ، فنسختها ، فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ، ورخص فيه للمريض والمسافر . وثبت الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام .

وأخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « ليس هذه الآية منسوخة (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) هى للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما ، فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً ، ولا قضاء عليهما » .

ومن السنة التى دعا إليها النبى صلى الله عليه وسلم تعجيل الفطر ، وتأخير السحور . لحديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه قال : « لا يزال الناس بخير ماعجلوا الفطر » وهو فى الصحيحين . وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال أمتى بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطر » .

ومن آداب الصيام التى نصحنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « من لم يَدَعْ قول الزور والعملَ به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » وقوله « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب » وقوله « ، ليس الصيام من الأكل والشرب ، إنما الصيام من اللغو والرفث » ويقول صلى الله عليه وسلم : « إذا صمت فليصم سمعك و بصرك ولسانك عن الكذب والمحارم » ويقول : « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين . وينادى منادٍ : ياباغى الخير أقبل . و ياباغى الشر أقصر . وإن فى الجنة باباً يقال له (الريان) يدخل منه الصائمون يوم القيامة . لا يدخل منه أحد غيرهم . فيقومون فيدخلون منه . فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » .

جعلنا الله من المتقبلين عنده فى هذا الشهر المبارك الكريم .

محمد صالح سعد الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

تعليقات على الصحف

نهاية الدراويش

تقرر إجراء بحث اجتماعى لجمع « المجاذيب » الذين يعيشون بجوار المساجد . ويلتفون بأضرحة الأولياء فى القاهرة لوضع كل منهم فى المكان اللائق به ، بالمستشفيات أو مؤسسات التأهيل المهنى ، لتحويلهم إلى مواطنين صالحين ، بدلاً من تركهم يعيشون عالة على المجتمع .

جريدة « الاهرام » فى ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٩٦١

الحق إن هذا العمل كان يجب أن يتم قبل الآن . فإن هؤلاء المجاذيب يسيئون إلى الإسلام حينما يبدون أمام الناس بثيابهم المرقعة البالية ، وشعورهم الثائرة ولحاهم المنفوشة . ومسابحهم الطويلة الملونة . وهذا المظهر « السكرنقالى[1] » لايرضاه الإسلام لأهله ولا يقره لمن يؤمن بالله وبرسوله .

والذى يرى هؤلاء المجاذيب من المسلمين أو غيرهم ، لابد وأن يظن سوءاً بالإسلام ومبادئه التى جاء يدعو إليها . فيظن أن الإسلام يدعو إلى الضعف والتواكل وإلى ارتداء الثياب المرقعة البالية ، والهروب من حياة العمل إلى التكايا ، والانزواء بجوار الأضرحة . بينما الإسلام يبرأ من كل هذا وينفِّر منه . ويدعو إلى العمل والحركة ، والحياة العاملة المنتجة .

لقد فعلت الدولة خيراً حينما اهتمت بإزالة المنكر الذى يتمثل فى هؤلاء المجاذيب . ومن على شاكلتهم من دعاة الباطل . ونأمل أن تتجه الدولة إلى المنكرات والاباطيل التى ألصقت بديننا الحنيف فشوهته . فتعمل على إزالتها كما فعلت مع الدراويش . فإن المنكر إذا لم يُزل بوازع من الدين فإنه يُزول حتما بالقوة والسلطان تحقيقاً لقول على ابن أبى طالب « رضى الله عنه » (إن الله ليزع بالسلطان ما يزع بالقرآن) .

(١) كلمة إفرنجية معناها (التنكرى)

فى احتفالات الموالد مرة أخرى

« تقرر تحويل الاحتفال بالموالد إلى مهرجانات شعبية تشترك فيها الأجهزة الثقافية والصحية والاجتماعية ، لتبصير المواطنين الذين يؤمون هذه الموالد بما يعود عليهم بالنفع العام »

جريدة « المساء » فى يوم ٣ ـ ١ ـ ١٩٦٢

فى العام الماضى قامت محافظة القاهرة بالاشتراك مع وزارة الأوقاف بتجربة جديدة فى الاحتفال بمولد الحسين ، لمنع أعمال الدجل والشعوذة التى يقوم بها فريق من العاطلين المرتزقة فى هذا المولد وفى الموالد الأخرى . وللقضاء على المنكرات والخرافات التى تحدث فى ساحة هذا المولد . فأقيمت فى تلك الساحات أسواق لبيع الكتب المختلفة ، وخصصت أماكن لبيع الملابس الشعبية ، وأخرى للسينما والتلفزيون . إلا أننا رأينا أن كل ما كنا ولا زلنا نشكو منه قد انتقل من داخل مسجد الحسين وحوله إلى الأماكن القريبة من المسجد ، حيث تمارس هناك أعمال البدع والاباطيل وانتشرت العاب القمار ، وحلقات الغناء والرقص فى تلك الأمكنة .

ولقد كان الأمل كبيراً فى قيام المسؤلين بتعقب هذه المساخر والمنكرات فى أوكارها الجديدة . فى الحوارى والازقة والاماكن القريبة من المسجد ، حتى يتطهر الدين الإسلامى من هذا الباطل الذى شوه عقائده . . ولكن لم يحدث ما كنا نرجوه . بل حدث فى هذا العام ما لم نكن نتوقعه وهو أمر مؤسف ومحزن للغاية . . لقد عاد كل شىء كما كان قبل التجربة . . حلقات الذكر الماجن العابث التى تقيمها الطرق الصوفية . . رقص الغازيات ، والأغانى والاناشيد الشركية ؛ والعاب القمار والملاهى . والاجتماعات المريبة وما يحدث فيها من تعاطى المخدرات .. جموع من المجاذيب والمجذوبات الدجالين الذين شوهوا وجه الإسلام بمناظرهم القبيحة المنفرة . . وغير ذلك من الفساد الذى كان ولا يزال محل الشكوى والألم . . كل ذلك عاد بقضه وقضيضه كما كان ، داخل مسجد الحسين وفى كل مكان خارج المسجد . . وكأن ثورة اصلاح لم تحدث فى العام الماضى للقضاء على فساد الموالد ! . .

بل وكأن ما يحدث فى هذه الموالد ليس باطلا ولا ضلالا ، ولا خطرا على عقائد المسلمين وأفكارهم . ولا هادماً للدين وأسسه . بل هو حق وهدى من صميم الدين ! . .

وما حدث فى المولد الحسينى حدث مثله أيضاً فى جميع الموالد التى قام المسئولون هذا العام بتجربة حركات التطهير والاصلاح فيها ، على أن المطلوب ليس هو إضافة الوان جديدة فى هذه الموالد ـ باشتراك الأجهزة الثقافية والصحية والاجتماعية فيها ـ وترك الفساد كما هو ! . بل المطلوب هو تحويل الاحتفال بالموالد إلى مهرجانات شعبية ـ كما تقرر بالأمس واليوم ـ وذلك باحلال أشياء نافعة ، محل الفساد الذى نشكو منه ! .

إن يد الإصلاح التى تمتد كل يوم إلى كل ناحية من حياتنا فتغيرها وتحيلها إلى شىء آخر. يجب أن تمتد أيضاً إلى هذه الموالد فتقضى على الفساد الذى يملؤه . والباطل الذى يزخر به . فإن الذى أفسد علينا الحياة الإسلامية الطيبة هو سكوت العلماء عما يجرى فى الموالد والأعياد الوثنية من أمور باطلة لا يرضى عنها ديننا الحنيف .

وإذا لم نقف موقفاً إيجابياً جادا من فساد الموالد كما وقفنا مع مشكلة الدراويش وغيرها من المشاكل ، فلن تكون لحركات الإصلاح وحملات التطهير السلبية أيّ معنى أو فائدة ، وإن كنا نرى من وجهة نظرنا أن الإصلاح حق الإصلاح هو إلغاء الموالد من أساسها وبكل ألوانها .

* * *

ضريح لابن خلدون فى القاهرة

تقرر بناء ضريح لابن خلدون فى القاهرة . . وستسافر بعثة من علماء العرب والأجانب فى أول مارس القادم إلى البلاد العربية لدعوتها إلى الاكتتاب لهذا المشروع .

جريدة « الأخبار » يوم ٤ ـ ١ ـ ١٩٦٢

لقد قرر المؤتمر الذى عُقِد للاحتفال بمهرجان المؤرخ ابن خلدون عدة توصيات فى جلسته الختامية : منها إطلاق اسم ابن خلدون على كرسى من كراسى الاستاذية . . فى الجامعات وعلى مدرجات كليات الآداب فى جميع البلاد العربية . . وعلى قاعة الاحتفالات بالمركز القومى للبحوث . . وجَمْع مؤلفاته فى جميع اللغات ووضعها فى مكان خاص بالمركز القومى للبحوث .

هذه هى توصيات المؤتمر التى نشرتها بعد ذلك صحيفة الاخبار يوم ١٩٦٢/١/٧ ونعتقد ان هذا العمل كافٍ جداً لتكريم ابن خلدون وتقديره وتخليد اسمه . وهو فى الوقت نفسه عمل لا اعتراض عليه . أما العمل الذى نعترض عليه بشدة ولا نؤيده بأى حال هو بناء ضريح لابن خلدون ، ووجه الاعتراض هو أنه يخالف موقف الإسلام تجاه بناء القبور . وقد روت كتب السنة عن أبى الهياج الاسدى: قال لى على بن أبى طالب (رضى الله عنه) « ألا ابعثك على مابعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تمثالاً الاطمسته ولا قبراً مشرفاً الاسويته » .

ولو بنى هذا ضريح « لابن خلدون » فلا شك انه سيكون ـ فى مستقبل الأيام ، وعندما يتقادم عليه العهد ـ فى عداد الاضرحة التي يقصدها الناس اليوم للتبرك والدعاء والتوسل

ألا يكفينا مئات الاضرحة الموجودة فى القاهرة وغيرها من المدن المصرية ، والتى نجاهد بكل ما نملك من قوة للقضاء عليها وعلى مفاسدها ؟ إننا لا نريد مزيداً من الأضرحة لانها ستفتح علينا أبوابا جديدة من الوثنية والفساد العقائدى . بل نريد القضاء على الاضرحة الموجودة حالياً . . .

ومما يجدر ذكره أن ابن خلدون نفسه سجل ضمن ما سجل من أعمال ، استنكاره الشديد لما يفعله الناس اليوم فى الاضرحة من دعاء ساكنيها والاستغاثة بهم . وكان يعتبر ذلك خرافة وسخفا . . فكيف إذن نفعل بالرجل ما انكره على غيره ؟

اننا نهيب بالمسئولين أن يعدلوا عن بناء ضريح لابن خلدون ، والاكتفاء بالاعمال الأخرى التى وصى بها المؤتمر . فان فيها أجل تكريم . وأعظم تقدير . .

* * *

تنظيم الطرق الصوفية[1]

« يُعدُّ الآن مشروع قانون الطرق الصوفية ، وإدارة الموالد . يتضمن المشروع الشروط الواجب توافرها فى مشايخ الطرق الصوفية » .

جريدة « الجمهورية » يوم ١٩٦٢/١/٦

حاول المسئولون قبل الآن اصلاح الطرق الصوفية . ولكن جميع تلك المحاولات ذهبت دون فائدة . ونحن نتساءل : لماذا يشغل المسئولون أذهانهم فى محاولات كثيرة لتنظيم الصوفية و إصلاح فسادها ؟ ولماذا لا تتركهم كسائر عباد الله الذين يعبدون الله دون الانتساب إلى هذه الطائفة المفسدة ؟ .

إن السبب المباشر فى عدم جدوى إصلاح هذه الطرق هو أن التصوف نفسه قائم ـ منذ نشأته ـ على الانحراف والضلال ، ولا يمكن إصلاح هذه الطرق إلا إذا هجر أفرادها هذه السبل المتعددة وتركوها ، وسلكوا طريق الله الذى أرشد عنه فى قوله تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . .) .

وأما الموالد فإن إزالتها غير مستحيل إذ المعروف أنها مباءة لفساد التصوف . وهى قبل ذلك عمل مخالف لعقيدة التوحيد الذى هو جوهر دعوة الإسلام . وقد نهى الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن إقامة الموالد والأعياد ، فقال فى الحديث الصحيح (لا تتخذوا قبرى عيدا ، ولا تجعلوا بيوتكم قبورا) .

* * *

---

(١) سبق ان علقنا على هذا الموضوع بتعليقات الهدى النبوى عدد جمادى الاولى عام ١٣٨٠ وذلك عندما قرأنا فى الصحف أن الاتحاد القومى تلقى اقتراحا لتنظيم الطرق الصوفية

حقائق عن رأس الحسين (رضى الله عنه)

« بهاء الدين بيبرس » أستاذ التاريخ بكلية دار العلوم أعد أول رسالة عن الحسين ابن على رضى الله عنه . قال فيها : إن الإمام الحسين لم يدفن فى القاهرة وأن ضريحه خال من رفاته» .

« مجلة صباح الخير » يوم ١٨ـ١ـ١٩٦٢

إن الحقائق تتجمع كل يوم وتتضافر بصورة قاطعة ،على خلو الضريح المنسوب إلى الحسين رضى الله عنه فى القاهرة من رأسه أو من أى أثر له . وقد ألّف من قبل علماء سلفيون ثقاة كتباً عن رأس الحسين وعما يقال ـ كذبا ـ عن وجودها بمشهده . وأثبتوا هذه الحقائق بوثائق تاريخية دامغة . وأدلة قوية لا تقبل الجدل . . كما اثبتوا عدم وجود رفات أخته زينب رضى الله عنه بالضريح المنسوب إليها بحى(السيدة) بالقاهرة .

لقد أثبت التاريخ كذب هذين الضريحين المنسوبين إلى الحسين وأخته زينب رضى الله عنهما . وكل ما يحكى عن صحة نسبة الضريحين إليهما يستند على أمور وهمية كرؤية منام أو وجود علامة ، أو حكاية خيالية . أو نحو ذلك .

وإنى أحيل القارىء الكريم إلى كتب التاريخ أو كتاب « رأس الحسين رضى الله عنه للإمام أحمد بن تيمية رحمه الله للوقوف على حقيقة هذه البدعة التى صنعها الفاطميون لاستمالة قلوب الشعب ، ليرضى عن سياستهم عندما حكموا الديار المصرية عام ٩٦٩ م .

* * *

اعتقاد الصوفية فى مشايخهم . . وأسباب انتشار البدعة بين الناس

تحدث فضيلة شيخ الإسلام الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت فى مقال له بصحيفة الجمهورية عن أسباب تعلق الناس بالبدع . وتركهم للسنة ، فقال أن انتشار البدعة وذيوعها بين الناس يرجع إلى أمزين خطيرين هما :

اعتقاد العصمة فى غير المعصوم وتهاون العلماء فى بيان الشريعة كما وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم

تكلم فضيلته عن هذين الأمرين بالتفصيل ، فبين أثرهما فى الناس ، وخاصة فى المنتسبين منهم إلى الطرق الصوفية ، فقال إن من مظاهر الأمر الأول التزام المنتسبين إلى الطرق الصوفية بما يقوله لهم مشايخهم ولو خالف ذلك أحكام الشريعة ومبادئها . . وأن هؤلاء المشايخ قسموا الدين إلى شريعة ـ وهى الممثلة فى الأحكام الفقهية التى يعرفها العامة ـ وإلى حقيقة ـ وهى الممثلة فى أفعال شيوخ الطرق وأقوالهم ـ وإن خالفت الشريعة . . وأن اعتقاد المريد بوجود « حقيقة وشريعة » فى الإسلام جعلته لا يأتى العبادات على الوجه الصحيح . مكتفيا بأشكالها وصورها . . وأن المريد يظل سالكا للطريق الذى رسمه له شيخه حتى يصل إلى درجة الحقيقة التى جاءت بها الشريعة ، لإيمانه بما يقال له بأن « من تشرع ولم يتحقق فقد تزندق » ومن هنا أصبح المريد يطيع شيخه طاعة عمياء معتقداً أن ما هو فيه هو الطريق المفضى إلى معرفة الله . كما بين فضيلته بطلان تقسيم الدين إلى « حقيقة وشريعة » كما يزعمون .

ثم تكلم الأستاذ الأكبر عن تعصب الناس لمذاهبهم وكيف برءوا هذه المذاهب من الخطأ ، واعتقدوا فيهم العصمة . . وكيف استقر فى أذهان الناس أن الحديث الذى لم يرد فى كتب مذاهبهم لا يجب العمل به مهما صحت روايته ، بحجة أن ما ورد فى مذاهبهم معمول به على توالى العصور ، وأن أئمتهم أدرى بمعانى الحديث منا .

وتكلم فضيلته عن أثر هذا التعصب عند الناس . وكيف أنه جعلهم يتركون السنة ويؤمنون بالبدعة، معتمدين على قول روجه المبتدعون وهو (من قلد عالما لقى الله سالما[1]) .

---

(١) ويعبر العامة عن ذلك بقولهم : حطها فى رقبة عالم واطلع سالم .

كما بين أن التعصب للمذاهب نوع من اتخاذ غير الله ربًا لأن ، التعصب للأحبار والشيوخ عبادة كما قال الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله[1]) .

ثم تكلم عن الإجماع - الذى هو أحد مصادر التشريع - وكيف فهمه الناس على أنه « ما أجمع عليه الجمهور » وبين أن هذا الفهم خاطىء لأن الجمهور أجمع على عادات موروثة .. كما بين أن البدع التى نراها فى المساجد والموالد ، وسوء استعمال القرآن وغير ذلك مما تعارف عليه المجتمع بأنه دين ، هو من ثمرة إيمان الناس بصحة «ما أجمع عليه الجمهور» .

أما الأمر الثانى فقال عنه إن البدع المتفشية فى الناس يقع إثم السكوت عليها على عاتق العلماء .. وأن هذا السكوت قوّى الظن عند الناس بأن مايفعلونه ، من الدين والشرع . وأن العلماء لم يكتفوا بالسكوت على البدع وعدم البيان[2] ، بل شاركوا العامة فيما يفعلون . مما جعل من الصعب ردهم عما ألفوه من البدع والأباطيل .

وأبان الشيخ الأكبر أن سكوت العلماء على البدع يرجع إلى أمور . منها : أن التهاون بواجبهم نحو الأمة جريًا على قاعدة « دع الخلق للخالق » ومنها التواكل اعتقاداً منهم أن البيان واجب كفائى يسقط عن البعض إذا قام به البعض الآخر . ومنها ضعف الإيمان والخوف من غضب الناس عليهم .. ومجاملة العظماء والحاكمين .

ثم ختم فضيلته الحديث داعياً الله تعالى للعلماء ، بالهداية حتى يعرفوا واجبهم الحقيقى ليعملوا على إنقاذ الأمة من وهدة البدع ومخالفات الدين .

الجمهورية يوم ١٩ / ١ / ١٦٩٢

---

(١) روت كتب السنة أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما تلى هذه الآية على عدى ابن حاتم الطائى قال له : يارسول الله لسنا نعبدهم . قال « أليس يحلون لكم ماحرم الله فتحلونه . ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه ؟ » قال : بلى . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « فتلك عبادتهم » .

(٢) يقول الله تعالى فى شأن من يكتمون الحق ولا يبينونه للناس (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ١٧٤ البقرة)

.. كلمة حق قيمة أبان فيها فضيلته الهدى من الضلال ، والصواب من الخطأ ، وكشف فيها القناع عن الباطل والخزعبلات التى حسبها الناس عقائد إسلامية صحيحة فأخذوا بها وتعصبوا لها .

ونحن إذ نوجه الشكر لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت لبيانه الرائع ، وجهره بكلمة الحق ، نرجو أن تأخذ هذه الكلمة طريقها إلى العلماء وشيوخ الطرق ، ومن وقعوا فى إثم التعصب والتقليد والباطل ، لعلها تجد عندهم آذاناً صاغية وقلوباً واعية ، وأفهاماً متفتحة لقبول مافى هذه الكلمة الطيبة من الهدى والحق والصواب .

سعد صادق محمد

الاسلام والإيمان والإحسان

عن عمر رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذا اطلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد . حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يامحمد ، أخبرنى عن الإسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرنى عن الإيمان ؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال : صدقت . قال فأخبرنى عن الإحسان؟ قال : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » قال صدقت . قال فأخبرنى عن الساعة ؟ قال « ما المسؤل عنها بأعلم من السائل » قال : فأخبرنى عن أماراتها ؟ قال « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان » .

ثم قال لى : « ياعمر أتدرى من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم » قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » . رواه مسلم .

تحية رمضان المعظم

من أفقه حيا الورى بسلام ... وبدا بوجه ضاحك بسام

« رمضان » أقبل بالبشائر والهدى ... والطيبات وعزة الإسلام

* * *

فالمسلمون إذا رأوه تهللوا ... بشراً بمقدمه البهى السامى

والصائمون استبشروا بصيامهم ... وصلاتهم فى أسعد الأيام

والمحسنون إذا رأوا ألم الطوى ... عطفوا على الفقراء والأيتام

والقانتون التائبون لربهم ... العاملون بشرعة الأحكام

الباذلون الخير فى أيامه ... الواصلون البر بالأرحام

لبوا نداء الله جل جلاله ... وسعوا لأكرم غاية ومرام

* * *

رمضان فيك مواعظ لأولى النهى ... وهدى يفرج كامن الآلام

فاسطع بنورك فى القلوب ونقها ... من ظلمة الأحقاد والآثام

واجعل لقاءك نضرة وهناءة ... وأزل بصومك معضل الأسقام

وأفض على الأوطان أمناً سابغاً ... ببشائر الخيرات والإنعام

وأعد لنا عهد المروءة والوفا ... بين المرفه والفقير الظامى

واسلك بنا سبل الهداية والحجا ... إن الهداية آية الإسلام

* * *

رمضان أنت مهذب ومعلم ... المسلمين وأنت خير إمام

بالحق ساد الدين فيك وأعلنت ... فى الكون كل فضيلة ونظام

وأزعت شرع الله بين عباده ... وجلوت وجه الحق للافهام
هذا كتاب الله جاء مفصلاً ... فى عهدك الميمون للأقوام
فأعاد ذكرى الروح فى غدواته ... ورواحه بالوحى والإلهـــام
ومشى الهداة على هدى نبراسه ... ومحا « الكتاب » عبادة الأصنام
صان الحقوق بحكمة عِلوية ... وأزال عهد الظلم والإرغام
والعدل ما أرضى الضمير فتابعوا ... حكم الشريعة أقدس الأحكام

* * *

فاستمسكوا بالدين واعتصموا به ... فالدين خير دعامة وعصام
الدين يأمر بالصلاح وبالتقى ... والحلم والمعروف والإقدام
الدين يأمر أن تكون فعالنا ... لله لا للصيت والأوهـــام
الدين يأمر بالولاء وبالهدى ... وهدى المهيمن غاية الإكرام
الدين يأمر بالمكارم والحجا ... ويصد عن بغى وعن إجرام
فى ظله شاد الأوائل دولة ... دامت مهابتها أجلّ دوام
خرت لهيبتها الممالك سجداً ... وعنت بغير مهند وحسام

* * *

لا تحسبوا شهر الصيام مظاهرا ... ومباهجاً لموائد الإطعـــام
أو بالزيارة للمنازل والحمى ... خوف الملامة من لسان الذام
أو أن تقوم تعبداً وتهجداً ... وتحل كل تنابذ وخصام
وتجول تنصح من تشاء وربما ... ألبست نصحك معطف النمام
إن الصيام صيانة روحية ... عن كل معصية وكل حرام
للنفس فيه سكينة وطهارة ... كالطفل بين رضاعة وفطام

غنمت به الأجر الجزيل وحسبنا   في النفس بين كرامة وسلام

* * *

فاترك إذا شئت الصيام ـ نقائصاً   ورذائلاً ومواقف الإيلام

لا تحبسن النفس عن لذاتها   وتخوض فى الأنساب والأرحام

وتعف عن أكل اللحوم تورعاً   وترى بلحم أخيك خير طعام

فإذا نويت الصوم محضاً خالصاً   من ظلمة التضليل والإيهام

فاجعله لله المهيمن وحده   تغنم ثواب المؤمن القوام

« الجيزه »   نجاتى عبد الرحمن

القضاء على العصبية المذهبية فى الأزهر

· أصدر الوزير الجليل الأستاذ حسين الشافعى وزير الأوقاف والأزهر ، قراراً بمسابقة لتأليف كتب دينية لطلاب الأزهر ، وأهم شروط المسابقة هو ما طلبه الوزير الجليل : أن يبتعد المؤلفون عن الخلافات المذهبية ، وأن تؤلف وتطبع الكتب غير المنسوبة إلى مذهب معين ، ويكفى ذكر المسألة الشرعية مؤيدة بأدلتها من الكتاب والسنة. هذا ما طلبه الوزير الجليل.

وأنصار السنة الذين نادوا بهذا منذ أكثر من ثلث قرن مضى ، وحمل عليهم أدعياء الفقه ، وأصحاب فتنة المذهبية الحمقاء ـ يحمدون الله سبحانه أن وفق القائمين بالأزهر هذا التوفيق العظيم ، الذى يعد بحق خطوة عظيمة موفقة إلى بلوغ الغاية المرجوة من فهم الإسلام فهماً دقيقاً ، والعمل بأحكامه خالية من شوائب البدع والخرافات . ونزجى الشكر خالصاً إلى الوزير الجليل وإلى فضيلة الأستاذ الأكبر الإمام الجليل الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر وإلى الأستاذ الكبير الدكتور محمد البهى مدير الجامعة الأزهرية ، داعين لهم بالسداد والتوفيق فيما نصبوا أنفسهم له من سمو بالأزهر ؛ ليكون بحق منارة تشع بنور الإسلام ، لا إباحة للتناحر المذهبي البغيض ، ونضرع إلى الله أن يوفقهم فى أمر جليل خطير هو تنحية علم الكلام عن الصدارة ، وتدريس عقيدة الإسلام كما بينها كتاب الإسلام القرآن الحكيم .

سبق السيف العذل

كان لرجل يقال له النعمان بن ثواب العبدى ، ابن يقال له سعيد ، فكان يوصيه بمكارم الأخلاق والنجدة ، وأن لا يبخل على ذوى الحاجة ، وأن يَبْلو إخوانه ، لأن الوفى فيهم قليل .

ثم مالبث أن توفى أبوه ، فقال سعيد هذا : لآخذن بوصية أبى ، ولأبلونّ إخوانى وثقاتى فى نفسى . فعمد إلى كبش فذبحه ثم وضعه فى ناحية خبائه ، وغشاه ثوباً .

ثم دعا بعض ثقاته فقال يا فلان : إن أخاك من وفى لك بعهده ، وحاطك برفده ، ونصرك بوده ، قال صدقت ، فهل حدث أمر؟ قال نعم ، إنى قتلت فلاناً وهو الذى تراه فى ناحية الخباء مسجى ، ولابد من التعاون عليه حتى يوارى ، فما عندك ؟ قال يا لها سوءة وقعت فيها . قال فإنى أريد أن تعيننى عليه حتى أغيِّبه . قال لست لك فى هذا بصاحب . فتركه وخرج .

ثم بعث إلى آخر من ثقاته فأخبره بذلك وسأل معونته ، فرد عليه مثل الأول ، حتى بعث إلى عدد منهم كلهم يرد عليه مثل جواب الأول .

ثم بعث إلى رجل من إخوانه يقال خزيم بن نوفل وقال له : يا خزيم ، مالى عندك ؟ قال ما يسرك ، وماذاك ؟ قال : إنى قتلت فلاناً وهو الذى تراه مسجىً . قال : أيسر خطب ، فتريد ماذا ؟ قال أريد أن تعيننى حتى أغيبه . قال : هان مافزعت فيه إلى أخيك . هذا وغلام سعيد قائم معهما .

قال له خزيم . هل اطلع على هذا الأمر أحد غير غلامك هذا ؟ قال : لا قال : أنظر ما تقول[1] . قال : ما قلت إلا حقاً . فأهوى خزيم إلى غلام سعيد فضربه بالسيف وقتله ، وقال : « ليس عبد أخاً لك » . وارتاع سعيد وفزع لقتل غلامه ، وقال: ويحك ماصنعت ؟ وجعل يلومه . فقال خزيم إن أخاك من آساك ، فأرسلها مثلا .

قال سعيد : فإنى أردت تجربتك ، ثم كشف عن الكبش ، وأخبره بما لقى من إخوانه وثقاته وما ردوا عليه . فقال خزيم : « سبق السيف العذَل » فذهبت مثلاً .

---

(١) أى تحقق مما تقول .

مخلفات البدوى

ودلالة هذه المخلفات !!

يمضى كل إنسان فى هذه الحيـاة .. ويخلف وراءه من الآثار مايشهد له أو عليه . . .

فالثرى يمضى تاركا وراءه الضياع والقصور والأموال . . . والصانع يمضى مخلفاً وراءه آلات صنعتبه وروائع إنتاجه .. والعالم يمضى مخلفاً وراءه من الـكتب والصحائف ما يكشف لنا عن موفور فـكره ومدخور علمه وروائع ذكائه .. ويخلف لنا من التلاميذ من يحملون آراءه ويبثون بين الناس مناهجه ، ويذيعون على الملأ عوارفه .. وحين يمضى العـالم غير مخلف وراءه كتاباً ولا تلميذاً .. ما نحسب أن دعوى العـلم تقبل من زاعم يزعمها له ، أو مؤرخ ينسبها إليه . . .

ذلك أن أثر الشيء دال عليه . . فالبعرة تدل على البعير . . ، وأثر الأقدام يدل على المسير .. ومحكمة النسج تدل على نساج خبير .. وروائع العلم تنبيء عن عقلية عالم قدير .

ولو حاولنا أن نحـكم على شخصية أحمد البدوى بالنظر إلى مخلفاته نظرة موضوعية لاتنحاز ولا تنماع . . لاتداجى ولا تتملق . . لا تخاتل ولا تداهن . . لـكان حكمنا هـذا حكماً يسوء العاشقين ، ويتمعض له المتيمون المفتونون . . ولـكن فلننظر إلى هذه المخلفات المحفوظة فى مكان خاص بها بالمسجد الأحمدى بطنطا . . إنها كما يلى :

أولا : مجموعة من الأحجبة : ونذكر هنا قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « إن الرقى والتمائم والتِّوَلة شرك » وقوله صلى الله عليه وسلم : « من تعلّق تميمة فلا أتمّ الله له » .

ثانياً : مسبحة : ضخمة رائعة مهولة كبيرة الحبات . . . وهذه وحدها تُنبِئُكَ عن فهم الرجل للدين، ومسلـكه فى العبادات .. ونحب أن نسأل: عمن وردت مثل هذه المسبحة ؟

وما جدوى طولها هذا الطول المهول . ؟ إنك إذا رأيتها تذكرت هذه المسابح التي يطوق بها الدراويش أعناقهم عدة مرات .

ثالثا : المهراش : الذى كان يحك به جسده.

رابعا : العمامة : عمامة ضخمة ، يقولون إنها هى التى يلبسها خلفاؤه إلى الآن .

خامسا : البردة .

سادسا : القميص .

علام تدل هذه المخلفات ؟ مخلفات درويش ولا شك .. فالرجل تصدق عليه هذه الكلمة بمعناها الاصطلاحى بين الناس .. ذلك أن أصل الكلمة فى اللغة الفارسية بمعنى الفقير ..!! درويش بكل مظاهر الدروشة ... بكل مفاهيم الدراويش للدين .. وبكل ما أصاب الدين من هؤلاء الدراويش .. ولكنه درويش كبير .. ذائع الصيت .. وذيوع صيت الرجل يرجع إلى عوامل عدة ، يتضمنها كتابنا القادم عنه إن شاء الله تبارك وتعالى .

لم أحاول بهذه الكلمات أن أبخس الرجل حقه فى شيء . وحاولت جهدى أن أتبع قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) ... وحاول القلم أن يفلت منى ليكتب كل ما يراه حقا ، وكل ما يراه واقعا .. ولكنى أشفقت على عشاق البدوى .. أشفقت على عبّاده .. وذكرت جيداً قبل أن أكتبها قول أبى العلاء :

لاتظلموا الموتى وإن طال المدى　　　إنى أخاف عليكمو أن تلتقوا

عبد الفتاح إبراهيم سلامه
وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية بطنطا

الولى وتمسكه بالشريعة

و بعــده عنها

فى كلمة لى سابقة وعدت بالـكلام عن الولى وتمسكه بالشريعة ، و بعده عنها ، وحكم الشريعة فى ذلك . فنقول :

ورد فى الجلد الرابع من مجلة الأزهر لسنة ١٣٥٢ هـ هـذا السؤال من السيد محمد جاد بكفر البرى ما يأتى :

« رجل يعتقد الناس فيه أنه ولى ، من أولياء الله ، لا نراه يؤدى الصلوات الخمس المفروضة ، مع أنه لا يتغيب عن ناظرنا . ولـكنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنـكر ، ويأمر الناس بأداء الصلوات فى أوقاتها . و إذا اعترض أحد عليه سراً أو جهراً ، يحصل له حادث يؤلمه . وهذا الرجل قواه الجسمية والعقلية سليمة .

فمـا الحـكم فى هذا الرجل ، واعتقاد الناس فيه ، وما يجب عليهم بخصوصه ؟ .

فـكان الجواب :

« الولى هو العارف بالله وصفاته ، بحسب ما يمكن ، المواظب على الطاعات ، المجتنب المعاصى ، المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات . وقد يكرمه الله بأمر خارق للعادة . غير مقارن لدعوى النبوة .

من هذا يتبين أن من لم يأتمر بأوامر الله ، ويجتنب نواهيه ، لا يكون وليا ، ولا يصح الاعتقاد بأنه ولى . أما الأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر ، فمطلوب من كل مسلم . أما ما يتوهم من أن الضرر الذى يحصل لبعض الناس إذا اعترضوا عليه ، ناشىء عن اعتراضهم عليه فلا أصل له ، بل هو وهم ، والواجب على كل مسلم الحض على إقامة الأوامر واجتناب النواهى ، متى استطاع إلى ذلك سبيلا ، خصوصا ما كان معلوما من الدين بالضرورة كالصلاة والصوم » إنتهى من مجلة الأزهر .

وأقول : والصلاة فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل ، وعليه أداؤها فى أوقاتها الخمس فى اليوم والليلة ، يأمر بها الصبى لسبع ، ويضرب عليها لعشر ، إن تأخر عن أدائها بعد هذه السن . ولا يجوز تركها أو التهاون فيها حتى المريض ، فإنه يصلى قاعداً ، فإن لم يستطع ، فليصل متكئاً على عصاً أو حائط ، أو يومىء مستلقياً على ظهره .

وفى (الدر المختار) للشيخ محمد عـلاء الدين : « الصلاة عبادة بدنية محضة فلا نيابة فيها أصلا ، لا بالنفس ولا بالمال ، و يكفر جاحدها ، لثبوتها بدليل قطعى » .

ويقول الإمام ابن رشد فى (بداية المجتهد) ما ملخصه : « وتارك الصلاة عمداً ، قال قوم من العلماء إنه يقتل . وقال آخرون يحبس . والذين قالوا يقتل منهم من أوجب قتله كفراً ، وهو مذهب الإمام أحمد وغيره . وقال أبو حنيفة ومالك والشافعى وغيرهم : يقتل حداً : والصحيح أنه يقتل كفراً كما سيأتى :

روى مسلم فى صحيحه عن جابر يقول : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إن بين الرجل و بين الشرك والـكفر ترك الصلاة » وفى رواية أخرى : « بين الرجل والـكفر والشرك ترك الصلاة » قال النووى فى شرح مسلم ، لهذا الحديث : إن تارك الصلاة يستحق عقوبة الـكافر ، وهى القتل . » وفى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لمـا توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر ــ خليفة ــ وكفر من كفر من العرب ــ بمنعهم الزكاة ، وأراد محاربتهم فقـال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه ، إلا بحق الإسلام ، وحسابه على الله » فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة ، حق المال ، والله لو منعونى عناقا ــ هى الأنثى من أولاد المعز ــ كانوا يؤدونها ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . فقال عمر : فوا الله ماهو إلا أن قد شرح الله صدر ابى بكر ، فعرفت أنه الحق »

ويقول الشيخ عبد الجليل عيسى نقلا عن الكرمانى فى شرح هذا الحديث : « إن من يمتنع عن إعطاء الزكاة لمستحقيها من الفقراء والمساكين ، يعتبر كافراً بإجماع العلماء » . والفرق أن أهل الردة إنما عُذِروا فيما جرى منهم ، لقرب العهد بزمن نزول الشريعة ، الذى كان يقع فيه تغيير الأحكام وتبديلها . وكان القوم جهالا بتفاصيل الدين ، فأضلتهم الشبهة .

أما اليوم فقد شاع أمر الدين وأصبح العلم بوجوب الزكاة معلوماً من الدين بالضرورة فلا يعذر أحد بتأويله ، فسبيلها سبيل الصلاة » اهـ من شرح صفوة صحيح البخارى .

فرأى الصديق رضى الله عنه ومعه صفوة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن التفرقة بين الفرائض ، وخاصة الفروض العينية لا تجوز بحال من الأحوال ألبتة ، كما لايجوز التهاون فيها ، ولا الإخلال بها ، مادام المسلم قادراً على تأديتها .

وقال النووى فى شرح الحديث المتقدم من صحيح مسلم : إذا قيل كيف تأولتَ أمر الطائفة التى منعت الزكاة على الوجه الذى ذهبت إليه ، وجعلتهم أهل بغى ؟ .

وهل إذا أنكرتْ طائفة من المسلمين فى زماننا فرض الزكاة ، وامتنعوا من أدائها يكون حكمهم حكم أهل البغى ؟ .

قلنا : لا . فإن من أنكر فرض الزكاة فى هذه الأزمان كان كافراً بإجماع المسلمين ، والفرق بين هؤلاء وأولئك أن أهل الردة إنما عذّروا لأسباب وأمور لايحدث مثلها فى هذا الزمن . منها : قرب العهد بزمن نزول الشريعة الذى يقع فيه تبديل الأحكام بالنسخ ، ومنها : أن القوم كانوا جهالا بأمور الدين ، وكان عهدهم بالإسلام قريبا ، فدخلتهم الشبهة فعذّروا به

أما اليوم وقد شاع دين الإسلام ، واستفاض فى المسلمين علم وجوب الزكاة حتى عرفها الخاص والعام ، واشترك فيه العالم والجاهل ، فلا يعذر أحد بتأويل يتأوله فى إنكارها . وكذلك الأمر فى كل من أنكر شيئاً مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين ، إذا كان

عله منتشراً ، كالصلوات الخمس ، وصوم رمضان ، والاغتسال من الجنابة ، وتحريم الزنا والخمر ، وذوات المحارم » انتهى من شرح النووى .

هـذا هو حكم الشريعة الإسلامية فى تارك الصلاة أو غيرها من فروض الإسلام العينية على لسان الوحى المنزل الصادق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فما رأى هؤلاء الذين يزعمون الولاية زوراً وبهتانا ، ويضللون المسلمين ويكذبون عليهم فى أحكام دينهم ؟

على حسن بفوره

إمام المسجد العتيق ـ نجع حمادى

رحمة الله الواسعة

عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه ، أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور . يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم . قال : « أوليس قد جعل الله لكم ماتصدقون ؟ »

« إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة وأمر بمعروف صدقة ، ونهى من منكر صدقة ، وفى بضع أحدكم صدقة » قالوا : يارسول الله ، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : «أرأيتم لو وضعها فى حرام كان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر » رواه مسلم .

من رسائل القراء

الصوم فائدة بدنية وسمو روحانى

ـ جاءتنا هذه الكلمة من صاحب التوقيع :

تمتاز الشريعة الإسلامية عن بقية الشرائع السماوية بأنها تشمل كل نواحى الإنسان ، وجميع مرافق حياته ، فلا توجه نظرتها إلى جانب دون جانب ، بل تلقى الأضواء على جميعها

وبهذا كفلت لنفسها البقاء والخلود .

والصوم من هذه التشريعات الإسلامية العامة الشاملة لنواحيه ، إذ أن فائدته تعم جسم الإنسان وبدنه ، كما نرى أثرها فى نفسه وروحه .

فمما لا شك فيه أن المعدة مرهقة بالعمل طول العام ، فكان لابد لها من الراحة ، تستجم فيها ، وكان من رحمة الله تعالى فرض صيام شهر فى العام تستريح فيه ساعات النهار كل يوم .

ومن هنا نرى أنه ليس من الحكمة أن نتخمها بالأكل وكثرة أنواعه فى الإفطار والسحور

وليس الصوم مريحاً للمعدة فحسب ، بل إنه بشهادة الطب الحديث يستعمل علاجاً لأمراض كثيرة وخطيرة ، مثل اضطرابات الأمعاء المزمنة ، والبول السكرى وزيادة الضغط الذاتى . وإذا تركنا البدن جانبا وذهبنا إلى النفس لنرى أثر الصوم فيها ، رأينا الجلال والروعة تأخذ بالألباب .

فالصائم الذى يترك الطعام احتساباً لله ، وإعداداً لنفسه وتهيئة لها لتقوى على مراقبة جانب الله ، وتربية لإرادته على كبح جماح الشهوات ، ليقوى على ترك الأضرار والمحرمات التى يزينها له الشيطان وتسولها نفسه له .

والصائم الذى يمتنع عن الشراب العذب ، وقد يكون فى أشد الظمأ ، لمجرد الامتثال لأمر ربه والخضوع لإرشاد دينه والحياء من أن يراه حيث نهاه .

والصائم الذى يرى أمامه زوجة متزينة تتلألأ أنوثتها ويجذبه جمالها وتهفو إليها نفسه ومع ذلك يمتنع ويأبى أن يجيب داعيها :

هذا الصائم تحصل له – من تكرار هذا الامتناع – ملكة المراقبة لله تعالى وفى هذه المراقبة من كمال الإيمان ، والاستغراق فى تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفس ومؤهل لضبطها ونزاهتها فى الدنيا ، ولسعادتها فى الآخرة .

وبهذا تسمو النفس الإنسانية عن الرذائل وترتفع عن النقائص فلا ترى إلا خيراً وفضيلة

عبد الودود عبد البارى السلمانى

كلية الدراسات العربية

« ليست هذه الولاية ! ! »

– ومن الأستاذ عبد الوهاب أحمد السيد النمار بهذا العنوان :

قادنى حب الاستطلاع إلى التزود من مباهج الحياة . وكانت الفرصة حيث ما يسمونه احتفالا بمولد السيدة « زينب » وقلت : ساعة أروح فيها عن نفسى . وما أن وصلت حتى دلفت إلى خيمة كنت أعرف أهلها . ووجدت جمعاً ملتفا حول شيخهم الكبير ، ويدعى بوليهم العظيم .

دار الحديث بين الشيخ وبين طالب بكلية دار العلوم ، وتشعب الحديث فى طرق متعددة : القضاء والقدر ، والولاية والأولياء ، وهنا قال الشيخ : ألا تعلم بأننى لا أصلى ولا أصوم لأننى كلما جئت الصلاة ذهب عقلى وحدث لى دوار ، وهكذا الصوم ، فهل هذا يخرجنى من الولاية ؟ ! ! .

وهنا انبرى الطالب مفتياً فى لباقة : سيدى الشيخ : إن الولاية قسمان : منحة ومكتسبة وأنت وقد منحك الله هذه الولاية ، لست فى حاجة إلى هذه الطقوس ، فما هى إلا أمور تقام ليعلم بها الرب مقدار اخلاص عبده له . كما أنها تقوم مقام الرباط والصلة بيننا نحن

و بين الله نتقرب بها إليه لتدركنا عنايته . أما أنت فقد قربك الله منه ، وليس فى قلبك غيره وأصبحت فى مكان مقدس عنده تغشاك رحمته وتحيطك عنايته . ولكننا لا نقدر على التقرب منه إلا فى مثل هذه الصلاة أو الصوم أو ما يشبه هذه الأمور التعبدية ! !

وكان أتباع الولى قد حرموا مدة طويلة من حديث شيخهم فثاروا على الطالب ، فقد كانوا يحسبون أنه يجادل شيخهم و يظنون أنه يعانده و يرهقه فثاروا عليه، لولا إشارة الشيخ لهم بالسكوت . وهو يقول : إنه متفق معنا ، فتح الله عليه .

وعدت وأنا مهموم الفؤاد لفتوى الفتى الطالب صارخا فى وجهه : ماهذه الفتوى ؟ ومن هذا الذى يتولاه الله و يحفظه ؟ ألا تعلم أن الولاية مرتبطة بأمور لابد منها ؟ ! ألم يذكر الويل والهلاك للذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها ؟ فكيف بمن تركها حقيقة ؟ ! ثم الخوف الذى رفع عن الأولياء ، ألم يقيد بشروط الايمان والتقوى ؟ ! فمن قال إن تارك الصلاة متق ؟ ! ومن الذى يقول إن الافطار شرع دون عذر ؟ إننا لم نسمع أن سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام ترك الصلاة ، أو أفطر فى رمضان دون عذر أبداً . وهو المشرع وأقرب الخلق إلى الله ، وقد اختاره سبحانه لتبليغ رسالته إلى عباده ؟ ! .

أيها الزميل المفتى : الأمر ليس بالهين اليسير ، وليس كل متعلم مفتيا . ولم يكن الدين أرجوحة يدفعها هذا إلى هنا ، وذلك يقذفها إلى هناك . إن حياتنا اليوم مليئة بكل منكر خبيث فيجب أن تقاس الأمور على الدين لا العكس . والحلال بين والحرام بين . ونحن أمة تريد أن تستأنف جهادها حتى تستعيد مكانها فى الوجود .

إن هذه التهاويل التى رأيتها ليس فيها غير الأسى والضلال . إنها أى الولاية التى رأيتها ولاية جيوب ، لا قلوب ، ومشيخة فلوس لا نفوس . عدت وقد أشقانى الألم لهؤلاء الذين لا تنجاب عنهم الغفلة والخرافات ، ولا تنفرج خوانق الأغلال والترهات عن رقابهم . فيا أولى الأمر إننا أمة مسلمة فاحفظوا لنا الدين ، و إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن . و يا رجال الأزهر ستسألون ولا عذر فيما لا ترون و إنما المسئولية فيما ترون ولا تنكرون ، و يا أيها المدرسون إن لنا دستورا إلهيا كاملا ، فيه لكل

مضلة هدى ، ولكل قضية بينة ، (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى . كتاب الله وسنتى) .

عبد الوهاب أحمد السيد النجار
كلية الشريعة

الجهـــــر بالحق

ومن الأخ سعد محمد مبارك بملوى كلمة بهذا العنوان نقتبس منها :

إننا دعاة التوحيد ، وأعنى بهم جماعة أنصار السنة المحمدية ، نصدع بالحق ـ ولله الحمد والمنة ـ لا نخشى فى الله لومة لائم ، لأننا نقدر مسؤوليتنا أمام الله تعالى . واسمعوا إن شئتم ـ أيها القراء الكرام ـ ما يقوله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

« لا يحقرن أحدكم نفسه ، قالوا يا رسول الله ، كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : « يرى أمراً لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله له يوم القيامة : ما منعك أن تقول فىّ كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس ، فيقول : فإياى كنت أحق أن تخشى »

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده ، فإنه لا يقرب من أجل ، ولا يباعد من رزق ، أن يقول بحق أو يذكر بعظيم » .

ومصداق ذلك من كتاب الله تعالى ، قوله : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) .

العدد ١٠
المجلد ٢٦

شوال
سنة ١٣٨١

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

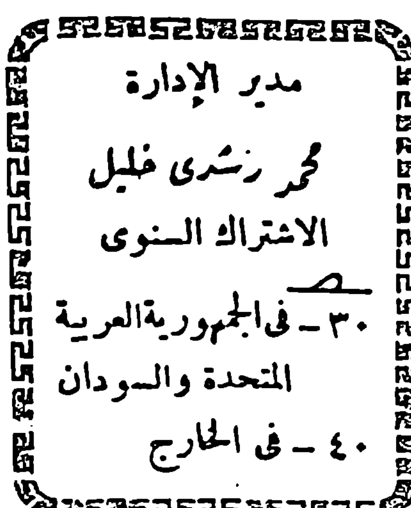
الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية



مدير الإدارة

محمد رشدى خليل

الاشتراك السنوى

ــص

٣٠ ــ فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان

٤٠ ــ فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله ــ عابدين القاهرة ــ تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ١٠ — شوال سنة ١٣٨١ — المجلد ٢٦

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جلّ ذِكرُه : ﴿ وما مَنَعَ النَّاسَ أنْ يُؤْمِنُوا إذْ جاءَهُمُ الْهُدَى إلاَّ أنْ قَالُوا : أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولا . قُلْ : لَوْ كَانَ فى الْأَرْضِ مِلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسولاً . قُلْ : كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إنَّه كَانَ بعبادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا . ١٧ : ٩٤ ــ ٩٦ ﴾ .

المعــنى

قلت فى تفسير العدد الماضى : « إن طبيعة الكفر حقد وجُحود يدفعان بصاحبهما إلى الثورة على الحق والخير ، ومحاولة النَّيل منهما ، ووضع العقبات فى سبيلهما » وقد عرف الحقدُ فى لعنه والحسدُ فى ضراوته الطريقَ أول ما عرفا ــ إلى الشيطان . فدفعا إلى الجحود بحكمة الله ومشيئته وعلمه المحيط ، والعجيب أن نفسَ ما منع الشيطان عن الإيمان هو عين ما منع أولياءه من مَرَدَة الكفر وأبالسته . وقد ذُكِرت قصة تمرد الشيطان بحقده وحسده

فى هذه السورة نفسها ﴿ وإذْ قُلْنَا لِلملائكةِ اسْجُدُوا لآدمَ ، فَسَجَدُوا إلاَّ إبليسَ ، قال : أأسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينا ١٧ : ٦٢ ﴾ .

لقد استبد به الحقدُ ، وطغا به الحسد : لأن اللهَ سبحانه جعل عنه بشراً خليفةً فى الأرض . وقد وصفه الله سبحانه فى موقفه هذا بقوله : ﴿ وإذْ قُلْنَا لِلمَلاَئِكةِ اسْجُدُوا لِآدمَ ، فَسَجَدُوا إلاَّ إبْليس أَبَى ، وَاسْتَكْبَرَ وكان من الكافرين ٢ : ٣٤ ﴾ .

لقد جحد أن تكون للبشرية أو الآدمية هذه المكانة عند خالقها سبحانه جل شأنه . وجحد أن يخلق اللهُ مايشاء ويختار ، ووضع لنفسه مقاييسَ خاصة و قِيَما يؤمن به ، وظنت شهواته الحمقاوات أنه لابد أن تجرى كل الأمور على مقاييسه هو، وأن قِيَمَ الأشياء لابد وأن تكون عين القيم التى يؤمن هو بها . فلما اختار الله سبحانه ما اختار جُن هوى الشيطان ، وتلَظَّى حسدُه لهذا البشر المخلوق من الطين الذى جعله الله عنه خليفةً فى الأرض . كأنما ظن أنه كان لابد أن يكون من الذهب أو من النور لكى يستحق أن يكونَ خليفةً . أو لكى يمكن أن يجعله الله خليفة لقد قوَّم آدم بطينته ، قومه بجسده ، ولم يُقوّمه بما كرَّمه به الله من عقل عظيم وغيره من نعم الله سبحانه . فضل فى الحكم والتقدير . واستبد به سوء الأدب ذلك لأنه كان يصدر فى الحكم والتقدير وسوء الأدب عن حَسَدٍ يشويه ، وحد يدمره .

وتوالى أولياء الشيطان . وقد ورثوا عنه حقده وحسده وكفره يجحدون بقدرة الله وحكمته وعلمه المحيط واختياره القادر القاهر . توالى يعللون كفرهم بعلة أستاذهم الأكبر إبليسَ مصبوغة بصبغة تتراءى فى أَخْذَةِ سِحْرِها أنها إجلالٌ لله وتعظيم له ؛ إذ زعموا أنه لا يمكن أن يكون البشر رسولا لأن الله أسمى وأجل ـ هكذا يُلوِّنون كفرهم بلونٍ سِحْرِيٍّ ـ وإنما كان ينبغى أن يكون مَلَكا . ولنتدبر معاً هذه الآيات ؛ لنعرف أن

الكفر واحد ، وأن الحسد واحد : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وعادٍ وثَمودَ والذين مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إلاَّ اللهُ ، جاءتْهُمْ رُسُلُهم بالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فى أَفْوَاهِهِمْ ، وقالوا : إنّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ به ، وإنّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إلَيْهِ مُرِيب . قالت رُسُلُهُمْ : أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰواتِ والأرضِ ، يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لكم من ذُنُوبِكُمْ ، ويُؤَخِّرَكُمْ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى : قالوا إنْ أَنْتُمْ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عما كان يَعْبُدُ آباؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ . قَالَتْ لهم رُسُلُهُمْ : إِنْ نَحْنُ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلٰكِنَّ اللهَ يَمُنُّ على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ . وما كان لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، وعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون ١٤ : ٩ ـ ٣١ ﴾ .

أولئك قوم نوح أول الرسل ، وعاد وثمود والذين جاءوا من الأمم بعدهم ـ وهم كثير لايعلمهم إلا الله سبحانه ـ لم ينكروا أن الله فاطر السموات والأرض . وإنما جحدوا أن يكون الرسل بشراً ! ! وجحدوا أن يختار الله ما يشاء . ومن يشاء ليكونوا رسله إنها طبيعة الكفر الحاسد والحقد الجاحد ! ! ؛ ولهذا رَدَّ عليهم رسلهم جميعا بكلمة حق واحدة : الله يمن على مَنْ يشاء من عباده . فإرادة الله ليست كإرادة البشر . ومشيئة الخلاق ليست كمشيئة الخلق . حتى يمكن أن نحكم بالخطأ على ما يشاء الله ويريد . والله لا يُسْئَل عما يفعل . ويختص برحمته من يشاء .

وقد استخف هذا الكفرُ أطماعُ اليهود وهواهم . فأنكروا أن ينزل الله على البشر كتابا من عنده ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ؛ إذْ قالوا : ما أَنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شيء . قُلْ : مَنْ أَنْزَلَ الكتابَ الذى جاء به مُوسى نوراً وهُدًى للناسِ تَجْعَلُونَهُ قراطيسَ تُبْدُونها ، وتُخْفُون كثيراً ، وعُلِّمْتُم ما لم تَعْلَمُوا أَنتم ، ولا آباؤُكُمْ . قل : اللهُ ثم ذَرْهُمْ فى خَوْضِهِم يَلْعَبُون ٦ : ٩١ ﴾ .

أرأيتَ كيف يفعل الحسد بصاحبه ؟ إنه يدفعه إلى الجحود بالواقع ، وبالتجربة اليقينية ، وبما أقام عليه مجده وحضارته ، بل يدفعه إلى الكفر بوجوده أحيانا ، فهؤلاء

اليهود — وهم يزعمون أنهم يؤمنون بموسى وبالتوراة — يدفعهم الحسد إلى أن يفكروا أن الله ينزل على البشر شيئا و بأيديهم كتاب يؤمنون أن الله نزله على بشر !!

وكذلك استخف هذا الكفر أطاعَ فرعون (ثُمَّ أرْسَلْنَا مُوسَى وأخاه هرُونَ بآيَاتنَا وسُلْطَانٍ مُبِينٍ . إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه ، فاسْتَكْبَرُوا ، وكانوا قَوْماً عالين ، فقالوا : أنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا وقَوْمُهُما لنا عابِدُون ٢٣ : ٤٧) .

وهذا الذى يجحد به هؤلاء ، ويثير أضغانهم ، ويعزم أحقادهم وحسدهم إن هو إلا رحمة ونعمة من الله سبحانه ، ولكن الحسد يعمى ويصم . ويصيب العاطفة بالخمود والجمود . ويقلب الموازين والمقاييس فى نفس صاحبه ورأيه ، فيرى الخير شرا ، والنعمة نقمة . ولهذا يقول ربنا سبحانه (أكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أنْ أوْحَيْنَا إلى رَجُلٍ منهم : أنْ أنْذِرِ الناسَ وَبَشِّرِ الذين آمنوا أنَّ لهم قَدَمَ صِدْقٍ عند رَبِّهِمْ ، قال الكافرون : إنَّ هذا لساحِرٌ مُبِينٌ ١٠ : ٢) .

ويمن سبحانه بهذه النعمة الكبرى . وهى أنه يرسل الرسول لخلقه منهم (لَقَدْ مَنَّ اللهُ على الْمُؤْمِنين : إذْ بَعَثَ فيهم رَسُولاً من أنْفُسِهِمْ يتلو عليهم آياته ، ويُزَكِّيهِمْ ، ويُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحِكْمَةَ ، وإنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ٣ : ١٦٤) .

ويرد القرآنُ على من جحدوا أن يكونوا البشر رسلا . وطلبوا أن يكونوا ملائكة : (وقالُوا : لَوْلاَ أُنْزِلَ عليه مَلَكٌ ، ولو أنْزلنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُون . ولوَ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ، وَلَلَبَسْنَا عليهم ما يَلْبِسُون ٦ : ٩) .

هكذا بالحسد وبالحقد يجحد الكفر بأن يمن الله على البشر برسالة حتى صار هذا الجحودَ من سمات الكفر وخصائصه فى كل أمة ؛ وقد قررت الآيات التى نستلهم الله الحق فى الكشف عن معانيها هذه الحقيقة ، فقال جل شأنه : (وما مَنَعَ النَّاسَ أنْ يُؤْمِنوا إذا جاءهم الهُدَى إلاَّ أنْ قالوا : أبَعَثَ الله بشراً رسولا) وإنها لتكشف عن سَوْءَةِ

الحقد وعورته ، لقد جاءهم رسلهم بدين قويم مُحكَم فيه العقيدة السوِيّة والخلق السوِيّ والعبادة السوِيّة ، والسلوكُ السوِيُّ سواء أكان فرديا أم جماعيا ، فلم يجدوا فيما جاء به رسلهم إلا كل كمال وحق وخير .

فلم يستطيعوا طعنا ، ولا لمزاً فيما جاء به رسلهم من عقيدة وشريعة ، فماذا يفعلون ؟ لقد لاذوا بخطيئة أسلافهم فى الكفر ، فجحدوا أن يكون البشر رسلا . هذا هو كل ما استطاعوا الرمى به فى وجه الحق . وفى قوله تعالى : « إذ جاءهم الهدى » ما يكشف كشفا جليا عن مدى الحقد الذى يأكل قلوب هؤلاء الناس . وبيان عن فجور خطيئتهم ، فهم لم يقفوا هذا الموقف من شىء مُبهَم . وإنما وقفوا موقفهم المجرم من « الهدى » الذى جاءهم .

ثم يكشف الله لنا عن رحمته السابغة وعن صفة من صفات الملائكة تلك هى أن هؤلاء الملائكة ليسوا من طبيعة البشر ، ولهذا لا يستطيعون الحياة على الأرض كما يحيا البشر . ولا يستطيعون العيش عليها كما يعيش البشر ، فكيف يجعل الله منهم رُسُلا للبشر ؟ .

إن الرسول يذهب هنا ، وهناك ، ويخاطب هذا وذاك ، ويكلم الناس بلسانهم ويدعوهم إلى الاقتداء به ، لأنه مثلهم بشر . وبدين الله تبلغ بشريته ما تبلغ من كمال ، وكذلك يستطيع قومه إذا سلكوا سبيله . لأن بشريتهم عين بشريته . ولو جعل الله الرسول مَلَكا ما استطاع الناس فهم الرسالة ، وما وجدوا القدوة العملية التى يستطيعون الاقتداء بها ، فهو مَلَكِيّة ، أمامهم فبشرية ، وشتّان ماهما بل لو جعله مَلَكاً ، لجعله رَجُلا ، ولأعطاه ما للبشر من خصائص حتى يتمكن البشر من الفهم !! بل ولو جعله مَلَكاً لعنتا الظالمون ، والطلبوا أن يكون رجلا ؛ فالحسد لا يستطيع أبدا أن يتعامل مع الخير والحق . والله سبحانه وتعالى جل شأنه لا يغير ، ولا يبدل فى سنته الكونية من أجل هوى الناس ، ولهذا يقول « لو كان فى الأرض ملائكةٌ يمشُون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » فلا يسألن مسائل ، ولماذا لا يمنحهم المشى مطمئنين على

الأرض ؟ فلقد أجابت الآية التى فى الأنعام عن هذا السؤال . فإمّا أن تتحول الأمة كلها إلى ملائكة ؛ لتفهم عن الملك ، وهذا فيه ما فيه من تعطيل لسنة الله سبحانه ، وقضاء على حكمته العالية فى جعل الآدمية صاحبة الخلافة عنه فى الأرض . وإما أن يتحول الملك إلى بشر . ليستطيع إفهام الأمة مراد الله سبحانه . ولو حدث ما بقيت حكمة لجعل الرسول ملكا لماذا ؟ لأنه تحول إلى بشر . فلم يصبح لملكيته أثر فى تبليغ الرسالة » .

ثم يعلم الله سبحانه نبيه حجة من حجج الحق فى قوله جل شأنه : (قُلْ كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) يكفى أن الله العلى الكبير هو الذى يفصل فى هذا الشأن بينى وبينكم ، وهو جل شأنه الذى يحكم لى بأنى صادق فيما أبلغكم عنه ، فلقد قال الله سبحانه عن رسول الكريم : (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا منه باليَمِينَ ، ثم لَقَطَعْنَا منه الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عنه حَاجزين ٦٩ : ٤٤ ـ ٤٧) فلو لم يكن رسول الله صادقاً فيما يبلغ عن الله ، أو فيما أكد أنه من قبل الله لفعل الله به ما توعّده به فى هذه الآية . ولكنه صلى الله عليه وسلم — كان يزداد نصرا بعد نصر ، رغم احتشاد الأحقاد والعداوات المضطرمة ضده ، ولم يستطع عدوه رغم تحرّفه للكيد له — أن ينال منه شيئا مما يدل دلالة قوية على أنه مؤيد من قبل الله سبحانه .

ثم يقول سبحانه (إنه كان بعباده خبيرا بصيرا) وهما صفتان يلزم أن يتصف بهما الحَكَمُ العَدْلُ فى قضايا الناس فما بالك بالحكم العدل الذى يقضى بين الخلائق جميعا ، ويفصل فيما يختلفون فيه ، كهذه المسألة التى حدثت بين خاتم النبيين وبين عدوه من المكذبين له .

« وإنا لنضرع إلى الله سبحانه أن يلهمنا قول الحق ، وأن يثبتنا على قول الحق ، وأن يلهمنا العدل الصحيح الذى يرضيه ، يوفقنا جميعا إلى ما يحبه ويرضاه إنه سبحانه سميع قريب مجيب للدعاء » .

عبد الرحمن الوكيل

توحيد الله عز وجل

(المؤمن) اسم فاعل من قولهم آمنه يؤمنه بمعنى أزال مخاوفه ومنه قولهم آمن به بمعنى صدق لأن من صدقته فقد آمنته التكذيب والمخالفة . وإذا عدى لفعل آمن بالباء كان معناه التصديق بالخبر نفسه كقوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) وإذا عدى باللام كان المراد به تصديق المخبر كقوله تعالى (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) وقوله (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) .

ويجوز إطلاق هذا الاسم على الله عز وجل بالمعنيين جميعاً إفادة الأمن أو التصديق ، فبالمعنى الأول مارواه الضحاك عن ابن عباس أنه هو الذى أمن خلقه أن يظلمهم . وبالمعنى الثانى ماروواه قتادة أنه هو الذى آمن بقوله أنه حق أو الذى يصدق عباده المؤمنين إيمانهم به . أو الذى يصدق رسله بالمعجزات الشاهدة بصدقهم فيما يبلغونه عنه . قال أبو حامد فى (المقصد الأسنى) « المؤمن هو الذى يعزى إليه الأمن والأمان بإفادته أسبابه وسده طرق المخاوف ، ولا يتصور أمن إلا فى محل الخوف ، ولا خوف إلا عند إمكان العدم والنقص والهلاك . والمؤمن المطلق هو الذى لا يتصور أمن وأمان إلا ويكون مستفاداً من جهته ، وهو الله تعالى .

والعبد ضعيف فى أصل فطرته ، وهو عرضة الأمراض والجوع والعطش من باطنه وعرضة الآفات المحرقة والمفرقة والجارحة والكاسرة من ظاهره ولم يؤمنه من هذه المخاوف إلا الذى أعد الأدوية دافعة لأمراضه ، والأطعمة مزيلة لجوعه ، والأشربة مميطة لعطشه والأعضاء دافعة عن بدنه ، والحواس جواسيس منذرة بما يقرب من مهلكاته . ثم خوفه

الأعظم من هلاك الآخرة ولا يحصنه عنه إلا كلمة التوحيد ، والله تعالى هاديه إليها ومرغبه فيها .

والمؤمن من الأسماء المشتركة بين الله عز وجل و بين خلقه . قال تعالى ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون ﴾ وقال ﴿ هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ وهو يطلق على المخلوق بكل من المعنيين أيضاً . فهو مؤمن بمعنى مصدق بكل مايجب التصديق به من أخبار الله ورسوله ، ويقابله الكافر وهو مؤمن بمعنى مزيل لأسباب الخوف المتوقعة من جانبه فالناس يأمنون بوائقه وقد يؤمنهم أيضاً مما يتوقعون من ظلم غيره و بطشه إن كان ذا عدل وسلطان .

وأحق العباد باسم المؤمن من كان سبباً لأمن الخلق من عذاب الله بالهداية إلى طريق الله والإرشاد إلى سبيل النجاة وهذه وظيفة الأنبياء والعلماء .

« المهيمن » قال ابن عباس وغير واحد من السلف أى الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى أنه رقيب عليهم فهو كقوله ﴿ والله على كل شىء شهيد ﴾ وقوله ﴿ ثم الله شهيد على مايفعلون ﴾ . والحق أن معنى المهيمن أوسع من معنى الشاهد فهو القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم ، باطلاعه واستيلائه وحفظه ، لأنه لا يقال مهيمن إلا لمن كان مشرفاً على الأمر مستولياً عليه حافظاً له . فالإشراف يرجع إلى كمال العلم والاستيلاء على المال والقدرة والحفظ إلى كمال التدبير والرعاية . وهذه المعانى الثلاثة لا تجتمع لأحد على الإطلاق وماالكمال إلا لله تعالى وحده .

وأما إخباره تعالى عن القرآن بأنه مهيمن على ماسبقه من الكتب، فمعناه كما قال ابن عباس وغيره أنه أمين وحاكم عليها فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل . والله تعالى أعلم .

محمد خليل هراس

الكفر

الكفر أو الكنود نقيض الشكر والإيمان . وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه . وسمى الكافر كافراً لأنه ستر نعم الله عز وجل [لسان العرب] .

والكفر على أربعة أنواع : كفر إنكار بأن لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به . وكفر جحود بنعمته . وكفر معاندة وعصيان . وكفر نفاق و بهتان .

وكفر الإنكار هو أن يكفر المرء بقلبه ولسانه . قال تعالى ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ .

وأما كفر الجحود والنكران فهوأن ينسى المنعم و يتمرغ فى جزيل نعمه . قال تعالى فى كفر النعمة ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ﴾ .

ووصف الله تعالى الذى لا يؤدى فريضة الحج وهو يستطيع إليه سبيلا ، بأنه كافر بنعمة المال والصحة والعقل فى قوله ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا . ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ .

أما كفر الجحود والعصيان فهو أن يعرف الله بقلبه ولا يدين بدينه ولا يحترم أوامره وآياته . قال تعالى فى الكفر بآياته وعصيان أوامره ﴿ قل أطيعوا الله والرسول ، فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ وقال تعالى ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا، و يوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ ووصف تعالى إبليس بالكفر لعصيانه أمره بالسجود لآدم فى قوله ﴿ أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ وهذا يدل دلالة واضحة على أن الكفر ليس إنكار وجود الله وتكذيب آياته فحسب . لأن إبليس كان يعرف الله عز وجل وكان يكلمه . فالكفر هنا كفر عصيان . أما كفر النفاق والبهتان فهو أن يقر بلسانه ويكفر بقلبه ولا يعتقد به . وكل من أبى مادعاه إليه ربه وعصى أمره كان ، كافراً لنعمته أى مغطياً لها بإبائه حاجباً لها عنه .

أما الـكنود فأصله من كندت الأرض : فيقال للأرض السبخة التى أفسدت كل ماطرح فيها من بذر وما سقيت به من ماء وضيعت مابذل فيها من جهد ، فلم تعط من كل هذا شيئاً من زرع . قال تعالى ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذى خَبُثَ ، لايخرج إلا نـكدا﴾ .

وما أبلغ تشبيه القلب الـكنود الذى لا يشكر مهما غمر بجزيل الإحسان بالأرض المجدبة التى لا ينبت فيها زرع مهما سقيت بوابل الأمطار . أما القلب الشكور فإنه كجنة بربوة تؤتى أكلها إذا أصابها طل من المعروف . قال الشاعر :

وما الناس فى شكر الصنيعة عندهم　　وفى كفرها إلا كبعض المزارع
فمزرعة طابت وأضعف نبتهـــا　　ومزرعة أكدت على كل زارع

فالـكنود أو الـكفر أبشع وأحط رذيلة . بل هو العنصر المولد لـكل رذيلة . لأنه تجرد من المروءة والحياء . وظلم وعقوق بل اغتصاب للحق المادى والأدبى .

فالـكافر أحط وأحقر من الحيوان . لأن الحيوان يحب من يطعمه ويعطف عليه ويحفظ جميله . أما الـكافر فإنه يجحد نعم خالقه ورازقه سبحانه . ويتناسى كل خير يقدم إليه حتى فضل ربه وإحسانه . لا تزال نعم الله عليه تتوالى . لـكنها تقع فى بؤرة نفسه اللئيمة فتتلاشى . وما أصدق قوله تعالى (إن الإنسان لظلوم كفار) وقوله (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) .

فإن الـكفور يتمتع بنعم الله تعـالى ثم لا يشكره . ويأكل كما تأكل الأنعام لا يعرف ربه ولا يذكره . ومهما غمره سبحانه بجزيل فضـله لا يقدره . ومهما كان الإحسان إليه كبيراً يصغره . ولا يطيق لتـكبره أن يعترف بفضل عليه فينكره . كما لا يطيق ابتلاء الله له فيستنكره . فهو لتجرده من الإيمان تجرد من شعور الشكر والصبر واستسلم لأثرته تنهاه وتأمره .

وهو إذا حظى بالخير المستمر استخف به واستهان . وإذا لم يستمر النفع ويتتابع تبخر

من قلبه كل ماأسدى إليه من إنسان . فإذا خدمته ونفعته ثم امتنعت يوماً عن تلبية أوامره ولم تسارع إلى كسب رضاه أو بدرت منك إليه هفوة . أنكر كل إحسانك مهما كانت كثيرة . ونسى كل خدماتك مهما كانت كبيرة . ولم يذكر إلا هفوتك مهما كانت صغيرة . فينقلب عدواً لك يذمك ويمقتك . ولا تعجب لهذا من ظلوم كفار فإن ، ذلك خُلُقه مع خالقه . ومن كفر بنعمة ربه فهو جدير بأن يجحد إحسان كل إنسان . وماذا يكون قدر إحسانك له بجانب إحسان مولاه المنان ، وسابغ نعمه ورحمته التى تتوالى عليه فى كل آن . ومع ذلك فهو يسخط عليه ويتبرم بقضائه إذا ما ابتلاه . وتفور بؤرته بنار الحقد عليه إذا عاقبه على ماجنت يداه . ويعد ماأصابه به من محن ويتظلم مما قاساه . ويجحد مايرتع فيه من نعم ويتعامى عن فضل ربه ويتناساه .

لا يكتفى بعطاء الغنى الكريم . ولا يرضى عن قضاء الخبير العليم . بل يتظلم من ابتلاء الصبور الحليم . وينسب القسوة إلى الرحمن الرحيم . فلا يذكره إلا ساخطاً متبرماً يلومه ويحقد عليه متظلماً . فيزداد إثماً وقسوة كلما ذكر مولاه . (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) .

تأمل أيها الإنسان معنى هذه الآية الحكيمة . فإن الله تعالى يخبرنا بأن ذكره يزيد القسوة فى قلوب الكافرين . كما يخبرنا فى الآية التى تليها بأن ذكره يُباين قلوب المؤمنين (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) فهؤلاء تقسوا قلوبهم من ذكر الله ، لأنهم ساخطون عليه غير راضين عنه . وهؤلاء تلين قلوبهم إلى ذكره خشوعاً وحباً وشكراً ، لأنهم من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، إذ عرفوا فضله وقدروا نعمه .

ولقد سمعت بأذنى ورأيت بعينى تفسير هذين الآيتين وشاهدت قسوة قلب الكافر جلية عند مانصحت له بأن يقيم الصلاة شكراً لربه ، فثار بركان غضبه وقذف بالحمم واندلعت نار حقده على ربه وقال لى : لماذا أصلى له وهو يترصدنى بالأذى والحرمان . ويوالى على المتاعب والأحزان . فإنى ماتمنيت شيئاً إلا وحرمنيه . وما كرهت شيئاً إلا وأوقعنى فيه . فهو لى بالمرصاد كأنه لم يجد سواى ليصب عليه جام غضبه ويصيبه بسهام مصائبه . فلماذا

أصلى له وعلامَ أشكره ؟ ؟ وكيف أحمده وأنا لم أر منه إلا الظلم والقسوة . فيا للهول . (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) .

حينئذ رنت فى أذنى هذه الآية الكريمة وتجلى معناها فرأيت مغزاها بعينى مجسما فى هذا الساخط على ربه الذى يرتع فى بحبوحة من العيش ويرفل فى الحرير وفى حلل الصحة والعافية . ولكنه لم يشبع ويريد المزيد فى كل ناحية . لأنه لا يريد إلا الحياة الدنيا، ولأنه حصر كل آماله فى الفانية . فويل له على كفره . إنه لم يكفر بنعمة الله فحسب ، بل قابل إحسانه وجزيل فضله بالعداوة والبغضاء . ولم يفهم لجهله حكمة الابتلاء . فلم يطق أن يصبر على بعض الشقاء . وذم وسخط حيث يجب الصبر والحمد والثناء . وأخذ نعم الله عليه بالاستخفاف والازدراء .

ومن صفات الكافر أنه يتذلل ويتزلف مادام محتاجاً ، فيدعو الله هالعاً ضارعاً فى وقت الشدة والضر . ويعرض عنه وينسى فضله حين يبسط له فى الرزق . فهو جزوع عند نزول الشدائد والبلاء . فرح فخور عند السعادة والرخاء . كفور لما يسدى إليه من آلاء . قال تعالى (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور) وقال (وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ، ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو إليه من قبل) فما أسرع ماينسى ما كان فيه من بؤس وشقاء . وما كان بالأمس يلح به من التذلل والرجاء . وما كان يجأر به وهو يتقلب فى فراشه من الدعاء . وما أصدق ماقال الله تعالى فيه : (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونآى بجانبه ، وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض) .

فيا له من منافق حقير ، لا يذكر الله إلا عند الشدة ولا يعرف أحداً إلا عند الحاجة إليه . فيتملق من يعطيه ويعرض عمن أعطاه . ويتناسى ماأسعده ويتذكر ماأشقاه . ولا يبالى إلا بمصلحته وبمن ينيله مشتهاه . ويقدم على واجبه كل مايلذه وكل مايتمناه . وما أصدق قوله تعالى (قتل الإنسان ما أكفره) .

إى وربى قتل الإنسان ما أكفره . وقبحًا لخلقه ماأحقره . فلا أحقر ممن تزلف حتى أخذ . وما إن حظى بما طاب ولذ . حتى أعرض ونآى بجانبه ونبذ .

إن الكفر أبشع وأحط رذيلة تشمئز منها النفس الكريمة ، ويغضب لها الغفور الشكور أشد الغضب ، لأنها تجرد من المروءة والحياء . بل هى ظلم وعقوق واغتصاب للحق المادى والأدبى . أفلم يغتصب الحق المادى والأدبى من قابل إحسان والديه وحبهما بالنفور وعدم الاكتراث ؟ وقابل رحمتهما بالقسوة ولم يراع حقوق الأمومة والأبوة مادياً ولا أدبياً ؟ ولم يذكر لهما فضلا ولا جهداً ولم يعبأ برضاهما أو غضبهما لأنه لم يعد فى حاجة إليهما بل هما اللذان أصبحا فى حاجة إليه ؟ (إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى) .

أليس من الظلم والتوحش أن يقسو الشباب على ضعف الشيخوخة ، وأن يسخر السعيد من أنين الحزين ؟ ؟ .

ألم تر كيف يضحك الكافر من دموع عين كم بكت لبكائه ، ويستخف بآلام قلب كم تألم لألمه . ولا يعبأ بمرض من جزع لمرضه . ويستهين بحياة من كرس له حياته . وكيف يترك للهوه من لم يتركه لنفعه ويهمل ، من أجل مصلحته من ضحى بمصلحته من أجله ، ولا يبالى براحة من تعب فى سبيل راحته . بل ويسبب شقاء من كان سبب سعادته . فيطعن القلب الذى حنا عليه . ويُبكى العين التى سهرت عليه . ويعض اليد التى قدمت إليه . ويغضب من الجنة تحت قدميه . ويعرض عمن عاش من عطاء يديه .

أليس من الظلم والقسوة أن يستبد القوى بالضعيف وينكر فضل من حمل له أولاده بين أحشائه . وكونهم وغذاهم من بدنه ومن دمائه . فاستغل فى سبيل نفعه ومتعته كل حياته وكل قواه وكل أعضائه . ثم لا يقدر ولا يشكر بعد ذلك طويل جهاده وعظيم وفائه . بل يمن ويستكثر اللقمة والكسوة على من منحه أعزماديه . ولا يستحى أن يهمل من عنى به ويقسو على من عطف عليه . وأن يقطع من وصله ويقصر فى حق من قصر حياته عليه . فيشقى من أسعده ويخون من ائتمنه وألقى بنفسه بين يديه .

وهذه الزوج التى لا تريد إلا الحياة الدنيا والتنعم بلهوها وزينتها . وهدفها من الزواج أن تستولى على ربح الزوج لتحقيق آمالها ومتعتها . ولا تبالى بوجوده كما تبالى بنقوده، فتدفعه إلى الكدح والسعى لكثرتها . وترهقه وتنهك قواه بلا رحمة ولا تهتم بصحته كما تهتم بصحة جمالها وإناقتها . وتسوقه إلى السهر معها فى الملاهى فتقوم على راحته للتمتع بشهوتها . وإذا أصابه مرض تبرمت بملازمته وضنت عليه بعطفها وخدمتها . فهي أنانية شهوانية مادية، تجرى وراء مصلحتها وكسبها ولذتها . ولا هم لها إلا أن تسطو على زوجها وتفرغ يديه . وأن تسارع إلى اغتصاب كل مالديه . فإذا غمرها بما جمع تزلفت إليه . وإذا لم يشبع جسمها تمردت عليه .

وهذا العشير المنافق الذى ينقلب إلى غريم يحاول جاهداً أن يعنف زوجه ويغضبه . فيترصد هفواته ويتسقط غلطاته ليعاقبه . وقد كان بالأمس يتتبع حسناته ليمدحه ويداعبه . وكان يحاول جاهداً أن يرضيه ويعجبه . وأصبح احترامه احتقاراً . وتواضعه استكباراً . واستحسانه استنكارا . وتدليله انتهارا . وتحول إلى أثرة كل ما كان إيثارا . فإذا أعطى القليل واستكثر . وإذا أخذ الكثير بخس واستصغر . ومهما أحسن عشيره إليه أنكر ومهما عنى بأموره قصر . وكلما تواضع له تكبر . وكلما تظلم من ظلمه تذمر (إن الإنسان لظلوم كفار) .

إذا كان رد الجميل ومقابلته بالمثل فرضاً واجباً . وعدم رده وشكره كفراً ومعصية يعاقب الله تعالى عليها . فكيف بمن يقابل الجميل بضده بدل أن يقابله بأحسن منه أو بمثله ؟ ؟ .

وإذا كان الكفر إثماً وقبيحاً من الإنسان للإنسان . فكيف به من المخلوق لخالقه ؟ إن عظم الكفر مع عظم الإحسان . فكلما كان الإحسان عظيما كان الكفر به أقبح وأعظم، وكان العقاب عليه أشد وأصرم .

ومن الإحسان ماتكافئه كلمة شكر . ومن الإحسان مالا يكافئه تكريس العمر .

وقد تجلى غضب الله تعالى وسخطه على الكفور فى قوله (قتل الإنسان ما أكفره) وفى قوله (إن الإنسان لظلوم كفار) وهدده بالعذاب الشديد فى قوله (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) وهدد الكافر بأنعمه بسلبها منه عقاباً على كفره فقال (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) . وهكذا من لم يقدر ويشكر أنعم رب العالمين . ومن استخف بإحسان وجميل المحسنين . كان فى الدنيا والآخرة من المحرومين المعذبين .

كفانا الله شر الكفر بإحسانه ونعمته . ووقانا شر الغفلة عن فضله ورحمته . آمين .

المرحوم الدكتور محمد رضا
رحمه الله

التفرق واختلاف

١٤ – آفة الجماعة الاسلامية

ولنرجع إلى الشيخ محمد عبده فى ميدانه الفكرى ، وقد سبق أن تحدثنا عن مجالين من مجالاته التى خاضها ، وهما : إصلاح العقيدة ، والمسلمون والإسلام وبحثنا فى هذا المقال عن المجالات الأخرى ، وهى :

٣ – الدين والعقل : ما علاقة العقل بالدين ؟ هل الدين رموز لا يفهمها العقل ؟ وهل كل ما ينتجه العقل لا يقره الدين ؟ قضية قديمة ، تكلم فيها الفيلسوف القرطبى ابن رشد ، كما تناولها ابن تيمية ، وبسط القول فيها فى كتابه : (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول) وكان خلاصة ماذهب إليه ابن تيمية : الدين الصحيح المستمد من كتاب الله والسنة الصحيحة لا يخالف مايقول به العقل الصريح الذى لم يتأثر بالأهواء ، ولم تتحكم فيه الشهوات ، وهذا هو الاتجاه الذى نادى به الشيخ محمد عبده ، معلنا أن الإسلام لايتعارض مع العلم النافع القائم على أسس سليمة ، وأى معارضة تنشأ فهى ناتجة عن إنحراف فى أحد الطرفين . وذلك لأن الدين نعمة من عند الله ، والعقل كذلك ، ولا يمكن أن تتعارض النعم . أضف إلى ذلك أنهما وجدا الهداية البشرية لما هو أقوم فى حياتها ، ولا يمكن أن تتناقض أسباب الهداية .

٤ – الجمود والتعصب المذهبى : رأى الشيخ محمد عبده فكرة سائدة بين علماء الأزهر إذ ذاك هى أن الاجتهاد فى الإسلام قد قفل ، ومعنى هذا تجميد أرصدة الفقه الإسلامى فى بنوك الكتب الصفراء ، وإلزام المسلمين باتباع من سبقوا ، وليختر المسلم أحد الأئمة الأربعة إماماً له ، يسير على مذهبه ، ويتعصب إن شاء لرأيه ، وكانت هذه فى الواقع أشد كارثة أصيب بها الإسلام ، ووقف لها الشيخ جانباً كبيراً من جهوده ؛ إذ هى مظهر فرقة شنيعة فى صفوف المسلمين ، لا سيا وقد تطورت لعصبية مشينة ، انتهت بالتناحر والتقاطع . وقد تناول الشيخ هذا الأمر من ناحية النتيجة التى انتهى إليها .

ولكن تناوله له باعتباره فكرة خاطئة تضم بين جوانبها مجموعة من المتناقضات . فالقول بغلق باب الإجتهاد ، ولزوم التقليد أمر يجافى الطبيعة الإنسانية . باعتبارها عاقلة مفكرة . وطبيعة المسلم الذى أمره الله بالتفكير والتقدير . والنظر فيما حوله . وطبيعة الإسلام باعتباره شريعة عامة صالحة لكل زمان ومكان . وتحمل بين جنباتها بذور التطور الذى تتحطم معه حدود الزمان والمكان . ويجافى طبيعة الحياة المتطورة النامية التى يظهر فى كل يوم على مسرحها قضايا جديدة . وأحداث تسترعى البحث والنظر . فكيف نحكم على الإسلام هذا الحكم الخاطىء الذى يتنافى مع الإسلام : ومع الحياة نفسها ؟ وماذا نفعل حين نصطدم بالقضايا الحديثة ؟ هل نحكم بفشل الإسلام فى القيادة والحكم ؟ أم نحكم على أنفسنا بالرجعية والجمود ؟ أمران أحلاهما مر . ولا نخلص منهما إلا بأن نفتح باب الإجتهاد ليعالج الإسلام لنا قضايا الحياة . ويخلع المسلمون رداء التعصب الممقوت .

٥ — التربية والقانون : دعا الشيخ محمد عبده أول ما دعا إلى إصلاح الأزهر . ليمثل الثقافة الإسلامية فى أروع صورها . وليكون مهيمناً على تربية المسلمين أسمى تربية . وقد تحقق له بعض ما أراد . وصدر فى عهده أول قانون لإصلاح الأزهر .

ويرى الشيخ محمد عبده أن التربية الدينية ينبغى أن تحتل أكبر جزء من خطة الدراسة فى المرحلة الأولى للتعليم بجانب علوم الحياة التى تؤهل الفرد لخوض ميدانها فى أى مضمار . ويرى أن التربية الصالحة أساس إصلاح الأمة . وأن لا تصلحها القوانين . وإنما تصلحها التربية ؛ لأن القانون إنما وضع لعلاج الشواذ وتقويمهم . أما التربية فهى النهوض بالأمة على أساس من دينها ، وتقاليدها الصالحة ، ومثلها التى تعتز بها .

٦ — الإصلاح الاجتماعى : والإصلاح الاجتماعى جزء لا ينفصل عن الإصلاح الدينى ؛ لأن الدين الصحيح خير علاج لفساد المجتمع ؛ ولذلك نجد الشيخ يهاجم بشدة البدع والمنكرات . والعادات الاجتماعية الضارة السائدة فى المجتمع كمظهر للإنحراف الدينى . كما يهاجم الصوفية كحماة للدجل والخرافة ، والتدين الكاذب . ويخوض الميدان الاجتماعى

بنفسه . فيرأس الجمعية الخيرية الإسلامية التى تهدف إلى نواح من البر والتعاون ، والتعاطف ونشر العلم بين المسلمين . وكان لهذه الجماعة أهداف نبيلة حققت الكثير من الخير للمجتمع الإسلامى .

٧ — فتاوى الأستاذ الإمام : وكانت تمتاز فتاواه بالجدة والصراحة . والاستناد إلى الكتاب والسنة . أو إلى العقل ما لم يخالفهما . وهو يحرص فى كل فتاواه أن يقنع المسلمين والعالم كله أن الإسلام يعالج جميع القضايا بصدر رحب . وأن الإسلام لا يضيق بالعلم ، ولا يمقت المدنية . وقد لقى الشيخ فى سبيل فتاواه عنتاً بالغاً ؛ إذ رمى من العلماء الجامدين بالإلحاد والزندقة . ونحوهما من الصفات التى يرمى بها المصلحون فى كل زمان ومكان .

٨ — تفسير القرآن : أما تفسيره لآيات القرآن . فقد سار على نمط فريد . افتقدناه كثيراً بين مفسرى القرآن الذين كانت تجنح بهم علومهم وفروع تخصصهم . فإذا بالتفسير ينقلب إلى أبحاث فى النحو والبلاغة والفقه ، وغيرها من العلوم بحيث يستطيع القارىء منه ما يشاء من أوابد العلوم ، وشوارد المسائل إلا التفسير . فلن نصل إليه إلا بعد إعياء . وقد لا نصل إليه . فنراه ممسوخاً لا يصور ما فى القرآن من سمو المعنى . وروائع الهداية . ولكن دروس الشيخ محمد عبده فى الرواق العباسى . والتى أشرت إليها آنفاً كانت خير منهل يرده طلاب الثقافة القرآنية ، وقادة الفكر والسياسة فى مصر . وكان موضوعها تفسير القرآن الذى يهدف إلى إبراز المعنى القرآنى خالصاً من الشوائب ، وأسباب التعقيد . ولكن كيف الوصول إلى المعنى القرآنى ، كان الشيخ يستعين على ذلك بعدة أمور :

أولاً : الإطار الإسلامى العام الذى يتمثل فى مبادىء الإسلام العامة . وقواعده الأساسية . وخطوطه العريضة . التى يفسر على أساسها ما يستجد من جزئيات .

ثانياً : آيات القرآن وحدة لا تتجزأ . فخير ما يفسر الآية آية مثلها والآية فى سياقها كالعضو من الجسم . فهي نتيجة وهى مقدمة ، نتيجة لما قبلها ، ومقدمة لما بعدها .

ثالثاً : السنة الصحيحة حينما تتحدث عن بعض الآيات ، أو تذكر أسباب نزولها ، تلقى ضوءاً كبيراً على معناها وعلى تطبيقها فى ظروفنا الراهنة .

رابعاً : قد يستعين بالنظريات العلمية الحديثة فى الكشف عن معنى دقيق لآية قد يكون غير واضح لنا ، وما كنا نرى لها عند المفسرين إلا معنى شاحباً هزيلاً . لا يلائم الآية وسموها .

خامساً : و بين الفينة والفينة قد يطرف سامعيه ، وتلاميذه ببحث لغوى . أو بلاغى موجز ، لا تحس معه بسأم أو ملل ، ولا تشعر معه بالخروج عن الموضوع . وهو حين يلجأ لذلك إنما يريد فى الواقع أن يقفك على معجزة بلاغية من معجزات القرآن الكثيرة . تحس عند تذوقها بلذة وروعة معاً .

سادساً : هو تفسير تطبيقى تحس معه بالقرآن يدخل حياة الناس من جميع أبوابها ويرسم لهم الطريق الأمثل فيها جميعاً . ففيه تشريع وسياسة وعمران فهو كتاب الحضارة الخالدة ونبراس الحياة والأحياء .

قد يقال : إن تفسير الشيخ محمد عبده قد ذهب بموته ؛ نظراً لأنه كان فى صورة دررس شفوية . ولم يخرج بعد فى صورة كتاب مطبوع كسائر كتبه . ولكنى أطمئن القارىء بأن معظم آراء الشيخ محمد عبده فى التفسير ، قد استرشد بها تلميذه المخلص الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير الأجزاء الخمسة الأولى من القرآن الكريم ، ولذا فهى هى مسطرة فى تفسيره المشهور « بتفسير المنار » ، وتجدها دائماً عندما يقول : قال أستاذى الإمام .

وهناك لمن أن أراد يتثبت من هذه الخصائص ، تفسيره لجزء « عم » الذى أخرجه كتاب الشعب عدة مرات . وطبعته الجمعية الخيرية الإسلامية قبل ذلك .

خاتمة :

لا شك أن هذا الجهاد المتشعب النواحي الذى نهض به الشيخ فى المجالات يتلاقى كله عند هدف واحد هو محو الفوارق التى وضعها المسلمون فيما بينهم ، وتحطيم الحواجز والسدود التى قسمتهم . فالدين لا يعرف العصبية ، ولا الطائفية ، ولا يدعو إليهما ، وإنما هناك اختلاف فى الرأى . والاختلاف فى الرأى أمره يسير . ما دام الوصول إلى الحق هو رائد الجميع . ولكن لن يستجيب المسلمون لهذه الدعوة بسهولة . وقد ورثوا عن آبائهم تركة مثقلة بالمذاهب والنحل ، نسوا معها أثمن ميراث خلفه لهم خير مورث ! ! ولذا نجد الشيخ يلجأ إلى التربية كأساس لبناء الأمة الإسلامية من جديد . تربية منتقاة من منابع الإسلام الصافية . وكأنما الأجيال التى عاشت فى العصبية . وتنسمت هواء الطائفية لم تعد تصلح لقيادة المجتمع الإسلامى .

فهل يلجأ المسلمون إلى التربية الإسلامية . إنهم لو لجأوا إليها لوجدت بينهم — وهم لا يشعرون — لا فى المظهر الخارجى فقط ولكن فى العاطفة والإحساس والشعور . كما فعلت فى أسلافنا الأولين .

وإلى هذا الحد أرى البحث عن التفرق والاختلاف فى الجماعة الإسلامية قد تكامل بعد أن قدمنا فيه أربع عشرة مقالة ، تناولت نشأة الخلاف ، وأسبابه ، ومصيره والجهود التى بذلت للقضاء عليه ، ثم لبعض الشخصيات الحديثة التى كان لها جهود مشكورة فى هذا المضمار .

وأرجو أن أكون بهذا قد رسمت صورة معبرة عن التموجات الفكرية التى اكتنفت تاريخنا الإسلامى .

وإلى اللقاء لنتناول بالبحث آفة أخرى من الآفات التى وقفت وتقف فى سبيل المد الإسلامى .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

السيد رزق الطويل
مدرس بناصف الإعدادية — بالمنيا

باب الكتب

«قاموس» الأضرحة والمقابر

والأجداث والصور والتماثيل المقدسة وغيرها من آثار القديسين والأولياء

فهرس وتعليق ونقـد

— ٦ —

تأليف ـ ج . ا . س كولان دى بلانسى
By. J. A. S. Collin de Plancy
الناشر ـ مكتبة جوبان وشركاه .

طبع فى باريس سنة ١٨٢١

ترجمة وتعليق : الدكتور أمين رضا

الباب السادس

الباروكات والتصاوير فى القرون التى سبقت تعديل الكنيسة وظهور البروتستانت

لقد كانت قرون الحروب الصليبية قرونا ازدهرت فيها الآثار المقدسة والتصا ـ

كان عهد لويس الرابع عشر عصر ازدهار الآداب والفنون فى فرنسا . فلقد أنفق القديس لويس الملايين لكى يحصل على بعض البقايا المقدسة التى كانت — ولا ريب — مزيفة .

فقد كان لابد من اختلاق الآلات اللازمة لعمل المعجزات . لأنهم كانوا يعلمون أن الشعب لايعمر من الكنائس إلا ما كان يمكنه فيها أن يعبد المقاصير والجثث ، أو الصور المقدسة .

لقد كان عامة الكاثوليك لايفكرون فى دعاء الله . بل كانوا يتوجهون بالضراعة إلى ضريح القديسة جنيفيف أو إلى مقدسات السيدة العذراء المتعددة أو إلى بقايا يسوع .

وقد استولى القسس والرهبان على جميع العيون المعدنية التى اشتهرت بميزة خاصة . وعلقوا فيها صورا صغيرة . و بعد لأى من الزمن أصبح معروفا أن هذه المياه المعدنية لم تكن تشفى المرضى لعنصر فعال طبيعى جعله الله فيها . بل رحمة من القديسين الذين كانت العيون تسمى بأسمائهم . وهكذا كانت المعجزات كثيرة جداً مع أن إيمان هؤلاء السلف لم يكن أكثر من إيماننا إخلاصاً وقوة ، وكانت جميع أنحاء فرنسا تهتم بتعقب أخبار قديس سافر من مكان إلى مكان آخر . أو بأخبار نقل ضريح من مكان إلى آخر . وكان اهتمام الناس بهذه الأخبار يماثل اهتمامنا اليوم بأعياد النصر ، وكانت الطرق بين المدن لايطرقها إلا حجاج مؤمنون مخلصون ، يؤمنون قديسا مشهورا بقضاء حاجة فى أنفسهم ، ومع ذلك فإن أعمال هؤلاء الحجاج لم تكن تفوق أعمالنا نحن إيماناً أو خشوعاً .

ومما يحكى أن فيليب الطويل[١] Philippe-Ie-Long لم يشف من الحمى الرباعية[٢] إلا بعد أن لمس المسمار المقدس وذراع القديس سيميون Saint-Siméon الذى كان يعبده الناس فى مدينة سان دنيس . وقد صنعت هاتان البروكتان معجزة الشفاء أيضا فى دوق نورمانديا Duc de Normendie ابن الملك فيليب دى فالوا[٣] Philippe de Valois

---

(١) هو فيليب الخامس ملك فرنسا (١٢٩٤ - ١٣٢٢ م) .

(٢) الملاريا .

(٣) هو فيليب السادس ملك فرنسا (١٢٩٣ - ١٣٥٠ م) .

ومع أن شفاءه لم يتم إلا بعد ستة أسابيع ، إلا أنه أصر على السفر إلى سان دينيس لتقديم الشكر . وكان المؤمن المخلص فى إيمانه يعتقد أن من يستعمل الطب إنما يسب القديسين ، وأن جميع الأمراض تشفيها مقدساتهم .

ويقال أن أحد الأتقياء مرض فقصد طبيبا ، فظهرت له السيدة العذراء وأنذرته بأنه سيظل طول حياته مريضاً أن هو لم يتوجه للعلاج إلى إحدى النوتردامات ، ولم يشرك معها فى علاجه أحداً .

وكانوا يقسمون بالآثار المقدسة ، وكانوا أيضاً أحيانا يقصدون إلى الكنائس للحلف حلفا مغلظا أمام الصور ، كما يفعلون اليوم فى المحاكم على الصليب . وكان الملك لويس الحادى عشر يرفض القسم على صليب القديس Saint-Lô لأنه كان من قوة هذا الصليب أن يقتل الحانث بيمينه فى السنة نفسها ، وكان لكثير من الآثار المقدسة شهرة مخيفة مماثلة ، ولذلك كان بعض الأمراء ينقلون الرفات والبقايا من الأضرحة والمقاصير قبل الحلف عليها بدعوى أنهم بعد ذلك لم يكونوا مقيدين بقسمهم . كما لو أن الله سبحانه وتعالى لم يكن شهيدا على خداعهم هذا .

وكان الملك روبير ملكا طيبا ، وكان يعلم أن الناس كثيراً ما يحنثون بيمينهم ، لذلك أعد صندوقا عليه مظاهر البذخ والغنى ، إذ كان يغطى بالذهب الخالص . وكان يشبه ظاهريا المقاصير المقدسة ، ولكنه كان فارغا . وكان هذا الصندوق معداً ليحلف الأشراف عليه عند مبايعتهم الملك . أما أراذل القوم فكان يجعلهم يحلفون على صندوق مظهره مقدس إلا أنه أقل بذخاً من الأول ، وزيادة فى ضبط الحيلة كان يضع فى الأخيرة بيضة نعامة .

وكانت هذه الأفكار تزيد من أهمية آثار القديسين ، وكان الملك شارل الجميل[1] Charles-le-Bel ملك فرنسا يحمل آثار الكنيسة المقدسة Sainte-Chapelle تتبعه

---

(١) هو شارل الرابع ملك فرنسا (١٢٩٤ - ١٣٢٨ م .)

أينما ذهب ، وكان لويس الحادى عشر فى مرضه الأخير يعتقد أنه كان فى وسعه أن يفلت من الموت ببركة هذه الآثار المقدسة ، فأمر بأن تحضر إلى جانب فراشه المفرش الذى أقام عليه القديس بطرس الصلاة ، والزجاجة المقدسة[١] وعدة قطع ثمينة أخرى .

ولم يكد يمر يوم من غير أن يسمع الناس فيه بشفاء أحد المرضى بتأثير بركة أحد الآثار المقدسة . ولم تكن الاقطار الكاثوليكية تشغل نفسها بأى شىء غير شد الرحال إلى الأضرحة،وكان شد الرحال إلى الأرض المقدسة أهم الأعمال التى كان يقوم بها أتقى الأتقياء، وكانت المعبودات منتشرة فى كل مكان ، حتى فى أصغر القرى وأبسط الأديرة . وكان القصد من ذلك استيقاف الحجاج واستجلاب الناس لمنفعة القرية أو الكنيسة .

ومع ذلك فإنها لم تكن القاعدة أن المكان الملىء بالآثار المقدسة كان هو المكان الذى يقصد إليه أكثر الناس . فقد كانت كنيسة القديس اسكندر Saint Alexandre فى ميلانو تدخر ببقايا مائة وأربعة وأربعين ألفاً من الشهداء المقدسين ومع ذلك فقد كان روادها أقل بكثير من الذين كانوا يحجون إلى المسمار المقدس ، كما أن الناس كانوا يقصدون فى أنحاء متفرقة من روما الكثير من الكنائس التى كانت تظل بها مالا يحصى من الآثار المقدسة ، ومع ذلك فإن دخلها مجتمعة لم يكن يساوى إلا نسبة ضئيلة مما كانت تدره رأس القديس بولس .

ولقد حسب بعض الناس أن الآثار المقدسة لو جمعت لكونت مالا يقل عن خمسة أو ستة مئات من الآلاف من الأجساد المقدسة .

وعلاوة على هذه الكنوز المقدسة المحفوظة فى الكنائس كانت هناك فئة من الناس

---

(١) الزجاجة المقدسة زجاجة مليئة بالزيت المعطر يدعى الفرنسيون أن روح القدس حمله بنفسه إلى كنيسة مدينة ريمس للقيام بتبريك الملوك أثناء تتويجهم فيها :

الذين كانوا يحملون الآثار المقدسة معهم من صور وعظام ، ويتجولون من قرية إلى أخرى . وكانت النساء تتهافت عليهم فيلمسن بهذه الأشياء المقدسة قطعا من القماش أو مسابح لكى يكتسبن بها بركة القديسين نظير قروش قليلة ، وهذا يحدث حتى الآن . فهناك من يحترف التجارة بمفاتيح القديس هوبرت ، ويبارك خواتم قروياتنا الساذجات باسمها بتمثال من الشمع .

وقد كانت الآثار المقدسة تجارة رابحة جدا ، ولذلك كان بعض الناس يحترفون سرقتها . وكان لا يمكن لأحد أن يعاتبهم على فعلتهم ، حيث أن سكان البلد الذين كانوا يكلفونهم بسرقتها كانوا يحمون سارقها . وقد كانوا يدعون أنه لو لم يسمح القديس ، لما تمت السرقة . وكانوا بذلك يثبتون مشروعية سرقتهم له . ولا شك أن هذه السرقات كانت لا تتم إلا بموافقة قسيس الكنيسة وتواطئه ، ولا شك فى أنه كان يستفيد من تصريحه بسرقة ولى كنيسته .

ومع ذلك فقد قام بعض القديسين بعقاب سارقيهم ، فهذا جريجوار يقص قصة أحد اللصوص . ويقول أنه دخل مقبرة القديس هيلى Saint-Hélie بطريق ليون بفرنسا قاصداً نهب بعض الكنوز التى كانت مدفونة معه . ومع أنه كان لا يعتقد سرقة جثمان القديس ، إلا أن الأخير وقف على قدميه ورمى بنفسه على اللص وأمسك به إلى اليوم التالى . ولما أمسكوا باللص متلبسا بجريمته حكموا عليه بالاعدام شنقا . إلا أن القديس لم يتركه . فأدرك الناس أن القديس يريد أن يخبرهم بأن اللص كان حسن النية إذ إنه كان لا يريد سرقة القديس شخصيا ، فأصدروا العفو عنه ، فما كان من الميت إلا أن ترك اللص ، وكانت هذه المعجزة سببا فى زيادة دخله زيادة كبيرة جدا ، وسببا أيضا فى ازدياد ما يقال عن معجزات أخرى حدثت بعد ذلك .

وقد كان هناك بعض اللصوص الذين كانوا متمتعين بمزايا خاصة ، وكان من الأشياء المعترف بها شراء « امتياز » كنيسة ما أو مجموعة من الكنائس فى دائرة مدينة أو مقاطعة

مقاطعة محددة . فكان اللص يشترى امتياز منطقة أحد البطاركة من لص آخر ويبيع كنوزها ويسدد من ثمنها للص الأول ما تعاقد معه عليه . وله ما زاد على ذلك .

ومما نعجب له أن المؤمنين كانوا لا يرون فى هذه السرقات والاتجار بها ما يدعو إلى االعجب أو الاشمئزاز ، ولكنهم كانوا يحكمون بالفسق على أمير يستولى على جزء من كنوز الكنيسة لمنفعة عامة أو لمصلحة الدولة . كما حدث ذلك لشارل ما رتل Charles martel

وكان رجال الكنيسة يتمتعون بنفوذ أقوى من نفوذ الملوك فى هذه القرون المتوحشة . كانوا ينهبون الشعب ويخيفونه بمعجزات مفجعة ، فكانت الآثار تسيل منها الدماء ، وكانت التصاوير تتكلم فتنذر من لم ينفق من أمواله على القس بأنه ستنزل به الكوارث ، وكانت البنات والنساء لا يمكنهن المرور باطمئنان بالقرب من الأديرة . فقد كان الرهبان يختطفون نساء الحجاج ويحتفلون بهن فى الأديرة . وكانوا يتحملون مشقة الحصار على أن يرجعوا النساء إلى أزواجهن وآبائهن . وكانوا إذا زاد عليهم الضغط وضعوا فوق أسوار الدير أثرا من آثارهم المقدسة . فما أن يراه الأزواج المهاجمون حتى يخروا سجدا له وينسحبوا ، وقد ملأ قلوبهم الخشوع والاحترام . وقد تنازلوا عن حقوقهم فى زوجاتهم و بناتهم .

وكانت الآثار المقدسة متصفة بقوة هائلة حتى إن الناس كانوا يصنعون آثارا مقدسة من كل شىء . ففى عام ١٧٥٦ م عثر سكان قرية بون دى شاتو Pont-du-Chateau باقليم أوفرنى Auvergne بفرنسا على صندوق يحتوى على جثة طفل محنطة على الطريقة الشرقية . وكانت الجثة لا تزال محتفظة بنضارتها وهيئتها الطبيعية . فاعتبروها معجزة . واعتبروها مقدسة وحجوا إليها وعبدوها إلى أن صدر أمر من الحكومة بالاستيلاء عليها ووضعها فى أحد متاحف التاريخ الطبيعى بباريس .

وقد عبد الايطاليون جثمان المؤرخ تيتلف Tite-Live كما عبد شعب روما جثمان بنت شيسرو . وما كان من البابا بولس الثالث الا أن أمر بإلقاء هذه الجثة فى مياه نهر التبر ولقد كان يمكنه أن يفعل أحسن من ذلك .

ولكن الرجل العادى مستعد باستمرار أن يخر ساجدا على ركبتيه والقساوسة يعرفون هذا الاستعداد جيدا . وكان من واجبهم أن يهدوه إلى سواء السبيل بدلا من أن يتعمدوا إضلاله . وكان هذا الدين الخرافى المبنى على عبادة التصاوير والمقاصير والأضرحة وغيرها من الآثار المقدسة متفشيا فى كل مكان . ولذلك كانوا يحرقون من يقصر فى احترام تمثال من تماثيل القديسين — و يجلدون الذين لا يجلون الآثار المقدسة تبجيلا لائقاً . ولم تكن المسيحية إلا اسما يذكر لما بدأ البروتستانت فى الظهور .

الباب السابع

البروتستانت وغيرهم — الخلاصة والخاتمة .

لم يأت المجددون أو المصلحون[١] بالمسيحية الخالصة النقية الأصلية . بل إنهم احتفظوا بدعوى المعجزات . و بكثير من المبالغات والخرافات ومع ذلك فقد صنعوا الكثير لمحاربة عبادة الآثار والتصاوير .

ولم يكمل التجديد الذى بدأه لوثير Luther إلا فلاسفة القرن الثامن عشر الميلادى . و يمكننا أن نأخذ عليهم أنهم تعدوا حدود الاصلاح حيث أن بعضهم هاجم الأصول الدينية التى ثبتها الله سبحانه وتعالى فى قلوب المؤمنين ، فقد تشككوا فى خلود الروح وضلوا أحيانا فى إيمانهم بالله نفسه .

وقد تعرض المسلمون لاضطهاد شديد ، كما كان ذلك منتظرا ، وقد يكون هذا الاضطهاد هو السبب فى ازديادهم عددا وقوة . ومع أنهم ليسوا أقل خرافة من الكاثوليك إلا ببعض خرافات قليلة .

---

(١) المجددون أو المصلحون اسم يطلق على أتباع مذهب البروتستانت الذى أسسه لوثير ومذهب الكالفينيين الذى أسسه كالفان وغيرهما من المذاهب التى دخلت على المسيحية فى القرون المتأخرة .

وعلى كل حال فإننا مدينون لهم بإبادة عدد لا يحصى من الآثار والتصاوير . وقد كتبوا الكثير ضد عبادة الأوثان وحرر كالفان CALAn رسالته الشهيرة عن الآثار المقدسة التى أشرنا إليها عدة مرات فيما سبق . وقد هاجم دو بينى D,Aubicne فكرة الاعتراف عند الكاثوليك . وقد تسبب من كلامهم نقد ذريع للمذهب الكاثوليكى مما اضطر البابا فى روما إلى زيادة الحذر فى التشريف الذى كان يحيط به القديسين . كما أنهم نوروا أذهان بعض طبقات الشعب الذين كانوا يرون بأعينهم الصور والعظام يحرقها البورستانت من غير أن تؤذيهم .

وكان القسس لا يشتدون فى هجومهم على البرتستانت إلا عندما كانوا يخربون لهم موردا هاماً من موارد رزقهم .

وقد كان لرسالة كالفان عن الآثار المقدسة تأثير واسع النطاق . ولقد حاول بعد ذلك القسيس كورديموى Cordemoy أن يدحضها ولكنه لم يتمكن . فقد أعلن كورديموى أنه سيرد على هذا الأفاق الأثيم الذى جرأ على مهاجمة القديسين . وألف كتابا لم يتمكن فيه من الرد على شىء مما فى رسالة كالفان . ومن ثم أصبح كتاب كورديموى مرجعاً قوياً ضد التصاوير والآثار . وكان هذا الكتاب ضعيفاً لدرجة أن من يقرأه لا يعرف هل ألفه كورديموى قبل قراءته لرسالة كالفان أم بعد قراءته .

ولما ظهرت المذاهب الجددة اختفت المعجزات التى ملأت الأقاصيص . فقد أصبح القسس أكثر حذرا من ذى قبل وأصبحوا لا يكتبون الأكاذيب إلا وهم يرتعدون خوفا من النقد ويترددون كثيراً قبل أن يعترفوا بمعجزات الأضرحة . وتحمر وجوههم خجلا إذا قصوا أخبار المعجزات الثابتة بدعواهم . وهذا القسيس فيليت Villette فى خطبته الكنسية فى القرن الأخير يجد حرجا كبيراً إذ يقص أقصوصة نوتردام دى ليس Notre-Dame-de-Liesse فإنه يقول فى مطلع القصة أن حكايته هذه ليست أكيدة فى

أى شىء . ولـكنها تساوى قصة نوتردام دى لوريت أو نوتردام دى مونسرات Notre-Dame-Monteserrat وقصة الأكفان المقدسة Saints-Suairts وقصة الأوجه المقدسة Saintes-Faces وقصص جميع الآثار والصور المقدسة التى يبجلها المؤمنون فى كل مكان (صفحة ٣ من الخطبة الأولية . الطبعة الثانية سنة ١٧٢٨ م) .

ومع أن المثقفين فى القرن الماضى كانوا قد بدأوا يكفرون بالآثار والتصاوير ، فإن الرجل العادى ظل موالياً لقرارات مجمع ترنتو الـكنسى[1] . هذا المجمع فى قراره الثانى فى دورته التاسعة أقر بشدة المادة التى أقرها من قبل مجمع نيسى الـكنسى Nicée (٨٨٧ م) والتى تأمر بعبادة التصاوير والآثار ، لذلك نجد أن دومارسيه Dumarsais كاد يقتل ضربا فى شارع الدببه Rue des Ours فى باريس لأنه كان يعظ نسوة من الشعب قائلا لهن أن تصاوير العذراء لا فضل لها على بقية الصور فى أى شىء ، وأن نوتردام لا يمكن أن تـكون مثل الله موجودة فى كل مكان .

وقد كانت نساء الطبقة الراقية لا يزلن يشددن الرحال إلى الأضرحة لمعالجة أنفسهن من العقم . وكان ضريح القديسة جنفيف أكثرها حظاً فى هذا النوع من البركة. وقلما يحدث هذا الآن فى فرنسا . إلا أنه كثيراً جداً ما يحدث فى الأقطار المجاورة . ففى أسبانيا وإيطاليا لا زلنا

---

(١) مجمع ترنتو الـكنسى العالى (من سنة ١٥٤٥ إلى سنة ١٥٦٢ م) الذى أصدر القرار الآتى : يجب على المؤمنين أن يبجلوا أجداث الشهداء المقدسين واجداث القديسين الآخرين الذين كانوا مع يسوع المسيح حيث أن الله ينفع الناس نفعاً كبيراً بواسطة ما تبقى منهم . أما هؤلاء الذين يدعون أنه لا يجب تبجيل آثار القديسين وبقاياهم وتذكاراتهم أو أنه لا يجب احترامها . وأما الذين يقولون أن آثار القديسين وصورهم لا تنفع المسيحيين فى أى شىء . فإنه من الواجب لعنهم لعنة كبيرة . كما لعنتهم الـكنيسة من قبل . والـكنيسة تلعنهم الآن مرة أخرى .

نرى فى كل كنيسة قوائم كبيرة بالآثار المقدسة التى يمكن عبادتها فى كل منها . وفى كنيسة القديس مارسيال Saint-Martial بمدينة ليموج Limoges بفرنسا لا يزالون يعتبرون من يمس هذا القديس بكلمة أكثر كفراً ممن يسب الله سبحانه وتعالى . ومن أكبر الكبائر فى فرنسا أن يمس من هو ليس بقسيس الأضرحة والأوانى المقدسة . ولا يزالون فى فرنسا يحولون الصور الزيتية العادية إلى صور مقدسة تفرض عبادتها على الأتقياء بفرنسا . ففى عام ١٨٢٠ أهدى أحد الناس فى قرية صغيرة بكالفادوس Galvados (إقليم فرنسى) راعى كنيستها لوحة زيتية تمثل بشيسيه[1] Psyché وكيوبيد[2] Cupidon راكعاً أمامها وكانا عاريين ، فما كان من القسيس إلا أن استأجر من الرسامين من ألبس الشخصين العاريين بريشته ثياباً تحجب عورتهما وبذلك تحول كيوبيد إلى جبريل . وبسيشيه إلى السيدة العذراء . وأصبحت اللوحة الزيتية تمثل قصة البشارة لا قصة إله الحب ومحبوبته (ذكرت هذه القصة عدة جرائد ولا سيما العددان رقم ٢ و٣ من مجلة « لاماريت كالفادوس » . (la Marotte du Calvados) .

لا يزالون فى فرنسا يصنعون المعجزات فيشفون من مس الشياطين . وكلنا قرأنا فى الجرائد معجزات هو هنلوهى Hohenlohe فى شفاء مرض المدينة الألمانية فورتزبورج Wurtzburg . ولقد ثبت لكل المعاصرين لهوهنلوهى أنه لم يشف أحداً . ولكن معجزاته قد سجلت فى الكتب . ولم يمض زمن طويل حتى يقرأ من يجيئون بعدنا هذه المعجزات . ولا ريب فى أنهم سوف يصدقونها ويؤمنون بها ويعملون على الاعتراف بقداسة هذا القديس المزيف .

وكثيراً مايلام البروستانت على أنهم يبجلون بعض آثار مقدسة لبعض قديسيهم مع أنهم هم أنفسهم من أكبر أعداء الصور والآثار . فمثلا يحتفلون بالأريكة التى كان يجلس

---

(١) بسيشيه ـ شابة خرافية على جانب كبير من الجمال وقع فى غرامها إله الحب نفسه .
(٢) كيوبيد ـ إله الحب .

عليها لوثر عند ماجاهد الشيطان . وقد يكون حقيقياً أن بعض بسطاء اللوثريين يعتبر هذا الأثر المضحك تعويذة وباروكية . إلا أن البروستانت عامة لا يحتفلون بشىء من عظمائهم إلا على سبيل التذكار .

وهكذا بيعت بأغلى الأثمان عصا جان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau ومحبرة فولتير Voltaire ومع ذلك فان الذين يحتفظون بهذين الأثرين لا يوجهون إليها صلواتهم . كذلك فان الذين اشتروا بأغلى الأثمان بقايا ملابس فريد ريك Frèderic لم يفعلوا ذلك إلا إشباعاً لرغبة الاستطلاع . كما يحب الزوار أن ينظروا إلى خزانة ملابس جان دارك Jeanne d'arc عند ما يزورون منزلها .

وإننى أعرف صيدلياً يحتفظ بمخ فولتير . وهو السيد ميتوار Mitouard فى باريس برقم ١٠ شارع بولوى Rue Bouloy وهو ابن الصيدلى الذى قام بتحنيط جثمان فولتير بعد وفاته . ومع ذلك فان الصيدلى لم يفكر يوماً ما أن يعبده ولا شك فى أن زوار مدينة شاتيلون لى لومب Châtillon-Le-Lombes كانوا لا يريدون عبادة شىء عند ما كانوا يمزقون سجلات المدينة ليحتفظوا بعينات من كتابة القديس سان فانسان دى بول Saint-Vincent-de-paule

أما الانجليز فليس لديهم آثار مقدسة أبداً . ومع ذلك فانهم يبجلون كل ما يذكرهم بشاعرهم الكبير شكسبير Shakespeare ـ فقد رأيناهم يشترون قطعاً من أشجار التوت التى زرعها بيديه الشاعريتين بثقل وزنها من الذهب . ومع ذلك فان حاملى هذه القطع الخشبية لم يعتقدوا فى أى زمن أنها تكسبهم شيئاً من شاعرية شكسبير . وأن الذى يتمتع بتذكر الرجال العظماء أو يتأمل فى المبانى يمكن تفرقته بكل سهولة من الذى يعبد العظام أو الأشكال الصماء من الخشب والحجارة .

وقد كان يمكننا أن نسهب كثيراً فى سرد الوقائع المديدة الخاصة بعبادة التصاوير والآثار المقدسة ، إلا أننا لم نقصد فى هذه المقدمة إلا الكلام على الموضوع بصفة عامة . أما الأقاصيص المختلفة فسنأتى بها فى الكلام على كل أثر على حدة .

وإنا إذا نظرنا إلى المبالغات التى ترك الناس أنفسهم تشرد إليها ، لاقتنعنا بأننا لا يجب أن نفكر بعقلنا ومنطقنا الذين استعملناهما بطريقة غير مجدية وغير صحيحة .

كذلك فإنه من الواجب أن نلاحظ أن عبادة الآثار المقدسة لا تزال تتجدد وأنه حان الوقت الذى يجب علينا فيه أن نطالب الكنيسة بالرجوع إلى تعاليم الإنجيل السمحة . وهى التعاليم التى سترجع الفضيلة والحق إلى قلب الكنيسة .

وبما إننى اعتقد أن المثقفين لابد وأن يكونوا عادلين مريدين للخير . فإننى أكرر هنا أننى لم أصنف هذا البحث مهاجمة للكنيسة ، ولكن لأذود عنها التيار الجارف المكون من سجل الخرافات والدجل .

ترجمة وتعليق

الدكتور أمين رضا

إساءة صديق

وقع فى يدى ذات يوم كتيب من تلك الكتيبات التى ينشرها بعض الكتاب باسم (سلسلة الثقافة الإسلامية) . وكان عنوان الكتاب (التصوف عند المستشرقين) لفضيلة الزميل الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى ، جهد فيه أن يرد على كتاب اسمه (الصوفية فى الإسلام) ألفه المستشرق الدكتور (رينولد نيكلسون) بالإنجليزية ، وترجمه إلى العربية الأستاذ نور الدين شريبة . وتقوم فكرة هذا الكتاب على أن التصوف أمر دخيل على الإسلام . وأن الصوفية الإسلامية قد تكونت من تأثيرات خارجية غير إسلامية ، هى المسيحية والأفلاطونية الحديثة والبوذية . ولكن مؤلفنا الأستاذ الشرباصى ينبرى للدفاع عن التصوف فى حماس بالغ ، منكراً أن يكون للتصوف مصدر آخر غير الإسلام ، ومصراً على اعتبار التصوف منهجاً إسلامياً رفيعاً ، أو بالأحرى أنه هو الإسلام .

يقول فضيلته « فالقول بأن التصوف الإسلامى قد تكون من مؤثرات خارجية غير إسلامية ، قول فيه كثير من المجازفة ، ولعل الداعى إليه هو محاولته إظهار الإسلام بمظهر المستعين بمائدة سواه وحاشاه » .

فانظر كيف يجعل استمداد التصوف من عناصر أجنبية عن الإسلام مفضياً إلى القول باستعانة الإسلام بغيره ، كأنما يجب عند فضيلته أن يكون فى الإسلام كل مايكفى لقيام التصوف ، ببدعه وشاراته ورسومه واصطلاحاته ، وإلا كان الإسلام قاصراً محتاجاً إلى مدد من غيره . وهذا كما يصدق على التصوف ، يصدق بالطبع على غيره من المذاهب الكلامية والفلسفية التى نشأت فى ظل الإسلام ، يجب أن يكون فيه متسع لها جميعاً ، وإلا وصف بالضيق . فهل نسى فضيلته أن هناك فرقاً بين الإسلام وبين المذاهب التى نشأت فى ظله ، وأن أكثرها قد لا يتفق فى أصوله ومنهجه مع مبادىء الإسلام ، وأن تسمية هذه المذاهب إسلامية ليس باعتبار أنها من خالص دعوة الإسلام ، ولكن باعتبار

نشأتها فى دولة الإسلام ففلسفة الفارابى وابن سينا وغيرهما من متفلسفة المسلمين مثلا ، هى بعينها فلسفة أرسطو وأفلاطون . ومع ذلك سميت فلسفة إسلامية لهذا الاعتبار الذى قدمناه . ومثل هذا يقال فى التصوف أيضاً . فليس معنى كونه إسلامياً أن كل عناصره مأخوذة من الإسلام ، بل باعتبار نشأته فى ظل الإسلام .

ولست أدرى ماالذى يجعل فضيلته يحرص هذا الحرص كله على الربط بين التصوف والإسلام ؛ حتى يعتبر كل طعن يوجه إلى التصوف موجهاً إلى الإسلام ؟ وما الذى يجعله يمنح التصوف كل هذه الثقة ، وما الذى كان سبب البلاء والفرقة ، وأداة الضعف والخمول ومطية العجز والتواكل ، وداعية الفشل والهزيمة ، والاستسلام للجور والطغيان ؟ .

نعم ، نحن لا ننكر أن هناك حقائق إسلامية عليا ، وأن أرباب البصائر من المسلمين قد تحققوا بها علماً وعملا ، والإسلام يطلب من كل بنيه أن يجتهدوا فى أخذ أنفسهم بها ولكن لماذا نصر عن تسميتها بهذا الاسم المحدث (تصوف) ؟ ولماذا لانسميها بما سماها الله به ورسوله : إيماناً و إحسانا : وطاعة و براً ، وعبادة وتقى ، وخيراً وصلاحا ؟ .

ولماذا نصر كذلك على تسمية أصحابها بالمتصوفة ؟ ولماذا لا نسميهم بما سماهم الله به المسلمين ، المؤمنين ، عباد الله ، كما ورد الأمر بذلك فى الحديث ؟ نعم إنهم لم يكونوا فى حقيقة أمرهم إلا علماء أحكموا السنة علماً وطبقوها عملا ، فأغنتهم عن كل ماسواها مما يبتدعه الناس ، ووجدوا فى رحابها الفسيحة ماسما بهم إلى أعلى المنازل وأقصى الغايات .

أما المتصوفة الذين يعنيهم الناس بهذا اللفظ الآن بحيث إذا أطلق انصرف إليهم ، فهم الذين فهموا الزهد حرمانا ، والعبادة انقطاعا وعزلة . والتوكل تواكلا وعجزاً . والتواضع مهانة . والصبر بلادة . والإيمان بالقدر رضى بالضيم وسكوتاً على المنكر الخ . مالا يعد من مثالب التصوف ومساوئه . أوهم بالأحرى الذين يقول فيهم القشيرى الصوفى فى مقدمة رسالته :

« عدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، ودانوا

بترك الاحترام وطرح الاحتشام ، واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ، وركضوا فى ميدان الغفلات ، وركنوا إلى اتباع الشهوات ، وقلة المبالاة بتعاطى المحظورات ، والارتفاق بما يأخذون من السوقة والنسوان وأصحاب السلطان ، ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال ، وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال ، وتحققوا بحقائق الوصال ، وأنهم قائمون بالحق تجرى عليهم أحكامه ، وهم محو وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم ، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية واختطفوا عنهم بالكلية وزالت عنهم أحكامه البشرية الخ » .

فإذا كان هذا حال الصوفية فى زمان القشيرى ، وهو من رجالات القرنين الرابع والخامس الهجريين ، فكيف به لو رأى صوفية هذا الزمان ، وقد حكموا الهوى فى دين الله ، وشرعوا لأنفسهم ولأتباعهم مالم يأذن به الله ، وأحدثوا من البدع فى الأذكار والأوراد والموالد والمشاهد ، والغناء والرقص وضرب الدفوف ، واصطناع الكرامات بالحيل والمخاريق وأعمال الشعوذة مايعتبر أكبر جناية على الإسلام .

فهؤلاء الذين ذكرت بعض سماتهم ، هم الذين يعرفهم الناس باسم المتصوفة ، بحيث يمكن القول بأن التصوف أصبح باباً يلج منه كل ملحد إلى نفث إلحاده وزندقته ، وكل مبتدع ضال إلى ترويج ضلاله وبدعته ، وكل ذى هوى وشهوة إلى قضاء وطره وشهوته ، وكل طالب رزق إلى ملء جيبه ومعدته . فإذا كان الزميل الفاضل لا يزال يصر على أن هؤلاء ليسوا بمتصوفة ، فعليه أن يمحو تاريخ التصوف كله ، وأن ينشىء له تاريخاً جديداً ، بل عليه أن يمحو من ديوان التصوف أكثر مافيه من أسماء شيوخه وأدعيائه . وحتى لو فرض أن هناك تصوفاً صحيحاً كما يدعى ، ولكن شابه الفساد وطغى عليه الدخيل . وتحصن وراءه ذووا الأغراض الفاسدة من المبتدعة والفسقة والملاحدة . أفلا يجب سداً للذريعة وحسما للفتنة إغلاق الباب كله . والرجوع إلى الكتاب والسنة ؟ وإنى لأسأل فضيلته أى كتاب من كتب التصوف نرتضى أن يكون ممثلاً لنحلة هؤلاء ومعبراً عن

مناهجهم فى السلوك ؟ وأنا زعيم إن شاء الله أن أخرج له منه عشرات المخالفات لما فى الكتاب والسنة من شرائع وآداب .

ولنفرض أنه اختار رسالة القشيرى مثلاً يحتذى فى هذا الباب ، فقد رأيته فى كتابه الصغير يعد القشيرى من أهل التصوف السليم البصير ، فسأخرج له من هذه الرسالة نصين من صفحة واحدة ، ثم أدع له الحكم عليهما .

أما أولها : فيحكى القشيرى عن يوسف بن الحسين يقول : « حضرت مجلس ذى النون يوماً وجاءه سالم المغربى فقال له . ياأبا مفيض : ما كان سبب توبتك ؟ قال عجب لا تطيقه . قال بمعبودك إلا أخبرتنى . فقال ذو النون « أردت الخروج من مصر إلى بعض القرى ، فنمت فى الطريق فى بعض الصحارى ففتحت عينى فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض ، فخرج منها سكر جتان إحداهما ذهب والأخرى فضة ، وفى إحداهما سمسم وفى الأخرى ماء ، فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا ، فقلت : حسبى الآن قد تبت . ولزمت الباب إلى أن قبلنى الله عز وجل » .

فأى هؤلاء الثلاثة هو كاذب إذاً ؟ ذو النون أم يوسف بن الحسين أم القشيرى ؟ والثلاثة من كبار الصوفية ، وإنما جزمنا بكذب أحدهم ، لأن القصة باد فيها الافتعال والوضع ، فكم من قنبرات عمياوات قبل أن يوجد ذو النون وبعده ، فلماذا لا تنشق لهن الأرض عن سكارج مملوءة بالسمسم والماء ؟ وإذا كان ذو النون فهم من هذا الحادث أن الله أراد أن يعظه به حتى ينزع ويتوب ، فإن الله لا يصنع الخوارق من أجل أن يحدث عبده توبة . وقلب لا يفيق ويرجع إلى الله إلا بمثل هذا الخارق الصارخ لا يستحق العناية به ، وكم فى السموات والأرض من آيات للمتأملين والمعتبرين ، لا يحتاجون معها إلى مخاريق ومعجزات .

وإذا كان كل عاص لا ينزع عن معصيته حتى تلجئه الآيات ، فليهنأ العصاة إذاً بمعاصيهم ، فلا عليهم أن لا يتوبوا قبل أن يحصل لهم مثل ما حصل لذى النون .

وأما الخبر الثانى فيقول القشيرى فى ترجمته لمعروف الكرخى « كان من المشايخ الكبار مجاب الدعوة ، يستسقى بقبره : يقول البغداديون : قبر معروف ترياق مجرب . وهو من موالى على بن موسى الرضا رضى الله عنه . مات سنة مائتين ، وقيل سنة إحدى ومائتين . وكان أستاذ السرى السقطى . وقد قال له يوماً : إذا كانت لك حاجة إلى الله ، فأقسم عليه بى » .

وما أظننى فى حاجة إلى التعليق على هذا النص الذى يقطر شركا من صدره وعجزه . فما نعرف فى الدنيا قبراً يستشفى به ، بل طلب الشفاء لايكون إلا من الله عز وجل كما قال إبراهيم خليل الرحمٰن (وإذا مرضت فهو يشفين) ولا نعرف كذلك أحداً من أئمة المسلمين أجاز أن يقسم على الله بأحد من خلقه . فإن القسم لايكون إلا بالله عز وجل ، أو بصفة من صفاته . وقد قال صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك » .

وبعد فهل استطعت أن أقنع الزميل الشيخ الشرباصى وغيره ممن يحسنون الظن بهؤلاء المتصوفة ؟ .

إن التصوف ليس من الإسلام فى شىء . وإنما هو ابن غير شرعى أنتجته ثقافات دخيلة ، وعناصر أجنبية ، وأنه أولى بنا أن ترصد الأقلام وتوفر الجهود للدفاع عن الإسلام نفسه ضد الطاعنين والمفترين . والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية الشريعة

« تعوَّذوا بالله من جهد البلاء ، ودَرْك الشقاء ، وشماتة الأعداء » .

« حديث شريف »

التفسير والمفسرون

أصدرت دار الكتب الحديثة لصاحبها الأستاذ توفيق عفيفى عامر بشارع الجمهورية بالقاهرة هذا الكتاب لمؤلفه فضيلة الأستاذ محمد حسين الذهبى بكلية الشريعة بالأزهر الشريف ، والكتاب مطبوع فى ثلاثة أجزاء ، ويقع فى زهاء ألف ومائتين صفحة من القطع الكبير .

والكتاب يبحث فى نشأة التفسير وتطوره ، ومناهج المفسرين وطرائقهم فى شرح كتاب الله تعالى ، ويبحث عن ألوان التفسير عند طوائف المسلمين ومن ، ينتسبون إلى الإسلام ، وعن مناهجه عند القدامى والمحدثين ، والسلف والخلف ، وأهل السنة وغيرهم من الطوائف .

والكتاب يعطى القارىء صورا متنوعة عن لون من التفكير الإسلامى فى عصوره المختلفة ، ويكشف له عن أفكار وأفهام تفسيرية ، فيها غرابة وطرافة ، وحق باطل ، وإنصاف واعتساف ، ومحاورة شيقة ، وجدل عنيف .

وقد تحدث فى الجزء الأول عن معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما ، وعن الترجمة الحرفية للقرآن ، ثم عن الترجمة التفسيرية . وتناول بعد ذلك التفسير فى عهد رسول صلى الله عليه وسلم ، وفى عصر الصحابة ومصادر التفسير اذ ذاك ، واعتماده على بيان الرسول صلى الله عليه وسلم وتحدث عمن اشتهر من الصحابة فى تفسير كتاب الله ، وعن أشهر مدارسه بمكة ، ومدرسة أبى بن كعب بالمدينة ، ومدرسة عبد الله بن مسعود بالعراق ، وعن منهج كل

مدرسة ، وأشهر رجال كل منها ، والتزامهم فى الجملة على المأثور بالرواية عن رسول الله وعن الصحابة ، وعن مدى التأثر بالقصص الاسرائيلية التى كان يرويها لهم مسلمة اليهود . وتحدث عن طائفة من كتب التفسير بالمأثور وخصائص كل كتاب ، مثل تفسير ابن جرير الطبرى ، وتفسير السمرقندى ، والبغوى ؛ وابن كثير وغيرهم . ثم تحدث بعد ذلك عن التفسير بالرأى وبسط الخلاف بين القائلين بجوازه وعدم جوازه ، وقسمه إلى قسمين محمود ومذموم . ثم مثل للقسم المحمود من التفسير بالرأى : بتفسير الرازى ، والبيضاوى والنسفى ، والنيسابورى والجلالين ، والآلوسى وغيرهم . ومثل للقسم المذموم بتفاسير المعتزلة : كتفسير القاضى عبد الجبار ، وأمالى الشريف المرتضى ، وكشاف الزمخشرى . وكشف عن منهج كل مفسر مع بيان المؤثرات الغالبة على تفسيره ، بنقول وافرة توضح كل رأى مفسر فى العقائد والأحكام والعبادات .

والجزء الثانى من الكتاب يستمر فيه فى بيان تفاسير المبتدعة أهل الرأى المذموم . وقد خصصه كله تقريبا فى تفاسير فرق الشيعة من الزيدية والإمامية الاثنا عشرية والإسماعيلية والسبئية وغيرهم . وكشف عن ضلال هذه الفرق وكفرهم . وزعمهم تحريف القرآن وتبديله ، وتلاعبهم بنصوص القرآن ليوافق عقائدهم الزائفة ، وطعنهم فى كبار الصحابة . ونوجه أنظار من يروجون إمكان التقريب بين الشيعة وبين مذاهب أهل السنة إلى هذا الجزء بالذات ليقفوا بأنفسهم إلى الهوة السحيقة التى بينهم وبين أهل السنة لعلهم يفيئون إلى رشدهم . وأنهم يحاولون المحال . ثم تحدث المؤلف عن تفاسير البابية وفرق الخوارج من الأزارقة والنجدات والصفرية والأباضية . وقد عنى الاستاذ المؤلف بنقل شواهد كثيرة من كتب تفسير الفرق المبتدعة من الشيعة وغيرهم تكفى للحكم على عقائدهم وآرائهم بما لا يدع مجالا للشك فى دينهم وضلالهم وانحرافهم ، سلفهم وخلفهم .

وفى الجزء الثالث يستمر فى بيان تفسير الفرقة المبتدعة بالرأى المذموم ، فيتكلم عن تفسير الصوفية للقرآن ، ومحاولتهم إنزاله على عقائدهم فى الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، و إدخالهم فيه الفلسفة الهندية واليونانية ، و إنزال القرآن على آراء الملاحدة والمجوس . وقولهم أن القرآن لا يحمل على ما تدل عليه ألفاظه وأساليبه العربية ، بل يحمل كلها على إشارات لا يفهمها إلا الصوفية . مع نقل شواهد من ضلالات وأباطيل من كتبهم ينزه عنها كتاب الله تعالى ، حتى تحكم منها أنهم يرون أن جميع الملل والنحل من اليهود والنصارى وعبدة النار وعبدة الأوثان وجميع من حكم القرآن بكفرهم وشركهم وضلالهم ، على الهدى والإيمان ، وليس ضالا ولا كافرا فى نظرهم إلا المسلم الذى يفهم القرآن على ظاهره حسبما يدل عليه ألفاظه و بيان الرسول وعلماء المسلمين له . ثم تحدث بعد ذلك عن تفسير الفلاسفة الاسلاميين ، كالفارابى وابن سينا واخوان الصفا ونماذج من طرائفهم ، ثم تفسير الفقهاء الذين عنوا باستخراج الاحكام الفقهية من القرآن كالجصاص والهراسى وابن العربى والقرطبى وغيرهم . ثم التفسير العلمى ومن سلك هذا المنهج زاعما أن القرآن قد حوى جميع العلوم والمعارف مع بيان من أنكر ذلك ومن وافقه . ثم تحدث عن التفسير فى العصر الحديث ومن نهج فيه المنهج العلمى كالشيخ طنطاوى جوهرى أو المنهج الأدبى الاجتماعى ـ وهو مدرسة الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ـ كتفسير المنار للشيخ رشيد رضا وتفسير الاستاذ الشيخ مصطفى المراغى وكلاهما عنى بالدفاع عن الإسلام و إظهار أسرار التشريع ومعالجة المشاكل الاجتماعية على ضوء القرآن .

هذه كلمة غير وافية عن هذا الكتاب الجليل (التفسير والمفسرون) لا يستغنى عن الاطلاع عليه كل مشتغل فى دراسة القرآن وتدبره وفهمه ، لأنه تناول موقف المسلمين من كتاب الله من وقت نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا . وقد بذل

الأستاذ المؤلف مجهودا ضخما رجع فيه إلى أكثر من مائة وسبعين مرجعا من كتب التفسير وعلوم القرآن والحديث الفقه . فشكر الله له جهده ، وأجزل له المثوبة .

أوجاع المجتمع

هذا عنوان رسالة صغيرة أصدرها الأستاذ حسن عبد الحفيظ كحلقة أولى لسلسلة كتب (أصدقاء الشعب التى اعتزم اصدارها لمعالجة بعض مشاكل المجتمع . وقد تحدث فى هذه الحلقة عن ثلاث مشاكل (الأولى) الشرك وأنه المشكلة الأساسية للمجتمع وعلاجها بالرجوع إلى التوحيد . (الثانية) أزمة الزواج وأسبابها واقترح لها علاجها (الثالثة) غسل الخضروات فى المياه القذرة الملوثة وما تسببه من الأمراض وشكاوى المؤلف إلى الجهات وردها عليه .

ونرجو لهذه السلسلة الرواج والنجاح ، والشكر لمخرجها لتوجهه لعلاج مشاكل المجتمع وأوجاعه .

سليمان رشاد محمد

العطاس والتثاؤب

« إن الله يحب العطاس ، ويكره التثاؤب ، فإذا اعطس أحدكم وحمد الله ، كان حقًا على كل مسلم سمعه أن يقول له : يرحمك الله . وأما التثاؤب فإنما هو الشيطان . فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا تثاءب ، ضحك منه الشيطان »

حديث شريف

النداء الثاني

وجه رئيسنا العالم النابه المدقق الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل هذا النداء « إلى الأزهر » ، وللأزهر وحده ، ولم يشرك معه طائفة أخرى ، فقال فى كتابه (الصفات الإلهية) بين السلف الخلف ص ١٦٤ » ما يأتى :

« إن للأزهر أن يقاوم التيار الجارف من البدع والإلحاد بجيش آخر قوى مسلح »
« بالفهم الدقيق الشامل للقرآن وأدلته و براهينه . إنه بهذا الجيش القوى اليقين »
« يستطيع أن يفتك بكل بدعة ، و بكل خرافة ، ويديل من سطوة كل مذهب »
« يحاول أن يضع نفسه خفية موضع الإسلام . بل يستطيع أن يفتح للإسلام ملايين »
« القلوب و يقضى على مكايد الصهيونية والاستعمار ولا سيما فى عهد الأزهر الجديد ».

ثم عقب على ذلك فقال :

« إننا موقوفون غداً بين يدى الله سبحانه ، وسيسألنا ربنا عما قضينا به لأنفسنا »
« وللناس فى أمور الإيمان والعقيدة . ترى : هل نستطيع يومئذ أن نقول لله : إننا »
« قضينا بما فى كتاب العقائد النسفية ، أو العضدية ، أو المواقف ! ! و إننا هجرنا »
« القرآن وآمنا بما فى الكتب . لأن علماء الكلام أكذوا لنا أن أدلة كتاب الله »
« الحكيم لا تفيد اليقين ، أما مفترياتهم فى كتبهم فهى عين اليقين ؟ ! » .

* * *

ورئيسنا « الوكيل » يمتاز على غيره من العلماء أو الباحثين بأنه عالم عامل جرىء ، رائع فى تصوير المعانى وتشخيص الداء لتقديم الدواء الشافى المعافى بإذن الله ، ولعل الناحية الخلقية فيه من أجمل فضائله الأخرى كالصدق والوفاء والابتعاد عن التزلف والمحاباة ولو من باب المجاملة ، فهو على الدوام موضع ثقة عامة وخاصة من « جماعة أنصار السنة المحمدية » على اختلاف طبقاتهم ، ولذلك اختاروه « رئيساً » لهم بإجماع رائع لم يشذ عنه أحد .

وهكذا تعاونت كفاءته واستقامته على بلوغه القمة الآن بكل سهولة ، لأنه يقول الحق للحق وحده ، ويعتقد أن كلمة الحق دائماً تعلو ثم تدور فى الفضاء دورتها ثم تنزل على القلوب فتهزها هزاً طوعاً أو كرهاً ، ثم لا يكون ذلك الا الحق وحده ؛

وإنا لنقتدى برئيسنا فنوجه هذا النداء « شعراً » للسادة علماء الأزهر ، وإنا لنرجو ـ مخلصين ـ أن يحققوا ما جاء فى النداءين والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

* * *

رسل الهدى وأئمة العلماء ... بوركتمو من معشر أمناء
أنتم حماة الدين أنتم ذخره ... وجنوده فى شدة ورخاء
أنتم مصابيح التقى وشموسه ... والسائرون بنوره الوضاء
أنتم منار الحق يسطع فى الدجى ... كالبدر يجلو حالك الظلماء
نشرت عليكم حلة قدسية ... من روعة ومهابة وسناء
وكسا كمو العلم الشريف بنوره ... حللا تبدت فى أتم رواء
نور على نور تكامل حسنه ... عم البرية منه ـ بالأضواء
ردوا حماة الدين سطوته التى ... كادت تضيع ضحية الجهلاء
فبكم تعز قلاعه وحصونه ... كالراسيات على الثرى الشماء
يسمو بفضل جهادكم وجهودكم ... حتى يطاول ذروة الجوزاء
الدين والحق اليقين كلاهما ... درع الغزاة وقوة الضعفاء
وبهما تعز ممالك وعليهما ... يبنى بناة المجد خير بناء

* * *

ياقادة الدين الحنيف ومن بكم ... يسمو ويبلغ قمة العلياء
الهدى والتوحيد ملء قلوبكم ... حتى غدت كخميلة غناء

وعلى محياكم ضـياء ساطع ... بهر العيون وفاق كل ضياء
يتدفق الإعجاز حين عظاتكم ... كالسيل يعجز منطق الفصحاء
ويفيض بالتبيان والغرر التى ... تعيي وتخرس مفوه الخطباء
يا رافعى علم الشريعة جردوا ... فى نصرها أسياف ذات مضاء
إن الشريعة فى الرقاب أمانة ... أدوا أمانتها أجل أداء
والوا الجهاد فلا يخيب مجاهد ... فى الله أو فى الشرعة الغراء
إن تنصروا الرحمن ينصركم فلا ... تهنوا تنالوا منه خير جزاء
والناس فى الدنيا كأطياف الكرى ... تغشى النواظر ساعة الإغفاء
والعيش فى الدنيا سراب كاذب ... خدعت مظاهره عيون الرائى
والمرء يخلد ذكره بفعاله ... إن تسم أولته طويل بقاء
فإذا طواه الموت أصبح سيرة ... تروى وتذكر فى فم الأحياء

* * *

يا ذائدين عن الشريعة إنها ... فى حاجة لسواعد النصراء
لا تغمضوا أجفانكم وتيقظوا ... وتنبهوا لحبائل الدخلاء
صونوا حمى الإسلام من أخصامه ... فالخصم أفتك من عضال الداء
وخذوه بالحسنى ولا تتعسفوا ... إن التعسف شيمة البسطاء
وترسموا سنن «النبى» ونهجه ... نهج السلام وخطة العظماء
أستغفر الله العظيم فإننى ... بالغت فى الإيضاح والإدلاء
ما كنت أفقه منكمو لكنها ... غلبت علىّ خواطر الشعراء

أنتم أساطين المعارف والحجا | وأئمة النصاح والعقلاء
إن التيمم جائز لكنما | بطل التيمم فى وجود الماء
إن العواطف كالخلائق تحتفى | بأولى النهى ونوابغ الزعماء
صفت الثناء بها ندياً عاطراً | يزرى بطيب الروضة الفيحاء
فعسى يصادف من نفوسكمو هوى | ويكون شيطانى استجاب ندائى
عوفيتموا أين استقر ركابكم | فى الحل والترحال بالأرجاء
للعاملين المسلمين تحية | من حلبة الشعراء والأدباء

« الجيزة »

نجانى عبد الرحمن

فضل صلاة الجماعة فى المسجد

« صلاة الجماعة تزيد على صلاته فى بيته ، وصلاته فى سوقه ، خمساً وعشرين درجة . فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء وأتى المسجد لايريد إلا الصلاة ، لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، حتى يدخل المسجد . فإذا دخل المسجد كان فى صلاة ما كانت الصلاة تحبسه ، وتصلى الملائكة عليه ، مادام فى مجلسه الذى يصلى فيه : اللهم اغفرله ، اللهم ارحمه ، مالم يحدث» .

حديث شريف

الهنود الفلكيون .. ويوم القيامة

أذاع جماعة من الهنود انهم يتوقعون قيام الساعة وفناء العالم يوم الاثنين من فبراير عام ١٩٦٢ عندما تجتمع ثمانية كواكب معاً. « مساء يوم ٣١/١/١٩٦٢ »

يقول الله تعالى ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو .. ١٨٧﴾ الاعراف ويقول تعالى ﴿ هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ٦٦﴾ الزخرف .

تخبرنا هاتان الآيتان أن موعد قيام الساعة لا يعلمه إلا الله وحده . وأن الساعة ستأتى الناس فجأة وهم لا يشعرون ، لأنهم لو علموا بموعد قيامها لفسقوا وأفسدوا فى الأرض . ثم تابو قبل موعد قيامها بقليل . ولكن الله تعالى أخفى موعد قيامها عن علم الناس لأن فى ذلك خيرهم ومصلحتهم .

ومهما اجتهد هؤلاء الفلكيون فى علومهم فلن يتم لهم معرفة هذاالسر الإلٰهى .

ولقد لقى هؤلاء المنجمون جزاء كذبهم وما أحدثوه فى بلادهم من الفزع والاضطراب . فقد نشرت صحيفة الجمهورية يوم ٧/٢/١٩٦٢ ان مظاهرة قامت فى كل مكان بالهند ضد هؤلاء المنجمين بعد انتهاء ذلك اليوم . وأن الناس هناك اعتدوا عليهم بالضرب وطاردوهم وأخرجوهم من المدن إلى الجبال . وهكذا وجد المنجمون جزاء ما قدمت أيديهم .

* * *

دفاع العقاد عن رابعة العدوية .

كتب الأستاذ عباس محمود العقاد فى يومياته التى يكتبها بصحيفة الأخبار كلمة يوم ١٩٦٢/٢/٧ يدافع فيها عن رابعة العدوية بشأن ماسبق أن كتبناه عن سلوكها فى العبادات ، فى تعليقات « الهدى النبوى[1] » .

قال العقاد : إنه لا حق لأنصار السنة ـ باسم السنة ـ أن ينكروا على عابد أو عابدة زيادة الصلاة على الصلوات الخمس المفروضة فان من سنة النبى صلى الله عليه وسلم أن يقوم الليل نصفه أو أكثر منه كما نقرأ فى سورة المزمل .

وردنا على هذا : إننا لا ننكر على عابد أو عابدة زيادة الصلاة على الصلوات المكوبة . لكننا ننكر ما يقال عن رابعة من إنها كانت تصلى ألف ركعة فى الليلة دون أن تعطى لجسدها حقه من الراحة كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث (إن لجسدك عليك حقاً) ولأن العقل لا يقبل مثل هذا الادعاء .

قال العقاد : إنه لاحرج على مؤمن متدين أن يطيع الله حباً لطاعته ولا ينتظر الثواب ثمناً لطاعته .

وردنا على هذا : أن من الثابت المقرر أن الإنسان يعمل و يسعى و يطيع الله فى هذه الدنيا و ينتظر الثواب والأجر ثمناً لطاعة الله . والقرآن يقرر لنا هذه الحقيقة التى لاشك فيها . يقول الله تعالى عن عباده المؤمنين (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا — إلى قوله تعالى متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ٣١ : الكهف) .

قال العقاد : إن حقائق جدول الضرب تغنينا عن حقائق التاريخ ، وأن الألف ركعة لا تستغرق أقل من ست عشرة ساعة .

وردنا على هذا : إذا قلنا أن الركعة الواحدة عند رابعة كانت تستغرق دقيقة : وأن الألف ركعة فى ١٦ ٢/٣ ساعة . وأن رابعة كانت تبدأ فى النوافل بعد صلاة العشاء ، وهو الوقت

(١) عدد جمادى الآخرة ١٣٨١ .

يصح أبتداء قيام الليل منه . . فإن رابعة كانت تظل فى صلاة النوافل حتى تشرق الشمس لتكمل ركعاتها الألف . وفضلا عن ذلك فإنها تكون قد أضاعت صلاة الفجر التى هى أحق من النوافل بالأداء . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « لا يقبل الله نافلة حتى تؤدى الفريضة » .

وإذا كانت رابعة تصلى الركعة فى نصف دقيقة فإن صلاتها – فى الحالين – تكون « كنقر الغراب » ومن جنس صلاة الرجل الذى كان يصلى فى مسجد الرسول . فبعد أن فرغ من صلاته جاء إلى النبى وسلم عليه فقال له النبى « ارجع فصل فإنك لم تصل » ثلاثاً . فقال له الرجل : والذى بعثك بالحق لا أحسن غيره فعلمنى . فقال له « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائماً . ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً . ثم ارفع حتى تطمئن جالساً وافعل ذلك فى صلاتك كلها » وذلك لأن الصلاة مناجاة لله . ومناجاته سبحانه تتطلب الخشوع والطمأنينة فى القراءة والركوع والسجود .

قال العقاد : إن حديث رابعة عن أملها فى إرضاء الرسول يؤيده علم النفس الذى يقول إن المرأة لا تعمل عملا إلا وهى تبتغى منه أن تكسب الثناء من رجل تقدسه أو تحبه وأن المرأة المتصوفة ليست مستثناة من قواعد الأنوثة .

وردنا على هذا : إن الله تعالى خلق الناس وطلب منهم أن يعملوا ابتغاء مرضاته وحده . والمسلم الحق هو من يكون كل عمله لمرضاة الله وفى حبه وحده عملا بقوله تعالى ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ﴾ .

بقى بعد ذلك أن نعرف أن الرسول نفسه – وهو سيد العابدين – لم يكن يزيد فى فى نفله فى رمضان أو فى غيره عن إحدى عشرة ركعة كما تروى عائشة « رضى الله عنها »

« للبحث بقية »

البديهة الحـــــاضرة

دخل رجل على شريح القاضى يخاصم امرأة له . فقال : السلام عليكم . فقال شريح « وعليكم » فقال الرجل . إنى رجل من أهل الشام . قال : بعيد سحيق . قال وإنى قدمت إلى بلدكم هذا . قال : خير مقدم . قال : وإنى تزوجت امرأة . قال : بالرفاء والبنين . قال : وإنها ولدت غلاماً . قال : ليهنك الفارس . قال : وقد كنت شرطت لها صداقها. قال : الشرط أملك . قال : وقد أردت الخروج بها إلى بلدى قال : الرجل أحق بأهله . قال : فاقض بيننا . قال : قد قضيت .

من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

صلة الرحم

اشتق الرحمن للرحم من اسمه اسما ، فمن وصلها وصله الله . ومن قطعها قطعه الله .

وأول من وصى الله تعالى ببرهما ووصلهما الوالدين فقال سبحانه على لسان لقمان من وصاياه لابنه (يابنى لاتشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ، أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير) انظر كيف قرن الله سبحانه الشكر لهما بالشكر له .

ثم استمع إلى قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً) .

أرأيت كيف يأمرنا ربنا أن نحسن إلى والدينا . وهل بعد أمر الله أمر ، أو بعد وعظه ووصيته وعظ ووصية ؟ .

ألم تسمع كيف تعجب رسول الله ممن أدرك والديه ولم يدخلاه الجنة ؟ .

ورحم الإيمان من أقوى الوشائج ـ فالمؤمنون إخوة .

فصل أرحام الإيمان ، وأوثق أواصر الإسلام ، تكن من المفلحين .

اللهم وفقنا إلى طاعتك ببر الوالدين وصلة ذوى الأرحام .

العدد ١١ ذو القعدة
المجلد ٢٦ سنة ١٣٨١

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقي

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل
الاشتراك السنوي
٣٠ — في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ — في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ١١ — ذو القعدة سنة ١٣٨١ — المجلد ٢٦

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال — جلّ ذكره — : ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ، وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ، مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ، كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا . ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ، وَقَالُوا : أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ ، فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا . قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ، إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ١٧ : ٩٧ — ١٠٠ ﴾ .

معاني المفردات

« يهد » الهداية الدلالة بلطف . ويقول الراغب إن هداية الله للإنسان على أربعة أوجه ، الأول : هداية العقل والفطنة والمعارف الضرورية . يدلك على هذا قوله سبحانه ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ، ثُمَّ هَدَى ﴾ .

الوجه الثانى : الهداية التى جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء و إنزال القرآن ونحو ذلك . يدلك على هذا قوله سبحانه ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ .

الوجه الثالث : التوفيق الذى يختص به من اهتدى ، وهو المعنىّ بقوله سبحانه ﴿ والذين اهْتَدَوْا زادهم هدى ﴾ .

الوجه الرابع : الهداية فى الآخرة إلى الجنة . يدلك على هذا قوله سبحانه ﴿ سَيَهْدِيهِم ، ويُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ .

« يُضْلِل » قال ابن فارس : الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد ، وهو ضَياع الشىء وذهابُه فى غير حقه ، وكل جائر عن القصد ضالٌّ .

« أولياء » قال ابن فارس عن المادة : إنها تدل على قرب . وقال الراغب : الولاء والتوالى أن يحصل شيئان فصاعدا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما ، و يستعار ذلك للقرب من حيث المكان ، ومن حيث النسبة ، ومن حيث الدين ، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد .

« نحشرهم » قال ابن فارس عن الحشر إنه السَّوْق والبعث والانبعاث .

« عُميا » العَمَى يقال فى افتقاد البصر ، والبصيرة .

« بُكمًا » جمع أبكم ، وهو الذى يولَد أخرس ، و يقال : بكم عن الكلام إذا ضعف عنه لضعف عقله .

« صُمًّا » الصَّمَمُ : فِقْدَانُ حاسة السمع ، و به يوصف من لا يصغى إلى الحق ، ولا يقبَله ، وشُبِّهَ ما لا صوت له بالأصم .

« مأواهم » تقول : أوَى إلى كذا انضم إليه .

« خَبَتْ » يقال خبت النار أى سكن لهبُها ، وصار عليها خِباء ـ أى غطاء ـ من رماد .

« رفاتا » رَفَتُّ الشىء بيدى إذا فتتُّه حتى صار رُفاتا .

« أجلا » الأجل : المدةُ المضروبةُ للشيء .

« رَيْب » عرفه ابن فارس بأنه شَكٌّ مع خَوْفٍ ، وعرفه الراغب بأن تتوهم فى الشيء أمراً ما ، ثم ينكشف عما تتوهمه ، وجاء فى النهاية لابن الأثير أنه الشك مع التهمة .

« كفورا » هو الكفر بالدين والكفر بالنعمة ، وقال ابن الأثير فى النهاية : كفر إنكالاً ؛ بأن لا يعرف الله أصلا ، ولا يعترف به ، وكفر جحود ككفر إبليس يعرف الله بقلبه ، ولا يقر بلسانه ، وكفر عناد وهو أن يعترف بقلبه ، ويعترف بلسانه ، ولا يدين به حسداً وبغياً ، ككفر أبي جهل وأضرابه . وكفر نفاق وهو أن يقر بلسانه ، ولا يعتقد بقلبه .

« خزائن » الخزن حفظ الشيء فى الخزانة ثم تعبر به عن كل حفظ .

« قتورا » القتر التجمعُ والتَّضييقُ[1] .

« المعنى »

جحد الظالمون بقدرة الله على أن يجعل من البشر رسلا ، وأبوا أن تُبصرَ عيونُهم النورَ ، وأن تسمع آذانُهم دعاء الهدى ، وأن يفتحوا قلوبَهم للحب وللسلام للحق الكريم النبيل . فإن الله يقول عنهم : ﴿ والذين لا يُؤْمنون فى آذانِهم وَقرٌ ، وهُوَ عَلَيْهِم عَمًى ﴾ ذلك القرآن الذى هو للذين آمنوا هُدًى وشفاء .

يالرهبة الحرمان ، ويالضراوة الجحود ! ! .

هذا النور الوهّاج المشرق المتلألىء بكل هدى وخير وسعادة ، إنه هو نفسه العمى على هؤلاء ! ! وهل يخشى النورَ إلا السارقون ؟ وهل يمقت لمعة الفجر إلا الخاطئون تحت أقبية الظلام ؟ وهل يفر من بشائر النور سوى الخفافيش ! ؟ لقد فرّ هؤلاء من الهدى الذى ليس سواه هدىً ، وليس فى غيره أثارة من هُدًى ، وقالوا لرسول الهدى ﴿ قلوبنا فى أكِنَّةٍ مما تَدْعُونا إليه ، وفى آذانِنا وَقرٌ ، ومن بيننا و بينك حجابٌ ، فاعْمَل إننا عاملون[2] ﴾

---

(١) هذا عن ابن فارس ، وهو فهم دقيق لأن المقتر يجمع المال ، ويضيق على نفسه وعلى أهله ، ولهذا فسر القتر بأنه البخل والتقليل فى النفقة .

(٢) وقر = الثقل يمنعها عن السمع . أكنة = أغطية .

وأى عمل يعملون ، ومالهم من هدى به يهتدون فيما يعملون ؟ ! .

لقد ظنوا أنهم قادرون على الوصول إلى الغاية ، وسلوك السبيل السوىّ لها دون استعانة بالله ، واستهداء بهدى الله .

فجاء الوعيد جليلاً يدك قواعد الطواغيت ، وأصنام التقليد والضلالة .

وجاء الوعد بَرًّا كريماً رحيماً يفيض على قلوب المؤمنين سلاماً وسكينة وهما ـ الوعيد والوعد ـ فى قوله سبحانه ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ﴾ .

إنه ما ثَمَّ من سبيل يوصل إلى الله إلا سبيل واحد ! ! .

فهل يستقل العقلُ وحده بمعرفة هذه السبيل . أو يستطيع أن يسلكها و يتبين معالمها وحده إن عرف منها بداية ، أو رأى منها آية ؟ .

لو كان الأمر كذلك ما أرسل الله رسله ، والله هو الخلاق العليم الخبير الذى فطر خلقه على فطرةٍ تعوزُهُمْ دائماً إلى هدى الله و بيانه سبحانه عن هديه! ! فما فى قدرة الخلق وحدهم أن يصلوا إلى معرفة ما يريد الخالق . ولهذا يمن الله على عباده برسالة الرسل ، و يبين حكمته من إرسالهم بقوله جل شأنه بعد أن قص علينا نبأ بعض رسله : ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرين ومُنْذِرين ، لِئَلاَّ يكونَ للناسِ على الله حُجَّةٌ بعد الرسُلِ ، وكان الله عزيزاً حكيماً . لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بمـا أنزله إليكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ والملائكة يَشْهَدُون ، وكفى بالله شهيداً ٣ : ١٦٥ ، ١٦٦ ﴾ .

ومن يؤمن بهذا يؤمن بأن الهدى هُدَى الله . وقد أمر الله خاتم رسله أن يقول هذا وأن يؤكده : ﴿ قُلْ إن هُدَى الله هو الْهُدَى ، وأُمِرْنا ، لِنُسْلِمَ لرَبِّ العالمين ٦ : ٧١ ﴾

إن طريقاً قصيراً ممتداً بين العمران يحتاج إلى معالم ومعالم حتى لا يضل سالكوه ، فما بالك بطريق الفكر والقلب والروح إلى الله سبحانه ، وما ثم من يهدى هذه السبيل إلا ربُّها . إلا الخلاق الحكيم الخبير . فإلى مَنْ نذهب ؛ ليهدينا هذه السبيل وهي محفوفة بالمكاره من زاغ عنها تردّى وهلك ؟ ! إليه وحده . إلى الله . إلى الكريم الذى

أرسل به رسله يبشرون به الإنسانية وينذرون زماناً بعد زمان إلى أن جاء خاتم النبيين ، فأتم الله بما نزّله عليه النعمةَ ، وأكملَ الدينَ . فلم تَعُد الإنسانية أبداً فى حاجة إلى بيان آخر يهديها السبيلَ القويم إلى الله سبحانه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ٥ : ٣ ﴾ ومن يفتر مثل هذا الزعم ، فإنما يبهت الله سبحانه بالكذب فى هذا القول . أو يبهت الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه كتم شيئاً مِمَّا نزله الله عليه . أو يبهت أصحاب الرسول بأنهم خانوا الله ورسوله فحذفوا من المصحف ما يهدى ! ! وكل واحدة من هذه قاصمة ومهلكة تودى بصاحبها إلى جهنم وبئس المصير[1] .

فمن يهد اللهُ سبحانه فهو الذى ينعم بالهدى الحق ، أما مَنْ يُضْلِلْ فلن يجد له ولياً يهديه من بعد الله .

والله لا يضله ظالماً ولا جائراً ، فمعاذ الله أن نبهته بإشارةٍ أو وهم من ظلم ، وهو القائل : ﴿ وما رَبُّك بظلام للعبيد ﴾ والقائل ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّه عليكَ منها قائِم وحَصِيد . وما ظَلَمْنَاهُمْ ولَكِنْ ظلموا أَنْفُسَهم فما أَغْنَتْ عنهم آلهتُهُمُ التى يَدْعُون من دون الله مِنْ شىء لمَّا جاء أمرُ رَبِّك، وما زادُوهم غيرَ تتبيب[2] ١١ : ١٠٠ ، ١٠١ ﴾ .

لقد دعاهم إلى السبيل ، ووهب لهم القُوَى التى تعينهم على السير فيه دون أن يهلكوا

---

(١) عرضت ألواناً من البهتان الذى زعمته بعض الطوائف . فما أكثر الذين ادعوا النبوة بعد محمد ، ثم تطور بهم الضلال ، فزعموا أنهم آلهة ، وآخر فئة فيها ـ أعلم ـ وهى البهائية التى تؤله لها غوايتها الإيرانى ميرزا حسين على . أما الصوفية فهى التى تزعم أن الرسول أعطى ظاهراً وباطناً ، فبث الظاهر . وكتم الباطن عن كل أمته إلا فئة قليلة أما الشيعة فهم الذين يزعمون الزعم الأخير .

(٢) قرية قائمة أى باقية ، وقرية حصيدة . لم يبق لها أثر كالزرع المحصود . تتبيب = خسار وهلاك .

و بين لهم فى كل ما أوحاه معالم هذا السبيل بياناً شافياً هادياً لاريب فيه ، ولا يشتبه أبداً عليهم بطريق آخر . ووعدهم بالنعيم المقيم ـ وهو لا يخلف وعده ـ إن سلكوا سبيله ، وأوعدهم بالمصير الرهيب إذا ضلوا عنه ، فأبى الظالمون إلاأن يكفروا بالله ويؤمنوا بمن دونه . أبوا أن يؤمنوا بأن فى كتابه البلاغ والبيان والهداية . أبوا أن يتخذوا من رسوله مثلهم الأعلى وقدوتهم الحسنى،وأعطوا للشيطان مقادهم وخطامهم يضل بهم فى كل تيه ومهلكة . فاتخذوا لهم أرباباً من دون الله ، تتمثل فى كُتُبٍ يجعلونها هى المهيمنة على كتب الله ، أو فى شيوخ يستعبدونهم من دون الله . أو فى مالٍ أطغاهم عن طاعة الله .

لقد ارتضوا لأنفسهم هذا المصير . فماذا يفعل الله ؟ أيُرْغِمهم على سلوك سبيل كرهوه ومقتوه ؟ كلا ، فإنه لو فعل لكان ظالماً ، وسبحانه أن يظلم . أيُسَوِّى بينهم فى المثوبة و بين من أطاعوه ، ولبوا نداءه وسلكوا راضين خاشعين سبيله ؟ إنه لايظلم الناسَ شيئاً . كان من قدرته أن يجعل هؤلاء الغاوين مهتدين ، وأن يجمع الناس جميعاً على الهدى ، ولكنه ترك لكل امرىء أن يختار الطريق . تدبَّر معي . ﴿ إن رَبَّكَ هو أعلمُ مَنْ يَضِلُّ عن سبيله ، وهو أعلم بالْمُهْتَدِين ٦ : ١١٧ ﴾ « إنما يَسْتَجِيب الذين يَسْمَعُون، والْمَوْتَى يَبْعَثُهُم اللهُ ثم إليه يُرْجعون ٦ : ٣٦ » « ولو شاء الله لَجَمَعَهُمْ على الْهُدَى ٦:٣٥» ليتدبر الذين يظلمون القدر ، و يحملون عليه كل أوزارهم ، فما ظلمهم الله ، وإلا فليقولوها صريحة : إنهم يبهتون الله بالبغي والسفه فيهب السعادة للأشرار والشقاء للأخيار ! ! .

وليتدبر الذين أخذوا بذيول شيوخهم يمسحون بها وجوههم . ليتدبروا هم وشيوخهم هذه الملاحاة فى الآخرة بين المقلِّدين والمقلَّدين (ويقول الذين اسْتُضْعِفُوا للذين استكبروا :

---

(١) كلمة السبيل وردت مذكرة ومؤنثة فى القرآن .

لولا أنتم لـكنّا مؤمنين) قال الذين استكبروا للذين استُضعِفوا أنحنُ صَدَدْنا كُمْ[١] عن الهدى بعد إذ جاءكم ، بل كُنتُمْ مُجرِمين . وقال الذين استُضعِفُوا للذين استَكبَرُوا : بل مَكْرُ الليل والنهارِ ؛ إذ تأمروننَا أن نكفرَ بالله ، ونجعلَ له أنداداً ، وأسَرُّوا الندامة لما رأوا العذابَ ، وجعلنا الأغلالَ فى أعناقِ الذين كفرُوا ، هل يُجزَوْنَ إلاّ ما كانوا يعملون ٣٤ : ٣١ : ٣٣) ليت عبيد الصوفية ، وعبيد المذهبية يتدبرون. فهذا هو المصير يوم القيامة بين الأشياع المستضعفين و بين أئمتهم الضالين ! !

لقد أطلت هنا : إذ لا يزال بعض من فى قلوبهم مرض يرتابون فى عدل الله وعلمه وحكمته ، فيقولون قول المشركين : (لو شاء اللهُ ما أشركنا ، ولا آباؤنا ولا حرّمْنا من شيء ٦ : ١٤٨) و يديرون كلمة الشرك على وجوه عدة ، حتى يتلمسوا العذر للشيطان نفسه كما زعم الجيلى فى كتاب الإنسان الكامل ! !

مصير الضالين : لقد توعدهم الله بأنهم لم يجدوا لهم أولياء يهدونهم فى الدنيا أو ينصرونهم فى الآخرة ، و بأنهم سيحشرون على وجوههم يوم القيامة . وفى كل منهم آفته : العمى ، والبَكم والصَّمَمُ . و يا للوجوه التى كانوا يتعالون بها فى الدنيا . تدبر ما سيصيبها : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عليها غَبَرَةٌ[٢] ، تَرهَقُها قَتَرَةٌ ٨٠ : ٤٠، ٤١ ﴾ . ﴿ ووجوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ[٣] تَظُنُّ أن يُفعَل بها فاقرة ٧٥ : ٢٤ ، ٢٥ ﴾ .

---

(١) صددناكم : منعناكم: مكر الليل والنهار : مكركم المستمر ليلا ونهارا حتى صرفتنا عن الحق . وهذا يؤكد لنا مدى حرص المستكبرين عن الحق على بسط نفوذهم على غيرهم وبسط ضلالتهم، وتفننهم فى الكيد لدين الحق . أندادا : شركاء تعتقدون أنهم مثل الله: أسروا الندامة أضمر الفريقان الندم على الضلال والإضلال . وأخفاها كل منهم عن الآخر . والآية رد صريح محكم على الجبرية وعن الذين يعتذرون عن المقلدين .

(٢) غبرة : غبار وكدورة من الغم . ترهقها : تغشاها بشدة . قترة : سواد وظلمة

(٣) باسرة : كالحة شديدة العبوس . فاقرة : داهية عظيمة تكسر الفقار «العمود الفقرى».

﴿ والذين كَسَبُوا السيئاتِ جزاء سيئةٍ بِمثلها ، وتَرْهَقهُمْ ذِلّةٌ مالهم من الله من عاصِم ، كأنما أُغْشِيَت وُجُوهُهُمْ قِطَعًا من الليل مُظْلِما . أولئك أصحابُ النار هم فيها خالدون ١٠ : ٢٧ ﴾ وسوف تلفحها النار ، وتُقَلَّب فى النار ! !

أكرم شىء فى الإنسان وجهه ، ولكن صاحب الكفر أبى إلاّ أن يجعله الأخسَّ الأرذل ، فصرف العين والسمع واللسان عن الله وهوى بالجبهة على عتبة جيفة ، واستكبر بهذه الجبهة أن يسجد لخالقه ! ! ولكن كيف يحشرون على وجوههم ؟

قد يكون المعنى : إن ما يرهقهم من رُعْبٍ ، وما يعتريهم من إرهاق شديد وفزع رهيب يجعلهم لا يستطيعون السير على أقدامهم ، فيزحفون فى تهادٍ ترتفض كل أعضائهم ووجوههم لاصقة بالأرض، والزاحف على بطنه يسمى ماشيا ثم هذا الخزى الشديد ، والعار الأسود الذى يلطخ الوجوه يدفعهم إلى خفض الجباه ، ولصق الوجوه بالأرض من شدة الخزى والذل ، وهو لا يعتبر معنى مجازيا . فإنه سيحدث حقيقة[١] .

وقد قلت هذا أخذا من الآيات .

وقد يكون المعنى أنهم يخضعون وجوههم ذلا وخزيا ، وسمى هذا الخفض مشيا على الوجه ، كما قال تعالى ﴿ أفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا على وجهه أهْدَى ، أمْ مَنْ يَمْشِى سَوِيًّا على صراط مستقيم[٢] ﴾ فجعل انحرافه عن الصراط السوى ، وضلاله شبيها بمن يمشى ووجهه

---

(١) فى الصحيحين عن أنس أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم . يارسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : أليس الذى أمشاه على رجليه فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ؟» وهو جواب حكيم دقيق منه ، صلى الله عليه وسلم . ولا يخالفه ماقلت . فالذى أعطاهم القدرة على المشى على الرجلين سلب منهم هذه القدرة يوم القيامة بما يصيبهم من فزع وخوف فيتساقطون على وجوههم .

(٢) مكب : واقع .

ساقط على الأرض من كثرة عثاره والله أعلم . ثم هم عُمْىٌ لا يرون ما يحبون أن يروا ، وبُكْمٌ عن الكلمة التى تنفعهم ، والحجة التى تعتذر لهم ، إذ ما ثم من حجة ولا كلمة طيبة . وصُمٌّ لا يسمعون الكلمة الحلوة التى تدخل الفرح على قلوبهم . فالعمى هنا ليس معناه فقد البصر ، وكذلك البكم والصمم ، لأن الله يقول فى آيات أخرى ﴿ ورآى المجرمون النارَ ، فظنوا أنهم مواقعوها ﴾ وهذه تثبت وجود العين الرائية ويقول عن الكفار والنار (إذا رَأَتْهُمْ من مكانٍ بَعيدٍ سَمِعُوا إليها تَغَيُّظاً وزَفيرا[1] ؟ وإذا أُلقوا منها مكاناً ضيقاً مُقَرَّنِين دَعَوْا هنالك ثُبُورا ﴾ ٢٥ : ١٢ ، ١٣ .

والآيتان تثبتان أن الكفار يسمعون ويتكلمون .

هذا مايدعونى إلى أن أفهم أن وصفهم بالعمى والبكم والصمم هنا مقصود به ما قلت[2] ولولا تشكيكات المُبْطِلِين ما احتاج إنسان إلى مثل ما قلت ، فآيات القرآن مشرقة المعانى فى قلوب المؤمنين وإن كانوا أميين ! !

ثم تبين الآيات أنه لا مكان لهؤلاء يؤويهم ويضمهم إلا جهنم ، التى كلما لانت وسكنت ، وفرح المجرمون بهذا . زادها الله سبحانه تَلَهُّباً . وقد قرأت للزمخشرى هنا كلمة طيبة لا تمنعنى مسة الاعتزال التى فيه من إثباتها : ﴿ كلما أكلت جلودَهم ولحومَهم ، وأفنتها ، فسكن لهبها بُدِّلوا غيرها ، فرجعت مُلْتَهِبة مُسْتَعِرة ، كأنهم لما كَذَّبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم أنْ سلَّط النارَ على أجزائهم تأكلها وتُفْنيها ، ثم يعيدها ، لا يزالون على الإفناء والإعادة ؛ ليزيد ذلك فى تحسرهم على تكذيبهم البعث ؛ ولأنه أَدْخَلُ فى الانتقام

---

(١) تغيظ : غليان كالغضبان إذا غلى صدره . زفير : صوت يسمع من الجوف . مقرنين : قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل . ثبور : هلاك .

(٢) قال بعض المفسرين جمعا بين الآيات التى أثبتت السمع وبين الآخرى التى نفته أن الأولى ، تتحدث عنهم حين يبعثون ، والآخرة بعد ذلك .

من الجاحد . ودل على ذلك بقوله : (ذلك جزاؤهم) إلى قوله : أئنا لمبعوثون خَلْقًا جديداً » .

وهو فهم دقيق يدل عليه ما ذكر ، فقد كذب هؤلاء بالبعث . وبهتوا الله بأنه لا يستطيع أن يعيدهم بعد أن يصيروا عظاما متفتتة تذروها الرياح ، فجوزوا يوم القيامة بنفس كفرهم ، فتهلك جلودهم كما هلكوا هم فى الدنيا ، ثم يبعثها الله مرة أخرى فيرون جهرة ما كانوا يكفرون به .

ولقد رد الله على هؤلاء بما يُلزمهم الحجة . وقد سبق فى السورة ذاتها الرد عليهم بقوله سبحانه « قل الذى فطركم أول مرة » . وذلك حين قالوا . « إئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا » : وبنفس الحجة التى يذعن لها العقل ويخشع ويخضع ، إذا لم يأخذ به الجحود ، ويصرفه عن سواء السبيل — رَدَّ الله عليهم . فَمَنْ كان من دلائل قدرته خَلْقُ السموات والأرض — على غير مثال سابق ، وما كان معه حين خَلَقَهَا مُعين ولا ولى . ولا مَثَلٌ يحتذى به . إن من كان شأنه كذلك لا يجوز أبدا أن نبهته بأنه يعجز عن بعثنا من قبورنا ؛ ولهذا يقول ربنا سبحانه : ﴿ أأنتُمْ أشَدُّ خَلْقًا أم السماء ؟ بَنَاها ، رَفَعَ سَمْكَهَا ، فَسَوَّاها ، وأغْطَشَ لَيْلَهَا ، وأخرج ضحاها . والأرضَ بعد ذلك دحاها . ﴾[1] ٧٩ : ٢٧ : ٣٠ .

إنهم يرون السماء فى عظمتها وجلال صنعها ، ويشعرون شعورا مسيطرا صادقا بعجزهم الدائم حيال القيام بعمل شيء منها ، وكذلك يرون الأرض ، ويَبدَه عقولَهم فى كل لحظة ما فيها من آيات تدل دلالة قاطعة على أن خالق هذه الأرض حى موجود حكيم عليم خبير رحيم .

---

(١) سمكها : سمتها فى جهة العلو . أغطش : أظلم . أخرج ضحاها : أبرز ضوء شمسها دحاها : مدها للعيش فوقها .

أليسوا يرون الحياة تنهلّ . فتهتز هذه الأرض الميتة وتربو ، وتجود بما جعله الله سببا للحياة .

يرون الأرض ميتة ، ثم يرونها حيّةً فى كل أيام العمر ، أفمن يهب الحياة للجماد بهذه الصورة المكررة يعييه أن يهب الحياة لنا مرة أخرى ؟

أوَمَنْ أبدع كل هذه المعجزات التى تبسط سلطان قهرها على العقول والمشاعر فترغمها ، أو تدفعها إلى السجود لله — نرميه باغين ظالمين بأنه لا يستطيع بعثنا ؟ !

إن الإلحاد لا يجد له من أنصار إلا أولئك الذين يحقدون على الله سبحانه . ويحسدون جلاله وكبرياءه وقدرته ، إذ يظنون أن هذه القدرة التى تصفها كتب الله لا يمكن أن تكون ! !

وإلحادهم هذا يتردى فى التناقض ، ففى الوقت الذى ينفون فيه عن الله القدرة والحكمة والعلم والقيّومية . يثبتون كل هذا لوَهْمٍ معبود أو مادة بكماء عمياء صماء ، فيقولون : الطبيعة الخلاقة . والصدْفة القادرة ! ! وبضع أطنان من الحديد ترتفع عشرات الأميال فى الفضاء تقيم الدنيا وتقعدها ، وتدفع بالأقلام إلى التمجيد والتقديس . تمجيد الإنسان الملحد ، وتقديس القدرة المحدودة المقهورة .

وآلاف الأطنان ، بل ألوف ألوفها فوق ألوف ألوفٍ ارتفعت منذ ألوف القرون فى السماء دون أن تنحرف مرة ، أو تخرج عن إرادة من جعلها كذلك . كل هذا لا يثير قلما ، ولا يدفع بشعور إلى العظة والاعتبار ، لأن هذا عمل الله . وهؤلاء لا يحبونه ، أما ذاك فعمل الإنسانِ . وهم يرونه الخالق المبدع ! !

ولقد ختمت الآية بوعيد يراه المؤمن وعدا « وجعل لهم أجلا لا ريب فيه » ذلك (يوم تُبدَّل الأرضُ غير الأرضِ والسموات وَبَرَزُوا لله الواحد القهار) .

ومع وضوح هذه الحجة الساطعة القاطعة لكل شك وريب أبى هؤلاء الظالمون[1] إلا التمادي فى الكفر بالله سبحانه والكفر بدينه والكفر بنعمه .

وعوالم الله كثيرة . وإمداد كُلٍّ منها بما يقيمه ، ويجعله صالحا لما خُلِق له يحتاج إلى مَدَدٍ دائم غير مجذوذ وإحاطة علم ، وسعة غنى لا ينفد .

وربُّ هذه العوالم الكبيرة العظيمة الجليلة لابد أن يكون أكبر وأعظم وأجل فهو خالق ، وهي مخلوقة ، ومحال أن يساوى الخلق خالقه . فلنتدبر خزائن الله التى ينفق منها على هذه العوالم كلها فى السموات والأرض ، ولنتدبرها منذ أن خلق الله السماء والأرض ، إلى أن تقوم الساعة ، ثم إلى ما لا يتناهى من الزمن الفياض بعطاء غير مجذوذ من الله . كما جاء فى الصحيحين « يَدُ اللهِ مَلأَى لا يغيضها نفقةٌ ، سَحّاء الليل والنهارِ . أرَأيْتُمْ ما أنفق مُنْذُ خَلَقَ السَّمٰواتِ والأرضِ ؟ فإنه لم يغض ما فى يمينه »[2] .

عن هذه الخزائن الإلٰهية التى لا تبلغ تصوُّرات الملايين مداها يخبرنا الله سبحانه بما يفيد أن لو ملكها أحد من البشر لأمسك عن الإنفاق منها مخافة أن تنفد ، مع أنها لا تنفد ، ويعلم أنها لا تنفد ، ولكنها طبيعة الشح والبخل القابعة فى أعماقه تصرف إرادته وسلوكه فى الحياة .

وذلك هو فرق ما بين الخلق والخالق . فالخلق دائما تعوزه الحاجة إلى غيره ، ثم هو دائما يخاف المستقبل ، فلا يدرى ما يحدث فيه غدا ، ثم هو نزّاع الحنوّ على نفسه يتعهد شهواتها وأهواءها بالحرص الشديد .

---

(١) فى وصفهم بالظالمين نص على جريمتهم . وبيان أن الله لم يجبرهم على الكفر به ، فهى وحدها رد على الجبرية .

(٢) يغيض : غاض الماء : قل ونضب . سحاء : صيغة مبالغة سح من الفعل . يقال سح الماء صبه أو الماء بنفسه سال .

أما الخالق فَلِمَنْ يحتاج ، وما ثم غيره ؟ ! ثم هو جل شأنه يقول للشيء كن فيكون ، ثم هو يدبر الأمر ، ويحيط بكل شيء علما . ثم هو رحيم كريم لا يبخل على من يرجوه ويدعوه . ولهذا طلب منا أن نكثر من دعائه وسؤاله ، وأن نعزم المسئلة ، وأن نسأل الكثير لا القليل .

فهل يجوز لعاقل يعرف التمييز بين الخير والشر أو بين الحق والباطل ، أو بين النافع والضار أن يسأل الخلق ، وهو يعلم أنهم جميعا فقراء إلى الخالق ؟ وهو يعلم أن هذا الْخَلْقَ يبخل بما يُطْلَبُ منه حتى إن كان يملك خزائن الله ؟ ! .

اللهم إنا نؤمن بك . فاجعل صدق إيماننا بك يارب وسيلتنا إليك إلى أن نلقاك يا أرحم الراحمين ؟

عبد الرحمن الوكيل

إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل اجتهد فى العبادة حتى هجمت عيناه ، أى غارتا . فلما رآه قال له :

« إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » .

المنبت المنقطع عن أصحابه فى السفر ، أى الذى يجد فى سيره حتى ينبتّ أخيراً ، سماه بما تؤول إليه عاقبته .

يضرب هذا المثل لمن يبالغ فى طلب الشىء ويفرط ، حتى ربما يُفَوِّتُهُ على نفسه .

المنفِّرون

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أيها الناس : إنكم منفرون ، فمن صلى بالناس فليخفف ، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة » .

رواه البخارى

توحيد الله عز وجل

العزيز: أى الموصوف بالعزة وهى الغلبة والقهر للغير والامتناع ممن يريده . قال ابن كثير « أى الذى قد عز كل شىء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه » .

والعزة صفة أثبتها الله عز وجل لنفسه قال تعالى ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ وقال ﴿ وكان الله قوياً عزيزا ﴾ .

وأقسم سبحانه بها كما فى حديث الشفاعة « وعزتى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال لاإله إلا الله » .

وأخبر القرآن عن إبليس أنه قال متوعداً بنى آدم ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ .

وفى صحيح البخارى وغيره عن أبى هريرة « بينا أيوب عليه السلام يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل يحثى فى ثوبه . فناداه ربه ياأيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال بلى وعزتك ، ولكن لاغنى لى عن بركتك » .

وفى حديث الدعاء الذى علمه النبى صلى الله عليه وسلم لمن كان به وجع « أعوذ بعزة الله وقدرته منْ شر ماأجد وأحاذر » .

والعزة تأتى بمعنى الغلبة والقهر ، من عَزَّ يَعُزُّ بضم العين فى المضارع يقال عزه إذا غلبه .

وتأتى بمعنى القوة والصلابة ، من عَزَّ يَعَزُّ بفتحها . ومنه قولهم أرض عزاز .

وتأتى بمعنى النفاسة والقدرة وعلو القدر من عز يَعِزُّ بكسرها .

وهذه المعانى كلها للعزة ، ثابتة لله عز وجل . قال أبو حامد :

« العزيز هو الخطير الذى يقل وجود مثله وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه . فما لم تجتمع له هذه المعانى الثلاثة لم يطلق عليه اسم العزيز . فكم من شىء يقل وجوده ولكن لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزاً ، وكم من شىء يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولا يصعب الوصول إليه لم يسم عزيزاً ، كالشمس مثلا فإنها لا نظير لها والأرض كذلك والنفع عظيم فى كل واحد منهما والحاجة شديدة إليهما ، ولكن لا يوصفان بالعزة لأنه لا يصعب الوصول إلى مشاهدتهما ، فلا بد من اجتماع المعانى الثلاثة » .

[الجبار] صيغة مبالغة من الجَبْر وهو يطلق بمعنيين . أحدهما الإرغام والقهر ونفوذ المشيئة ، وعلى هذا يكون معنى الجبار الذى يجبر خلقه على ما يشاء بحيث لا يستطيع أحد منهم أن يخرج عن قبضته وقهره ، فما شاء كان وإن لم يشاءوا ، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءوا .

وثانيهما : إصلاح الخلل ورأب الصدع ، من قولهم جبر الله كسرك ومنه سميت (الجبيرة) الذى تشد على العضو المكسور وعلى هذا يكون معنى الجبار المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم .

[المتكبر] قيل معناه المترفع عن السوء والنقص ، وقيل المتعاظم الذى يرى الكل حقيراً بالإضافة إلى ذاته . ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه ، كما جاء فى الحديث الصحيح « العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحداً منهما عذبته » ولهذا ورد أن الكبر شعبة من الشرك .

ولا متكبر بحق إلا الله عز وجل ، لأن رؤيته من دونه حقيراً بالإضافة إليه رؤية صادقة مطابقة للواقع .

وأما غيره فلا حق له فى التكبر لأن زعمه العظمة والكبرياء لنفسه دون غيره ، زعم باطل . ولهذا وردت الآيات الكثيرة فى ذم المتكبرين .

[الخالق البارىء المصور] قال ابن كثير « الخلق التقدير والبرء هو الفرى وهو

التنفيذ وإبراز ماقدره وقرره إلى الوجود . وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده ، سوى الله عز وجل . قال الشاعر يمدح آخر :

ولأنت تفرى ماخلقت وبعـــض القوم يخلق ثم لا يفرى

أى أنت تنفذ ماخلقت أى قدرت بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع مايريد ، فالخلق التقدير ، والفرى التنفيذ. ومنه يقال «قدر الجلاد ثم فرى » أى قطع ماقدره بحسب مايريده وقوله تعالى ﴿ الخالق البارىء المصور ﴾ أى الذى إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصفة التى يريد والصورة التى يختار كقوله تعالى ﴿ فى أى صورة ماشاء ركبك ﴾ ولهذا قال : المصور ، أى الذى ينفذ مايريد إيجاده على الصفة التى يريدها » .

والحاصل أن هذه الأسماء الثلاثة ليست مترادفة على معنى واحد ، بل لـكل منها معنى يخصه ، وهى متكاملة لابد منها جميعاً على هذا الترتيب . فالخلق أولا لأنه تقدير الأشياء على إحكام واستواء ، ثم البرء ثانياً لأنه الإبراز والإيجاد على وفق التقدير السابق ، ثم التصوير ثالثاً لأنه اختراع صور الأشياء وترتيبها فى الوجود على أحسن الوجوه .

ويضرب الغزالى لذلك مثلا بالبناء فإنه يحتاج إلى مقدر يقدر مالا بد منه من الخشب واللبن ومساحة الأرض وعدد الأبنية وطولهـا وعرضها ، وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره ثم يحتاج إلى (بناء) يتولى الأعمال التى عندها تحدث حصول الأبنية ، ثم يحتاج إلى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته ويتولاه غير البناء . فهذه هى العادة فى التقدير والبناء والتصوير ، أن تقوم بها عدة أشخاص . وليس كذلك أفعال الله عز وجل ، بل هو وحده المقدر والموجد والمزين فهو الخالق البارىء المصور ، والله أعلم .

محمد خليل هراس
المدرس بكلية الشريعة

« بينما رجل يمشى بطريق ، وجد غصن شوك على الطريق ، فأضره ــ أى أزاحه ــ فشكر الله له فغفر له » حديث شريف . رواه البخارى عن عمر .

باب الكتب

« قاموس » الأضرحة والمقابر

(تعقيب) بقلم الدكتور أمين رضا

انتهى الأخ الدكتور أمين رضا من ترجمة هذا الكتاب الجديد بتدبر كل مسلم ، وقد رأى أن يعقب على الترجمة بذكر كلمة عن مؤلف الكتاب ، ثم بسلسلة مقالات بعنوان « دراسات فى التوحيد » أوحى إليه بها قراءته للكتاب ، وهذا هو الجزء الاول منها

(الهدى النبوى)

كلمة عن المؤلف (١)

هو جاك ألبيان سيمون كولان (١٧٩٣-١٨٨١ م) ، الشهير بكولان دى بلانسى ، إذ أنه ولد فى مدينة بلانسى بفرنسا . وقد اشتهر بكثرة ما أنتج من كتب أدبية غزيرة فى مادتها ، وأغلبها ذات طابع دينى . وقد عمل بين عامى ١٨١٢ و ١٨٣٠ فى دور النشر الباريسية . واتصفت هذه الفترة من حياته بمهاجمته للكنيسة عامة ، وبانتقاده خرافاتها وشعبذتها انتقاداً مراً . من ذلك كتابه الذى نحن بصدده و « قاموس العقلاء والمجانين » (جزآن نشرا سنة ١٨٢٠ م) و « القاموس الجهنمى » وهو مجموعة من قصص العفاريت والشياطين والأشباح وغيرها (جزآن نشرا سنة ١٨١٨ م) .

---

(١) ترجمة حياة المؤلف ملخصة عن ج . فينو G. Vinot : دائرة المعارف الكبيرة La Grande Encyclopédie الجزء ١١ ، صفحة ٩٧٤ ، تحت كلمة : Collin de Plancy الناشر : لاميرو Lamirault بباريس .

ثم عمل فى مسقط رأسه بلانسى من عام ١٨٣٧ م إلى أن توفى بها عام ١٨٨١ م . وقد اتصف إنتاجه الأدبى فى هذه الفترة بشدة حماسه للديانة الكاثوليكية ، ومبالغته فى الدفاع عنها . ومن ذلك كتابه « القاموس التاريخى النقدى للملحدين والكفار والمرتدين » (نشر عام ١٨٧١ م) ، و « حياة القديسين الكبرى » (خمسة وعشرون جزءاً نشرت بين عامى ١٨٧٣ و ١٨٧٥) .

(٢) كلمة عامة عن الكتاب وفكرته

الكتاب مكون من ثلاثة أجزاء من القطع المتوسط ، ومجموع صفحاته ١٣٩٣ ، منها ٥٣ صفحة لمقدمة الكتاب ، و ١١١ صفحة لنص « رسالة آثار القديسين » لجان كالفان ، و ٦٣ صفحة للفهارس فى آخر الكتاب .

والكتاب فريد فى نوعه لأن المؤلف جمع كل مقدسات المسيحيين ، ثم ذهب يفضح أساليب الأحبار فى ابتزاز أموال الناس والدجل عليهم . وذلك بادعاء الكرامات ، وبترويج الإشاعات عن مقدرة القديسين على القيام بأعمال معينة ، مثل شفاء الأمراض ، وحماية المدن من الكوارث ، والأفراد من المصائب والحوادث ، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله العزيز القدير ، الذى خلق كل شىء وقدره .

وضع كالفان هذه العبارة تحت عنوان رسالته عن آثار القديسين « تنبيه إلى الفائدة العظيمة التى تعود على المسيحية من عمل قائمة شاملة لجميع الجثث والآثار المقدسة الموجودة فى إيطاليا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا وغيرها من الممالك والبلدان » . ويظهر أن هذه العبارة كانت هى الحافز لكولان إلى جمع كل هذه المعلومات عن القديسين وآثارهم ، وترتيبها على هيئة المعجم فى كتابه .

دراسات فى التوحيد[1]

بقلم الدكتور أمين رضا

الأستاذ المساعد بكلية طب الاسكندرية

(١) التدبر فيما ندين به

إن الفائدة العامة التى تعود علينا من قراءة هذا الكتاب هى أن نحفز أنفسنا على التدبر فيما ندين به . ليس الدين صفة وضعها الأب فى خانة « الديانة » من شهادة الميلاد . ليس الدين ما شب الولد فوجد عليه أمه فى القرية أو أباه فى الحقل أو المصنع أو المتجر . ليس الدين ما يصنع الناس كلهم أو جلهم . وليس الدين عادة يأتيها الشخص دون أن يشعر ، أو عصبية يفنى فى سبيلها من غير أن يعقل ، أو تجارة تباع وتشترى ، أو احتكاراً موقوفاً على بعض الناس دون البعض ، أو طقوساً يؤديها الأحبار دون الناس أجمعين .

يجب علينا أن نتدبر فيما نعتقد أنه دين ، ولننظر إلى مايعمله أهلونا وزملاؤنا وشيوخنا ، ولنقارن بينه و بين ما نزل فى كتاب الله ، وما سنه رسول الله . فإن وجدنا شيئاً مخالفاً ، وجب علينا أن نحاربه ونخالفه ونبتعد عنه ، بعد الصحيح عن الأجرب . أما إن وجدنا آية قرآنية متبعة ، وسنة نبوية منفذة ، فهذا هو ما يجب علينا اتباعه ، ومعاونة الناس عليه . هذا هو الدين الحق الذى يجب علينا أن نفنى فى سبيله ، وأن ندعو الناس إليه بكل قوانا .

إننا الآن فى عالم متقلب متغير ، تتنازعه النظريات التى يقولون عنها إنها تقدمية ، ويفتنه عن القيم الرفيعة ذلك الشىء الذى يسمونه مدنية .

---

(١) هذه الدراسات متعلقة بما سبق نشره من ترجمة مقدمة كتاب « قاموس الأضرحة المقدسة » أنظر مجلة الهدى النبوى ، المجلد ٢٦ ، سنة ١٣٨١ من العدد الصادر فى جمادى الأولى إلى عدد شوال .

فلنتعلم ديننا ، ولنعرف حدوده بدقة ، ثم لنعرض عليه ما يستجد حتى نقدر صلاحيته ، ومدى تمشيه مع ديننا القويم .

فلننظر ماذا نكبتنا به المدنية ؟ ألم تخترع عرياً يندى له جبين الحياء ، وسمته « مودة » تارة ، « وتحرير المرأة » أو « تمدنا » تارة أخرى ، أو غير ذلك من الأسماء المستعارة ؟ فلنقارن بين هذا العرى و بين عرى القبائل المتأخرة فى البلدان المتوحشة ، أو عند الإنسان فى العصر الحجرى أو عند عرب الجاهلية الذين كانوا يطوفون البيت الحرام عرايا كما ولدتهم أمهاتهم . إن المسلم الحق ليجد أن هذا الذى يعتقدون أنه تقدم ما هو إلا ضرب من التوحش ، أو الرجوع إلى الجاهلية الأولى ، و إن كان هذا من مظاهر المدنية فهو بعيد كل البعد عن مدنية الإسلام والمسلمين .

ثم ، ألم يقولوا إن الاستعمار تقدم ، لأن الدولة التى تستعمر بلداً إنما تفعل ذلك لتعمل على رقيه وثقافته ؟ ولكننا نحن المسلمين بتدبر قرآننا نقول لهم فى قوة ويقين : لا ! ! إنما الاستعمار استعباد لأناس ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، واستغلال لما رزقهم الله به من أنعام ، ومما فى باطن الأرض ، ومما تنبت ، و بغىٌ على أموالهم بما لم يشرعه الله ، وحرمانهم مما جعلهم الله مستخلفين فيه فى الأرض ، و إعطاؤه لأناس غرباء وردوا إلى البلد المستعمَر من الخارج .

ألم يقولوا إنهم اخترعوا القنبلة الذرية لحماية المدنية ؟ فماذا حدث ؟ ألم يلقوها فعلاً على المدن الآهلة بالسكان فدمروها وقتلوا الألوف من أهلها ، وشوهوا ما بقى منهم ؟ ثم استمروا بعد ذلك فى تفجيراتهم وتجاربهم الذرية التى تهدد العالمين بتشويه ذراريهم ، وتعميم الأمراض الخبيثة القتالة ؟ وهاهم أولاء يستعدون من كل جانب بما يهدد بالفناء ، بل بما يهدد المدنية كلها بالزوال والدمار . و إنهم ليعملون ذلك باسم التقدم والمدنية والحضارة . فهل يجوز للمدنية أن تدمر العالم وتشوه الآدمية كلها ، أوهل يجوز المدنية أن تدمر المدنية ؟ !

إن كلمة المدنية لـكلمة براقة ، تغش الـكثيرين وتبعدهم عن الإسلام . وَثَمّت يتبينون أن هذه المدنية المزعومة ليست شيئاً يذكر ، فيهربون منها ، وهنالك يجدون أنفسهم بلادين و بلا مدنية .

إننا إن لم نتدبر جيداً فيما ندين به أصبحنا آلات تصنع الشيء ولا تفقهه ، وتؤدى الغرض ولا تؤمن به إيماناً كاملاً ، والمصيبة الـكبرى تنشأ من أن يقلد الناس ما يعمله الآباء والأجداد دون تروٍ أو تدبر ، بل إنهم إذا وجدوا أباءهم ضلوا فلا يستنكفون أن يضلوا معهم (٢ : ١٧٠ : وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) .

وهناك مصيبة أكبر وهى أن يقلد الرجل الناس من غير أن يعرف أهم على حق ، أم هم على الباطل . بل قد يتضح له ضلالتهم ويأبى جحوده إلا أن يظل معهم . وهذا ما حذرنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى قال : « لا يكن أحدكم إمعة ، يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساؤوا أسأت ، ولـكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساؤوا أن لا تظلموا[١] » .

الدكتور أمين رضا

(١) الحديث رقم ٩٣٠٩ من جامع الاصول لابن الأثير الجزرى الجزء ١٢ ، صفحة ٣٢٢ (مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م) وقد أخرجه الترمذى ورزين عن حذيفة وابن مسعود .

خطابان من « المـكلا »

ورد إلينا خطابان من (المـكلا) من السيدين : عمر بن عوض المرقدى وسالم بابن عبد الله داوود . أحدهما شكر وتهنئة بعيد الفطر (للهدى النبوى) والقائمين عليها . والآخر شكر وتهنئة بالعيد أيضا للأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت لمقاله المنشور (بالهدى النبوى) عن مضار البدع والخرافات . فلهما شكرنا وتقديرنا . (الهدى النبوى)

أنصار السنة وأشياع التصوف

يفرض علينا الله سبحانه أن ندعو إلى الخير ، وأن نأمر بالمعروف وأن ننهى عن المنكر ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ٣ : ١٠٤ ﴾ .

ومن المنكر الغليظ الذى عنيت أنصار السنة بالنهى عنه ، ذلك المنكر الذى يدعى بالتصوف ، لأننا نؤمن عن بصيرةٍ وعن بيِّنة أنه قىء الكفر وكيد الشيطان الخلوب ، وأنه ماأضر بالمسلمين ، وأوهن منهم العقائد ، وهوى منهم بالخلق ، وأفقدهم الإيمان بجليل القيم ، وبجلال المقدار والتضحية — شىء كالتصوف ! ! حسبنا منه أنه يوجب علينا أن نعتنق اليهودية ، وأن نؤمن بأنها روحانية الإسلام ! ! وقد أقمنا على ماقلنا البراهين القاطعة والحجج الساطعة ، مؤيدة بعشرات النقول من أهم كتب الصوفية . ولكننا لم نجد من أشياع التصوف سوى اللياذ بجبانة التقية ، تبرز فى دعاوى طالما ادعتها من قبل كل فئة قامت تعمل لتهدم الإسلام بالكيد الحقود ، والتآمر الأصم المنكود ! ! تلك الدعاوى هى أن التصوف يمثل روحانية الإسلام العليا ، أو هو حقيقته السامية التى ضل عن إدراكها علماء الشرع ، أو علماء الظاهر ، أو علماء الرسوم والعادات ! ! ثم تدرّع هذه الدعاوى المفتونة ببهرجها ببضع كلمات وردت على ألسنة بعض شيوخ الصوفية ، قالوها لتكون قناعاً يخفى وجه هذه الأمشاج القذرة من الحقد اليهودى ، والمجانة المجوسية والمادية الوثنية ، والتى تجمعت فى وحدة سميت فيها تصوفاً ، ومن تلك الكلمات : « علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة » إنها دعوى ! ! ولا تلقى — لو أنها كانت حقاً — من قلب المسلم إلا هشاشته وبشاشته ، وحنوه عليها بكل مشاعره ولكنها — وياحسرتى أصحابها عليها — لا تجد لها أثارة من بيِّنة لا من تاريخ رجال التصوف ، ولا من تراثهم العفن ! ! .

إنها بسمة النفاق ، وهو يقترف السجود فى المحاريب ولمعة الخنجر المسموم يحسبها الجاهل بريق لؤلؤة ! ! .

ولقد زعمها كثيرون ، وما من فئة نجمت ؛ للقضاء على الإسلام إلا زعمتها ؛ لتجعل منها خيط العنكبوت الذى تصطاد به الذباب . وما أكثر الذباب الذى يستهويه مثل هذه العفونة من قذارة النفاق . وإنى لأتحدى بكتاب الله كل أشياع التصوف أن يدلونا مجتمعين متعاونين على كتيب واحد من كتب التصوف فيه من الكتاب إشراق ، ومن السنة عبير ، أو من الإيمان روحانية ! ! .

إن الدعوى لا تكلف صاحبها إلا النطق بها ، وكل امرىء يستطيع أن يدعى ماشاء ، مادام فى ردغة الجرأة التى لا يعصمها دين ولا يسيطر عليها ضمير ، ولا يوجهها خلق كريم ، ألم يزعم الشيطان أنه خير من آدم ؟ ألم يزعم المشركون أنهم مؤمنون ؟ ألم تزعم الباطنية أنها الحقيقة العليا فى الدين ؟ ألم يزعم التصوف أنه إسلام ؟ ! غير أن صاحب هذه الدعوى لن يستطيع أن يقنع صاحب عقل بدعواه مالم يكن معه برهانها . فليأتنا المتصوف على دعواه بأثارة من برهان تدلنا على أن التصوف ينتسب إلى الإسلام فى ماضيه أو فى حاضره ؟ سواء أكان تصوف الإشراقيين ، أم كان تصوف المخابيل المفاليك العمليين — كما يزعمون — أمثال الشعرانى أو أعوانه ! ! كان لا بد لى من أن أقول هذا قبل أن أباشر مناقشة رجل كان فى يوم ما — وإن كان هو لا يذكر — أستاذاً لنا فى كلية أصول الدين ، وهو الأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمى ، أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية آداب القاهرة ، ولن يمنعنى أبداً أنه كان الأستاذ من أن أقول له مايجب أن يقول الحق لمن يحاول العدوان عليه ، فقد وقفه الأستاذ الدكتور بين طلبة المعهد العالى للدراسات الإسلامية — وكلهم من حملة الإجازات العليا — يحاضرهم عن التصوف ! ! ولا أدرى ماذا فى التصوف ، حتى يحكم على هؤلاء الطلبة الأساتذة بالإصغاء إليه ، فما فيه من خلق رضىّ ، ولا فكر سوى ، وإنما فيه نفايات من كل باطل وزندقة وضلالة .

ثم نال الأستاذ الدكتور من جماعة أنصار السنة المحمدية . لأنهم ينالون من قدسية التصوف ، أو لأنهم يحذرون المسلمين من بدعة ملعونة تتراءى فى شِفٍّ تزعم به أنها الحب الإلهى فى سحره وجلاله وإشراقه الأعظم. ونحن لا يضيرنا أن ينال منا الأستاذ الدكتور ، ولم يُغْرِنا إلى القلم أنه اتهمنا بما يتهمنا به التصوف دائماً ، وإنما أثارنا إليه ، وسيظل يثيرنا إليه — ماحيينا — محاولة من الدكتور الجليل تجهده كل الجهد ، تلك هى أن يحمل طلبته على الإيمان بقداسة التصوف ، وبأنه إسلام ! ! .

هذا مايثيرنا إلى القلم ، ويدفع بنا إلى القضاء على هذه المحاولة بالحجة القاطعة ، ونحن نقول للدكتور الجليل : لك أن تدرس التصوف ، ولـكن ليس لك أن تطالب من تلاميذك الأساتذة الإيمان بأن التصوف نبعة إسلامية ، وإشراقة روحانية ، ففى هذا خروج عن مهمتك كأستاذ ذُعِيَ : ليدرس مادة تمثـل لوناً من ألوان الثقافات التى نجمت فى البيئة الإسلامية عن أصول غير إسلامية ، فهذه مهمته ، أما أن يدرسها الدكتور باعتبارها ديناً يتقرب به إلى الله ، فهذا مالا يصح السكوت عنه أبداً ، ولا سيا ونحن نعرف أن الأستاذ الجليل عميد المعهد ، والـكثير من اسـاتذة المعهد يعرفون حقيقة التصوف ، ويعرفون أنه يناقض الإسلام فى أصوله وفروعه .

ولقد بذل الدكتور مابذل من جهد فى كثير من كتبه وأهمها « الحياة الروحية فى الإسلام ، وابن الفارض ، والحب الإلهي » بذل الجهد العنيف المضنى لعله يستطيع أن يثبت للمسلمين أن التصوف إسلام ، فما زاد على أنه جعل المسلمين يأسفون أشد الأسف لهذا الجهد القوى الفتى المضيع ، إذ كل مانتج عن مجهود الدكتور هو أنه أثبت الحقيقة التى حاول أن يسـدل عليها ستاراً كثيفاً ، تلك هى أن التصوف بدعة ملعونة لا تمت إلى الإسلام بسبب ، لا فى مولدها ولا فى أى طور من أطوار حياتها ! ! وأثبت فوق هذا أن الصوفية مخـابيل ، وأنهم فى أعظم معارفهم الذوقية ومواجيدهم الشهودية المزعومة لا يصدرون عن وعى أو عقل ، وإنما يصدرون عن سكر أو جنون .

وحسبنا هذا ، ولا أظن أن الدكتور العزيز يطيق أن نفهم عنه أنه يدعو إلى اتخاذ السكر أسوة ، والجنون قدوة ، أو إلى أن نؤمن بأن السكر أهم مصدر من مصادر المعرفة ، وأن المعارف المستمدة عنه هى فيض الكشف والشهود الذى يتحدى الوحى فى سموه ويقينه وصدقه وجلاله ، أن يكون مثله ! ! .

ولقد دمغ الدكتور الجليل أحب الصوفية لديه ، وآثرهم بمودته وإجلاله ، وهو « ابن الفارض » دمغه بما يدمغ به الفسوق عن الحق ، وإليك نص قول الدكتور فيه : « وابن الفارض فيما انتهى إليه من الوحدة ، وفيما عبر به عن هذه الوحدة لم يكن بدعاً من الصوفية ، وإنما كان مثله كمثل كثير منهم يرى مايرون من وحدة الرب والعبد ، أو الحق والخلق ، أو الله والعالم[1] » ففى هذه الفقرة يثبت الدكتور نفسه أمرين . أولهما : إيمان الصوفية بالوحدة التامة بين الخالق والخلق ، أو بأن الله هو عين خلقه . والأمر الآخر : هو أن ابن الفارض آمن كإيمان هؤلاء الصوفية ، بأن وجود الخلق عين وجود الخالق ! ! .

وما أظن أن الدكتور العزيز يستطيع أن يزعم أمام تلاميذه بأنه يؤمن بهذا ، أو بأن هذا الكفر الأصم إيمان . وإلا فليدلنا الدكتور على دين إلهى زعم هذا الزعم تلميحاً أو تلويحا ! ! ؟ .

ونحن نعرف أن القرآن حكم بكفر من قالوا : إن الله ثالث ثلاثة . فما بالك بمن يزعمون أن الله عين كل شىء ، لا ثالث ثلاثة فحسب ، لكن مابالنا نحاول الإتيان بدليل من غير كلام الدكتور — وهو الاعتراف — والاعتراف أصدق الأدلة كما يقولون — فقد قرر الدكتور أن مادان به هؤلاء الصوفية وابن الفارض إنما هو نتيجة التأثر بتراث غير إسلامى أصلاً . إذ يقول : « وجد الصوفية أنفسهم أمام تراث من الأنظار العقلية ، والأذواق الروحية ، والعقائد الدينية ، فإذاهم يستغلونها ، ويتأثرون بها على أوجه مختلفة من الاستغلال

---

(١) ص ٢٠٧ ابن الفارض والحب الإلهى .

والتأثر ، وقد كان ابن الفارض واحداً من هؤلاء الصوفية ، ولا بد أن يكون لهذا التراث العقلى والروحى أثره ومذهبه[١] » بل إن الدكتور العزيز ليدمغ حجة الصوفية الأكبر.. وهو الغزالى الذى وصفه خولدزيهر بأنه صالح بين بدعة التصوف و بين السنة . وهو تعبير دقيق يكشف عن مدى جناية الغزالى على السنة ، ويؤكده ماقاله الدكتور نفسه و إليك نص قوله : « والغزالى على الرغم من أنه كان فى فلسفته وفى تصوفه متأثراً بالفلسفة اليونانية . إلا أنه كان مع ذلك معنياً بأمور الدين ، حريصاً على أن يلائم بين فلسفته وتصوفه ، و بين أحكام الكتاب والسنة[٢] ، نراه يقرر حقيقة لا ريب فيها — ومن أجلها جانبه خير أصحابه وخير تلاميذه كالقاضى عياض وغيره — هى أن الغزالى كان متأثراً بالفلسفة اليونانية فى فلسفته وفى تصوفه . وحقيقة أخرى هى أن الغزالى كان على بينة من أن الإسلام يناقض الفلسفة والتصوف ، اللذين تأثر فيهما بالفلسفة اليونانية ، فحرص على أن يلائم بين النقيضين ، ولن تكون هذه الملاءمة إلا على حساب الإسلام ، فهذا هو الشأن دائماً عند كل من يحاول التقريب بين الحق والباطل ! ! .

أ كان ثمت مايضير الغزالى لو أنه أخذ مباشرة بالكتاب والسنة ، ووفر جهده الذى بذله فى الملاءمة بين وحى اليونان ووحى الله ليبذله فى سبيل الدفاع عن بيت المقدس والصليبية تلوث بدنسها — فى أيامه — أقداسه ؟ ! !

فماذا بعد أن أقام الدكتور بنفسه البينة على أرقى معارف الصوفية — كما يُزعم لها من من صلته بالإسلام ؟ ! أيفرض علينا الدكتور أن ندير ظهورنا للوحى الإلهى ، ونقبل على الفلسفة اليونانية نعب من نفاياتها القذرة ؟

ثم يعرض الدكتور رأى ابن الفارض فى : قدم الروح المحمدى ، وفى إيمانه بأنه هو حقيقة الوجود . ومفيض الوجود والحياة ، وهوية كل نبى وولى ، وحقيقة آدم ونوح و إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من أصحاب النبوات والرسالات . و بأنه ما كان إلا نبى واحد ظهر

---

(١) ٢٠٧ المصدر السابق (٢) ٢٠٩ المصدر السابق .

على مدى الدهور فى صور مختلفة . فله — كما يقول الجيلى — تنوّع فى ملابس ، وظهور فى كنائس . ذلك النبي الواحد الذى ظهر فى صور مختلفة هو الحقيقة المحمدية ، أو الحقيقة الإلٰهية فى تَعَيُّنها الأول ! !

و بعد هذا العرض يقول الدكتور : « نستطيع أن نرد ماقاله ابن الفارض فى قدم الروح المحمدى . . . . إلى مصدر زرادشتى فقد ورد فى أحد كتب الديانة الزرادشتية — وهو (زند آفستا) أن الصفى والولى والكلمة الذكية . كل أولئك كان قبل أن تكون السماء والماء والأرض والأنعام والأشجار والنار » فماذا بعد ؟[1]

أنتنكر لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ونؤمن بضلالة زرادشت ؟ ؟ ما أظن أن الدكتور يستطيع أن يدعونا إلى هذا ، وإن كان قد زعم أن أفكار ابن الفارض هنا أفكار إسلامية ! !

إن ابن الفارض — كما اعترف الدكتور — غنوصى فى وحدته ، ومجوسى فى قطبيته فماذا بقى له ؛ لينتسب به إلى الاسلام ؟ ؟

ثم يتكلم الدكتور عن وحدة الأديان عند ابن الفارض ، فقال شارحاً لرأيه : « كل ماهنالك من ملل ونحل ليس فى حقيقته إلا مجرد وسائل يتوسل بها إلى غاية واحدة هى عبادة إله واحد هو حظ مشترك بينها جميعاً » ثم يقول عن ابن الفارض « و بين لنا كيف ينبغى أن ينظر الانسان بعين الجمع إلى الأديان المختلفة ، فلا يفرق بين دين ودين ، و إلى الكتب الدينية ، فلا يؤثر كتابا على كتاب ، و إلى الفرق المتعددة ، فلا ينحاز إلى فرقة من دون فرقة ؛ إذ الأديان كلها من الله »[2]

والدكتور العزيز الذى يقدس قيم التصوف — إن كانت له قيم — ويحرص كل الحرص على تبيان حقائق غير مشوبة بشىء آخر ، لا بد وأن يترك لنا الحرية فى التعبير

---

(١) ص ٢٨٨ المصدر السابق

(٢) ص ٢٨٩ وما بعدها المصدر السابق .

عما نشعر به . وفى أن نقول له — غير باغين على حقه علينا كأستاذ سابق — : رويدك يادكتور . فقد طوح بك التصوف بعيداً بعيداً بعيداً !!

ولا ريب فى أنه سيحقق لنا طمعنا فى رحابة صدره ، فيجيب فى صراحة ووضوح عن هذه الاسئلة :

هل المسيحية بصليبها وثالوثها ، وتأليهها لبشر . وعشائها الربانى . وخمرتها التى تتحول إلى دم المسيح ، وخبزها الذى يتحول إلى لحم المسيح . هل هذه المسيحية هى عين الاسلام بصفاء توحيده ، وجلال نقاء عقيدته ؟! .

وهل الاسفار التى ألفتها أهواء متى ولوقا ومرقص ويوحنا وبولس هى القرآن ، أو تساويه ، أو ترف منها نفحة واحدة من هديه ؟!

وهل اليهودية بأحقادها و بغيها ، وتجسيمها المادى الأصم ، وحكمها على الله بأنه يندم ويتعب ، وعلى عيسى بأنه سليل الخطيئة ، وطاغوت يتقلب فى النار . وعلى العالم كله بأنه فى عماية وضلالة ، وزعمها أن هذا العالم كله سيصير يهودياً ، وتحت أقدام سادة اليهود وقولها — باغية — إن الله يقضى ثلاثة أيام من كل أسبوع هو وملائكته فى قراءة التلمود . . . أهذه اليهودية هى عين الإسلام ؟

وهل أسفار اليهود بما فيها من قسوة وجحود وجور ومجانة وفسوق هى القرآن ؟

وهل التلمود بما فيه من فجور الكفر وسفالة الخلق وعدوان على مقدسات أرفع القيم الروحية هو القرآن ؟

وهل المانوية بثنويتها الطاغية ، والمزدكية بشيوعيتها الباغية والبوذية ، باستغراقها فى ذهول العدم ، والبرهمية بفنائها فى طلسم مجهول . هل هذه الشهوات البشرية هى هدى الله من الاسلام ؟

هل نطمع فى أن يجيب الدكتور العزيز بصراحة عن سؤال واحد ؟ فقط عن سؤال واحد يادكتور ! !

إن ابن الفارض وابن عربى : وأشياعهما يجيبون بصراحة و بغى جرأة . وسفه قحة عن تلك الأسئلة كلها بنعم ، فهم يزعمون أن كل دين سواء أكان وضعياً أم إلهياً إنما هو حق يفيض من قدس الحقيقة . وكان لابد لهم من إفتراء هذا الزعم ؛ ليوافق دينهم فى وحدة الوجود ، فالحقيقة الإلهية هى الصنم وعابدة الصنم ، وهى فرعون وجحوده ، وهى إبليس وفجوره ، وهى أبو جهل وعمايته النكدة . بل إن الصوفية الإشراقية — على إيمانها بالوحدة التامة بين الظاهر والمظاهر — لتصف الله بالشر أكثر مما تصفه بالخير ، فتراها تخصه بإجلالها وهو يبدو فى صورة فرعون — كما تزعم — أكثر مما تفعل . وهو يبدو فى صورة موسى ! ! ومعاذ الله ؟

وللحديث بقية عبدالرحمن الوكيل

الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة

لشيخ الإسلام

محمد بن على الشوكانى

تعليقات على الصحف

عباس العقاد يدافع عن رابعة العدوية

فى عدد سابق من مجلة الهدى النبوى[1] كتبنا تعليقاً فى باب « تعليقات على الصحف » تناولنا فيه بالنقد ما قيل عن سلوك رابعة العدوية فى بعض العبادات . ولكن يبدو أن أحباء رابعة لم يرقهم ما كتبناه عن (وليتهم) فى سلوكها الدينى فهرعوا إلى الأستاذ عباس محمود العقاد يبثونه شكواهم ، ويرجونه أن يكتب شيئاً يرد به على أنصار السنة المحمدية دفاعاً عن مقدسة الصوفية رابعة ، ظناً منهم أن ذلك سينصر الباطل الذى يدعون إليه ويروجون له عن جهل وغفلة ! .

وتطوع العقاد وكتب فى يومياته التى يحررها بصحيفة الأخبار كلمة يوم ١٩٦٢/٢/٧ دافع فيها عن رابعة بعد أن دعي لها فى صدر الكلمة . ثم ترضى عنها فى ختامها .

قال العقاد فى دفاعه : انه لايحق لأنصار السنة ـ باسم السنة ـ أن ينكروا على عابد أو عابدة زيادة الصلاة على الصلوات الخمس المفروضة . فإن من سنة النبى صلى الله عليه وسلم أن يقوم الليل نصفه أو أكثر منه كما نقرأ فى سورة المزمل .

ونرد عليه فنقول : ان أنصار السنة لاينكرون على أى إنسان مؤمن أن يزيد فى الصلاة على الصلوات المفروضة . بل ينكرون ما يزعمه أحباء رابعة من أنها كانت تصلى ألف ركعة فى الليلة . لأن العقل لايصدق مثل هذا الزعم . ولأن رابعة خرجت بعملها هذا عن سنة البشر فى وجوب إعطاء الجسد حقه من الراحة وعملا بقوله « صلى الله عليه وسلم » (إن لجسدك عليك حقاً) .

قال العقاد فى دفاعه : انه لاحرج على مؤمن متدين ان يطيع الله حباً لطاعته ولا ينتظر الثواب ثمناً لطاعته .

---

(١) عدد جمادى الآخرة ١٣٨١ .

ونرد عليه فنقول : إن العقاد بقوله هذا يخالف الأمر الثابت المقرر الذى لايجادل فيه اثنان . فإن الله تعالى وعد المؤمن الصالح بالجزاء الحسن والثواب العظيم ثمناً لطاعته سبحانه وحبه له . . ومَنْ مِنَ المسلمين يعمل صالحاً و يسرع إلى طاعة الله وطاعة رسوله ولا ينتظر الثواب والأجر من الله ! ؟ . إن القرآن يقرر لنا هذه الحقيقة الثابتة فى قوله تعالى عن عباده المؤمنين (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً إلى قوله تعالى ـ متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا . الآية ٣١ : الكهف) .

قال العقاد فى دفاعه : إن حقائق جدول الضرب تغنينا عن حقائق التاريخ . وأن الألف ركعة لا تستغرق أقل من ست عشرة ساعة .

ونرد عليه فنقول : إن معرفة جدول الضرب هذه ليست قاصرة على العقاد وحده ! . بل نحن أيضاً نعرف هذه الحقائق . . فإذا كانت رابعة تبدأ فى صلاة النوافل بعد انتهائها من صلاة العشاء . . و إذا كانت الركعة الواحدة عندها تستغرق دقيقة . و إذا علمنا أن الألف ركعة تستغرق ١٦ $\frac{٢}{٣}$ ساعة . فلا بد أن رابعة كانت تظل فى صلاة النوافل حتى تشرق الشمس لتكمل الألف ركعة . ثم هى فضلا عن ذلك تكون قد ضيعت صلاة الفجر التى هى أحق من النوافل بالاداء . والله لا يقبل من مسلم نافلة حتى يؤدى الفريضة . لقوله « صلى الله عليه وسلم » (لايقبل الله نافلة حتى تؤدى الفريضة) .

و إذا كانت رابعة تؤدى الركعة فى نصف دقيقة فإن صلاتها ـ فى الحالين ـ تشبه « نقر الغراب » وتشبه أيضاً صلاة الرجل المسىء فى صلاته ، الذى كان يصلى فى مسجد الرسول . فبعد أن فرغ من صلاته جاء إلى النبى وسلم عليه ، فقال له صلى الله عليه وسلم (ارجع فصل فانك لم تصل ثلاثا . فقال الرجل : والذى بعثك بالحق لا أحسن غيره فعلمنى . فقال له (إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما . ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا . ثم ارفع حتى تطمئن جالسا . وافعل ذلك فى صلاتك كلها) .

والمستفاد من الحديث أن الرسول « صلى الله عليه وسلم » لم يعتبر صلاة الرجل صحيحة مع أنه كان يصلى ، لأنه كان « كالآلة الصماء » فى صلاته . كانت صلاة لا روح ولا خشوع ولا طمأنينة فيها . ذلك لأن الصلاة مناجاة لله سبحانه . فإذا خلت من الخشوع والطمأنينة فى القراءة والركوع والسجود ، لم تكن مناجاةً لله . بل كانت مناجاة للهوى والشيطان .

قال العقاد فى دفاعه : إن حديث رابعة عن أملها فى إرضاء الرسول يؤيده علم النفس الذى يقول إن المرأة لا تعمل عملا إلا وهى تبتغى منه أن تكسب الثناء من رجل تقدسه أو تحبه . وأن المرأة المتصوفة ليست مستثناة من قواعد الأنوثة .

ونرد عليه فنقول : إذا صح أن علم النفس يقول بهذا ، فنحن لا نؤمن بعلم النفس الذى يقول بعكس ما يقوله رب الناس الذي خلقهم ويعلم اتجاهات نفوسهم . فالله الذى خلقنا وخلق نفوسنا طلب منا ـ كمسلمين ـ أن تكون كل أعمالنا موجهة له وحده وابتغاء مرضاته . لا نشرك فيها أحداً غيره عملا بقوله تعالى (قل ان صلاتى ونسكى ومحياي ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣ : الأنعام) .

ولا نظن أن أحباء رابعة والأستاذ العقاد يجهلون بحال أن الرسول نفسه ـ وهو سيد العابدين ـ لم يكن يزيد فى تنفله فى رمضان أو غيره عن إحدى عشرة ركعة كما جاء فى حديث الصحيحين المروى عن عائشة رضى الله عنها .

على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى مقدوره أن يصلى مائة ركعة . بل مائتين ولكنه رسم للناس طريقاً يسيرون عليه فى عباداتهم ، وأمرهم ألا يكلفوا أنفسهم أكثر من الطاقة حتى لا تمل النفوس العمل الكثير فتكسل وتتوقف عن العمل لأن من طبيعتها الملل والضيق . لذلك نصحنا بأن نأخذ بالعمل القليل المحقق للفائدة . وإلا نرهق انفسنا بالعمل الكثير فقال (يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يَمَل

حتى تملوا . وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل »[1] كما جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذر (يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم باباً من العلم عُمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلى ألف ركعة[2] .

وبعد .. فان ما قيل عن رابعة من أنها كانت تصلى ألف ركعة فى الليلة قول غير معقول . ومخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أُمرنا بالسير عليها .

على أن أنصار السنة المحمدية لم يتجنوا على رابعة عندما كتبوا[3] عنها . وأنهم لما وجدوها غير سالكة فى عباداتها سبيل رسول الله ، وهو الإمام الذى يجب أن يتبعه كل مسلم . عابوا مسلكها الدينى دون أن يخافوا من لجوء أنصارها إلى من يدافع عنها . . ولو كان كاتبا كبيرا مثل « الأستاذ عباس محمود العقاد » .

ولقد كان ينبغى لمن ينصب نفسه للدفاع عن إنسان ما أن يبحث عن جانب الحق فى الأمر فيكتب لنصرة الحق . . لا أن يكون كل همه إرضاء الناس وتملق عواطفهم ونصرة باطلهم ولو خالف ذلك الحق الواضح الصريح .

* * *

كلمة حق من داعية حق

فى باب « مع الناس » بجريدة المساء كتب الأستاذ الكبير الأديب « مصطفى بهجت بدوى » كلمة عن بعض أفكاره وذكرياته . ومما قاله « . . لقد يشعر البعض بجو من

---

(١) رواه البخارى (٢) رواه ابن ماجة .

(٣) للاستاذ الكريم محمد صالح سعدان كلمة حق جريئة فى هذا الموضوع نشرت بهذا العدد من مجلة الهدى النبوى زاد فيها من البيان والأدلة مالم يسمح به نطاق « تعليقات على الصحف » فليتفضل القارىء الكريم بالاطلاع عليها .

الجلال وهم يشاهدون مواكب الطائفين المتمسحين بمقامات الأولياء وأضرحتهم . ولكنى – بكل صراحة – لا أشعر فى هذا الجو إلا بضيق واختناق .

هل تتصور أنه لا زال حتى الآن كثيرون من السذج بل عامة الناس يتوسلون بأولياء الله الصالحين – ومنهم السيد البدوى[1] – إلى الله – وهو أسلوب جاهلى غير إسلامى – ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ! ؟ . أكثر من هذا إنهم – أى السذج المساكين – قد ينسون الله ذاته فى سؤالهم قضاء حاجاتهم ، ويطلبونها من الوسيط الشفيع . وتراهم يقبلون الأعتاب ويتبركون بلمس هذه وتلك من قطع القماش البالية المحيطة بالضريح ويطوفون سبعا ولا يحسنون صنعا . وتسمعهم يتمتمون بابتهالات : يا سيد . . يا شيخ العرب . . سألناك . . سألناك . . وتفيض أعينهم من الدموع .

بماذا تسمى هذا الذى يصنعون ؟ . شرك بلاشك .

والذنب يتحملونه هم . ولكن الذنب أيضا يحمله معهم ثقيلا الشيوخ والأئمة[2] الذين يرون ويسمعون . . ويصمتون ولا يحذرون ويؤيدون ولا يرشدون .

أمر محزن حقا . . ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم .

---

(١) ان حياة البدوى التى يذكرها أحباؤه فى كتبهم بكل فخر وتمجيد ، لاتقوى الاعتقاد بأنه كان من اولياء الله الصالحين . كان البدوى كما يقولون – يسكن فى سطح أحد المنازل بطنطا يحدق بعينيه فى الشمس طوال النهار حتى تحمرا . وكان يقرأ الاوراد طول الليل . وقضى حياته كلها دون ان يتزوج . وكان يمكث اربعين يوما لا يأكل ولا يخلع ملابسه حتى تبلى . . بينما كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم – وهو سيد الصالحين – تختلف عن حياة البدوى تماما . فقد صح عنه انه قال للثلاثة رهط الذين جاؤا يسألون عن عبادته (... اما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له . لكنى اصوم وافطر واصلى وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى)

(٢) نعم . . ان الشيوخ والأئمة يحملون – إلى جانب اثم السكوت على الباطل – ذنب ضلال الأمة وانتشار البدع فى حياتها الدينية . اسمع قوله تعالى فى هذا (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألاساء ما يزرون الآية ٢٥ سورة النحل) .

غير أن الشيء الجدير بالتنويه أن وعيا أزهريا جديداً مضى يحارب الشرك الظاهر والباطن والبدع والخرافات ، وكل مايظنه الناس من صميم الدين ، وهو أبعد شيء عن الدين .

وصدقونى أنه لا شيء أيسر ولا أنق ولا أكمل من سنة محمد « عليه السلام » وأنها فى ذات الوقت أقرب ما تكون إلى الفطرة السمحاء . . . » .

« المساء يوم ١٠ـ٢ـ١٩٦٢ »

. . إنها كلمة توحيد طيبة تحدث بها إلى الناس الداعية الإسلامى الكبير الأستاذ « مصطفى بهجت بدوى » عن بعض المعتقدات الباطلة .

والحق إن المسلم الغيور على دينه ليتملكه العجب ، ويشعر بالألم حين يرى الناس يتركون الله السميع البصير القريب الذى يناديهم بقوله (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانى . .) يناديهم الله بهذا ليسألوه بلا واسطة فيفرج عن مكروبهم ويغفر لمسيئهم . ويشفى مريضهم . ولكنهم يتركون الله ويهرعون إلى حجر أصم يطلبون منه العون . ويقصدون شيئا أخرس يرجون منه المدد ويسألون ـ بالحاح ـ من أكله الدود وصار ترابا أن يغيثهم ويشفع لهم . . وإلى جانب هذا يشعر المسلم أيضا بألم وأسف شديدين لموقف شيوخ المسلمين من البدع والخرافات . ولعدم شعورهم بمسئوليتهم أمام الله فى كتمان الحق وعدم تبصير الناس بأمور الدين الذى جاء به محمد « ص » .

إن هذه الكلمة الطيبة تنطق سطورها بمدى معرفة صاحبها لمبادىء الإسلام الحق . وامتلاء قلبه بوحدانية الله تعالى فشكرا له على هذه الكلمات الإسلامية الغالية . وأكثر الله من أمثاله الكرماء الغيورين على عقيدة التوحيد الخالصة ومبادىء الإسلام الطيبة .

سعد صادق محمد

أسئلة وأجوبة :

« ١ »

جاءنا من السيد / عمر محجوب مختار الطالب بمدرسة بيت الأمانة الوسطى بالسودان السؤالين الآتيين :

١ — يزعم الكثيرون أن فضلات الأنبياء طاهرة حتى البراز والبول والدم ،ويقولون أن إحدى الصحابيات شربت بول النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليها . وأن صحابيا شرب دم حجامه ، فأثنى عليه ، وقال : لا يصيبه مرض ولا هزال بعد اليوم .

٢ — وحديث الذباب الذى يقال فيه : يحمل فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء وإذا سقط فى الطعام يغمس فيه ويؤكل الطعام .

نرجو منكم جوابا شافياً لهذين الموضوعين

الجواب

١ — ليس صحيحاً أن فضلات الأنبياء طاهرة ، بل الصحيح أنهم يتطهرون بالاستنجاء بالماء والاستجمار بالحجارة كسائر البشر . ولم يكن فضلهم وعلو شأنهم بشيء من ذلك ، وإنما كان ذلك باصطفاء الله لهم ، وإنزال وحيه وكتبه عليهم ، وقيامهم بأبلاغ رسالات ربهم إلى الناس أتم بلاغ ، وجهادهم فى سبيل الله حق الجهاد ، وكمال عبوديتهم لله رب العالمين ، ولذلك أوحى الله لرسولنا عليه الصلاة والسلام أن يقول للناس (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ) ولم يقل (بشر) فقط ولكن أردفه بقوله (مثلكم) حتى يقطع السبيل على مثل هذه الأوهام والضلالات والغلو : أما شرب البول والدم فلم أقف فيهما على خبر أو أثر ويغلب على الظن أنها أخبار مكذوبة

٢ — حديث الذباب حديث صحيح رواه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه

ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء ، وإنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء » وقد وقع شغب كثير حول هذا الحديث : وأثبت رجال فن الحديث صحته سنداً ، كما أثبت رجال فن الطب صحته متناً منذ مئات السنين ، وأخيراً ذكرت المجلة الطبية الانجليزية فى بحث لها عن الذباب أن تحت أحد جناحيه سماً ، وأن تحت الجناح الآخر ترياقا يتعادل مع السم الذى فى الجناح الآخر فيحسمه و يبطل أثره ، و إنما يقع بالجناح الذى فيه الداء ، لأنه سلاحه. والمؤمن الذى يوقن بأن النبى صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ، يجب أن يسلم بهذا الحديث وأمثاله و يعمل بها ، سواء صدّق بها غيره أم لم يصدق بها .

«ب»

وجاء من السيد/ محمد صالح محمود همدين سؤال عن حكم مس المصحف وقراءة القرآن للجنب ومن كان على غير وضوء ، وعن معنى قوله تعالى (لا يمسه إلا المطهرون) .

الجواب

فى قوله تعالى (إنه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون) يعود الضمير فى يمسه إلى أقرب مذكور ، وهو الكتاب المكنون ، وفى إعادته إلى القرآن الكريم تعسف . والمطهرون هم الملائكة ، لأن الطهارة صفة ملازمة دائمة لهم . أما ابن آدم فإنه يكون حيناً طاهراً وفى أكثر أحيانه محدثا حدثاً أكبر أو أصغر ، وكلمة (المطهرون) بصيغة اسم المفعول لا يمكن أن يفهم منها إلا ماقررنا . وخير مايفسر به هذه الآيات هو قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ) فالكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ ، لا ينازع فى ذلك إلا معاند أو جاهل ، ولا يستطيع إنسان أن يري اللوح المحفوظ فضلاً عن أن يمسه

أما قراءة القرآن ومس المصحف للجنب والمحدث فلم يرد فيهما حكم فى السنة النبوية الصحيحة ، ويبدو أن القراءة كانت مباحة فى كل حالة بدليل ماقالته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن ورأسه على فخذي — وفى رواية فى حجرى — وأنا حائض » والحيض نجاسة وأغلظ حكماً من الجنابة أو الحدث وأما المصحف فلم يكن له وجود مستقل بأكمله بل كانت سوراً وآيات مكتوبة على ماتيسر لهم مما يكتب عليه : ثم تناول الفقهاء المسألة بعد ذلك بالشرح والتشقيق مابين مبيح لقراءة القرآن ومس المصحف للجنب والمحدث مطلقا ، و بين مانع من مس المصحف وقراءة القرآن إلا على وضوء وطهارة . وقد توسط واعتدل آخرون فقالوا بجواز قراءة القرآن للتعليم أو الاستشهاد فقط للجنب دون مس المصحف أو القراءة تعبداً ، وذلك تنزيها لكتاب الله تعالى و تكريماً لآياته . أما المحدث فله أن يقرأ القرآن و يمس المصحف للتعبد والتعليم والاستشهاد ولا يكلف برفع الحدث والوضوء إلا للصلاة . وهذا هو الحق الذى يتفق مع يسر الإسلام وسماحته ، لأن نتيجة التشديد بوجوب الوضوء لمس المصحف وقراءة القرآن لا تكون إلا أحد أمرين . إما هجر القرآن ، وإما حمل الناس على الوضوء والمحافظة عليه فى كل وقت . وفى ذلك من المشقة والعسر والضيق ، خصوصاً على أولئك الذين تعلقت قلوبهم بالقرآن ، ورطبوا ألسنتهم بتلاوة آياته البينات ، وجعلوا صدورهم وعاء لكلام رب الأرض والسموات ، فطوبى لهم وحسن مآب .

وليس كل تعبد يلزم فيه رفع الحدث والوضوء ، فالصائم متعبد طول يومه ، والحاج متعبد من يوم خروجه إلى يوم عودته ، ولم يشترط أحد لصحة تعبدهما للصوم والحج وضوءاً إلا ما يكون عند أول الصلوات . وكذلك تلاوة القرآن تعبداً لا يلزم لها الوضوء .

« ح »

وجاءنا من السيد / عثمان على — من (تسنى على قدر) بأرتريا ، ما يأتى :

١ — هل هنالك سنة حسنة ؟ وما معنى قوله عليه الصلاة والسلام « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » ؟

٢ — هل الطلاق الذى تحرم به الزوجة ولا يستطيع الزوج مراجعتها حتى تنكح زوجاً غيره يقع بالتلفظ بالثلاث فى لفظ واحد أم يجب تكرار اللفظ ثلاث مرات ؟

الجواب

١ — نعم هنالك سنة حسنة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها . . . » الخ الحديث ولكن يجب أن تلقى بالك إلى لفظ الحديث فإنه قيد السنة الحسنة بأنها فى الإسلام وفى حدوده وأحكامه وشرائعه ، ولم يطلقها حتى يسن من يشاء مايشاء ما دام يراها حسنة من وجهة نظره . والناظر فى قصة هذا الحديث وسببه يتجلى له ذلك ، فقد روى أن جماعة من المسلمين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدو عليهم علامات الفقر المدقع ، والعوز الشديد حتى إنهم كانوا « يجتابون النمار » أى يسترون عوراتهم بالجلود ، فتغير وجه الرسول من شدة ألمه من حالهم، وانتدب المسلمين للتصدق عليهم ، فرأى رجلا من عامة المسلمين قد جاء يحمل صرة كبيرة ناء بحملها فوضعها بين يديه ، ثم تتابع المسلمون حتى اجتمع فى المسجد خير كثير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سن فى الإسلام سنة حسنة ...الخ » فلم يكن التصدق ولا الأمر به جديداً عليهم ، بل هو مما أفاض الأمر به فى كتاب الله وسنة رسوله ، وإنما مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا الأسوة الحسنة ، والقدوة الطيبة ، والمبادرة إلى فعل الخير ، فكأن الرجل قد سن لغيره أن يقتدى به مما هو من صميم الإسلام ، وليس أمراً خارجاً عن أحكامه وأوامره وشرائعه .

فلو أن رجلا أتى إلى حي من الأحياء أو بلدة من البلاد ليس بها مسجد فعمل على إقامته بعمله وقوله لكان ممن سن سنة حسنة فى الإسلام ، ولو أن رجلا فكر فى وسيلة

لتعاون المسلمين وتساندهم وتناصرهم ، لـكان ممن سن سنة حسنة فى الإسلام ، ولو أنه عمل على كفالة الأيتام وتربيتهم والعناية بشئونهم بتكوين هيئة تجمع التبرعات وتأخذ الصدقات ، لـكان ممن سن سنة حسنة فى الإسلام ، وهكذا فى كل ماأمر الإسلام وندب إليه من فعل الخيرات . أما من يحدث فى الدين البدع ويظن أن له فى هذا الحديث متكأ ، فقد وهم واتبع الباطل .

أما قوله عليه الصلاة والسلام « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجز » فمعناه أمره للمسلمين أن يتمسكوا بما علموا من سنته والعمل بها ، ومالم يعلموا ، يتبعوا فيه عمل خلفائه رضوان الله عليهم ، لأنهم راشدون مهديون حكماء علماء بسنة نبيهم وروح تشريع رسولهم أكثر من غيرهم ، ولأنهم أدرى بمقاصد الأحكام من كتاب الله وسنة رسوله لطول صحبتهم له وأخذهم عنه وملازمتهم له فى إقامته وسفره .

٢ — لا تطلق المرأة طلاقا لا رجعة لها إلا بعد أن تنكح زوجا غيره ، بلفظ الثلاث مرة واحدة ولا متفرقة متكررة بنص كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ولا يكون الطلاق صحيحاً موافقاً للشرع إلا إذا طلقها فى طهر لم يمسها فيه ، وله أن يراجعها فى عدتها ، وهى الثلاثة قروء ، وذلك من حقه ، فإذا انقضت العدة فله أن يراجعها بعقد جديد إذا هى رضيت بذلك . فإذا راجعها و بدا له أن يطلقها مرة ثانية فعليه أن يتبع ما كان فى المرة الأولى ، وليس له بعد الثالثة أن يراجعها إلا إذا تزوجت رجلا آخر زواجاً حقيقياً بقصد دوام العشرة الزوجية — لا بقصد تحليلها لزوجها الأول ، فذلك مما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنه — فإذا طلقها الآخر بنفس الشروط السابقة ، فللأول أن يتزوجها إذا ارتضيا ذلك وظنا أن يقيما حدود الله :

وقد كان حكم الطلاق على ذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر ،

وصدرا من عهد عمر ، ثم فشا فى الناس بدعة الطلاق الثلاث بألفاظ متفرقة — ولم يكن معروفا إذ ذاك التلفظ بالثلاث مرة واحدة — فقال عمر : « لقد استعمل الناس أمراً كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم » ولم يكن ذلك منه تشريعاً جديداً يبطل به حكم الله وسنة رسوله — حاشاه من ذلك — ولكنه فعله تعزيزاً وعقوبة للمتلاعبين بأحكام الدين ، وللوالى أن يسن من الأحكام والعقوبات الرادعة مايراها كفيلة بأصلاح المجتمع . ثم عاد الأمر بعد على ما كان عليه من الأحكام الثابتة فى الكتاب والسنة ، وليس لأحد أن يفتى بما فعل عمر إلا إذا كان والياً يفرضها عقوبة للمتلاعبين حتى يفيئوا إلى رشدهم . ولفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شاكر القاضى — رحمه الله — كتاب فى أحكام الطلاق اسمه (نظام الطلاق فى الاسلام) بين فيه كل مايتعلق بهذا الأمر بيانا شافياً فليرجع إليه من شاء والله اعلم

سليمان رشاد محمد

في كل كبد رطبة أجر

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش ، فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج ، فإذا هو بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى . فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ، ثم رقى فسقى الكلب . فشكر الله له ، فغفر له ».

قالوا يارسول الله ، وإن فى البهائم أجراً ؟ قال « فى كل كبد رطبة أجر»

حديث شريف رواه البخارى :

ضاق نطاق هذا العدد عن كثير من مقالات الكتاب والقراء الأفاضل وعن أخبار الجماعة ، وموعدنا بها فى الأعداد التالية إن شاء الله .

رابعة العدوية

وهل وافقت فى عبادتها الشريعة الإسلامية ؟

نشرت (الهدى النبوى) بعدد جمادى الآخرة سنة ١٣٨١ هـ كلمة للأستاذ سعد صادق محمد ، عن رابعة العدوية فى تعليقاته على الصحف . استهجن فيها ماقيل: عن إخراج مسرحية عن حياة رابعة ، وأنها لا تستحق شيئاً من ذلك ، حيث لم تؤد لبنى جنسها أو لوطنها أو أمتها ماتستحق من أجله التكريم ، لأن نتيجة عباداتها قاصرة على نفسها ولا تفيد أحداً غيرها ، وأن تاريخ هذه السيدة وثيق الصلة بالدروشة والدراويش . ولا تستحق مايروجه عنها الصوفية ومن على شاكلتهم ممن لا يعرفون حقائق الشريعة الإسلامية . واستهجن كذلك ماقيل من أنها كانت تعبد الله ، لا طمعاً فى جنة ، ولاخوفاً من نار . وقال : إن هذا الذى ادعته ليس فى شرع من شرائع الله التى أنزلها على أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم وسلامه — وأن ذلك زعم باطل مردود عليها . لأن الله تبارك وتعالى قص علينا فى القرآن الكريم ، فى سورة الأنبياء ، ما كان من شأن كثير منهم فى عباداتهم ، ثم قال فى ختام كلامه عن زكريا ويحيى عليهما السلام : ﴿ إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ .

ثم أنكر عليها ماقيل من صلاتها ألف ركعة فى الليلة الواحدة ، وأن ذلك غير مستطاع فى حق أقوى الرجال بنية ، وأصحهم عافية ، فكيف بامرأة ضعيفة بطبيعتها التى خلقها الله عليها ؟ وأنكر عليها أيضاً قولها حين طافت بالكعبة المشرفة « إلهى مايحول بينى و بينك إلا هذا الصنم المعبود فى الأرض » وأن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن قلب مملوء حقداً وضغينة على الإسلام وشعائره ، لا ممن يبتغى وجه الله بعبادته .

* * *

ذلك بعض ما كتبه الأستاذ سعد صادق عن رابعة العدوية . وقد طلعت علينا

جريدة (الأخبار) فى يومياتها بتاريخ ٢ من رمضان سنة ١٣٨١ — ٧ فبراير سنة ١٩٦٢ بمقال للأستاذ عباس محمود العقاد ، نسب فيه إلى أنصار السنة عدم التوفيق فيما كتبوه عن رابعة ، ودافع عنها دفاع من يجهل حقائق الأشياء ، ويعنى بالقشور دون اللباب ، كدأب كثير من كتابنا الأدباء حين يتعرضون للمسائل الإسلامية فى كتاباتهم ، فى الوقت الذى لا يعرفون فيه من حقائق الإسلام ودقائقه إلا النزر اليسير .

وسيجد القراء فى باب تعليقات على الصحف ، من هذا العدد ، مارد به الأستاذ سعد صادق ، على الأستاذ العقاد فيما تناول به أنصار السنة المحمدية ، فى مسألة رابعة العدوية .

كما أرسل كاتب هذه السطور كلمة إلى جريدة « الأخبار » رداً على مارمى به الكاتب جماعة أنصار السنة المحمدية فى مسألة رابعة العدوية ، ولكن الكاتب لم يرد نشر الرد على ما كتب ، لأنه يرى أنه أرفع من أن يرد عليه أحد ، وأن لا معقب لحكمه فيما كتب ، وهذا منتهى الغرور العلمى فيما نرى .

* * *

وقد سبق لنا أن أخذنا على الأستاذ العقاد بعض هناته فيما يحرره بالصحف اليومية خاصاً بالمسائل الإسلامية ، وأخذنا عليه كذلك اعتداده بنفسه فى كل ما يكتب ويحرر ، وأنه لا يرى الحق إلا فيما كتبه وحرره ، وإن كان الحق والصواب فى جانب مخالفيه ، وهو فى هذه القضية عن رابعة العدوية ، لم يخرج عن هذا الذى ألفه واعتاده ، فى كتاباته .

إن الزعم بأن رابعة العدوية كانت تعبد الله حباً فى الله فقط ، وليس طمعاً فى جنة أو خوفاً من نار ، وتصديق الأستاذ العقاد وغيره لهذا ، وهم باطل ، وهراء مابعده هراء ، إذ ليس هناك أحد بأفضل من أنبياء الله ورسله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ فهم القدوة للناس جميعاً فى كل الأمم ، يقول الله تعالى عنهم فى سورة الأنعام ، بعد أن ذكر ثمانية عشر من الأنبياء المرسلين (وكلا فضلنا على العالمين) .

وقد خاطب الله نبيه بعد هذه الآية فقال (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فماذا كان هدى هؤلاء الأنبياء الذين أمر الله رسوله بالاقتداء بهم ؟ .

يقول الله تعالى عنهم فى سورة الأنبياء (٢١ - ٩٠ إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين) .

هذا شأن أنبياء الله ورسله - صلوات الله عليهم - يرجون رحمته ويخافون عذابه . أما رابعة العدوية فقد زعمت أو زعم لها الزاعمون أنها لا تطمع فى جنة ، ولا تخاف ناراً ، وأنها تقول : « يا إلٰهى إذا كنت أعبدك رغبة فى الجنة فاحرمنى من الجنة . وإذا كنت أعبدك رهبة من النار ، فأحرقنى بنار جهنم . وإذا كنت أعبدك من أجل محبتك ، فلا تحرمنى يا إلٰهى من جمالك الأزلى » .

— عياذاً بالله من الجهل والضلال — .

لقد كان من سنة رسول الله وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين — صلوات الله عليهم أجمعين — كان من سنته الاستعاذة من عذاب جهنم فى صلواته كلها ، منذ فرض الله الصلاة إلى أن توفاه الله ، فكان يقول « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال[1] » .

ولكن هذه السيدة المفتونة ، أو هذه التائهة فى بيداء جهالات الصوفية الرعناء ، لا يرضيها ماسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عباداته ، فتبتكر ، بل تشرع لنفسها سنناً وعبادات ماأنزل الله بها من سلطان ، شأن كثير من الصوفية ، جرياً وراء الظنون والأوهام ، واتباعاً لما تهوى الأنفس .

* * *

ولقد أحسن أبو الفرج ابن الجوزى فى كتابه (تلبيس إبليس) حين قال عن الصوفية من أمثال رابعة ، الذين يدعون عشق الله سبحانه - فقال « ومنهم - أى من الصوفية - من ادعى عشق الحق ، والهيمان فيه ، فكأنهم تخايلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به . وهؤلاء بين الكفر والبدعة » .

(١) رواه مسلم .

أى إن هؤلاء الذين يدعون عشق الله سبحانه ـ إما أن يكونوا كفرة بهذا التخيل والادعاء ، أو هم مبتدعو ضلالة . ثم يقول ابن الجوزى : « وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع ، حتى جعلوا لأنفسهم سنناً » وهذا ماقلناه عن (رابعة) أنها شرعت لنفسها سنناً وعبادات ماأنزل الله بها من سلطان .

* * *

روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم . فلما أُخبروا ، كأنهم تقالوها . قالوا : أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم ، قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبداً . وقال الآخر : أنا أصوم النهار ولا أفطر أبداً . وقال الآخر : أنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبداً . فجاء النبى صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له . ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

فأنت ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبرأ ممن رغب عن سنته ، فهل ما كانت عليه رابعة العدوية من العبادات توافق السنة ؟ أم كانت على النقيض منها ؟ .

لا شك أنها أحدثت فى دين الله ماليس منه ، وإذاً فقد أصبح مردوداً عليها عملها ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى ديننا ماليس منه فهو رد » .

* * *

ويؤيد الأستاذ العقاد قول رابعة فى أنها لا تريد ثواباً بعملها ، ولكن « لكى يسر رسول الله يوم القيامة ويباهى بعملها الأنبياء ، ويقول « أنظروا إلى امرأة من أمتى هذا عملها » .

باطل من القول وزور هذا الذى زعمته ، وجهل من مؤيدها فى ذلك ، فأى وحى نزل عليها حتى تزعم هذا ؟ .

لم يقل أحد ، بل لم يرد فى كتاب ولا سنة أن أعمال الأمة معروضة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم القيامة ، حتى تزعم هذه المرأة هذا الزعم الباطل . و إنما الوارد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يقف على حوضه ، ويسقى منه أمته ، فيؤخذ بفريق منهم إلى النار - وهم غر محجلون ، فيعرفهم - فيقول : أمتى . أمتى . فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، غيروا و بدّلوا ، فيقول : سحقاً سحقاً[1] » .

هذا ما سيكون من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمته يوم القيامة ، فمن أين لهذه المرأة دعواها العريضة - أن الرسول سيباهى بها الأنبياء ؟

ثم إن ادعاءها بأنها تعبد الله هذه العبادة المستفيضة ليسر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو من صميم الشرك ؛ بل هو الشرك مجسماً ، فإن العبادات كلها لا تنبغى إلا لله وحده ، ولا يراد بها إلا وجه الله ، فكيف تشرك رسول الله فى هذه العبادة ليسر بها ؟

يقول الله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً[2] فهل أخلصت رابعة لله حين زعمت أنها لا تعبد الله رجاء الثواب ، وإنما ليسر بها رسول الله يوم القيامة ؟

* * *

وأنصار السنة المحمدية لا ينكرون على متعبد عبادته ، ولا على متنفل نافلته كما يدعى الاستاذ العقاد ذلك ، وإنما ينكرون على الخارجين على الآداب الإسلامية فى العبادات ، غلوهم وتنطعهم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هلك التنطعون » ثلاثا[3] . والعبادات كلها توقيفية ، ولا عبادة إلا بنص ، وإن كان كثير من مدعى العلم يجهلون ذلك .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) الآية ١١٠ سورة الكهف .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

وقد أخطأ الأستاذ العقاد أيضا حين استشهد على جواز زيادة التطوع فى قيام الليل ، إلى غير حد بما جاء فى سورة (المزمل) . فإن هذه السورة نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ، وكان قيام الليل مفروضاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شأنه شأن الصلوات الخمس بعد أن فرضت . وإذن فليست الآية محل استشهاد ، ولا قياس مع الفارق .

روى مسلم عن هشام بن طاهر أنه سأل عائشة رضى الله عنها عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : ألست تقرأ (يا أيها الزمل) ؟ قلت بلى . قالت فإن الله عز وجل افترض قيام الليل فى أول هذه السورة ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا ، وأمسك الله خاتمتها اثنى عشر شهراً فى السماء . حتى أنزل فى آخر هذه السورة التخفيف . فصار قيام رمضان تطوعاً بعد فريضة » .

* * *

إن النتيجة الحتمية لأعمال العباد فى الدنيا ، هى مجازاتهم عليها فى الآخرة ، ليس مستثنى من ذلك أحد (كل نفس بما كسبت رهينة)[1] .

وإن من هذه النتيجة أن المتقين والأبرار من عباد الله الصالحين سينعمون بما أعد الله لهم فى جنات النعيم . يقول الله تعالى عن أفضل طوائف الأمم بعد النبيين (والسابقون السابقون . أولئك المقربون . فى جنات النعيم) ثم يذكر الله بعد ذلك صنوف تنعمهم واستمتاعهم بالجنة وما فيها فيقول (يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس من معين . لايصدّعون عنها ولاينزفون . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير ممايشتهون . وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاءاً بما كانوا يعملون[2] » .

ويقول الله تعالى لأصحاب الجنة (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية[3]) .

---

(١) الآية ٣٩ ـ المدثر .

(٢) الآيات : ١١ ـ ٢٥ ـ الواقعة . (٣) الآية ٢٥ ــ الحاقة

إن جميع آيات القرآن الكريم تبين أن دخول الجنة يكون نتيجة لأعمال العبادات والقربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ، من صلاة وصيام وزكاة وحج ودعاء وتسبيح واستغفار . يقول الله تعالى ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون[١] ﴾ .

هذه نصوص القرآن الكريم تبين أنه لاغنى لإنسان ما عن الطمع فى جنته والاستمتاع بما فيها ، والخوف من عذاب النار ، والخشية من جحيمها .

ترى هل خص الله هذه المرأة — رابعة العدوية — بما لم يخص به أفضل خلقه والصفوة من عباده ؟ .

* * *

هذا مايدعو أنصار السنة إلى الإنكار على مايقال عن هذه المرأة فى عبادتها .

ومن المحتمل أن تكون امرأة صالحة واقفة عند حدود الشرع فى عباداتها ، مستنة بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك العبادات ، إلا أن الصوفية ، جهلا منهم بحقيقة الشريعة الإسلامية ، هم الذين ألحقوا بسمعتها تلك الضلالات والأباطيل . وفى هذه الحالة — إن صح هذا — تستحق من كل مسلم الدعاء لها بالمغفرة والرحمة ، لا إخراج التمثيليات ، وعمل المسرحيات باسمها .

فليتحر أولئك الكتاب والأدباء جانب الحق والصواب فيما يكتبون (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا[٢]) صدق الله العظيم .

محمد صالح سعدانه

(حاشية) إن ماحواه هذا العدد من (الهدى النبوى) عن رابعة العدوية ، فيه الكفاية للرد على الجديد مما نشره الأستاذ العقاد (بالأخبار) بتاريخ ٢٢/١٠/١٣٨١ هـ — ٢٨/٣/١٩٦٢ م وخير الكلام ماقل ودل ؟

---

(١) الآية ٧٢ من سورة الزخرف (٢) الآية ١٤ من سورة الجن .

النجـــــاة فى الصدق

خطب الحجاج يوماً فأطال الخطبة . فقال رجل من الحاضرين : « الصلاة » فإن الوقت لاينتظرك ، والرب لا يعذرك . فأمر بحبسه . فأشار قومه ، فزعموا أنه مجنون .

فقال الحجاج : إن أقر بالجنون أخلصته .

فقال الرجل : كيف أجحد نعمة الله علىَّ وأثبت لنفسى صفة الجنون التى نزهنى الله عنها . فلما رأى الحجاج صدقه خلى سبيله .

من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

صلة الرحم

اشتق الرحمن للرحم من اسمه اسماً ، فمن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله .

وأول من وصى الله تعالى ببرهما ووصلهما الوالدين فقال سبحانه على لسان لقمان من وصاياه لأبنه (يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه ، حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير) انظر كيف قرن الله سبحانه الشكر لهما بالشكر له .

ثم استمع إلى قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً) .

أرأيت كيف يأمرنا ربنا بالإحسان إلى والدينا . وهل بعد أمر الله أمر أو بعد وعظه ووصيته وعظ ووصية ؟ .

ألم تسمع كيف تعجب رسول الله ممن أدرك والديه ولم يدخلاه الجنة ؟ .

اللهم وفقنا إلى إلى طاعتك لبر الوالدين وصلة ذوى الأرحام .

• ورحم الإيمان من أقوى الوشائج -- فالمؤمنون إخوة .

فصل أرحام الإيمان ، وأوثق أواصر الإسلام تكن من المفلحين .

العدد ١٢ ذو الحجة
المجلد ٢٦ سنة ١٣٨١

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

٣٠ مليما

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

الفهرس

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٣٠ – فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ – فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ١٢ ذو الحجة سنة ١٣٨١ المجلد ٢٦

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ، فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ : إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً . قَالَ : لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ، وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً . فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً . وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً . ١٧ : ١٠١ – ١٠٤ ﴾ .

معانى المفردات

« آتينا » : أعطينا ويقول الراغب : « وآتيناهم يقال فيمن كان منه قبول » .

آيات : جمع آية وأصلها العلامة الظاهرة التى يستدل بها على شىء آخر مُلازِمٍ للشىء الأول ، ولكنه غير ظاهر .

بينات : ظاهراتٌ واضحات الدلالة .

إسرائيل : لقب لُقِّب به يعقوب بن إسحاق عليهما السلام ، فبنو إسرائيل هم نسل يعقوب .

فرعون : لقب كان يطلق على كل ملك من ملوك مصر القديمة ، ولا يهم أن نبحث عن المقصود بفرعون . أو من هو فرعون موسى ، فالقرآن يهدى إلى العبرة من القصة ، لا إلى تفصيل حقائق التاريخ[١] . ورغم أن الاسم أعجمى فإن العرب صاغوا منه فعل : تَفَرْعَنَ فلان إذا عمل فعل فرعون ، ويقال للطغاة : فراعنة .

مسحوراً : مصروف عن الحق وفى عقلك مخالطة ، أو رَجُلٌ محتاج إلى الغذاء أو رجل له رئة يعنى : أنه بشر . يقال عن الغذاء إنه سِحْر من حيث أنه يدق ويلطف تأثيره . ويقال عن الرئة . سُحْر ، وسَحْر وسَحَر . وقال ابن جرير عن مسحور : يتعاطى علم السحر : فيكون المراد من مسحور معنى كلمة ساحر .

بصائر : عظاتٌ بيِّنات وعِبَرٌ شافيات تعطى بصيرة لمن يريد أن يتبصر .

مثبورا : الثُّبور : الهلاكُ والفسادُ المُثابِرُ على الإتيان . أى المواظب من قولهم : ثابرت على كذا أى واظبت : وقيل إن المثبور هو المصروف عن الحق من قولهم : ما ثَبَرَكَ عن هذا : أى ما منعك وصرفك ؟ ! .

يستفزهم : يُزْعِجُهم .

لفيفاً : مُنْضَمًّا بعضُكم إلى بعض . فاللفيف من الناس : الجماعات من قبائل شتى .

الآخرة : يوم القيامة[٢] .

---

(١) يجب أن نؤمن بأن كل ما قصه الله فى القرآن حق قد وقع ولا ريب فيه ، ومن التكذيب القوى لله سبحانه أن تزعم أن قصص القرآن كله أو بعضه رموز إلى معان أخرى كما فعل الباطنيون وإخوان الصفا ومن دان بدينهم كالبهائيين .

(٢) أنص على هذا ، لأن الذين حرفوا الكلم عن مواضعه من اليهود ، والذين ساروا وراءهم من الصليبيين يزعمون أن المراد بالآخرة هو يوم يجىء قبل يوم القيامة ، فيجمع بنو إسرائيل من الشرق والمغرب والشمال والجنوب ويعود إليهم ملك سليمان ، ويبيدون الأشرار . وتزيد الصليبية فتزعم أنهم سيؤمنون بالإنجيل ، ويكرزون به فى العالم

المعنى

من الناس فريق لهم قلوب لا يفقهون بها وأعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها . وألسنة لا تطيق أن تنطق بالكلمة الخبيثة الملعونة ، وهم أولئك الذين يفترون على الحق أنه باطل وعلى الهدى أنه ضلالة وعلى الإيمان أنه كفر ، وعلى قدس التوحيد أنه رَدْغَةُ شرك[١] هم أولئك الذين ربطوا مصائرهم برفات الموتى الرُّفات ، وناطوا آمالهم وأحلامهم بأصنام وأوهام ، ولجوا مع الشيطان يكيدون معه لدين الحق حتى لا يُديلَ من سطوَة بغيهم وجحودهم . وفى مثل هؤلاء يقول العليم الحكيم الخبير : ﴿ إن الذين حَقَّتْ عليهم كلمةُ رَبِّك لا يُؤْمِنون . وَلَوْ جاءتهم كُلُّ آيةٍ حتى يَرَوُا العذابَ الأليم ١٠ : ٩٦ ، ٩٧ ﴾ .

ومن يتدبر القرآن يعلم أن الكفرَ ذو طبيعة واحدة فى كل الأمم فهو فى ضَرَاوة حقده ، وغليل حسده ، وأُوَار غيظه ومَقْتِهِ للنور ، يعيش فى قلوب أوليائه أصَمّ الجحود مَرْكوم الظلمات ! .

ولقد ذَكَرنا من قبل بما جاء فى نفس هذه السورة عن موقف المشركين من خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم . فقد قالوا له كما ذكر الله ﴿ لن نُؤْمِنَ لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ إلى قوله سبحانه فى قصه ما قالوا : ﴿ أو يكونَ لك بَيْتٌ من زُخْرُفٍ أو تَرْقَى فى السماءِ ، ولن نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حتى تُنزِّلَ علينا كتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ : سُبْحانَ رَبِّى ، هل كنتُ إلا بَشَراً رَسُولاً ١٧ : ٩٣ ﴾ .

وقد بين الله أنه سيحشر هؤلاء على ما كانوا عليه من دين وخلق وحالٍ ، سيحشرهم على وجوههم عُمياً وبُكماً وصماً .

---

(١) ألا ترى بعض الناس يؤمنون بأن وصف الله بما وصف به نفسه يعتبر تجسيما وأن دعاء الله وحده فيه عدوان على أولياء الله ؟ ! .

وفى هذه الآيات التى نستهدى الله سبحانه فى الكلام عنها يقص الله لنا قصة وقعت يثبت لمن يتدبرها أن كفار الجاهلية كانوا على طبيعة الذين كفروا بموسى . فقد جاء موسى قومه بتسع آيات مُفَصَّلاَت بينات يبصر بها الحقَّ من يريد أن يبصر ، ومع هذا أبى الظالمون إلا جحوداً ، فلوا أن الله أعطى المشركين ما طلبوا من آيات ، فلن يزيدهم هذا إلا عُتُوًّا وعُلُوًّا على الله سبحانه . فليست الآيات التى طلبها المشركون من خاتم الرسل بأعظم من الآيات التى أعطاها الله لموسى ، ومع هذا جحد بها قوم موسى ولَجُّوا فى طغيانهم يعمهون . ولهذا يقول الله فى نفس السورة : ﴿ وما مَنَعَنَا أن نُرْسِلَ بالآياتِ إلاَّ أنْ كذّب بها الأوَّلُونَ ، وآتينا ثَمُودَ الناقة مُبْصِرةً فَظَلَمُوا بها وما نُرْسِلُ بالآياتِ إلا تخويفاً ﴾ .

تسع الآيات[1] : وتسع الآيات التى أعطاها الله لموسى عليه السلام . قد ورد أنها تسع أيضاً فى سورة النمل . وقد جاء ذكر بعضها فى السورة وغيرها ، ولكنها وردت فى سورة الاعراف متتابعة . وإليك أولاً ما جاء فى سورة النمل : ﴿ يا مُوسى إنَّه أنَا اللهُ العزيزُ الحكيمُ . وألقِ عَصَاكَ ، فلما رآها تهتزُّ كأنَّها جانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا ، ولم يُعَقِّب ، يا موسى : لا تَخَفْ ، إنِّى لايخاف لَدَىَّ المُرْسَلُون . إلاَّ مَنْ ظَلَم ، ثم بَدَّل حُسْنًا بعد سُوء ، فإنى غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وأَدْخِلْ يَدَكَ فى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء من غير سُوء ، فى تِسْعِ آياتٍ إلى فِرْعَوْنَ وقومِهِ إنهم كانوا قوماً فاسقين . فلما جاءتهم آياتُنَا مُبْصِرَةً قالوا : هذا سِحرٌ مُبِينٌ ٢٧ : ٩ - ١٢ ﴾ .

---

(١) أوتى موسى عليه السلام آيات أخرى غير تسع الآيات هذه . ولكنها كانت له وهو مع بنى إسرائيل : منها ضربه الحجر بالعصا وخروج الماء منه ، وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى . ونتق الجبل فوق بنى إسرائيل كأنه ظلة وفلق البحر ، وغرق فرعون وجنوده ! ، ولكن كان بنو إسرائيل أغلظ الناس أكباداً ، فعبدوا الأصنام وعبدوا عجل السامرى ، وهم بين يدى هذه الآيات .

أظهرها موسى بأمر الله لفرعون ، فالله يقص سبحانه فى سورة الأعراف عن فرعون :
﴿ قال : إن كنتَ جئتَ بآيةٍ فأْتِ بها إن كنتَ من الصادقين . فألقى عصاه ، فإذا هى ثُعْبَانٌ مبين . وَنَزَعَ يَدَهُ فإذا هِى بَيْضَاء للناظرين[1] ﴾ .

أما بقية الآيات فإليك ما جاء عنها فى سورة الأعراف ﴿ ولقد أخذْنا آل فِرْعَوْنَ بالسنينَ ؛ ونقص من الثمَراتِ لعلّهم يذّكّرون ﴾ ثم قوله سبحانه : ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفانَ والجرادَ والقُمّلَ والضفادعَ ، والدّمَ آياتٍ مُفَصّلاتٍ فاستكبَرُوا ، وكانوا قَوْماً مُجْرِمينَ ١٣٣ ﴾ .

فالآيات جميعها ـ إذن ـ هى : العصا ، اليد ، السِّنين ، نقص من الثمرات ، الطوفان ، الجراد ، القمّل ، الضفادع ، الدم[2] .

ومن المفسرين من نقل أن من الآيات التسع الطور والحجر وغيرهما ، ولكن هذه الآيات التى يذكرونها كانت بين بنى إسرائيل ، لا بين فرعون وقومه ، والله قد وصف تسع الآيات فى سورة النمل بأنها « تسع آيات إلى فرعونَ وقومه » فلا يُعَدّ من تسع الآيات إلا ما كان كذلك .

كذلك ذكر بعض المفسرين حديثاً رواه أحمد عن عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال بن مروان المرادى قال : « قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبى حتى نسأله عن هذه الآية (ولقد آتينا موسى تسع آيات) . فقال ـ أى اليهودى ـ

---

(١) تفسر البهائية هاتين المعجزتين بقولها إنها عصا القدرة . وبيضاء المعرفة ، تعنى أنه لم تكن ثمة عصا حقيقية ، ولا يد تخرج بيضاء وهى ليست بدعا فى كفرها ، فقد نقلته بعجره وبجره عن الإسماعيلية .

(٢) السنين : سنى الجدب والجوع . الطوفان : مطر كثير مغرق للدور والزرع ولعله فيضان النهر الشديد . أما الدم فلعله نزيف ورعاف شديد من الأنف .

لا تقل : نبي فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين ، فسأله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تَسْرِقوا ولا تَزْنُوا ولا تَقْتُلُوا النفسَ التى حَرَّم الله إلا بالحق ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تَمشوا ببرىء إلى ذى سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة ـ أو قال : لا تفروا من الزحف « شعبة الشاكُّ ـ وأنتم يايهودُ عليكم خاصة : ألا تعدوا فى السبت . فقبلا يديه ورجليه وقالا : نشهد أنك نبي . قال مايمنعكما أن تتبعانى ؟ قالا : لأن داود عليه السلام دعا ألاّ يزال من ذريته نبي ، وإننا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود » ويعقب ابن كثير على الحديث بقوله « رواه هكذا الترمذى » والنسائى وابن ماجة وابن جرير فى تفسيره من طرق عن شعبة بن الحجاج به . وقال الترمذى : حسن صحيح . وهو حديث مُشْكل وعبد الله بن سلمة فى حفظه شىء . وقد تكلموا فيه ، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات ، فإنها وصايا فى التوراة[1] لا تعلّق لها بقيام الحجة على فرعون » ثم يبسط ابن كثير أدلته ، ثم يقول : فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات إنما هى ما تقدم ذكره من العصا واليد والسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، التى فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه ، وخوارق ودلائل على صدق موسى ووجود الفاعل المختار الذى أرسله . وليس المراد منها كما ورد فى هذا الحديث ، فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه ، وأى مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون ، وما جاءهم هذا الوهم إلا من قبل عبد الله بن سلمة فإن له بعض ما يُنْكر ، والله أعلم . ولعل ذَيْنِك اليهوديين إنما سألا عن العشر الكلمات[2] فاشتبه على الراوى بالتسع الآيات فحصل وهمٌ فى ذلك . والله أعلم » وما قالهّ ابن كثير يشهد له بالدقة والبصيرة والإجلالِ لهدى القرآن .

---

(١) وردت فى سفر الخروج .

(٢) أى الوصايا العشر الواردة التوراة التى وصى الله بها موسى وأساسها توحيد خالص .

هذه الآياتِ التسع البينات لم يفتح أولئك المجرمون لها قلوبهم ، فلم يؤمنوا . وكذلك كل كافر لَجّت به غواية كفره .

« فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم » قد يكون الأمر « فاسأل » موجها إلى موسى عليه السلام ، فيكون المعنى : فاسأل ياموسى فرعونَ أن يعطيك بنى إسرائيل . وقد يكون الأمر موجها إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فيكون المعنى . فاسأل يا محمد بنى إسرائيل عن هذه القصة ؛ ليظهر لهم وللمشركين صدقه فى دعواه أنه رسول من عند الله . ومن أدلته إخباره عن قصص السابقين ، وهو الأمى الذى لم يدرس التاريخ ، ولم ينقب عن الآثار أوفى الأسفار . وهذا يدل على أنه كان عند بنى إسرائيل علم هذه الآيات ، ويوحى بأنه كان يجب عليهم أن يكونوا أول الناس إيمانا بمحمد هذا الذى يعرفون من تواتر الأخبار عنه أنه لم يكذب على الناس ، فيستحيل أن يكذب على الله . وعلى أنه لم يكن يعرف مما قصه القرآن شيئا قبل نزوله عليه ، فإخباره عن ذلك التاريخ البعيد إخبارا صادقا لم يأته عن الناس ولا عن الكتب ، ولا عن شيء آخر ، يثبت أنه إنما جاءه عن الله سبحانه ، وقد وافق ما جاء فى التوراة .

موقف فرعون : والكفر لم يجد شيئا يلوذ به لمعارضة الوحى ومناهضته سوى أن يزعم أن رسل الله مسحورون ، فليس كل امرئ ساحرا ، ليستطيع أن يتبين أرسول الله حقا مسحور — كما يزعم الزاعمون — أم لا . نجد فرعون يقول لموسى : إنى لأظن أنك رجل قد أصابك السحر ، فصرفك عن الحق الذى آمن به قومى ، وهو أنى ربهم الأعلى ! ! .

وفى تعبيرِ فرعون بكلمة « أظن » نزعة من استكبار الطغاة ، كأنما يريد أن يقول إن سحر موسى لايحتاج إلى اليقين ، بل يكفى فى إثباته الظن ، وأن موسى أقل من أن يحتاج فرعون فى أمره إلى اليقين .

رأى ابن عربى فى فرعون : بهذه الآيات وغيرها يحكم كل مسلم على فرعون بما حكم الله

به عليه ، وهو أنه كافر جاحد دمرته لعنة الله ، وأن النار تعرض عليه غدوا وعشيا ، وأنه سيدخل يوم القيامة أشد العذاب .

فماذا قال الشيخ الأكبر للصوفية والكبريت الأحمر سيدهم ومولاهم كما يكتبون ويقولون فى الإذاعة : « ابن عربى » ؟ .

إليك نص ما يقول فى الفص الموسوىّ من كتاب « فصوص الحكم » - وهو يتحدث عن موسى بالنسبة لفرعون : « كان قُرَّة عينٍ لفرعونَ بالإيمان الذى أعطاه الله عند الغرق فقبضه طاهرا مُطَهَّراً ليس فيه شىء من الخَبَثِ ؛ لأنه قبضه عند إيمانه ، قبل أن يكتسب شيئا من الآثام ، والإسلامُ يَجُبُّ ما قبله » إن ابن عربى يعطينا الدليل فوق الدليل على أنه كان مدمنا للتحرف اللئيم فى الكيد الدنىء لدين الله ، فقد ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، أما هو فيضرب مثلا بفرعون ! ! وهل ينفع مثل هذا الإيمان صاحبه ؟ .

ثم يقول فى مكان آخر من نفس الفصّ من الكتاب المذكور : « فنجاه الله من عذاب الآخرة فى نفسه ، ونجَّى بدنه . . . فقد عمَّته النجاةُ حِسًّا ومعنى » ثم يقول عن هذا الكفر الجاحد بهدى القرآن : « وهذا هو الظاهر الذى ورد به القرآن ، ثم إنا نقول بعد ذلك : والأمر فيه إلى الله لما استقر فى نفوس عامة الخلق من شقائه ، ومالهم نص فى ذلك يستندون إليه » يؤكد إيمانه بنجاة فرعون ، ويتهم الذين يحكمون بما حكم الله به على فرعون بأنهم ليس لهم نص فى ذلك يعتمدون عليه ! ! كأنما كتاب الله لا يصلح لكى يكون نصا فى هذا الأمر ! ! .

فليقل لنا الذين يعبدون ابن عربى رأيهم فى هذا ! ! .

فهذه الكلمة وحدها تخرج صاحبها من زمرة المسلمين ، فما بالك بدواهى الكفر فى كتاب الفصوص وغيره من الكتب ؟ ! .

رد موسى على فرعون : ويرد موسى فى غلب الحق وعزته وقوة قهره رد الواثق الموقن المطمئن المتوكل على القوى القهار ، فيدمغ فرعون بالجحود ، وبأنه يقول غير ما استقر فى أعماقه . إذ يقول له : إنك لتعلم أنه ما أنزل هذه الآيات التى جئتك بها إلا رب السموات والأرض . وقول موسى لفرعون « لقد علمت[١] » يفيد أن فرعون كان موقنا فى نفسه بصدق موسى ، ولكن منعه العناد عن الإسلام ، وحال بينه وبين أن ينصاع لما استقر فى أعماق نفسه . وما قال موسى هذا إلا عن بينة ودلائل جعلته يقول لفرعون ما قال ، وإلا عن تجربة يقينية ومعرفة صادقة كاملة بطبيعة نفس فرعون الذى رباه ، وقد صدق الله موسى فى قوله هذا . وذلك إذ يقول عن موقف فرعون وقومه من هذه الآيات فى سورة النمل : (وَجَحَدُوا بها واسْتَيْقَنَتْها أنفسهم ظُلْماً وعُلُوًّا ، فانظر كيف كان عاقبةُ الْمُفْسِدين) تفيد الآية أن اليقين بصدق دعوى موسى كان مستقرا ثابتا فى نفوس هؤلاء ، ولكنهم أبوا إلا جحودا وعنادا .

ثم جاء موسى بالصفة التى كان يجحد بها فرعون ، وهى صفة الربوبية فقال « رب السموات والأرض » وقد كان فرعون يزعم أنه الرب الأعلى مستدلا بأن له ملكا ، وجنات تجرى من تحتها الأنهار ، وصدق الصوفية دليله ، فأكد ابن عربى أن فرعون كان صادقا فى زعمه أنه هو الرب الأعلى ، وأنه كان عينَ الحق فى صورة سُمِّيَ فيها باسم « فرعون[٢] » ! ! موسى يؤكد أن الذى أرسله هو الله ، وأنه هو رب السموات والأرض ، وفرعون وابن عربى يزعمان أنه ما كان ثمت من رب أعلى سوى فرعون ! ! ثم وصف موسى هذه الآيات التى أرسله الله بها بأنها بصائر . إن كل واحدة منها بصيرة

---

(١) أكد موسى قوله باللام ، وبقد ، وجاء بالفعل الذى يفيد اليقين وهو « علم » وجعله يدل على الماضى ، ليكشف عن حقيقة فرعون ، وهو أنه جاحد . لأنه استقر فى قلبه قبل محادثته لموسى بأن هذه الآيات من عند الله .

(٢) انظر ص ٢١٠ وما بعدها ، فصوص الحكم طبع الحلبى ، ومن عنده طبعة أخرى فلينظر فى الفص الموسوى قبل نهايته بقليل .

مشرقة تهدى إلى الحق وإلى الخير لمن شاء أن يتبصر ، أو تكون له بصيرة ، والإنسان يهتدى أجمل الهدى ببصيرة واحدة ، فما بالك بتسع بصائر « وإنى لأظنك يا فرعون مثبورا » لم يقابل موسى ظن فرعون بمثله ، فشتان ما ظن الطاغوت ، وظن الرسول ! ! إن ظن فرعون يتنزى تحقيرا واستكبارا وبهتانا ، أما ظن موسى فيشرق إيمانا وإسلاما لله . فما أراد موسى أن يحدد مصيره ، فقد يتوب غدا ولاسيما ، وهو يتحدث عن هلاكه . وهذا أدب تعرفه النبوة وأنصارها . وفى قول موسى « أظنك » الدليل القاطع على « بشريته » فالإله يعلم ما سيكون كما يعلم ما كان . أما البشر ، فلا يعلم أحدهم ماذا يكسب غدا ، فكيف يعرف ما يكسب سواه ؟ ! لهذا قال موسى « أظنك » أقول هذه البديهية ؛ لأن الصوفية يزعمون ـ كابن عربى وابن الفارض ، وعنهم أخذت البهائية ـ أن الرسل هم أجساد تتجلى فيها الحقيقة الإلهية ! ! .

عاقبة ومصير : وأراد فرعون أن يزعج المسلمين من قوم موسى ، أن يضرب أيامهم بالقلق والتشريد ، أو أراد أن يستأصلهم ، فماذا حدث ؟ .

لقد حاق به مكره السيء ، فنفى هو من على وجه الأرض هو والطاغون من قومه بالغرق ! ! .

أما المسلمون من بنى إسرائيل ، فأبى الله إلا أن يظلوا على وجه الأرض التى أراد فرعون أن يستأصلهم من عليها . وفى ذكر هذا تلويح ببشارة لخاتم الرسل ، تتمثل فى أن الله سيعيده إلى مكة التى استفزه المشركون منها . وقد تم ذلك .

ثم يقول الله للمسلمين من قوم موسى : « فإذا جاء وعد الآخرة جئنابكم لفيفا » إذا جاء وعد الآخرة حشرناكم يختلط بعضكم ببعض ، من أسلموا مع من كفروا ، ثم يفصل الله بين الفريقين ، ويميز بين المسلمين والكافرين .

وإنى لأعجب لليهود حين يفتخرون بمثل هذا . فالله ما نصر اليهود على فرعون بصفتهم يهود ، فالله لم ينزل يهودية ولانصرانية ، ونفى عن خليله إبراهيم ما بهته به

الفريقان ، فقال سبحانه . « ما كان إبراهيم يَهُودِيًّا ولا نَصْرَانيًّا ، ولـكن كان حنيفا مُسْلِما ، وما كان من المشركين » إنما صنع الله مَا صنع لموسى ، وللذين آمنوا به ، وأسلموا لله مع موسى . وانتساب اليهود اليوم إلى موسى فيه بهتان وإثم كبير ، فموسى لم يدع إلى الإثم ، ولا إلى الحقد ، ولا إلى الفواحش ، ولا إلى البغى . وكل هذه من صفات هؤلاء .

إننا نحب الذين أسلموا لله مع موسى ، أما الذين حرفوا الـكلم عن مواضعه ، فلعنهم بلعنة الله ، فقد قال الله عنهم (لقد أَخَذْنَا ميثاق بنى إسرائيلَ ، وَأَرْسَلْنَا إليهم رُسُلاً كُلَّما جاءَهُمْ رسولٌ بما لا تَهْوَى أنفسُهم فَرِيقاً كَذَّبوا ، وفَرِيقاً يَقْتُلُونَ . وحَسِبُوا أَلاَّ تَـكُونَ فِتْنَةٌ ، فَعَمُوا وَصَمُّوا ، ثم تاب اللهُ عليهم، ثم عمُوا وَصَمُّوا كثيرٌ منهم ، واللهُ بَصيرٌ بما يعلمون ٥ : ٧٠ ، ٧١) ولعنهم الله ولعنهم رسلهم : (لُعِنَ الذين كَفَرُوا مِن بَنى إسرائيلَ على لسانِ داوُدَ وعيسى ابن مَرْيَمَ ذلك بما عَصَوْا ، وكانوا يَعْتَدُونَ. كانوا لا يَتَنَاهَوْنَ عنْ مُنكَرٍ فَعَلُوه لَبِئْسَ ما كانوا يَفْعَلون . تَرَى كثيرا منهم يَتَوَلَّوْنَ الذيَن كَفَرُوا ، لَبِئْسَ ماقدَّمت لهم أنفسُهم أنْ سَخِطَ اللهُ عليهم ، وفى العذابِ هُمْ خالدون ٥ : ٧٨ ـ ٨٠) وكل يهودى فى العالم ملعون بهذه اللعنة ، فما من عباد الله يهود ، وإنما عباد الله المسلمون الذين أسلموا لله مع موسى وعيسى وخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم . جعلنا الله من صفوة أتباعه ، وحشرَنا معه يوم القيامة ، إنه سبحانه سميع قريب مجيب الدعاء .

عبد الرحمن الوكيل

محاضرات المركز العام

تلقى المحاضرات العامة بدار المركز العام للجماعة بالقاهرة ـ ٨ شارع قوله بعابدين مساء السبت والأربعاء بعد صلاة المغرب . من كل أسبوع . والدعوة عامة .

توحيد الله عز وجل

(الغفار) صيغة مبالغة من الغفر بمعنى الستر . ومنه سمى المغفر الذى يلبس فى الرأس عند الحرب . لأنه يسترها من الضرب . فمعنى الغفار الكثير المغفرة لذنوب عباده وسيئاتهم كما قال تعالى (وإنى الغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وقال (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) وهذه المغفرة تتسع لما شاء الله من الذنوب إلا الشرك بالله عز وجل ، فهو الذنب الذى لا يغفر والكسر الذى لا يجبر قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) وفى الحديث القدسى الصحيح (ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفرونى أغفر لكم) وفى الحديث الآخر (يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا غفرت لك ما كان منك ولا أبالى) .

ولكن سعة هذه المغفرة يجب أن لا تجرىء العبد على معصية الله عز وجل ، بل يجب أن يكون على حذر وأن لا يأمن مكر الله ، فأنه لايدرى إن كان ممن سيدخل بحبوحة المغفرة أو مضيق المؤاخذة . فعليه أن يكثر من الاستغفار ويقدم التوبة النصوح التى لا يبقى معها فى القلب عزم على العودة إلى الذنب أو الإصرار عليه بل يكثر الندم والبكاء كما قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار) .

والاستغفار الذى هو طلب المغفرة من أفضل الذكر ، فهو اعتراف من العبد على نفسه بالتقصير والعجز المستوجب للمؤاخذة واعتراف منه بأنه كذلك لا يغفر الذنب ألا الله ، ففيه إظهار لمنتهى الذل والعبودية مع الأقرار لله بعزة الألهية . ولهذا ورد فى فضل الاستغفار

كثير من الآيات والأحاديث وقد ورد أنه يجلو صدأ القلب كما يجلو الكير صدأ الحديد .

وفى الحديث الصحيح سيد الاستغفار أن يقول العبد (اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفرلى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فى المجلس الواحد يقول (اللهم اغفرلى وتب على إنك أنت التواب الرحيم) .

القهار : صيغة مبالغة من القهر وهو الإرغام والإذلال بحيث لا يبقى للمقهور مكنة للتخلص من آثاره ، فهو سبحانه القاهر فوق عباده يجبرهم على ما أراد ويجرى عليهم أحكامه القدرية وسنته الكونية فى الإحياء والإماتة والبسط والقبض والصحة والمرض واللذة والألم والقدرة والعجز والعزة والذل والأعطاء والمنع ، وغير ذلك مما لا يستطيعون منه فكاكاً ولاله تبديلا فلا موجود إلا وهو مسخر تحت قهره وقدرته عاجز فى قبضته .

وهو سبحانه يقصم ظهور الجبابرة من أعدائه ، فيديل لأوليائه منهم وينصرهم عليهم ويأخذهم فى الدنيا بالمثلات وعذاب الخزى . وفى الآخرة يضطرهم إلى عذاب النار وبئس المصير .

وقد ورد هذا الإسم الجليل فى القرآن دائما مقرونا بكلمة التوحيد إشارة إلى أنه القاهر لعباده وحده ، لا قاهر لهم سواه . قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام فى حديثه مع صاحبى السجن (يا صاحبى السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون) .

وقال تعالى من سورة ص (قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار . رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار) وقال تعالى من سورة الزمر (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار .

الوهاب : الهبة العطية الخالية عن العوض . فمن كثرت عطاياه بهذه الصفة يسمى جوادا وهابا . ولن يتصور الجود والعطاء والهبة حقيقة إلا من الله تعالى ، فهو الذى يعطى كل محتاج ما يحتاج إليه لا لعوض ، وهو مفيض الوجود على كل موجود وكل ما بالعباد من نعمة فهى من فيض جوده قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وقال تعالى (لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما)

وقال تعالى على لسان الراسخين فى العلم (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) وقال سبحانه على لسان سليمان بن داود عليهما السلام (رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب) وفى الحديث الصحيح (إن يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ألم تروا إلى ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغض مما فى يده) .

وفى الحديث القدسى (يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فاعطيت كل واحد مسألته ، ما نقص ذلك من ملكى ألا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) .

والهبة تشمل النعم المادية المحسوسة من الأموال والبنين والحروث والأنعام وأنواع الرزق التى يتفضل الله بها على عباده ، ويشمل الهبات الروحية وهو ما يجعله الله فى القلوب من الرحمة والمحبة والأخلاص والتقوى ، وما يفتحه على عبده من الفهوم والمعارف التى يتخلص بها من ظلمات الجهل والضلال .

نسأل الله أن يهب لنا من رحمته ما يرينا الحق حقا فنتبعه ، والباطل باطلا فنتجنبه أنه ولى المتقين .

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

دراسات فى التوحيد

بقلم الدكتور أمين رضا

الأستاذ المساعد بكلية طب الاسكندرية

(٢) الضلال الأساسى عند النصارى

لقد اهتم كولان دى بلانسى فى قاموسه كل الاهتمام بإفراط قومه فى اتخاذ الأولياء من دون الله ، واتخاذهم الصور والأضرحة ومتعلقات القديسين وسائل للتقرب إلى الله . هذا الشرك المتغلغل فى دينه لا يعد شيئاً بجانب شرك آخر هو أعظم خطراً على عقيدة النصارى وإيمانهم . ذلك هو قولهم إن عيسى بن مريم ليس رسولا بشراً عادياً ، كموسى وإبراهيم ونوح وغيرهم ممن سبقوه من الرسل ، وإنما هو شىء غير هؤلاء جميعاً . فعقيدتهم الأساسية فيه مبنية على ثلاثة ادعاءآت لا يصل إلى فهمهما عقل الإنسان ، ويحرم أصحابها أن يناقشها أحد منهم ، وإلا أدى به ذلك إلى الكفر

أول هذه الإدعاءآت هو التجسد ، وهو لغز من الألغاز ، إذ أنهم يقولون إن الله سبحانه وتعالى نزل إلى الأرض فى جسم إنسان هو عيسى بن مريم . وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا الادعاء ونفاه بقوله (٥ : ١٧ و٧٢ : لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) .

أما اللغز الثانى فهو الثالوث ، أى أن الله واحد ولكنه مكون من «أفراد» أو«أقانيم» ثلاثة : الأب ؛ والابن ، وروح القدس ، والابن هو عيسى بن مريم . وإذا سألتهم كيف يكون الله واحداً وثلاثة ، قالوا لك إن شرح ذلك بسيط جداً ، فإنك إن أوقدت ثلاثة عيدان من الكبريت مجتمعة ملتصقة فإن النار التى تنطلق منها واحدة وهى ثلاثة . وهذا الإدعاء الغريب هو ما قصه الله فى قوله جل شأنه (٩ : ٣١ : وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله) ، وفى قوله سبحانه وتعالى (٥ : ٧٣ : لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد : وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم .)

والعقيدة الأساسية الثالثة عند النصارى هى عقيدة الصلب والفداء[١] ، أى أن عيسى ابن مريم ، وهو فى زعمهم ابن الله ، بل الله نفسه فى إدعاء بعضهم ، تجسّد فى جسد إنسان ونزل إلى الأرض وعذب ، وصلب ، ومات قتيلا ، فضحى بنفسه فى سبيل تخليص البشرية من آثامها[٢] . وهذا هو الادعاء الذى يكذبه الله تكذيباً قاطعاً فى قوله (٤ : ١٥٧ ـ ١٥٩ : وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم ، رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزاً حكيما . وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) : وكذلك فى قوله سبحانه وتعالى (٣ : ٥٥ : إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إلىّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) .

وقد نفى الله الخبير الحكيم الإدعاءآت النصرانية الشركية فى كتابه الكريم . فقال جل جلاله (١١٢ : ١ : ١ ـ ٤ : قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) : وقال سبحانه وتعالى (٢٥ : ٢ : الذى له ملك السموات والأرض ، ولم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شىء فقدره تقديراً) ، وقال أيضاً (٧٢ : ٣ : وأنه تعالى جد ربنا ، ما اتخذ صاحبة ولا ولداً) .

---

(١) راجع (عقيدة الصلب والفداء) للشيخ محمد رشيد رضا — مطبعة المنار — سنة ١٣٥٣ هـ ، وهى رسالة مسهبة فى تفنيد هذه العقيدة ، وإثبات عدم تأكد النصارى من صلب المسيح . (منقولة عن مجلة المنار)

(٢) أنظر رسالة : نظريتى فى عقيدة صلب المسيح وقيامته . لمحمد توفيق صدقى مطبعة المنار بمصر (مطبوعة مع الرسالة السابقة لمحمد رشيد رضا) وفيها أثبت المؤلف أن كتب النصارى تختلف فى صلب المسيح . وينتهى إلى إثبات وجود عدة احتمالات لتفسير ما حدث يوم صلب المسيح وقيامته ، وكل هذه الاحتمالات يمكن تدعيمها بنصوص إنجيلية

ونحن المسلمين المؤمنين يكفينا هذا النفى ، لأنه من لدن العليم الخبير ، وتدبر قوله سبحانه وتعالى لرسولنا الكريم (٤٣ : ٨١ ـ ٨٢ : قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين . سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون) . وهذه الآية فيها التحدى الذى لا نهاية له للنصارى فى أن يثبتوا ألوهية عيسى عليه السلام .

نعم : إن المسلمين يكفيهم هذا النفى ، إلا أنهم يتعجبون ويتساءلون كيف وصلت الحال بالنصارى إلى هذه الدرجة البعيدة من الضلال والزيغ فى العقيدة ، التى لا سند لها إلا ظنون واهية ، حكم الله فى كتابه العزيز بأنها كفر وباطل ، وأعنى بالبراهين الساطعة التى قضت على كل ما أدلوا به من أساطير .

هل حسب هؤلاء النصارى أن الله سبحانه وتعالى يحتاج إلى ولد ، كالإنسان يحتاج إلى ولد يعاونه فى عمله وفى شيخوخته ؟ كلا ! إن الله هو الذى خلق السماوات والأرض ، وهو الذى يدبر الأمر ، ويحيط بكل شىء علماً . فهو إذاً غنى عن الولد . وتدبر مايقول سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم (١٩ : ٣٤ ـ ٣٥ . ذلك عيسى بن مريم ، قول الحق الذى فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد ، سبحانه ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) ، (٢ : ١١٦ : وقالوا اتخذ الله ولداً ، سبحانه ، بل له مافى السماوات والأرض ، كل له قانتون) ، وقوله أيضاً ١٨ : ٨٨ ـ ٩٣ : وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئاً إداً . تكاد السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هداً . أن دعوا للرحمن ولداً ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً ، إن كل من فى السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) .

ثم كيف يكونُ لله سبحانه وتعالى ولد ولم تكن له صاحبة (٩ : ١٠ ـ ١٠١ : وجعلوا لله شركاء الجن ، وخلقهم وخرقوا له بنين و بنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون . بديع السماوات والأرض : أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شىء ، وهو بكل شىء عليم) .

إن ادعاء وجود ابن لله سبحانه وتعالى يحتم أن يكون هذا الابن إلها هو أيضاً . فالإله على فرض أنه يلد ، لا يلد إلا من هو من جنسه : وهذا ما جعل النصارى يتخبطون بين اعتبارهم عيسى ابناً لله وقولهم ، إنه هو الله وقد تناسى هؤلاء أن جود إلهين اثنين فى هذا العالم يؤدى بالعالم إلى الفناء ، لتضارب إرادتيهما ، واصطدام قوتيهما : وسبحانه وتعالى عن كل ماذهبوا إليه ، هو الله الواحد الأحد الذى قال (٢٣ : ٩١ ـ ٩٢ : ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، اذاً لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، صبحان الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة ، فتعالى عما يشركون) ، وقال سبحانه وتعالى (١٧ : ١١١ : وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذل ، وكبره تكبيراً) .

ثم إن الله تعالى إذا أراد أن يكون له ولد ، فإنه رب الإرادة القاهرة المسيطرة ، فمن ذا الذى أوحى إليهم أن الله قد اختار عيسى وهم لا يعلمون ؟ إن الله يرد عليهم فيقول سبحانه وتعالى (٣٩ : ٤ : لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء ، سبحانه هو الله الواحد القهار) .

وما البرهان على أن عيسى يليق لهذه المهمة ؟ هل قال للنصارى هذا ؟ كلا ، إنما قال لهم إنه رسول بشر مثلهم ، وما أمرهم إلا أن يعبدوا الله عز وجل . اسمعوا ماقال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (٥ : ١١٤ — ١١٨ : وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلٰهين من دون الله . قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ، إنك أنت علام الغيوب . ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به ، أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) .

وإذا كان عيسى عليه السلام لم يقل إنه ابن الله ، فمن ذا الذى أسبغ صفات الألوهية

عليه كما يزعمون ؟ ! . مافى عيسى أثارة من ألوهية ، إنمـا هو بشر ، وأمه بشر ، فقد كانا يأكلان الطعام كبقية الناس ، عن جوع ، وهل يجوع الإلٰه ؟ ! وأكلهما يستلزم أنهما كانا يخرجان الفضلات كما يفعل كل الناس . فـكيف تقولون بعد ذلك إن عيسى كان إلٰهـاً ، أو ابن إله ، وأن مريم كانت إلهًا ، أو أم إله ؟ ﴿ ٥ : ٧٦ — ٧٧ : ماالمسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، أنظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنى يؤفـكون . قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لـكم ضراً ولا نفعاً ، والله هو السميع العليم . قل ياأهل الـكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل ﴾ .

ثم إن الله قاهر فوق عباده ، وعيسى منهم . ومن مظاهر هذا القهر أن الله سبحانه وتعالى لو أراد أن يهلك عيسى وأمه ، مااستطاع أحد أن يحول بينهما و بين إرادة الله القاهرة (٥ : لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً ؟ ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شىء قدير) .

و إن عيسى عليه السلام عبد الله ليشرفه أن يكون عبداً لله ، ولايستطيع أن يستنكف عن عبادته . يدل على ذلك قول الله (٢١ : ٢٦ — ٢٩ : وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه ، بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ، وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) و (٤ : ١٧١ — ١٧٢ : ياأهل الـكتاب لا تغلوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لـكم ، إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له مافى السموات وما فى الأرض ، وكفى بالله وكيلاً . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ، ولا الملائـكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته و يستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً) .

إن هذه القضية – قضية بطلان تأليه عيسى وجعله ابناً لله — قضية سهلة ، لأن دحض مايحتجون به سهل بسيط . ومع ذلك فإن الله دمغها بحجج قوية بالغة . فالله سبحانه وتعالى لا ينبغى له أن يتخذ ولداً : بل إن وجود الابن الإلٰه غير ممكن لعدم وجود صاحبة لله سبحانه ، ولعدم وجود إلٰهين لهذا العالم ، ولا يمكن أن يكون عيسى ابنًا لله ، لأن الله لم يخبرنا بذلك ، ولأن عيسى لم يدّع ذلك ولم تكن له أية صفة من صفات الألوهية ، بل إن عيسى عبد من عباد الله ، يتصرف الله فيه كما يشاء ، ويتشرف عيسى بعبوديته لله أيما شرف . كل هذه الحجج القوية وردت فى كتاب الله الكريم . ويضاف إليها ماجاء فى هذه الآيات جميعها من وعيد وتهديد ، وتذكير بعذاب الآخرة ، والحكم على الذين يؤلهون عيسى بالكفر والشرك والضلال والغلو فى الدين ، مما ينزل عليهم اللعنة ، ويحرم عليهم الجنة .

ولقد وصفهم الله بالكذب وفضحهم به ، لأن كل الحجج تكذبهم ، وبما أنهم لا يحملون فى أيديهم أى برهان على صدق دعواهم . فإنهم إذًا كاذبون خرفون ، إن يتبعون إلا أهواءهم ، وأهواء أحبارهم ، ويصدقون مايخيله إليهم جهلهم ، وتصوره لهم خرافاتهم ويخترعه القسس والرهبان . فقد قال الله عنهم (٣٧ : ١٥١ — ١٥٢ : ألا إنهم من إفكهم ليقون . ولد الله ، وإنهم لكاذبون) . وقال بعضهم (٩ : ٣١ — ٣٢ : وقالت اليهود عزير بن الله ، وقالت النصارى المسيح بن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ، والمسيح بن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلٰهًا واحداً لا إلٰه إلا هو ، سبحانه عما يشركون) . وقال يصف كذبهم (١٠ : ٦٨ — ٧٠ قالوا اتخذ الله ولداً ، سبحانه ، هو الغنى ، له مافى السموات ومافى الأرض ، إن عندكم من سلطان بهذا ، أتقولون على الله مالا تعلمون ؟ قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ، ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) . وقال أيضاً

(١٨ : ٤ — ٥ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً . مالهم به من علم ولا لآبائهم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً) .

ولقد فضح الله كذب أهل الكتاب فى ادعاآتهم المختلفة عن عيسى عليه السلام فأخبر نبيه محمداً بالآيات التالية . بعد أن ذكر سبحانه وتعالى قصة عيسى فى سورة آل عمران من كتابه الحكيم . تحداهم تحدياً جليلاً قويا (٣ : ٦١ — ٦٢ فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم ، فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . إن هذا لهو القصص الحق ، وما من إله إلا الله ، وإن الله لهو العزيز الحكيم) .

والآن فلنبحث عن السبب الذى من أجله ضل النصارى فادعوا كذباً أن عيسى هو ابن الله . هل كان السبب هو أنهم بهروا لأن أمه حملت فيه ولم يمسسها بشر ؟ ولكن الحق يقول لهؤلاء : كيف تضلون هذه الضلالة ، وأنتم تعلمون أن الله إذا أراد أن يخلق شيئًا فإنما يقول له كن فيكون ؟ فلا يعجزه خلق عيسى من غير أب . فكذلك كان آدم ، بل إن آدم كان أمره أكثر عجبًا من أمر عيسى . فعيسى ولد من أم بغير أب . أما آدم فلم يكن له أب ولا أم ، وخلق من طين . وفى كلتا الحالتين لم يكن الأمر بالنسبة لله القدير إلا أمراً يخضع لقوله جل شأنه : كن فيكون . (٢ : ٥٩ : إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثم قال له كُنْ فيكون) .

لقد ضل النصارى فى تأليههم لعيسى ، وما ضلوا إلا للسبب الذى أفصح عنه رسولنا صلى الله عليه وسلم ، فقال « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم . فإنما أنا عبد . فقولوا عبد الله ورسوله » .

نعم ، لقد أطرت النصارى عيسى ، فبعد أن اعتبره الجيل الأول رسولاً لله ، جاء جيل آخر اعتبره شفيعًا يقرب إلى الله زلفى ، وتلاه جيل أعطاه درجة أكبر ، فقالوا ابن الله . ثم جاء جيل من بعده ، فأعطاه درجة أكبر ، فقال إن عيسى بن مريم هو الله ، وضلوا بذلك ضلالاً بعيدًا ، والسبب كله هو الغلو فى تعظيم من يحبهم الناس وأن الغلو فى التعظيم ينتهى إلى التأليه .

٢ - أنصار السنة وأشياع التصوف

« من كتاب وجهت نصفه فى العدد السالف إلى الدكتور محمد مصطفى حلمى أستاذ التصوف والفلسفة بجامعة القاهرة ومعهد الدراسات العليا . بمناسبة ما يقرره لتلاميذه عن الصلة الوثيقة ـ فى ظنه ـ بين التصوف والإسلام ، وهذه بقية الكتاب وقد بدأتها بالتعليق على مسألة وحدة الأديان » .

* * *

وإنى لأُجِلُّ الدكتور العزيز عن أن يزعم لنا أن القرآن يؤيد مايدين به الصوفية وهو أن المجوسية أو اليهودية ، أو الصليبية ماهى إلا حقيقة الإسلام ! ! وأجله أيضاً عن أن يستشهد مرة أخرى بهذه الآيات القرآنية التى استشهد بها فى كتابه « ابن الفارض والحب الإلهى » فإنى أعتقد أنه يشعر تمام الشعور أنه قد تجنى على الحق باستدلاله بهذه الآيات على أن اليهودية والإسلام دين واحد ! ! أو على رأى ابن الفارض فى وحدة الأديان رأى متوج بالحكمة والعدل والصواب ! ! وأعتقد أيضاً أن الدكتور يؤمن تماما أنه يضع هذه الآيات فى غير موضعها ، وأنه يحاول التقريب بين النقيضين ؛ فالآيات التى استدل بها تقرر أن الدين الذى أوحاه الله إلى رسله دين واحد . هو دين الإسلام ، وقد ظل الرسل يبشرون به واحداً بعد واحد من قِبَل الله ، حتى أرسل الله محمداً : فأتم الله النعمة : وأكمل الدين بالكتاب الذى نزله عليه ، وتقرر أيضاً أن القرآن وحده هو المهيمن على الكتب الإلهية جميعها فلايجوز لمسلم أن يعمل بشىء من الإنجيل أو التوراة ـ على فرض وجودها ـ إلا بعد أن يوقن بأنه فى القرآن .

ولكن ابن الفارض يزعم شيئاً آخر ـ والدكتور يعرف هذا جيداً ـ هو أن الصليبية حق مطيب بروحانية السماء . وكذلك اليهودية والمجوسية والمانوية . والزرادشتية ، وكل

ضلالة اتخذتها شهوات الطغاة دينا ! ! لأن هؤلاء الطغاة البغاة الذين افتروا هذه الأديان ماهم إلا تعينات للحقيقة الإلهية .

كما يزعم ابن الفارض أن الإسلام لا يمتاز بشيء عن تلك المفتريات التي جُعِلت دينا وأن القرآن صنو الأسفار الصليبية التي افتريت ، وسميت أناجيل ، وعين الأسفار التي زيفها عزرا الكاهن وسميت توراة ، وإليك أبيات ابن الفارض :

فبي مجلس الأذكار سمع مطالع ولى حانة الخمار عين طليعة
وما عقد الزنار حلما سوى يدى وإن حُلَّ بالإقرار بى ، فهى حَلّت
وإن نار بالتنزيل محراب مسجد فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وأسفار توراة الكليم لقومه يناجي بها الأحبار فى كل ليلة
وإن خر للاحجار فى البد عاكف فلا وجه للانكار بالعصبية
فقد عبد الدينار معنى منزه عن العار بالإشراك بالوثنية
وقد بلغ الإنذار عنى من بغى وقامت بى الأعذار فى كل فرقة
وما زاغت الأبصار من كل ملة وما راغت الأفكار من كل نحلة
ومااحتار من للشمس عن غرة صبا وإشراقها من نور إسفار غرتى
وإن عبدالنار المجوس ـ وما انطفت كما جاء فى الأخبار فى ألف حجة
فما قصدوا غيرى ، وإن كان قصدهم سواى . وإن لم يظهروا عقد نية
رأوا ضوء نورى مرة ، فتوهمو ه ناراً ، فضلوا فى الهدى بالأشعة[1]

---

(١) التائية الكبرى من ديوان ابن الفارض طبع مكتبة الآداب الطبعة الخامسة . وإليك بعض معانى المفردات . عين طليعة : رقيب يتقدم مقدمة الجيش ـ الزنار ـ وهو مايشد به الكاهن أو الراهب وسطه ـ والبيعة الكنيسة ، الكليم موسى عليه السلام . البد : بيت الصنم . زاغ البصر : كل وضل . راغ : حال عن الحق مكرا وخديعة . السفرة : الغفلة صبا : مال . الاسفار الاشراق

يسوى فى القدسية بين مجلس الذكر وحانة الخمر . و بين رواد مجالس الأذكار . ورواد حانات الخمور ! و يسوى بين اليهودية والمسيحية والوثنية . وعبادة النار . وعبادة الكواكب و بين الإسلام !! ولقد حكم حكما عاماً شاملا بتصويب كل ضلالة وهذا فى قوله .

وما زاغت الأبصار من كل ملة　　　وما راغت الأفكار من كل نحلة

والنكرة فى سياق النفى تفيد العموم والشمول ، فماذا يقول الدكتور ؟ ماذا يقول وابن الفارض يصوب عبادة الأصنام ، وعبادة النار ، وعبادة الكواكب ؟ ليأتنا الدكتور بدليل يحترمه المسلمون يبيح لنا أن نجمع بين هذه الضلالات المتباينة ، وأن ندين بها ، ويؤكد لنا أننا بهذا الدين الامشاج ننال رضوان الله !!

أما ابن عربى . فقد ذهب مع الزندقة إلى آخر مداها ، فحكم بنجاة فرعون . وقرر أنه لا يوجد عذاب فى الآخرة و إليك قوله عن فرعون فى كتابه فصوص الحكم : « نجاه الله من عذاب الآخرة فى نفسه . ونجى بدنه . فقد عمته النجاة حسا ومعنى » و يقول عن نفى العذاب فى الآخرة :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده　　　وما لوعيد الحق عين تعاين

و إن دخلوا دار الشقاء فإنهم　　　على لذة فيها نعيم مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد　　　و بينهما عند التجلى تباين

يسمى عذابا من عذوبة طعمه　　　وذاك له كالقشر والقشر صائن

وابن عربى فى هذا متلائم مع إيمانه بوحدة الوجود . فما دام كل شىء هو الله . فان الله لا يعذب نفسه

أما عبد الكريم الجيلى . فحكم بنجاة إبليس . وصوب كل زندقته و إليك قوله عن إبليس :

مم خلق إبليس ؟ يقول القرآن إنه خلق من مارج من نار فماذا يقول الجيلى ؟ يقول «خلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد صلى الله عليه وسلم [(١)] » فهل يقول هذا مسلم ؟

مصير إبليس : القرآن يقول إن مصيره جهنم مع من أضلهم . أما الجيلى فلا يرضيه حكم الله على سيد الصوفية إبليس : « إذا انقضى يوم الدين . فلا لعنة عليه لارتفاع حكم الظلمة الطبيعية فى يوم الدين » ثم يقول : « فلا لعنة بل قرب محض ، فحينئذ يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهى » [(٢)] .

إذا كان هذا هو مصير إبليس عند الصوفية ، فهل يخاف إنسان عذابا ؟ فليعد من يشاء وليبغ من شاء ، فما ثم رب يعذب . وإنما ثم مجانة تعربد على أقدس الأخلاق !!

وإنى لأرجو الدكتور أن يقول كل هذا لتلاميذه الأساتذة ، حتى لا تخفى عليهم حقيقته . وما أظن أن الدكتور سوف يستطيع إقناع واحد منهم بأن هذا الذى يقوله الصوفية فيه نفحة إسلامية . فتلاميذك الأساتذة يادكتور أحرص على الحق وقداسته مما يظن بهم ، وفوق ماقد يتخيل أحد من أن رنين السحر فى ألفاظ الصوفية قد يفتنهم عن جلالة الحق من مثل الجذب والوجد والهيام والذوق والإشراق والتجلى . والقبض والبسط . والاصطدام وغير هذا مما اصطنع التصوف من خداع السحر ، ورياء التعاقد !! دين الله واحد !! نعم . وهى عقيدة كل مسلم . وقد دعا بهذا الدين نوح وإبراهيم وموسى ، وعيسى ، وختم بما نزل على محمد . ولكن أى دين يادكتور ؟ إنه دين الإسلام : أما هذه الزندقات التى نجمت : لتتحدى وحى الله بباطلها . وهذه الأحقاد التى اضطرمت ، لتدمر مابنى الهدى والحق والخير ، ثم سميت صليبية أو يهودية أو مجوسية أو وثنية : فمعاذ الله أن نبغى عليه ، ونبهته بأنه جل شأنه أرسل نبياً واحداً بشىء منها ، ومعاذ الله أن نبهته

(١) ص ٤١ ج ٢ الانسان الكامل .

(٢) ص ٤٢ ج ٢ المصدر السابق .

كذلك بأنه ـ وهو الواحد المعبود ـ يدعونا إلى عبادة صنم أو عجل من دونه !! كما يقول أئمة الصوفية : فليس الله بمتناقض ولا خبيث . حتى يدعونا الى الجمع بين التوحيد والشرك وإلى التلوث بخطيئة الوثنية . ثم إنى أرجو من الدكتور الجليل ـ وهو لماع الفكر رحيب الخيال مشبوب العاطفة أن يتصور ذلك المصير الأسود الرهيب الذى نتردى فيه ، لوأن طائفة منا نفرت ، لتبشر فى آسيا وإفريقية بما يقوله الصوفية . فنقول لهم هناك : لا حاجة بكم إلى قرآن ، أو إسلام وليعتصم كل منكم بخرافته و بدعته وصنمه ووثنيته وصليبيته ،فالأمر كله إسلام ، والكتب كلها قرآن !

وهل يشد من أزر الصهيونية والاستعمار دعوة كهذه الدعوة ؟ ! ولم لا ، وهى تؤكد أن عدوان الاستعمار ، وبغى الصهيونية ، إنما ينبعثان عن الحقيقة الإلهية الكامنة فى كل يد وقدم وعين ولسان ! ! لقد قالت الصوفية عن كفر فرعون : إنه كفر إله ، وعن جحود إبليس إنه جحود إله ، فكلاهما المظهر الأتم الأكمل للحقيقة الإلهية ، فلم لا تقول كذلك عن الصهيونية وعن الاستعمار ؟ !

أرأيت القاصمة الناسفة المدمرة يا دكتور ، لو أنا أخذنا بما يبشر به أئمة التصوف ؟ !

قد يبتسم دكتورنا الجليل فى إشفاقة مشوبة بالسخرية من جهالتى ، وفى غمغمة صوفية حالمة يقول : ومن قال : إن الصوفية قدس مباح لكل عابد ، ومحراب لكل ساجد . فإنما هى لفئة خاصة من الناس كشفت لهم الحقيقة الإلهية عن سرائرها ، فرأوها عين كل شىء ؟ ! وهنا أقول للدكتور ، ويقول معى كل مسلم : وإنا لنعوذ بالله سبحانه أن نكون من أولئك الذين يفترون هذا ، فإنا نعلم أن موسى ـ وهو من أولى العزم من الرسل ـ خر صعقا حينما تجلى ربه للجبل ! ! وأن الله قال له : لن ترانى ، ونعلم أن خاتم النبيين والمرسلين لم يخلع على نفسه وشاح هذه الاسطورة الملحدة ، ولم يزعم أنه رأى الله ، أفقومك يا دكتور خير من موسى ، ومن خاتم الرسل ؟

كما نعوذ بالله من دين يزعم مفتروه أنه لفئة دون فئة ، لأن من خصائص الإسلام أنه للجميع فى أصوله وفروعه ! ! إن دكتورنا العزيز كان بالغ الدقة فى تحديده لميلاد عمر بن الفارض ، وبذل جهدا مضنيا فى سبيل أمر لا تتعلق بإثباته مصلحة دين أودنيا ، أو تهذيب نفس ، أو تقويم خلق ، وبذل الجهد المضنى الشاق فى سبيل الفصل فى قضية الاتصال المزعوم بين ابن الفارض وابن عربى ، وحشد لهذه وتلك المراجع والمصادر والقوى الفكرية المسنونة ؛ ليؤكد للقارىء أنه الحفى بالحقيقة . . فما لدكتورنا الجليل لا يدرع بهذا ، وهو يتكلم عن صلة التصوف بالإسلام ؟ !

ترى ماذا كان يفعل الدكتور لو أننى نسبت بيتا واحدا من التائية الكبرى إلى غير ابن الفارض ؟ .

لو أننى فعلت ، لأقام الدكتور الدنيا ، وأقعدها ، ولرمى فى وجهنا بأننا على جهالة مركومة على ضلالة ! !

فمالدكتورنا الجليل ينسب إلى الإسلام أنه صوفية ؟ مالدكتورنا يزعم أن القرآن يؤيد وثنية الجاهلية ، ومجانة المجوسية ، وضلالة الصليبية ، وحقد اليهودية وماديتها الصماء ؟!

إنه لمما يثير الدهشة أن يحشد الدكتور أرقه وسهده ولياليه الساهرة على الضنى والمشقة ، والمراجع والمصادر المختلفة . والمحابر والأقلام ؛ ليثبت أن ابن الفارض قد ولد فى اليوم الرابع من ذى العقدة سنة ٥٠٧٦ هـ .

ولكنه فيما يتعلق بأصول الإسلام لا يكلف نفسه سوى التقليد ، وسوى أن يردد زعم الصوفية أنها إسلام دون أن يأتينا حتى بفرض يمكن أن يتجاوز العقل عن محكم أحكامه فيرضاه فرضا ! !

ومما يثير الدهشة أيضا أن يغلو الأستاذ الدكتور الجامعى فى تصديق هؤلاء القوم غلوا يخجل الصوفية نفسها إن كانت تعرف الخجل ! ! فالصوفية نفسها تقرر أن دينها

لاصلة له بعقل أو نقل ، لأنها تؤكد أن معرفتها مستمدة عن طريق الكشف والشهود ، أو الذوق الفردى ، أما الإسلام فيقرر أن مصدره وحى الله الذى نزل كتابه الخاتم على رسوله الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم ولننظر فى نتائج هذه المعرفة الشهودية المزعومة ، لنرى هل تلائم الإسلام أولا ، وسنختار آثر الصوفية بمحبة الدكتور وإجلاله وهو ابن الفارض ونأخذ عن تائيته الكبرى ، ونضعها تحت أنظار تلاميذ الدكتور وأنا على ثقة من أنهم سيد مفون ابن الفارض بما يدمغه الحق به ، وهو أنه فى تائيته مارق على الإسلام .

الوحدة بينه و بين الخالق : يقول فى غلو زندقته وزعمه أنه الأعظم .

أممت إمامى فى الحقيقة فالورى ورائى ، وكانت ـ حيث وجهت ـ وجهتى
يراها أمامى فى صلاتى ناظرى ويشهدنى قلبى إمام أئمتى
وكل الجهات الست نحوى توجهت بما تم من نسك وحج وعمرة
لها صلواتى بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لى صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع فى كل سجدة
وما كان لى صلى سواى ولم تكن صلاتى لغيرى فى أدا كل ركعة
إلى كم أوانى الستر ها قد هتكته وحل الحجب فى عقد بيعتى

يزعم أنه إمام الدنيا ، ووجهة الخاشعين فى صلواتهم ، وأن الحقيقة الإلهية تصلى له كما يصلى هو لها ، وأن المصلى فى الحقيقة واحد هى الحقيقة الإلهية المتجلية فى صورة ابن الفارض .

وإنى التى أحببتها لا محالة وكانت لها نفس على محيلتى
فهامت بها من حيث لم تدر وهى فى شهودى بنفس الأمر غير جهولة
وقد آن لى تفصيل ما قلت مجملا وإجمال ما فصلت بسطا لبسطتى

أفاد اتخاذى حبهـــــا لاتخاذنا ... نوادر عن عاد المحبين شذت

وبعد أن أجمل عقيدته التى قامت على أساس من زعمه أنه متحد بالخالق أو أنه هو هو ، راح يفصل ما أجمل .

وها أنا أبدى فى اتحادى مبدئى ... وأنهى انتهائى فى تواضع رفعتى

جلت فى تجليها الوجود لناظرى ... ففى كل مرئى أراها برؤية

وأشهدت غيبى إذ بدت فوجدتنى ... هنالك إياها بجــــلوة خلوتى

وطاح وجودى فى شهودى وبنت عن ... وجود شهودى ماحياً غير مثبت

وعانقت ما شاهدت فى محو شاهدى ... بمشهده للصحو من بعد سكرتى

ففى الصحو بعد المحو لم أك غيرها ... وذاتى بذاتى إذ تحلت تجلت

فوصفى إذ لم تدع باثنين وصفها ... وهيئتها إذ واحد نحن هيئتى

فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن ... منادًى أجابت من دعانى ولبت

وإن نطقت كنت المناجى كذاك إن ... قصصت حديثا إنما هى قصت

فقد رُفعت تاء المخاطب بيننا ... وفى رفعها عن فرقة الفرق رفعتى

إن الحقيقة الإلهية كامنة فى كل شىء يراه ، ولكنها تتمثل فى جمالها وكمالها الأعظم فى شخصه هو . فإنه هو المظهر الأتم الأكمل للحقيقة الإلهية بصفاتها وأسمائها وأفعالها ، فإن كلمت ابن الفارض فأنت تكلم الله ! !

ومباشان هذا الشأن منك سوى السوى ... ودعواه حقاً عنك إن تمح تثبت

كذا كنت حينا قبل أن يكشف الغطا ... من اللبس لا أنفك عن ثنوية

أروح بفقد بالشهود مؤلفى ... وأغدو بوجد بالوجود مشتتى

يفرقنى لبى التزاما بمحضرى ... ويجمعنى سلبى اصطلاماً بغيبتى

إخال حضيض الصحو والسكر معرجى إليها ومحوى منتهى قاب سدرتى
وغيرى على الأغيار يُثْنى وللسوى سواى يُثَنِّى منه عطفا لعطفتى

كان قبل أن تنبثق الحقيقة فى نفسه ثنويا يؤمن بوجود خالق ، فلما كشف عنه الغطاء لم يجد سوى أو غيراً ، وإنما وجد واحدا فقط يتجلى فى صورة خلق مشهود .

كان عقله يؤكد له أنه غير الله ، ولكن جذبة الحق تأخذ به ، فيوقن أنه هو الله .

وصرح بإطلاق الجمال ، ولا تقل بتقييده ميلا لزخرف زينة
فكل مليح حسنه من جمالها معار له بل حسن كل مليحة

لا تقل عن الحقيقة الإلهية إنها عين هذا أو ذاك فحسب ، وإنما قل : هى عين كل شىء ، فهى الوجود والموجود والكائن والمكون والعبد والرب .

ففى النشأة الأولى تراءت لآدم بمظهر حوا قبل حكم الأمومة
فهام بها كيما يكون بها أبا ويظهر بالزوجين حكم البنوة
وكان ابتدا حب المظاهر بعضها لبعض ، ولا ضد يصد ببغضة
وما برحت تبدو ، وتخفى لعلة على حسب الأوقات فى كل حقبة
وتظهر للمشاق فى كل مظهر من اللبس فى أشكال حسن بديعة
ففى مرة لبنى ، وأخرى بثينة وآونة تدعى بعزة - عزت
ولسن سواها لا ، ولا كن غيرها وما إن لها فى حسنها من شريكة
كذاك بحكم الاتحاد بحسنها كما لى بدت فى غيرها وتزيت
بدوت لها فى كل صب متيم بأى بديع حسنه ، وبأيت

ولا ينسى ابن الفارض دعارته التى فجرت بصبواته تحت أقبية الليل مع جواريه ومغنياته فيزعم أنه ما من عاشق إلا وهو الحقيقة الإلهية ، وما من معشوقة إلا وهى كذلك . فالحقيقة الإلهية الكامنة فى كلها تعشق نفسها .

فما زلت إياها ، وإياى لم تزل ولا فرق . بل ذاتى لذاتى أحبت

وليس معى فى الملك شىء سواى والمعية لم تخطر على ألمعيتى

يعود فيؤكد الوحدة الثابتة بينه وبين الحقيقة الإلهية بكل ما يتأتى له من ألفاظ التوكيد وتدبر المؤكدات فى البيت الأول ، وفى الثانى يزعم أن ماثم فى العالم إلا الله المتجلى فى صورة عمر ابن الفارض وأنه لم يدر بخلده أبداً أن يكون معه غيره !!

منحتك علماً أن تُرد كشفه فرد سبيلى ، وأشرع فى اتباع شريعتى

فمنبع صدى من شراب نقيعه لدى ، فدعنى من سراب بقيعة

وجل فى فنون الاتحاد ولا تحد إلى فئة فى غيره العمر أفنت

يدعو الناس إلى الإيمان بشريعته القائمة على أساس الوحدة التامة بين الخلق والخالق أو الاتحاد بينهما .

عليها مجازى سلامى فإنما حقيقته منى إلى تحيتى

يزعم أنه إذا ما ذكر الله ، فإنما يذكره على سبيل المجاز . هذا لأنه هو الله :

وشكرى لى ، والبر منى واصل إلى ، ونفسى باتحادى استبدت

وإنى إياها كذات ، ومن وشى بها قد وشى عنها صفات تبدت

هذه بعض أبيات التائية الكبرى التى تزيد عن سبعمائة بيت : أفيستطيع الدكتور أن يزعم أن هذه الزندقة إسلام ؟ .

كلمة أخيرة : إن الخطورة فى الأمر هو أن الدكتور لا يكتب . أو يدرس ليشرح مفهوم التصوف ومسائله كشأن الباحثين عن الحقيقة . وإنما يكتب ويدرس ليثبت أن التصوف إسلام فى شطحاته ونطحاته وعجره وبجره ، فى زندقته التى تؤكد أن العبد

والرب حقيقة واحدة : وأن المجوسية هى الإسلام ، وأن الصهيونية هى الإسلام ، وأن الصليبية هى الإسلام .

لهذا أقول للدكتور . إننا لن نسكت على ماتبثه يادكتور . ففيها تفعل هدم لأمتنا . وتقويض لنهضتنا . وقضاء على مقوماتنا ، وفصل للأمة عن دينها الذى أقامها . لن نسكت أبداً على هذا ، وسنكشف للناس حقيقة أهداف التصوف . وهى أهداف أقل مايقال عنها أنها تبغى القضاء على القرآن .

وكلمة أخرى أقولها للدكتور : إننى أرجو أن يتفضل مشكوراً فيحدد هو بنفسه المكان والزمان الذى يمكن أن ألتقى به فيهما فى مناظرة علنية ، ليفصل المسلمون فى هذه القضية فصلا عادلا وحكيما فهل يقبل الدكتور ؟

وإنى لأرحب به فى دار أنصار السنة : ليتكلم على منبرها بما شاء ، وأنا زعيم له ـ بعون الله ـ ألا يقاطعه مسلم وهو يتكلم . ليسمع منا فى النهاية كلمة القرآن .

ترى هل يتفضل الدكتور ؟

وإلا فسنظل نقول له : قد يؤذن لك فى أن تدرس التصوف وتقدسه : وتدعو إلى الإيمان بنتائج سكره وذهوله ، ولكن لن يأذن لك مسلم فى أن تقول عن التصوف إنه إسلام .

عبد الرحمن الوكيل

غزوات الرسول

« صلى الله عليه وسلم »

مقدمة : فى غزوة الرجيع عرفنا أن رهطا من قبيلتى عضل والقارة جاءوا إلى النبى « صلى الله عليه وسلم » وكلموه ليرسل معهم من يعلمهم أمور الدين . ويقرئهم القرآن . وأن الرسول بعث معهم ـ كعادته ـ وفدا من المسلمين وعلى رأسهم مرثد بن أبى مرثد وفيهم عاصم بن ثابت وخبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وغيرهم .

ثم عرفنا كيف غدروا بوفد الرسول فى الطريق بأن استمانوا عليهم بجماعة من قبيلة هذيل ليقتلوهم فقتلوا من الوفد من قتلوا و بقى خبيب بن عدى وزيد بن الدثنه فباعتهما هذيل فى مكة . وأن زيدا اشتراه صفوان بن امية وقتله بابيه أمية بن خلف . وأن خبيبا ظل سجينا بعض الوقت عند من ابتاعوه ثم خرجوا به إلى التنعيم خارج الحرم حيث صلبوه .

غزوة ذات الرقاع[١] : بعد ذلك خرج الرسول « صلى الله عليه وسلم » إلى نجد فى شهر جمادى الأولى من السنة الرابعة لغزو بنى محارب و بنى ثعلبة . واستعمل[٢] على المدينه اباذر الغفارى . وكان جيشه « عليه السلام » يتألف من أربعمائة من المسلمين ـ وقيل سبعمائة ـ .

---

(١) هناك اكثر من رواية وردت فى شأن تسمية هذه الغزوة بذات الرقاع . فقد قيل : أن سبب تسميتها بهذا الاسم يرجع إلى أن المسلمين صلوا هنالك صلاة الخوف . فرقعوا فيها صلاتهم . وقيل : أن مكان الغزوة كان به شجرة اسمها ذات الرقاع فنسبت الغزوة إلى هذه الشجرة . ويذكر ابن هشام فى سيرته أن أصح الروايات فى هذه التسمية ما رواه أبو موسى الاشعرى من أن المسلمين كانوا يربطون الخرق على ارجلهم لأن الحجارة نقبت أقدامهم . واسقطت أظافرهم . . راجع سيرة ابن هشام صفحة ٢١٥ جزء ٣ .

(٢) ويقال أن الرسول « ص » أناب عنه (عثمان بن عفان) فى تولى شئون المدينة .

وفى مكان الغزوة التقى رسول الله بجمع كبير من غطفان وتقارب بعضهم من بعض . ولـكن حدث بينهم خوف فلم يتقاتلوا فصلى رسول الله « عليه الصلاة والسلام » بالمسلمين صلاة الخوف[1] وهى التى نزل فيها قوله جل شأنه (وإذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليـكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة . . الآية ١٠٢ سورة النساء) .

وفى هذه الغزوة اراد رجل من بنى غطفان اسمه غورث بن الحارث أن يفتك برسول الله « عليه السلام » فقال لقومه : الا أقتل لـكم محمدا ؟ . قالوا بلى . . وكيف تقتله ؟ . قال : افتك به . فاقبل الرجل على رسول الله وهو جالس وسيفه فى حجره فقال يا محمد . أنظر إلى سيفك هذا ؟ . قال « نعم » فاخذه ثم جعل يهزه ويهم ، فـكبته الله . ثم قال : يا محمد أما تخافنى ؟ قال : لا قال : فمن يمنعك منى ؟ . قال : « الله يمنعنى منك » ثم رد السيف إلى رسول الله « ص » وفى هذا نزل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم أن يبسطوا اليكم ايديهم فـكف أيديهم عنكم . . الآيه ١١ سورة المائده) ثم عاد رسول الله بجيشه إلى المدينه دون قتال .

غزوة بدر الآخرة : وفى شعبان من تلك السنة خرج رسول الله « عليه السلام » إلى بدر لملاقاة أبى سفيان الذى كان قد وعد المسلمين بالخروج إليهم بعد عام من أحد[2] .

---

(١) روى البخارى عن صالح بن خوات ما جاء فى شأن صلاة الخوف التى صلاها النبى بالمسلمين « أن طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو إى تقف تجاه العدو ـ تحمى ظهور المسلمين من هجوم الاعداء ـ فصلى بالذين معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم . ثم انصرفوا . فصفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التى بقيت من صلاته . ثم ثبت جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم بهم .

(٢) راجع الجزء الرابع من غزوة أحد بالهدى النبوى عدد المحرم ١٣٨١ .

خرج رسول الله إلى بدر الثانية فى ألف وخمسمائة من المسلمين ومعه عشرة من الخيل الافراس . واستخلف على المدينه عبد الله بن رواحة . واعطى قيادة اللواء لعلى بن أبى طالب . وحين نزل « صلى الله عليه وسلم » ببدر اقام بها ثمانية أيام فى انتظار أبى سفيان والمشركين . وخرج أبو سفيان من مكة فى جيش عدته الفان ومعه خمسون فرسا . ولما وصل إلى ناحية مر الظهران على مرحلة من مكة قال لمن معه : يا معشر قريش . إنه لا يصلحكم الاعام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وأن عامكم هذا عام جدب . وانى راجع فارجعوا فرجع الناس . و بذلك اخلف أبو سفيان موعده مع رسول الله .

أما رسول الله « صلوات الله عليه » فقد ظل ينتظر أبا سفيان . فلما اخلف وعده رجع إلى المدينة بالمسلمين .

غزوة دومة الجندل[1] : علم رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أن أناسا كثيرين اجتمعوا بناحية دومة الجندل يستعدون لمهاجمته بالمدينة . فخرج إليهم النبى ومعه ألف مقاتل . وأناب عنه فى شئون المدينة شباع بن عرفطة الغفارى وكان رسول الله « عليه السلام » يكمن بالنهار و يسير بالليل مسترشدا بدليل من بنى عذرة يقال له مذكور .

و بينما الرسول فى طريقه إلى اعدائه وجد جماعة من أهل دومة الجندل فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فاصاب بعضهم وهرب البعض الآخر . . وعلم أهل دومة الجندل بما حدث فدب فى قلوبهم الفزع والخوف وتفرقوا وولوا مدبرين قبل أن يهاجموا .

.. ونزل الرسول إلى دومة الجندل فلم يجد أحدا من أهلها . فاقام بها اياما ارسل خلالها بعضا من جيشه ليبحث عن الاعداء . فلم يعثر على أحد منهم فرجع « عليه السلام » إلى المدينه بجيشه حاملا معه الفوز والغنائم . وقد وادع فى هذه الغزوة عيينة بن حصن .

---

(١) واحة تقع بين الحجاز والشام .

غزوة الاحزاب[١] ـ أو الخندق[٢] :

مخاوف اليهود : كانت هذه الغزوة من الغزوات التى اتسمت المواقف فيها بالشدة والخطورة . فقد تآمر فيها الاعداء وتكتلوا ضد المسلمين مما سبب لهم الخوف والجزع . ولكن الله الذى ينصر من ينصردينه امدهم بقوة من عنده ونصر من لدنه و إن كان الامداد فيها يختلف عن غيرها من الغزوات فى نوعه وشكله .

ولقد كان الدافع إلى قيام هذه الغزوة . المخاوف التى اصابت اليهود من المسلمين من عدة أمور . فقد كان الحقد على المسلمين لا يزال يغلى فى قلوب اليهود . ولا يزال كذلك طلب الثأر من محمد « صلوات الله عليه » يلح عليهم ويؤرق منامهم . فان يهود بنى قينقاع[٣] لم ينسوا كيف اخرجهم محمد « ص » من المدينه صاغرين اذلاء بعد أن نقضوا العهد معه . ولم ينس كذلك بنوا النضير[٤] كيف حاصرهم محمد « ص » فى ديارهم ست ليال واجلاهم منها بعد أن خربوا بيوتهم بأيديهم وطردهم منها شرطردة . وفوق كل ذلك فان مخاوف اليهود كانت تزداد يوما بعد يوم مع الانتصارات الباهرة التى كان يحققها المسلمون فى غزواتهم مع قريش وغيرها من قبائل العرب . إذ أن ذلك كان يعقبه ازدياد فى قوة المسلمين . واتساع سلطانهم . وانتشار دعوتهم . . هذا ما كان يخيف اليهود ويشغل بالهم . ويجعلهم يفكرون ويقدرون ويبحثون عن أية وسيلة تتيح لهم الفرصة للقضاء على المسلمين ليحققوا اغراضهم الخبيثة .

---

(١) سميت الغزوة بهذا الإسم لأن اليهود جمعوا قريشا وبعض قبائل العرب وذهبوا أحزابا إلى المدينة لقتال المسلمين .

(٢) وسميت بهذا الاسم أيضا لأن المسلمين حفروا خندقا بمدخل المدينة ليحول دون وصول الاحزاب المعتدين اليهم .

(٣) راجع مجلة الهدى النبوى عدد المحرم ١٣٨٠ .

(٤) راجع مجلة الهدى النبوى عدد جمادى الأولى ١٣٨١ .

اليهود يؤلبون العرب : وأخذ اليهود يفكرون . . فهداهم تفكيرهم إلى الاستعانة بالعرب ليحققوا أمانيهم . فهم يعلمون أن قريشا وبعض قبائل العرب لها تارات عند المسلمين . ووجدو أن بامكانهم الوصول إلى ما يريدون عن طريق تنشيط النفوس لطلب الثأر . واثارة الاحقاد والعداوات العقائدية التى بين قبائل العرب والمسلمين .

لهذا خرج سلام بن أبى الحقيق النضرى وحيى بن أخطب النضرى وكنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق النضرى وهوذة بن قيس الوائلى وابو عمارة الوائلى . . خرج هؤلاء يتزعمون جمعا من بنى النضير وبنى وائل وانطلق الجميع إلى قريش مكة يدعونها لحرب الرسول وقالوا : انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله . فقالت لهم قريش : يامعشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد . أفديننا خير أم دينه ؟ . قالوا : بل دينكم خير من دينه وانتم أولى بالحق منه[1] .

وقد اشار القرآن الكريم إلى تفضيل اليهود لدين الوثنية على دين التوحيد فى حديثهم مع قريش فقال تعالى (الم تر إلى الذين أوتوا نصيبا الكتاب يؤمنون

---

(١) يجد ربنا ونحن نذكر موقف اليهود العدائى تجاه الدين الإسلامى أن نسجل هنا شهادة شاهد من أهل اليهود حين انحى باللائمة على هذا الموقف الذى وصفه « بالخطأ الفاحش » . وهو الدكتور اسرائيل ولفنسون . إذ يقول فى كتابه « تاريخ اليهود فى بلاد العرب » : (كان من واجب هؤلاء اليهود الايتورطوا فى مثل هذا الخطأ الفاحش . والايصرحوا امام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام افضل من التوحيد الاسلامى ولوادى بهم الأمر الى عدم اجابة مطالبهم لأن بنى اسرائيل الذين كانوا مدة قرون حاملى راية التوحيد فى العالم بين الامم الوثنية باسم الآباء الأقدمين . والذين نكبو انكبات لاتحصى من تقتيل واضطهاد بسبب ايمانهم باله واحد فى عصور شتى من الأدوار التاريخية . . كان من واجبهم أن يضحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم فى سبيل أن يخذلوا المشركين . هذا فضلا عن انهم بالتجائهم الى عبدة الاصنام انما كانوا يحاربون انفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التى توصيهم بالنفور من اصحاب الاصنام والوقوف منهم موقف الخصومة) .

بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله . الآيتان ٥١ ، ٥٢ سورة النساء) . كما أشار القرآن إلى غرور اليهود بأنفسهم ـ بأنهم شعب الله المختار ـ وما اظهروه من حسد حين فضل الله الأمة الإسلامية بنبوة محمد « ص » فقال جل شأنه (ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما . فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا الآية ٥٥ سورة النساء) .

ولم تلبث قريش حين سمعت قول اليهود أن فرحت وتحمست للخروج معهم لحرب الرسول « عليه السلام » . ثم سار زعماء اليهود بمن تبعهم إلى بنى غطفان ليدعوهم للخروج معهم واخبروهم بأن قريشا قبلت الخروج ووعدوهم بالنصر فوافق بنو غطفان على ما أراد اليهود .

واجمع الأحزاب أمرهم على قتال المسلمين . فخرج ابو سفيان بن حرب على رأس قريش . وعيينة بن حصن بن حذيفة على رأس بنى غطفان . والحرث بن عوف ابن أبى حارثة المرى على رأس بنى مرة . ومسعر بن رخيلة على رأس من تبعه من قومه من أشجع . وقد بلغ عدد هؤلاء الأحزاب عشرة آلاف مقاتل ومعهم أفراسهم وأسلحتهم فساروا جميعا قاصدين المدينه تحت قيادة أبى سفيان . ثم اتفقوا على أن يتولى كل زعيم منهم القيادة يوما على التوالى . .

ونكتفى بهذا القدر من الكلام عن هذه الغزوة . . ولنا لقاء آخر فى عدد قادم إن شاء الله .

سعد صادق محمد

إلى مشتركى (الهدى النبوى)

نذكر السادة الذين انتهت اشتراكاتهم بهذا العدد أن يبادروا فيتفضلوا بتجديد اشتراكاتهم للعام الجديد . وكل عام والمسلمون جميعاً بخير .

كتاب الله

اهتمت بعض القرى اهتماما كبيراً بإنشاء مكاتب لتحفيظ القرآن الكريم وجمع التبرعات لها أسوة بالمدن التى سعدت بمثل هذه المكاتب التى كادت تعم أنحاء الجمهورية العربية وغيرها ، وإنى أوجه هذا النداء الموجز للذين قاموا بهذا العمل الجليل جاعلين نصب أعينهم أمر دينهم فى طليعة اعمال البر والتقوى حفظا لكتاب الله الكريم الذى قال عنه « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » صدق الله العظيم .

* * *

رجالَ الخير والإحسان جودوا فإن البخل فى خير جحود
إذا القرآن ناشدكم فأنتم لرفع لوائه نعم الجنود

* * *

كتابَ الله لا يحزنك نقص لحفاظ فما وهنت جهود
نصيبك فى بنى الدنيا بقاء وحظك فى مشارقها خلود
نزلت على رسول الله هديا وضاء بنور حكمتك الوجود
وما زالت بك الألباب تحيا كما يحيى نبيع الماء عود

* * *

رجالَ الدين لا تهنوا وشدوا سواعدكم فما يجدى الجمود
فأهل البر والإحسان فينا رجال زانهم كرم وجود
على القرآن غيرتهم تجلت وأنتم فى صيانته أسود

سيربوا حافظوه على الأوالى   وزاهر عصره الماضى يعود
فجودوا بالقليل ولا تضنوا   على الحفاظ قد طال الركود
إذا ما المال لم يكسبك حمدا   فلا تغنى عن الحمد النقود
ومن بعناية الأخيار أولى   من القرآن أنزله الودود
لهم من ألسن الدنيا ثناء   وعند الله فى الأخرى سعود

« الجيزه »   نجاتى عبد الرحمن

الفوائد المجموعة
فى الأحاديث الموضوعة

لشيخ الإسلام

محمد بن على الشوكانى

رسائل القراء

التصوف والقيم الأخلاقية

كلمة قيمة بهذا العنوان من الاستاذ عبد الفتاح ابراهيم سلامه ، نقتبس منها الآتى لضيق المقام :

يعتقد الكثير من الناس أن التصوف فى الإسلام هو ذروة الايمان وقمة الإحسان وأن الوصول إليه وصول إلى عليا المراتب الأخلاقية ، ولو كان هذا الاعتقاد اعتقاد الغوغاء وفكر الدهماء وحسب لتركناهم وما يعتقدون فما لنا إلى جدال الغوغاء من حاجة . ولكنه للأسف اعتقاد فريق من الناس ممن لهم من العلم رسمه ومن الإسلام شكله .

ولنبدأ فى مناقشة هذه الدعوى مناقشة علمية ، فكل دعوة لا تسندها البراهين ولاتدعمها الأدلة . أصحابها أدعياء .

ولنأخذ بادىء الأمر فى مناقشة موقف التصوف من القضية الجنسية فكثير من الناس يعتقدون أن التصوف رهبانية وعزلة جسدية ونفسية عن غرائز الجنس ووقدة ضرمه . ولكن الدراسة العلمية المتقصية لاقوال القوم تنبىء عن غرائز حيوانية ملتهبة . وعن انفعالات جنسية صارخة[1] يبرز هذا المعنى كل البروز حيث يقول ابن عربى فى حلم رآه : رأيت ليلة أنى نكحت نجوم السماء كلها فما بقى منها نجم إلا نكحته بلذة عظيمة . وعرضت رؤياى هذه على من عرضها على رجل عارف بالرؤيا بصير بها فقال صاحب هذه الرؤيا يفتح له من العلوم العلوية وعلوم الأسرار وخواص الكواكب ما لا يكون لأحد من أهل زمانه ») .

فهذا كلام أوله ضرم الشهوة وأوسطه نباحها المستعر وآخره ضلال العقل ومين القول وفند الرأى وسوء العقيدة .

---

(١) انظر كتاب (الله) للاستاذ عباس محمود العقاد ص ١٨٣ طبعة دار الهلال سنة ١٩٥٤ .

ولنأخذ فى حساب طاغوت آخر ـ تبر الله الطواغيت جميعا ـ هو عبد الوهاب الشعرانى . تعال نقرأ فى طبقاته الكبرى هذه الترجمة لسيده على جحيش من مجاذيب النحارية وننقل هنا بالحرف الواحد(١) .

كان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزله من على الحمارة ويقول له أمسك رأسها لى حتى أفعل فيها فان أبى شيخ البلد تسمر فى الأرض لايستطيع يمشى خطوة وإن سمع حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه . وكانت له أفعال غريبة) هذه نص عبارات الشعرانى بأخطائه النحوية واللغوية .

هذا هو غثيان التصوف وهذيانه . . عواء جنسى دنس وصراخ غرائزى وقح . . . معتوه يزعمون له الولاية وأيم الله إنها لولاية ولكنها ولاية الشيطان الرجيم . لاولاية الرحمن الكريم وتكون من أمارات هذه الولاية هذا السعار الجنسى الذى بلغ بهذا العجوز أحط درجاته وأوهد غياباته حين استعرت به شهوته . فلم يجد غير الحيوانات بل أحط أنواع الحيوانات لينفس فيها عن شهوته .

وندع هذا البهتان وهذا الرفث من القول إلى شبيه له يتحدث عن سيده يوسف العجمى فيقول(٢) : (إنه كان يصعق فى حب الله تعالى فتضع الحوامل ما فى بطونها من صعقته ، فحوله(٣) الله ذلك إلى حب امرأة من البغايا . فجاء إلى الصوفية ورمى لهم الخرقة (التى هى شعار التصوف) وقال لا أحب أن أكذب فى الطريق إن واردى تحول إلى حب فلانة ثم صار يحمل لها العود ويركبها ويمشى فى خدمتها إلى أن تحول الوارد إلى محبة الحق بعد عشرة شهور فجاء إلى الصوفية وقال البسونى الخرقة فإن واردى رجع عن حب فلانة . فبلغها ذلك فتابت ولزمت خدمته إلى أن ماتت) .

(١) انظر الطبقات الكبرى الجزء الثانى ص ١٣٥ طبعة صبيح .

(٢) ص ١٣٩ نفس المراجع .

(٣) تذكر هنا قول الله تعالى عن أدب الجن فى الحديث عن ذاته جلت قدرته . (وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) فالشر ليس إلى الله .

الإســـلام

علم وعمـــل

وتلقينا من الأستاذ عبد الله أحمد مرسى مقالا بهذا العنوان نختصره فيما يلى :

إن كل دعوة إصلاحية فى الوجود لها أساس ، والاسلام الذى أضاء الله به الظلمات ، وثبت دعائم الفضائل والطيبات ، ينهض على دعامتين هما أساسه وقوامه ، الاوهما : العلم والعمل ، ولهذا نرى أن الله سبحانه وتعالى لم يكل إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم تبعات الرسالة ،وأمانة النبوة ، الابعد أن اكتمل عقله ، واتسع علمه ، وصحت معارفه ، واصطفاه الله لنفسه وهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته ، وعلمه فاكتمل تعليمه ثم يقول بعد أن ذكر ما كان عليه رسول الله وصحابته من العلم بالدين والعمل بما علموه من دينهم :

لقد حاولنا أن ننشر التعليم فأنشأنا المدارس والمعاهد والجامعات ونظمنا الشهادات الدراسية ، وأكثرنا من الألقاب العلمية ، وأصبح فينا أساتذة (دكاترة) ومهندسون وفنانون ، وأطباء ، ومخترعون ، وطيارون ، وخيل الينا أننا أصبحنا علماء وأننا أحسنا صنعا حين قلدنا أوربا فى علومها وأوضاعها وأنماطها ولكننا فى الواقع لم نشبع ولم نقنع ، بل لم نسعد ولم نهنأ بل لم ننتفع بهذه العلوم الحديثة التى اصطنعناها الانتفاع المأمول ، بل كثيرا ماشقتنا هذه العلوم نفسها وجرت علينا البلايا والنكبات كما جرتها على سوانا هنا وهناك ! ! .

كان ذلك لأننا فهمنا العلم على أنه صناعة وتجارة وطب وآلات ، واختراعات ومكتشفات ، وأهملنا فى ميدان التربية والتعليم أهم جانب يطعم هذه العلوم المادية الحسية الجافة بمصل روحى يقيها من البغى والطغيان ، فلم نهتم بالروحانيات ولا بالأخلاق ولا بغرس الفضائل ، بل لم نهتم بالدراسات الدينية فى مدراسنا الاهتمام الواجب على أمة

جعلها الله بين الأمم وسطا ، وسلمها قياد العلم ، وجعل أبناءها شهداء على الناس بعلم المادة وعلم الروح !!!

وقديما كان الآباء والأجداد يعطون كلا من الناحيتين حقها فيهتمون بمطالب الجسد فى حدود المعقول ، ويهتمون بما يطهر القلوب ويصفى الأرواح ، ويعلو بالفضائل ، وكانوا يعطون المرء من الأحترام والأجلال والأكرام والاحسان على مقدار علمه بالدين ، وفقهه فى الشريعة ، وإحاطته بأسرار الإسلام الذى يحرص على الخير وينفر من الشر والبهتان ! ! .

جاء أعرابى مسلم إلى الحسين بن على (رضى) فقال له : يابن بنت رسول الله ، قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها ، فقلت فى نفسى : أسأل اكرم الناس ، وما رأيت على الأرض اكرم من أهل بيت رسول الله ! فقال الحسين : سأسألك عن ثلاث مسائل فأن أجبت عنها أعطيتك ، فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المعروف على قدر المعرفة فقال الأعرابى : سل عما بدالك فأن أجبت فبها ونعمت ، والاتعلمت منك ، ولا حول وقوة إلا بالله . ! قال الحسين : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : الإيمان بالله . فقال الحسين : فما النجاة من الهلكة ؟ قال : الثقة بالله . فقال الحسين : فما يزيد الرجل ؟ قال : علم مع حلم ، فقال الحسين : فأن أخطأه ذلك ؟ قال : فمال مع المروءة ، فقال الحسين : فأن أخطأه ذلك ؟ قال : ففقر معه صبر قال الحسين : فأن أخطأه ذلك قال : فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فأنه أهل لذلك ! فضحك الحسين وأعجب بعلمه ، ودقة فهمه ، فأعطاه الدية ، ثم نزع خاتمه من يده وأعطاه للأعرابى لينفقه على نفسه تقديراً لعلمه وخبرته بأسرار الحياة ووسائل الخير .

مع الأولياء والدراويش

وجاءتنا كلمة من الأستاذ سيد عبد الوهاب أحمد السيد النجار بكلية الشريعة بالعنوان أعلاه . ضاق نطاق هذا العدد عن نشره فمعذرة .

تعليقات على الصحف :

رشاد .. أو طلاء المعادن

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ الكبير أحمد الصاوى محمد « رئيس تحرير الأخبار » فى يومياته بجريدة الأخبار يوم ١٩٦٢/٤/٢٩ كلمة عن الأخ رشاد غانم من إخواننا السلفيين بفرع جماعة أنصار السنة المحمدية بالأسكندرية تتناول شخصيته الدينية . كما تناول فيها بعض الحقائق الهامة . ونحن ننقل هنا كلمة الأستاذ الصاوى بنصها كما جاءت بيومياته :

لا أقصد الأسكندرية حتى يكون من زيارتى الأولى ذلك الدكان المتواضع ، الصغير ، فى شارع أحمد عرابى . . الضيق ، المكتوب على واجهته (طلاء المعادن) ! .

وأول مرة لاحظت فيها (رشاد) كانت فى مزاد بر بريان ، وهو تاجر عاديات ، مات وباع ابنه أثاثه وتحفه . وجاء تجار العطارين كالنسور يخطفون من بعضهم بعض البضاعة التى ينادى عليها بلباقة ، وفطنة جورج فاسولو بولو . . الخبير المثمن الدلال . . وكان ما لفت نظرى هو طربوش طويل ، طويل جدا يومئذ ، لا أدرى كيف يجد صاحبه مكواة له ! . . وسألت صديقا إلى جانبى عن صاحبه فقال لى : أفلا تعرفه ؟ ! هذا (رشاد) أعظم تاجر فضيات فى الأسكندرية ! . . وليس القصد أنه أغنى ، أو أكبر ، بل هو كذلك من ناحية الأمانة . فهو أمين جدا فى معاملته . وهو يرضى من الربح بأقل القليل ! . .

وزرت الرجل فإذا بى أكتشف أنه لا يعنى بالفضيات ، أو طلاء المعادن التى يتولاها شقيق له فى مصنع خاص ، بقدر عنايته بكتب الفقه وأصول الدين ومحاربة الدجل والرغبة فى تطهير الإسلام من الشوائب ! ! !

وكنت أزعم أننى سأحدثه فى معادن وقضيات (بولانجيه) أو ما بين — آند —

وب) أو (كريستوفل) إلى آخره ، أو أحاول ذلك ، فإذا به يحدثنى فى ابن قتيبة ومحيى الدين بن عربى ، ويصور لى ألوانا من الدجل الذى يدخل على قلوب الناس ، حتى أهل العلم والمعرفة منهم ، حتى الأساتذة فى بعض الكليات ! . .

وقد تظن أنه سيحاول أن يبيع لك شيئا مما عنده فى دكانه ، لكن ماعنده لا يهمه إلا بقدر قليل ، وقليل جدا ، إلى جانب مافى فؤاده من ينابيع الإيمان واليقين ! . .

وقد تدخل سيدة أجنبية راقية ، تطلب طقما من الشوك والسكاكين المعدن أو الفضة، فلا يصرفه طلبها عن مناقشته الحارة مع شيخ من علماء الأزهر أو طلاب العلم أو أساتذة الجامعة ، ويصرفها بالتى هى أحسن ، لايكترث بما قد يكسبه من وراء طلبها ، لأن هوايته الكبرى هى طلب الهداية من الله لنفسه ، ولكل من يتصل به ، وهو لذلك عضو جماعة أنصار السنة ، السلفيين ، إنتماء إلى السلف الصالح ، والرسول وصحبه ، ومدرسة المنار . .

شخصية غريبة جدا كأنها جاءت من القرون الوسطى ، أو ما زالت تعيش فى مجاهل الأرض ، بذلك الروح القوى المؤمن المطمئن الذى لا تلهيه التجارة عن ذكر الله ! . .

شخصية رشاد تذكرنى بما كان يرويه أهلنا عن تجار خان الخليلى القدامى ، عندما كان بعضهم يسافر إلى الحجاز لإداء فريضة الحج ، وهو يعلم أنه قد لا يعود بل قد يذهب ضحية قطاع الطرق ، فيودع عند أحد إخوانه من التجار رأس ماله ، مائتين أو ألفين من الجنيهات ، ويقول له هذه أمانة عندك أرجو أن تردها لأهلى إذا لقيت حتفى ! .

ويفعل ذلك دون أدنى إيصال بالاستلام ! .. وقلما سمع أحد أن تاجرا أنكر أمانة زميل له ، فى حين أنه ما من تاجر الآن يأتمن تاجرا على علبة سردين ! !

وترى داخلا على رشاد ضابط من الكلية البحرية ، ومعه بحار من الأسطول المصرى ، يحملون بعض فضيات (الملك السابق) وقد ورثها الشعب ، ويشرب فيها الآن الأساتذة والطلاب ، وقد حملوها للسيد رشاد ، يصلحها ، ويطليها ، ويصقلها ، ويعيدها جديدة ، نظير دراهم معدودة ، خدمة للوطن . . والدين ! !

ولا أقصد أن هذه الجماعة الصالحة من الناس التى تنتمى إلى السلف الصالح من جماعة أنصار السنة ، قد أطلقوا لحاهم وأرخوا العذبة على قفاهم ، بل هم جماعة (مودرن) مستنيرة ، يضعون الآن التخطيط الثقافى للجماعة ، ورسالتهم الحجة والبرهان . . وما أجمل ما ترى السيد رشاد وقد دخلت عليه سيدة أجنبية تسأل عن شوك وسكاكين » وهو يفتح لى كتاب الشعرانى الذى كان شيخ رواق المالكية فى عصره (الطبقات الكبرى) ويظهر لى فيه على صفحات تذهل العقول من فجرها وفحشها مما لا تجده فى كتب الدعارة الباريسية وهو مطبوع عام ١٩٢٥ بمصر المحمية ! ! ! . .

ودخل عليه مرة أستاذ فى الجامعة لشراء كأس بللورية بجنيهين أو أقل أو أكثر ، فإذا بالأخ رشاد لا يهمه البيع أو الشراء ، بقدر ما يهمه مناقشة (الزبون) بعد ما عرف شخصيته ، فى رسالة عن (فصوص الحكم) لمحيي الدين بن العربى ! !

ولا تكاد تخلو دكان (طلاء المعادن) من شخصيات أزهرية تقدمية . رأيت عنده ذات مرة شيخا وقورا أشقر الشعر يرتدى عباءة من وبر الجمل ، وعرفت أنه الشيخ عبد الله بن يابس من علماء نجد ، وله نجل مشرف اجتماعى من خريجى كلية الشريعة ، وكلاهما : رشاد والشيخ الفاضل فى بحار من فلسفة الدين بعيدة الغور لا يصل إليها ذكائى المحدود ! . .

وكذلك جرى الحديث عن زميل آخر من علماء نجد ، هو الشيخ عبد الله بن القصيمى ، مؤلف كتاب (هذه هى الأغلال) ! . . ويقول لك السيد رشاد أن العقاد قد حلله وعلق عليه فى مجلة الرسالة الزاهرة فى عهدها الميمون ! . وكذلك تجد على مكتب رشاد رسالة أخرى للشيخ القصيمى نفسه : (الصراع بين الإسلام والوثنية) . . . وهو يعده من أعظم الكتب التى تحارب الخرافة التى تحاربها هذه الجماعة . . ومؤلفه زميل الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدى المتخصص فى مصطلح الحديث .

وقد تجد عند رشاد شيخا شابا معمما يروى الشعر بأسلوب عذب ، وإذا به هو أيضا

شاعر تقدمى ، الشيخ عبد الله أبو عيد ، بل هو ممن يجتذبون قلوب المؤمنين الذين يستمعون له إماما وخطيبا لمسجد القائد إبراهيم . .

وعلى مكتب السيد رشاد أيضا أكداس من الكتب القيمة . المنوعة ، تجد « التفسير الحديث » (محمد عزت دروزة) و « تفسير القرآن الكريم » الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت) و « الوحى المحمدى » (السيد محمد رشيد رضا) ثم « السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى » للدكتور مصطفى السباعى رئيس قسم الفقه الإسلامى ومذاهبه فى جامعة دمشق وأستاذ الأحوال الشخصية فى كليتى الشريعة والحقوق ، كما تجد (صيد الخاطر) للإمام عبد الرحمن بن الجوزى الذى ضبطه وحققه محمد الغزالى وقد مضت تسعة قرون على تأليفه وكأن القارىء أمام كتاب حديث الإخراج ! . .

ثم تجد بين معادن رشاد النفيسة كتاب تاريخ مصر وأوربا للمؤرخ الكبير محمد عبد الله عنان ! . . ويتخلل الكتابين كتاب الاعتصام للإمام أبى إسحاق ! ! ! . . وكذلك تجد محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصبهانى ، وإلى جانب شمعدان على شكل نخلة جلست تحته قافلة من الأعراب ، تجد كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين للشيخ شمس الملة والدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الزرعى ثم الدمشقى الشهير بابن قيم الجوزية المتوفى عام ٧٥١ . . وإلى جانبه كتاب زعماء الإصلاح للأستاذ أحمد أمين . . وتكون عندئذ قد دخلت سيدة يونانية من أسرة دبلوماسية معروفة فى بلادنا ، تقول أن بعض الجواهرية بشارع شريف قالوا لها أن هذه الشكوك والسكاكين معدن لا فضة ! . . وعندئذ يغضب رشاد بهدوء ورقة ويألم لجهل الجهال ، ولكنها لا تلبث أن تقول : ولكن آخرين من الجواهرية طلبوا منى أن أعرضها عليك لأنك الحكم الفيصل فى الموضوع من دون أن يعرفوا أنه من دكانك ! ! ! . وفى هذه اللحظة يدخل طبيب يونانى من زبائن رشاد ، فإذا سمع الحكاية ابتسم وأكد لها بلغة بلادها أن ما يقوله رشاد لا ينزل الأرض وأنه فى الأسكندرية مثال التاجر الأمين . . هذا فى حين يكون السيد رشاد قد استخرج من بطون كتب العرب كتابا افرنجيا باللغة الفرنسية ، وفتحه ، وأخرج لها

رسم الدمغة الموجود على الشوك والملاعق وهى دمغة هنفارية لأنه مصنوع فى المجر من قديم ، والكتاب اسمه (الدليل الدولى لدمغات الفضة المختلفة فى جميع البلدان والأزمان) ! !

(الهدى النبوى) •• يسرنا أن ننقل هذه الكلمة المنصفة بكل فخر واعتزاز لما تحويه من حقائق جديرة بالذكر والتسجيل فقد أظهرت هذه الكلمة الرائعة شخصية الأخ « رشاد غانم » الدينية وحياته الإسلامية المفعمة بالعلم والجهاد كما بينت أثر دعوة أنصار السنة فى تربية أعضائها إذ جعلت من هذا الأنصارى رجلا أمينا ذا مكانة مرموقة ومحل ثقة واطمئنان للجميع . ولقد أبرزت الكلمة أيضا حال جماعة انصار السنة فى المجتمع ووصفتهم بأنهم جماعة مستنيرة يضعون التخطيط الثقافى للجماعة . . وأن رسالتهم الحجة والبرهان . . وأنهم يحاربون الخرافة والبدع .

ونحن نشكر للاستاذ الكبير « الصاوى » ما جاء فى كلماته المنصفة ونسأل الله تعالى أن يجزيه عنا وعن العاملين لنصرة سنة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » خير الجزاء .

من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

الاخـــلاص

أعلم أن ركن الأعمال الأول ، وروحها ، وشرط قبولها عند الله : الإخلاص .

يخلو من الإخلاص فهو رياء ونفاق ، مردود على صاحبه ، قال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدو ين له الدين) .

وركنها الثانى : الاتباع . فأى عمل يخ المتابعة فهو بدعة وضلال ، قال الله سبحانه وتعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أوليا قليلا ما تذكرون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » أى لا يقبله الله .

فأساس كل الأعمال : الإخلاص والمتابعة ، قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فاخلص صلاتك وصيامك وصدقة وحجك وجهادك ودعاءك وخوفك ورجاءك وكل عملك لله .

واتبع فى كل ما تعمل وما تترك كتاب الله ، وسنة رسول الله تكن من المفلحين الفائزين إن شاء الله فى الدنيا والآخرة ، والله الموفق وهو المعين .